

**THE NIGERIAN QURANIC EXEGESIS METHODOLOGY:  
A COMPARATIVE STUDY BETWEEN RADD AL-ADHAN  
ILA MA'ANI AL- QUR'AN BY ABU BAKR MAHMUD  
JUMI AND DIYA' AL-TA'WIL FI MA'ANI  
AL-TANZIL BY ABDULLAH BIN FUDY**

**IBRAHIM MOHAMMED FADUL**

**ACADEMY OF ISLAMIC STUDIES  
UNIVERSITY OF MALAYA  
KUALA LUMPUR**

**2018**

مناهج المفسرين النيجيريين: دراسة مقارنة بين رداالأذهان  
إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل  
في معاني التنزيل لعبدالله بن فودي

إبراهيم محمد فضل

كاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملایا

كولالمبور

2018

مناهج المفسرين النيجيريين: دراسة مقارنة بين رداالأذهان  
إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل  
في معاني التنزيل لعبدالله بن فودي

إبراهيم محمد فضل

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كولالمبور

2018

مناهج المفسرين النيجيريين: دراسة مقارنة بين ردا الأذهان  
إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل  
في معاني التنزيل لعبدالله بن فودي

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إجراء مقارنة بين تفسيري رد الأذهان إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل في معاني التنزيل لأبي عبدالله بن فودي تمكن مشكلة البحث في أن منهج هؤلاء العلماء الأجلاء في تفسيرهما غير محد واضح؛ فلذلك يحتاج إلى استكشاف وإبراز معالم منهج كل منهما من خلال تفسيره حتى تكون الاستفادة مندهما متاحة. تتجلى أهمية البحث في أنه يتناول بالدراسة منهج عَلمَين من أعلام التفسير النيجيريين من خلال المقارنة بين منهجيهما ببيان أوجه الاتفاق والاختلاف في مواضعها، مع تسليط الضوء على مساهمتهما العفالية في قضايا الأمة من خلال تفسيرهما. وقد اعتمد الباحث في بحثه هذا على المنهج الاستقرائي والوصفي، وذلك من خلال جمع المادة العلمية من مؤلفاتهم وتصانيفهم. كما سلك الباحث المنهج التحليلي وذلك بتحليل المادة التفسيرية في كتابهما ومن ثم الوقوف على منهجهما، ثم المقارنة بين منهج المفسرين. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن المفسرين

اهتم بقضايا الاصلاح التربوي والاجتماعي التي هي مهمة القرآن، وأن هناك اختلافا بينهما في

التعامل مع النصوص، علاوة على أن منهجهما في التفسير متفاوت في كثرة الاعتماد على

التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي واستخراج الفوائد واستنباطها؛ مما كان له الأثر الإيجابي في

المجتمع النيجيري.

مناهج المفسرين النيجيريين: دراسة مقارنة بين رداالأذهان  
إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل  
في معاني التنزيل لعبدالله بن فودي

**ABSTRAK**

Kajian ini dilaksanakan untuk membandingkan berkenaan dua buah *Kitāb Taf̣ṣīr* iaitu *Radd al-Adhhān ilā Ma'ānī al-Qur'ān* oleh Abī Bakr Maḥmūd Jumī dan *Kitāb Diyā al-Ta'wīl fī Ma'ānī al-Tanzīl* oleh Abī 'Abd Allah b. Al-Fudī. Penyataan masalah ini ingin dikaji kerana buku kedua-dua tokoh ulama ini tidak dapat dikenalpasti kerana itu perlu kepada penerangan, keal pasti dan pengetengahkan pendekatan buku ini. Dengan itu pembaca akan mudah mengambil manfaat daripada kitab mereka. Kajian ini signifikan dilaksanakan kerana ia menganalisis pendekatan dua ulama Nigeria yang hebat ini bagi membandingkan pendekatan yang digunakan dalam pentafsiran al-Qur'ān dalam aspek persamaan dan perbezaan. Penekanan adalah terhadap kesan kitab ini terhadap masyarakat. Kajian ini adalah kajian induktif, diskriptif dan analisis dengan pendekatan perbandingan. Kajian ini menemui bahawa kedua-dua tokoh ulama ini amat menitikberatkan Pendidikan dan perkembangan social yang disebut dalam al-Qur'ān. Namun terdapat perbezaan antara pendekatan kedua-dua ulama ini dalam menjelaskan al-Qur'ān seperti perbezaan manhaj *Taf̣ṣīr bi al-Ma'thūr* dan *Taf̣ṣīr bi al-Ra'y* dan mengeluarkan faedah dan intisari daripadanya. Kajian juga menyentuh tentang kesan kedua-dua *Taf̣ṣīr* ini kepada masyarakat Islam di Nigeria.

مناهج المفسرين النيجيريين: دراسة مقارنة بين ردالأذهان  
إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل  
في معاني التنزيل لعبدالله بن فودي

**ABSTRACT**

This research aims to compare the approaches of two books of *Tafsīr* namely, *Radd al-Adhhān ilā Ma'ānī al-Qur'ān* by Abī Bakr Maḥmūd Jumī and *Diyā al-Ta'wīl fī Ma'ānī al-Tanzīl* by Abī 'Abd Allah b. Al-Fudī. The problem statement of this research is that the approach of these two scholars in their previous books is not identified, that is why there is a huge need to uncover, identify and highlight the features of each approach through the mentioned books, so they reader can easily benefit from them. This study explores not only the approach of two great Nigerian scholars by comparing their ways in interpreting the Qur'ān by identifying their similarities and differences, but highlighting their effective contribution to the current issues of the Ummah. This research used the inductive, descriptive, analytical, and comparative approaches. The findig of this research shows that both scholars were concerned with the educational and social reform, which is the Qur'ān's mission. In addition, there is some differences in their approach in terms of dealing with Quranic texts like the excessive reliance on the *Tafsīr bi al-Ma'thūr* and *Tafsīr bi al-Ra'y*, and a positive impact on Nigerian society.

## الشكر والتقدير

الحمد لله الموفق لكل خير الوهاب للنعم الذي وفقني وأعاني فله الحمد كله، القائل (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)<sup>1</sup> والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة، أفضل الأنبياء أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: فاعترفا بالفضل لأهله واستجابة لقول الرسول "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"<sup>2</sup> فإن خير مدخل أتقدم به هو خالص الشكر والتقدير إلى جامعة ملايا، حيث كان لي الشرف أن أكون أحد طلابها، ويسر الله لي الالتحاق بالدراسات العليا بقسم أكاديمي الإسلامي.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الجليل فضيلة الدكتور: مصطفى عبدالله الذي تولى الإشراف على هذا البحث فكان لخبرته المتواصل أكبر الاثر في إبراز هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود، فقد فتح لي صدره، وغمرني بأخلاقه الكريمة، وجاد علي بتوجيهاته السديدة، وأعطاني من وقته وعلمه، إذ لم يكن يقتصر على ساعات الإشراف، بل كان يستقبلني في أي لحظة بوجه مشرق ونفس راضية متواضعة، وسرور بالغ فجزاه الله خيرا.

وأتقدم بخالص الشكر والوفاء الامتنان إلى كافة الأساتذة وأعضاء هيئة التدريس بقسم القرآن والسنة لما كان لهم من التشجيع، ودعم المتواصل وتزويدي بالعلم النافع خلال فترة الدراسة وفي مقدمتهم الأستاذة الدكتورة: منيرة آت منيك بنت عبد الرزاق رئيسة القسم على إدارتها، وموظفيها.

وأتقدم بخالص الشكر الجزيل المتواصل إلى الفضيلة الأستاذ الدكتور: ذوالكفل بن يوسف رئيس المدير إدارة القسم ونائبه، وعن إدارته، وموظفيه، وعن جميع زملائي في القسم طلبة العلم وأحسن الجزاء وأسأل الله تعالى أن يتقبل منهما تعاونهما، وأن يوفقني وإياهما وجميع المسلمين إلى كل خير.

<sup>1</sup> - سورة العلق الآية (2).

<sup>2</sup> - انظر سليمان بن الأشعث، أبوداود السجستاني الإمام الحافظ (ت 202-275)، سنن أبوداود، باب في شكر المعروف، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ج3، ص 255.



## إهداء

إلى الذين ربياني صغيرا وأسبغا علي بركة دعائهما كثيرا دوما وتشجيعا وعونا في كل لحظة من الزمن، العفاء والرحمة والحنان المتواصل والدتي الكريمة ووالدي المرحوم مالم محمد فضل (دوثيرا)، وحجه فاطمة غريمه بنت إبراهيم حفظها الله.

هكذا بعض فكري وجهدي المتواضع أقدمه هدية خالصة وتقديرا إلى زوجتي الكريمة والتي كانت عوناً لي في بيتي تربي أولادي الصابرين لفراقي وينتظرون عودتي ويسألون عني دائما طول غيابي، وإلى إخوتي وأخواتي، وإلى كل من أسهم ثواب هذا العمل لونا واحداً من القرآن الكريم.

## المحتوات البحث

أ.....	ملخص البحث
ب.....	Abstrak
ج.....	Abstract
د.....	الشكرو التقدير
ه.....	الإهداء
3-1.....	المقدمة
4.....	ثانياً: سبب اختيار موضوع البحث
5-4.....	ثالثاً: أهمية البحث
6.....	رابعاً: أهداف البحث
7.....	خامساً: مشكلة البحث وأسئلته
7.....	سادساً: حدود البحث
10-8.....	سابعاً: الدراسات السابقة
11.....	ثامناً: منهج البحث
-11.....	هيكمل الدراسة البحث
	13

## الفصل الأول التفسير والمفسرون ومعالم التكوين المعرفي لدى علماء نيجيريا

16.....	المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث ومنهج التفسير والمفسرون
17.....	المبحث الثاني: التعريف نيجيريا موقعها جوغرافياً ودخول الإسلام والإصلاح فيها
37.....	المبحث الثالث: ازدهار الحركة العلمية ومنهج نشر الإسلام والثقافة العربية في نيجيريا
43.....	المبحث الرابع: أشهر كتب التفسير والمفسرين في تعامل التفسير لدى علماء نيجيريا
	المبحث الخامس: مصادر التفسير وأنواعه وألوانه وعلومه وابداعاته من
	المنظومات... 57

## الفصل الثاني التعريف بالمفسرين وتفسيريهما والبيئة التي أثرت بهما

- المبحث الأول: التعرف بمفسر رد الأذهان وعن ترجمة شخصيته.....73
- المبحث الثاني: التعريف بتفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن.....86
- المبحث الثالث: التعريف بمفترضيات التأويل وعن ترجمة شخصيته.....89
- المبحث الرابع: التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.....105
- المبحث الخامس: معرفة البيئة التي أثرت فيها والجهود المتميزة في المراكز العلمية والأهلية في التعامل بالتفسير.....108

## الفصل الثالث منهج المفسرين وأفكارهما في تفسير القرآن

- المبحث الأول: دراسة عن المنهج المؤلف تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن.....126
- المبحث الثاني: منهجه في التفسير.....134
- المطلب الأول: أفكار الشيخ جومي.....155
- المبحث الثالث: دراسة المنهج ضياء التأويل في معاني التنزيل في التفسير.....158
- المبحث الرابع: منهجه في التفسير.....168
- المطلب الأول: أفكار الشيخ عبدالله في تفسيره.....208

## الفصل الرابع: دراسة مقارنة بين التفسيرين (رد الأذهان إلى معاني القرآن، وضياء التأويل في معاني التنزيل)

- المبحث الأول: دراسة مقارنة منهجهما في التأليف.....214

المبحث الثاني: دراسة مقارنة منهجها في التعامل مع	التفسير.....	232
المبحث الثالث: دراسة مقارنة في	مصادرها.....	248
المطلب الأول: دراسة مقارنة في أفكارها.....		268
المبحث الرابع: الآثار الإيجابية لتفسير ضياء التأويل ورد	الأذهان.....	273
المطلب الأول: أثر ضياء التأويل في رد الأذهان.....		274
المطلب الثاني: أثر ضياء التأويل ورد الأذهان في المجتمع النيجيري.....		278
الفصل الخامس: الخاتمة وفيها أهم نتائج والتوصيات والاقتراحات، والفهارس		
الخاتمة: أهم النتائج.....		284
التوصيات.....		288
فهرس	الأعلام	
المترجم.....		290
فهرس غريب الألفاظ.....		294
فهرس	المصادر	
والمراجع.....		298
ملحق	بالمخطوطات	
والإثباتات		
العلمية.....		308

المقدمة

## الفصل الأول: التفسير والمفسرون ومعالم التكوين المعرفي لدى علماء نيجيريا

الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمان من الرسل بقايا من أهل العلم، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>١</sup> وَقَالَ ۖ ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، القائل: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)<sup>٣</sup> وصفية من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للامة، فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين؛ فاللهم أجزه عنا خير ما جزيته نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته ﷺ وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>٤</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>٥</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>٦</sup>، فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي

١ - سورة فاطر الآية (٢٧).

٢ - سورة العنكبوت الآية (٤٢).

٣ - محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى (ت ٢٧٩)، في باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ج ١٠، ص ٢٠٤.

٤ - سورة آل عمران الآية (١٠٢).

٥ - سورة النساء الآية (١).

٦ - سورة الأحزاب الآية (٧-٧١).

محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛<sup>١</sup> أما بعد:

فهذا بحث بعنوان: مناهج المفسرين النيجيريين دراسة نموذجية مقارنة بين تفسيري (رد الأذهان إلى معاني القرآن لابي بكر محمود جومي، وضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن فودي). وهو بحث متواضع يسهم في إبراز مناهج المفسرين النيجيريين في تفسير القرآن والذي يدل على استخدام مناهج متعددة في فهم معاني كتاب الله تعالى وتفسيره، وتيسيره، ثم التركيز خاصة على تفسيري رد الأذهان إلى معاني القرآن وضياء التأويل في معاني التنزيل؛ فقد ألَّفَا في مختلف العلوم والفنون التي تخدم كتاب الله تعالى، وأسهما في بناء صرح الأمة الإسلامية الشامخ، ودفعا عن الاسلام والمسلمين بالعلم والعمل.

هذا البحث دراسة مقارنة ميدانية يتناول الباحث فيه الجهود الكبرى المبذولة بالعلم ونشره وبذله وبإفادة طلبة العلم وبالأخص في جانب مناهج تفسير القرآن على اختلاف أنواعه وأشكاله ولغاته؛ وبإمكانه حيث يظهر فيه أهمية التفسير وانتشاره في البلاد الإفريقية بعامة وفي نيجيريا بخاصة.

١- لقد كان الاتجاه العلمي السائد هو الاستيعاب الشامل في الموضوع دراسة مقارنة في مناهج المفسرين النيجيريين تحديداً من كتب التفسير التي أُلِّفت باللغة العربية: ضياء التأويل في معاني التنزيل.

٢- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ونيل السؤل من تفاسير الرسول، ورد الأذهان إلى معاني القرآن.

٣- طلاع على بقية مناطقها في شأن العديد من مناهجهم المتنوعة في بيان كلام الله تعالى من تفسيره وتفهيّمه، لأن حركة تفسير القرآن ومناهج تفسير القرآن في نيجيريا وتابعوا، ذلك من المناهج المتنوعة الأساليب التي انتجوها، وترجمته إلى اللغات النيجيرية المختلفة؛ ولذلك لم يتقاعس هذا الجهد على العناية بهذا الكتاب العزيز في القرون الأولى من عصر الصحابة ﷺ والتابعين

---

<sup>١</sup> - كان من هدي النبي ﷺ يقدرها كثيراً في المناسبات، وغيرها وهو مروي عن بن مسعود ﷺ، في السابق، أبوداود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ٣٣ باب في خطبة النكاح، ج ٢، ص ٢٠٣.

وتابعي التابعين إلى وقتنا الحاضر، بل قاموا بتفسيره وتيسيره وإفهامه والارشاد إلى مدلوله ومقصوده، وكتبوا فيه منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا. ولقد غطت ظلال هذه الجهود الجبارة في تفسير القرآن، وكان مسلمو نيجيريا يجتمعون في مسجد مع عالم معين خاصة في أيام شهر رمضان ذكوراً وإناتاً ليستمعوا إلى تفسير القرآن، وبيان كلام الله، وكان كل عالم ينتمي إلى قبيلة يفسر لقومه بلغتهم.<sup>١</sup>

يَعُدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسَبِ شَشْش  
وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدَةٍ بِغَرِيبٍ

وأثر في بيئتهم حتى كثرت التفاسير في المنطقة، وهذا مما أثار اهتمامي بهذا الموضوع؛ ففكرت فيه بالقيام بدراسة هذه المناهج من خلال كتب التفاسير التي ذكرتها سابقاً؛ لأن المفسرين النيجيريين لهم إمسها مات كبرى في هذا الشأن، ويشمل ذلك جميع المناطق النيجيرية التي أثرت في الأنشطة الدعوية. ومن ثم تقديمه كبحت من البحوث العلمية لنيل درجة الدكتوراة في جامعة ملايا- ماليزيا.

وأرجو من الله تعالى وأسأله أن يتم ما قصدنا إيراد، وأن يفتح لنا من خزائن جوده وكرمه ما يكون سبباً للوصول إلى العلم النافع، والهدى الكامل، وذلك بتحقيق أهداف هذا البحث

<sup>١</sup> - علي بن محمد الكركوري قائل تلك الأبيات بسفاقس لأبي العتاهية:

ويتخذ الإخوان فيها بلطفه ويأتيه منها وصل كل حبيب  
انظر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ج ١، ص ٢٥٤، نقلا عن، الموقع الإلكتروني الانترنت. [www.alwarraq.com](http://www.alwarraq.com)





## أولاً: سبب اختيار موضوع البحث

ومما لا شك كان اختياري لهذا الموضوع، بسبب أهمية مناهج المفسرين النجيريين في تفسير القرآن والذي يدل على اختلاف مناهجهم فيه؛ لأنهم استخدموا العديد من المناهج في تفسير القرآن. بعد اطلاعي على البحوث والرسائل العلمية هذا المجال، وعلى قدر المستطاع، وما أتيح لي من فرصة في منهج المفسرين دراسة مقارنة بينهما، لم أجد من كتب في هذا المجال على رغم من أهميته مع أن تفاسيرهم اشتهرت وانتشرت في جميع مناطق نيجيريا، بل خارجها؛ وأما أبرز أسباب اختياري للموضوع فكانت على النحو الآتي:

- ١- التعرف إلى منهج الشيخين في التفسير بعد ما رأيتُ الناس يقبلون على هذين التفسيرين تدريسا وتعلّما واعتمادا عليهما في دروسهم الخاصة في شهر رمضان المبارك، كما هو عادة المجتمع النيجيري أن يجتمع الناس في مسجد جامع لإلقاء الدروس الرمضانية لكل قرية من القرى أو في مدينة من المدن التي لها مفسر في المنطقة.
- ٢- المقارنة والجمع هذين التفسيرين (رد الاذهان إلى معاني القرآن للشيخ أبي بكر محمود جومي، وضياء التأويل في معاني التنزيل للشيخ عبدالله بن فودي)، نظراً لأهميتهما في المجتمع النيجيري، أبرز ما فيهما من تأثيرات، وإسهامات في شمال نيجيريا بخاصة والمنطقة بعامة.
- ٣- إن أبرز ما في أفكارهما هو الاصلاح الديني والتعليمي والتربوي الذي يبني عليه بناء الأمة بالتفسيرين أو منهج المفسرين ولا مانع من اطلاع على بقية مناطق نيجيريا من خلال مصادرهم الحقيقة العلمية، من تناول التفاسير التي كتبت باللغة العربية ما عدا التراجم بمعنى التي ترجمت بلغة النيجيريين. وأرجو أن تكون هذه الرسالة العلمية معينة ومفيدة حتى تنكشف من خلالها الحقيقة المرتجاة.

## ثانياً: أهمية البحث

نظراً لما لهذا الموضوع من أهمية كبرى في مثل هذه الدراسات القرآنية التي تبحث في منهج العلماء في تفسير القرآن فإن هناك أموراً يستمد هذا البحث أهميته، منها:

- ١- الحاجة الملحة إلى معرفة منهج المفسرين، واستظهار الطرق التي استخدموها في التفاسير، وهي من إنجازاتهم العلمية المختلفة في نيجيريا، والتي قامت في غرب إفريقيا، والغموض الذي يكشف عددا كبيرا من العلماء الأجلاء في المنطقة.
- ٢- إزد هار الحركة العلمية والعلوم الإسلامية والثقافة العربية بفضل تنسيق الجهود الدعوية في هذا الاتجاه بمؤلفاتهم ومصنفاتهم من حول التجديد الإصلاحي الديني التي أحاطت به والتي كانت بمثابة دعامة في نيجيريا بعامة في شمالها بخاصة، والتي امتدت إلى بلاد المجاورة. كما يكشف كثير من اهتمامهم وعنايتهم بتفسير القرآن وعلومه؛ حيث جمعوا أنواع مناهج التفسير وعلومه.
- ٣- ضرورة معرفة دراسة ومقارنة سمات التفاسير، منها التفسير بالمأثور بمعنى تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة وآثار السلف، وتفسير القرآن بالرأي المحمود؛ حتى أنهم كتبوا عن التفسير الموضوعي فمثال ذلك (هبة الله الرفيق في تفسير سورة يوسف الصديق، وتفسير سورة القدر، وقصة أصحاب الكهف، وتفسير سورة الفاتحة)، والذي كتبه حفيد لعبد الله بن فودي ابن أخيه عثمان بن فودي الأمير محمد بن فودي؛ وهذا كله لون من ألون التفسير الموضوعي، والتي تدل على أهميته ومنهجه، ثم قويت وتنوعت طرقهم في بيان كلام الله تعالى من تفسيره وعلومه.
- وبناء على ما تقدم في تفسير القرآن، منهم من يعتمد على الرواية، ومنهم من يعتمد على الدراية، ومنهم من يجمع بين الرواية والدراية، ومنهم من يعتمد على الفهم الشخصي في هذا المجال الذي تدخل تحته العديد من المناهج. ومعلوم أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن وبيانه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾<sup>١</sup>، فقد كان النبي ﷺ فهم القرآن جملة وتفصيلا، وكان عليه أن يبينه لأصحابه ﷺ، لأنه هو المفسر الأول وإمام المفسرين وليس ابن عباس هو المفسر الأول كما يقولون وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>٢</sup>، وفسر لأصحابه ﷺ حتى برع فيهم المفسرون من الصحابة ﷺ، والمفسرون من التابعين إلى زمن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب جامع البيان في تأويل

<sup>١</sup> - سورة القيامة الآية: (١٧-١٨١٩).

<sup>٢</sup> - سورة النحل الآية: (٤٤).

آي القرآن، اتخذ مناهج مختلفة في تفسير القرآن وفهمه، ولأهميته من جاء بعده أخذوا وأفردوا مؤلفات خاصة بمناهج المفسرين انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>١</sup>. فالآية عامة ولكل مفسر له منهج خاصة يتبعه في تفسيره، وكذلك بقية العلوم، وكل مؤلف له طريقة خاصة في كتابه.

### ثالثاً: أهداف البحث

من خلال هذه الدراسة يستهدف البحث كشف وتحقيق الأهداف الآتية:

- ١- التعرف إلى جانب من مناهج المفسرين النيجيريين، وذلك بإجراء دراسة مقارنة بين المنهجين، (رد الازهان وضيء التأويل) والمساهمة في إثرائها في شمال نيجيريا، وبقية مناطقها، واستظهار مناهج التفسير في تفاسيرهم، وفي مشاركتهم في خدمة القرآن، من تفسيره وعرض مبادئه واستخدام معارفه، وعلومه.
- ٢- دراسة مقارنة بين التفسيرين والوقوف على مكانتها المرموقة في نيجيريا وإصياء مناهجهم في التفسير التي اندثرت على سعتها وعظيم فائدتها. وما لهؤلاء من أثر في خدمة كتاب الله، والتعرف إلى العديد من مصادرهم واهتماماتهم ونظرتهم وأفكارهم ومواقفهم في تفسير القرآن، وإبراز المكانة العلمية على وجه العموم، وعلو مكانها في التفسير ما لها وما عليها، والاستفادة من علومهم وخبراتهم، والصعوبات والتحديات التي واجهها وإبراز أهمية المفسرين كشخصية معاصرة اسهمت في التفاسير في مختلف مناطق نيجيريا.
- ٣- بيان الجهود التي بذلها الائمة الإعلام في هذه المنطقة غرب إفريقية، عامة ودولة نيجيرية خاصة. ومن ثم فإن هذه الرسالة تعد رسالة عملية ذات قيمة كبرى وغزارة معرفية فريدة، تجلّت في احتوائها لأكثر من منهج تفسير القرآن.
- ٤- توضيح منهج التفسير في استكمال وتحرير المسائل العلمية إلى لم تنضج بعد، وبيان أثر القرآن في تعزيز هوية الأمة الإسلامية والحفاظ عليها.

<sup>١</sup> - سورة المائدة الآية: (٤٨).

#### رابعاً: مشكلة البحث وأسئلته

تتمثل إشكالية البحث في عدم معرفة مناهج هؤلاء العلماء الأجلاء في خدمتهم لكتاب الله تعالى من تفسيره وتيسيره، لاسيما المفسرون البارزون الذين اشتغلوا في التدريس والتأليف والتصنيف، إن دراسة بين منهج تفسيري (رد الأذهان وضياء التأويل)، هي المسألة الأساسية في البحث التي ينوى الباحث معالجتها، وهناك إشكالية أخرى تتمثل في معرفة المناهج التي ساروا عليها، من مصادرهم واعتمادهم واهتمامهم في التفسير، من أنواعه، وألوانه. إنها عملية تحتاج إلى جهد كبير لإبرازها والاستفادة منها. وقد جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

١- من هؤلاء المفسرون النيجيريون؟ أين تقع منطقة نيجيريا جغرافياً؟ ومتى دخل الإسلام فيها؟

٢- وما شخصية المفسرين وموقفهما؟ وما أشهر كتب التفسير في المنطقة؟

٣- لماذا كان اختيار هذين التفسيرين من غيرهما؟

٤- ما القيمة العلمية لهذين التفسيرين ومنهجهما وأفكارهما المعتمدة في المنطقة؟

#### خامساً: حدود البحث

البحث بعنوان مناهج المفسرين النيجيريين: دراسة نموذجية مقارنة، بين (تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن للشيخ أبي بكر محمود جومي وضياء التأويل في معاني التنزيل للشيخ عبد الله بن فودي). وقد اخترنا هذين التفسيرين؛ أحدهما أقدم من الآخر بمعنى ضياء التأويل أقدم من رد الأذهان فهو من المتأخرين. بمعنى من المعاصرين. إن أمام التغير الدراسة النموذجية المقارنة بينهما فيها فوائد عظيمة من غيرهما من المفسرين في المنطقة، وقد أدلى كل دلوه في هذا المجال؛ ولأنهما فتحوا الباب باهتمامهم وعنايتهم لكتب التفسير؛ إذ خلاصة القول أن حدود البحث لا تخرج عن دراسة مقارنة بين التفسيرين المذكورين آنفاً؛ فسيجتهد الباحث في الحصول على أكبر قدر ممكن منهما والتركيز عليهما.

## سادسا: الدراسات السابقة

من خلال البحوث في الفهارس والرسائل العلمية السابقة فإن هذا البحث هو دراسة عن الموضوع ومراجعة مظان الدراسات العلمية، وغيرها من مراكز البحوث والدراسات الإسلامية بجامعة عثمان بن فودي بولاية صكتو نيجيريا. وبالاتصال بالإخوة الطلبة الذين يدرسون في شتى الجامعات في العالم الإسلامي؛ فمثلا جامعة السودان، وجامعة الأزهر، والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام؛ آباد باكستا، واطلاعي على ما تمكّنت الوقوف عليه، وما تيسر لي؛ فلم أجد من خدم هذا الموضوع بالذات حسب علمي، ولم يسبق في حدود اطلاع أن هناك رسائل قدمت حول هذا الموضوع الذي يجمع بين المفسرين وقد ذكر محمد بن رزق بن طرهوني في رسالته التي نال بها الدكتوراه، بعنوان: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، ودراسات أخرى أيضا تناولت الشيخ عبد الله بن فودي ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن، وهي رسالة علمية، وقد تكون هذه الدراسات ذات صلة بالموضوع؛ لكن هناك دراسات تتفق بجزئياتها مع البحث منها ما يأتي:

١. بحث بعنوان: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، لمحمد بن رزق بن طرهوني وهو رسالته الدكتوراه في جامعة الأزهر في كلية أصول الدين، ويقع في مجلدين، وعدد صفحاته (١٠١٧)، والتي نال صاحبها درجة العالمية الدكتوراه في تاريخ (١٤٢٠ هـ) الموافق (١٩٩٩ م)، صدر الكتاب عن دار ابن الجوزي بالدمام المملكة السعودية الطبعة الأولى. وبعد أن تناول الباحث رسالته بمقدمة، وتمهيد وبابين وخاتمة، وجعل بحثه مدخلا لجغرافيا البلاد وتحديد مكانتها، ووصول الإسلام إليها، واهتمام أهل البلاد وتأثرهم بالعلوم الإسلامية، وملحقاً بالخرائط. قسم الباحث ابن طرهوني بحثه إلى قسمين؛ قسم تطرق إلى المفسرين في غرب إفريقيا تفاسير المتقدمين من أبناء المنطقة، ومن تفاسير المتأخرين الوافدين عليها. وقد ترجم فيه ثلاثمائة وستين مفسراً من غرب إفريقيا ما بين (المغرب-الجزائر-تونس-موريتانيا)، ومنهم مائتان وخمسون مفسراً من غرب إفريقيا، ومئتان وخمسة مفسرين من الوافدين على غرب إفريقيا، وهي تراجم جيدة مركزة، وبعضهم لأن يوجد له ترجمة إلا في هذا الكتاب. والقسم الثاني التفسير في غرب إفريقيا، دراسة عن التفسير، وتأثيره ونشأته في المنطقة، وعند أهل الأندلس وغيرها من الدول المجاورة، وبيان لفقه المالكية والظاهرية وأثره في المنطقة، والقراءات وأثرها، ودراسة أمثلة لكتب التفسير وأنواعه، وموقفه من

العقيدة، والإسرائيليات، واللغة، والمواظ والآداب والتوجيه الاجتماعي، ودراسة مثالية لأنواع كتب التفاسير في غرب إفريقية، وعن علم التفسير وأهميته، وأمثلة على نوعين من التفسير بالرأي المحمود، والمذموم، ثم الخاتمة.

إن الباحث ابن طرهوني تناول فيه بيان ترجمة المفسرين في غرب إفريقيا بعامة، وقد ترجم فيه الكثير من المفسرين في غرب إفريقيا ما بين المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا، وهي ترجمة شاملة، وتوسّع فيها، ويستفيد منها في جانب بمعرفة المفسرين وترجمتهم. وبعد هذا العرض السريع يمكننا القول إن هذا الجانب هو الوحيد الذي يمكن الاستفادة منه وهو ترجمته للشيخ عبد الله بن فودي.

٢. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، بعنوان: **منهج الشيخ عبد الله بن فودي في التفسير وعلوم القرآن**، تقديم الطالب: محمد تاسع نمدي، وهي رسالته التي حصل بها على الدرجة العالمية الدكتوراه، في سنة: (١٤٢٤-١٤٢٥ هـ) الموافق (٢٠٠٣-٢٠٠٤ م)، وعدد صفحاتها (٦٠٣)، وتقع في مجلد واحد كبير ضخيم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد التواب أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بكلية أصول الدين جامعة الأزهر سابقا، ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بكستان. قسّم الباحث نمدي رسالته إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاث فصول، وبابين. وفي التمهيد بيّن ما يتعلق بحياة الشيخ عبد الله بن فودي، من نشأته، وعصره دينيا، وسياسيا، ومكانته العلمية، وآثاره، وحركة التفسير في نيجيريا؛ وأشار إلى الكتب المؤلفة في التفسير وأنواعه، ومصادره ومنهجه، وموقفه من الروايات والإسرائيليات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، واهتمامه بذكر القراءات والمسائل اللغوية، وعنايته بالجانب العقدي من الفرق والفلاسفة وآيات الصفات، وعنايته بالقضايا الأصولية والفقهية، وبالجانب الإشاري، والتربوي والإصلاحي، وفيما يتعلق بخصائص التفسير ومقارنته بتفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن، مع عامة تفاسير مختلفة الاتجاهات؛ فمثلا تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ومعالم التنزيل للبغوي، ولباب التأويل للخازن، مع تقويم عام لتفسير الشيخ عبد الله بن فودي، ثم الخاتمة.

وهذا الباحث نمدي قد تناول جانبا من جوانب البحث وهو جزئي لهذا الموضوع وهو الشيخ عبد الله بن فودي أحد المفسرين النيجيريين من أهل المنطقة، بعد ترجمته وتعريف تفسيره، وتوسع

فيه، وإن كان ذلك جهد مبذول في بابه مع قصره على عالم واحد من علماء تلك المنطقة، وهذا ما سيتفقد منه البحث في تغطية واحد من جوانبه.

٣. بحث بعنوان: القراءات المتواترة وتأثيرها على المفسرين دراسة مختارة من رد الأذهان إلى معاني القرآن للشيخ أبي بكر محمود جومي، إبراهيم محمد فضل، وهو رسالته التي حصل بها درجة الماجستير في سنة (٢٠٠٨م)، وعدد صفحاتها (٢٠٠)، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالله حفظه، بقسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا- ماليزيا.

قسم الباحث إبراهيم فضل رسالته إلى مقدمة وأربع فصول ومباحث، وخاتمة، وتناول مبادئ علم القراءات، ونبذة عن نشأتها وتطوراتها، وأقسامها، وحكمها، وضوابطها، وأركانها. وقدّم بيان موجزاً عن ترجمة القراء العشرة وروايتهم ومذاهبهم وطرقهم، وذكر علاقة القراءات بالتفسير، ومنزلتها وأثرها، وإهتمامها في كتب تفاسير المتقدمين والمتأخرين مع الأمثلة التبينية فيهما. وتناول شخصية المؤلف ومحتويات الكتاب، والتعرف إلى منهجه، وموضوعاته، ومكانته، ونسبته إليه، ودراسة مختارة منه، وذلك في جمع الآيات التي وردت فيها القراءات، وأثرها في استنباط الأحكام العقدية، والفقهية، واللغوية، ثم الخاتمة.

وهذا الباحث فصل قد تناول أيضاً جانباً من جوانب هذا الموضوع وهو الشيخ أبو بكر محمود جومي أحد المفسرين النيجيريين، وهو أيضاً من أهل المنطقة، بعد ترجمته وتعريف تفسيره، وتوسّع في جانب توجيه القراءات التي لها أثر في تفسير القرآن.

ويختلف بحثنا عن الدراسات السابقة كلها في المنهجية والمحتويات، مع أن تلك الرسائل أثرت البحث بصورة مباشرة في ترجمة الشيخين الشيخ عبد الله بن فودي ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن وخاصة في الرسالة الأولى والثالثة؛ وأما الرسالة الثانية تفيد في ترجمة الشيخ أبي بكر محمود جومي ومنهجه في التفسير والذي اعتبره أيضاً دليلاً مهماً، ومرشداً في كيفية الاستفادة منها. أن هذه الرسائل ستُسهم في إثراء هذا البحث بشكل من الأشكال؛ إلا أن أياً منها لم يتناول الموضوع بشكل على النحو الذي يسعى إليه هذا البحث؛ مما سيسمح بالوقوف على آثار هؤلاء المفسرين مساهمتهم في إغناء التراث العلمي للامة الإسلامية في ميدان تفسير القرآن وعلومه؛ ولذا فإن



الباحث سيركز على الاستقراء العلمي التفسري لهؤلاء العلماء الأجلاء وجمع المتوافر منهم. ويختلف هذا البحث بالأمور الآتية:

- ١- التعريف بالمكانة والجهود المختلفة لهؤلاء المفسرين النيجيريين، والوقوف على الثقافة والعلوم الإسلامية في مناطق نيجيريا.
- ٢- استقراء منهج الشيخين في تفسير القرآن.
- ٣- دراسة مقارنة بين تفسيرين مالها وما عليها، والاكتفاء بهما.
- ٤- الاكتفاء بمنهج المفسرين دراسة مقارنة بين تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله، ورد الأذهان إلى معاني القرآن لأبي بكر جومي. ولا مانع من الاستفادة من التفاسير التي ألفت بالعربية في نيجيريا نظرا لما فيها من المفسرين البارزين، ثم الاعتماد على منهج المفسرين؛ ولعل هذه الدراسة تسهم في إظهار منهجهم في التفسير وعلوم القرآن، والتي تدرس وتقارن بين المناهج المختلفة التي تنير العقول بعلمهم، وتبلغ السالكين بنتائجهم.

### سابعاً: منهج البحث

إن طبيعة البحث تقضي سلوك عدد من المناهج العلمية التي تتمثل أبرزها في الآتي:

- ١- المنهج: الاستقراء الوصفي، جمع المواد العلمية المدونة عن المفسرين النيجيريين من خلال المصادر والمراجع التي تناولت أوضاع المنطقة بالدراسة والتفسير بأنواعه وألوانه، ومسائله.

- ٢- المنهج: المقارن يتم توظيفه لدراسة نموذجية مقارنة بين التفسيرين لدى علماء نيجيريا، وإبراز مالها وما عليها من الآراء والأفكار للشيخين، وبيان منهجها وموقفها، في الاتفاق والاختلاف، وتميز كل منهما في التفسير من خلال تعاملهما مع النصوص، والتي أدت إلى التجديد الإصلاحي في المجتمع النيجيري عامة قديماً وحديثاً.

### هيكल الدراسة البحث

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة، وأربعة فصول ومباحث ومطالب، وخاتمة:

الفصل الاول التفسير والمفسرون ومعالم التكوين المعرفي لدى علماء نيجيريا؛ ويشمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث منهج التفسير والمفسرون.  
المبحث الثاني: التعريف بنيجيريا موقعها جغرافياً ودخول الإسلام والحركة الإصلاحية فيها.  
المبحث الثالث: ازدهار الحركة العلمية ومنهج نشر الإسلام والثقافة العربية في نيجيريا.  
المبحث الرابع: أشهر كتب التفسير والمفسرين في تعامل التفسير وعلومه لدى علماء نيجيريا.  
المبحث الخامس: مصادر التفسير وأنواعه وألوانه وإبداعاته في نيجيريا.  
الفصل الثاني التعريف بالمفسرين وتفسيريهما والبيئة التي أثرا فيها؛ ويشمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بتفسير رد الازهان إلى معاني القرآن.  
المبحث الثاني: التعريف بمفسر رد الازهان وترجمة شخصيته.  
المبحث الثالث: التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.  
المبحث الرابع: التعريف بمفسر ضياء التأويل وترجمة شخصيته.  
المبحث الخامس: معرفة البيئة التي أثرت في المفسرين.  
الفصل الثالث: منهج المُفسرين وأفكارهما في التعامل تفسير القرآن؛ ويشمل على أربعة مباحث مطلبين.

المبحث الأول: منهج مؤلف رد الازهان إلى معاني القرآن.  
المبحث الثاني: منهج مؤلف ضياء التأويل في معاني التنزيل.  
المطلب الأول: أفكار الشيخ أبوبكر محمود جومي في تفسيره.  
المبحث الثالث: بيان أنواع منهج رد الازهان إلى معاني القرآن في التعامل بالنفس  
المبحث الرابع: بيان أنواع منهج ضياء التأويل في معاني التنزيل في التعامل بالنفس  
المطلب الأول: أفكار الشيخ عبد الله بن فودي في تفسيره.  
الفصل الرابع: دراسة مقارنة بين التفسيرين رد الازهان وضياء التأويل؛ ويشمل على أربعة مباحث وثلاثة مطالب.

المبحث الأول: دراسة مقارنة منهجهما في التأليف والتفسير.  
المبحث الثاني: دراسة مقارنة منهجهما في التفسير.  
المبحث الثالث: دراسة مقارنة في مصادرها.

المطلب الاول: دراسة مقارنة في أفكارهما.

المبحث الرابع: الآثار الإيجابية لتفسير ضياء التأويل ورد الازهان إلى معاني القرآن

المطلب الاول: أثر ضياء التأويل في رد الازهان.

المطلب الثاني: أثر ضياء التأويل ورد الازهان في المجتمع النيجيري.

الخاتمة: (أهم النتائج والتوصيات).

قائمة المصادر والمراجع.

الفهارس.

## الفصل الاول: التفسير والمفسرون ومعالم التكوين المعرفي لدى علماء نيجيريا

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث منهج التفسير والمفسرون

المبحث الثاني: التعريف بنيجيريا جغرافياً ودخول الإسلام وحركة الإصلاحية فيها

المبحث الثالث: ازدهار الحركة العلمية ومنهج نشر الاسلام والثقافة العربية في نيجيريا

المبحث الرابع: أشهر كتب التفسير والمفسرين في تعامل التفسير وعلومه لدى علماء نيجيريا

المبحث الخامس: مصادر التفسير وأنواعه وألوانه وعلومه وإبداعاته من المنظومات

### تمهيد

تحدث هذا الفصل عن التفسير والمفسرين، ومعالم التكوين المعرفي لدى علماء نيجيريا، مع ذكر شيء من مصطلحات البحث ومنهاج التفسير، وبيان موجز عن تعريف نيجيريا جغرافياً، وكيفية دخول الإسلام والحركة الإصلاحية فيها؛ حتى شمل جميع مناطقها المختلفة. وبازدهار الحركة العلمية فيها، وكيفية تعامل تفسير القرآن باللغة المحلية؛ بمعنى مجالس التفسير وكيفية التلقي، وبيان موجز عن المنهج ومنطلقاته.

إن فهم مناهج المؤلفين وأساليبهم لقد أعظم الوسائل إلى فهم تلك المؤلفات، واستخراج ما فيها، والمقارنة بين مناهج المفسرين النيجيريين في تفاسيرهم من العلوم والمعارف. وقد ظهرت في عصرنا الحاضر فكرة دراسة مناهج المفسرين، وتصنيف تفاسيرهم حسب العلوم المستودعة فيها؛ فما أكثر فيه المؤلفون من ذكر تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة؛ معاً من قبيل التفسير بالمأثور؛ وما كان طابعه ذكر أقوال الفقهاء وتحليل المسائل الفقهية، وصنّف في عداد التفسير الفقهي؛ وما أودع فيه من المسائل اللغوية العميقة كان في زمرة التفسير اللغوي، وهكذا.

وجاءت هذه الرسالة تتبّع فكرة دراسة نموذجية مقارنة بين التفسيرين (ضياء التأويل في معاني التنزيل) و(رد الأذهان إلى معاني القرآن) من أهل المنطقة تلبية لمعطيات العصر، وإحياءاً لتراث وجهود العلماء الأجلاء لهذه البلاد. فالدارس حينما يدرس أصول التفسير ومناهجه، لابد أن يمرّ بموضوعات من مناهج المفسرين النيجيريين؛ فهي من متطلبات المنهج الأساسية. وعلى الرغم من كل هذه الأهمية المعطاة لمناهج هؤلاء العلماء الأفاضل في تفاسيرهم؛ إلا أنني أقف على كتب

التفسير التي ألفت باللغة العربية في بيان مناهجهم إما على العموم، أو تخصيص واحد منهم بالدراسة المستفيضة؛ فرأيت أن أجمع في هذا السفر أبرز منهج المفسرين وبالأخص منهم الشيخ العلامة الملقب بنادر زمان المفسر عبدالله بن فودي المعروف (بعبد الله غندو)، والشيخ العلامة المفسر أبوبكر محمود جومي؛ حتى أقدم للدارسين والدراسات من الطلبة، وسائر عشاق العلم والمعرفة في هذه البلاد؛ عليها تكون لهم مدخلا للوقوف على معالم منهجيهما في التفسير، ودليلا ينير الدرب للسائرين لتبيين مناهج وجهود علماء أسلافنا في التفسير وغيره من مواد الدراسات الإسلامية.

وإن هذه الرسالة تعين طالب العلم وغيره في جهد العقل، مع هذه الثلة المباركة من أهل التفسير الذين كشفوا عن كنز عظيم من كنوز القرآن؛ فمنهم من أفاض الله عليه وعرف به، ووجه أنظار المفسرين إليه؛ ومنهم من اقترح خطوات كمدخل له ومنهم من وضع منهجا للسير عليه ومنهم من عدّد أنواعه، وهكذا.

وما دعاني إلى اختيار الدراسة بين هذين الكتابين في التفسير لتكون موضوع بحثي في هذه المرحلة الأخيرة في الدراسات الأكاديمية؛ نظراً إلى أن فكرة هذين المفسرين كانت تزداد نضوجاً في ذهني يوماً بعد يوم، وعند ما كنت أدرس مادة مناهج المفسرين.

فنسأل الله لهم الثواب الجزيل من رب العرش الكريم، والقبول والحسن، إلى والرفعة يوم القيامة في الدرجات العلى من الجنة؛ حيث كانوا أول من فتح الله على أيديهم هذا العلم الجليل تفسير: القرآن الكريم.

### المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث منهج التفسير والمفسرون

مما لا شك فيه أن كلمة منهج في معناها اللغوي يختلف عن معنى كلمة مسلك أو كلمة طريقة<sup>١</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>٢</sup>، وأما في اصطلاح الشارع؛ فإن المنهج أعم من المسلك، ونعني بالمنهج هنا الأسس النظرية القائمة في ذهن المفسر الذي اقتنع أن يسير

<sup>١</sup> - الطريق الواضح، ونهج الطريق، انظر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، طبعة جديدة محققة ومشكولة، المكتبة العصرية، ط ١، (١٣١هـ-١٩٩٦ م)، من باب نهج ج ١، ص ٣٢٠.

<sup>٢</sup> - سورة المائدة الآية: (٤٨).

عليها أثناء البحث في تفسير القرآن؛ وأما المسلك فنعني به الآليات التي تكفل سلامة تطبيق هذا المنهج وتحقيق أهدافه. ومن هنا فضلنا كلمة مسلك؛ لأننا نتعامل في دراستنا مع المنهج وهدفه لا مع المنهج ذاته.

والمقصود بمناهج المفسرين على وجه العموم، ومنطلقاته، عموماً مناهج المفسرين النيجريين على وجه الخصوص؛ بمعنى هو الطريق التي يتبعها المفسرون في تفسير القرآن، وذلك الطريق الواضح الذي يسلكه المفسر في بيان معاني كلام الله تعالى وكيفية تعامله؛ ولكل مفسر له طريق خاص يخصه؛ به لذلك هناك علاقة قوية بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي.

إن المنهج يطلق على كل فن من الفنون؛ فمثال ذلك عند أهل الحديث يقال المنهج العلمية لقراءة الكتب المعين على التزود بالثقافة الضرورية في الحديث، ومنهج علمي لقراءة المتون الحديث ومنهج في القرآن وهو منهج لكيفية مراجعة القرآن الكريم، ومنهج المفسرين أو مناهج المفسرين، وهكذا.<sup>١</sup>

لقد اختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومناهجهم في التفسير تبعاً لاختلاف مشاربهم؛ فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية فتوسع توسعاً كبيراً في شرح الآيات، المتصلة بهذه المعاني؛ ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية فتوسع توسعاً كبيراً في هذه النواحي؛ ومنهم من توسع في القصص والأخبار؛ ومنهم من توسع في الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله في الأنفس والآفاق. كذلك كان من المفسرين من أطل؛ ومنهم من أوجز واختصر، ومنهم من توسط بين هذا وذاك.<sup>٢</sup>

إن منهج أو مناهج المفسرين على مصطلح المفسرين، المقصود بها الطرائق والخصائص التي يتميز بها التفسير كما تقدم، وهو الطريق الملتزم بمعنى أنّ مناهج المفسرين هي الطريق أو الشروط التي اتبعوها في تفسيرهم، وهي مناهج متنوعة ومتعددة الطرق، والمفسرون منهم من يذكر شرطه في تفسيره، ومنهم من لا يذكر ذلك؛ فإذا كانت المناهج هي الطرق التي سلكها المفسر في تفسيره فأصبحت قواعد له في التفسير أو أصبحت مميزات وخصائص له في تفسيره. إن لكل مفسر له

١- انظر محمد بن عبد الرحمن الطاسان، الكتب والمقالات التي تكلمت عن منهاج، الاصدار الأول ١٤٢٨هـ - ج ١، ص ٨-٩.

٢- المرجع نفسه، ج ١، ص ١١.

منهج خاصاً في كتابه، فمثلاً ابن جرير فمنهجه في تفسيره. والقرطبي منهجه في تفسيره. وابن كثير منهجه في تفسيره. وهكذا. إما أن ينصّ ويشترط منهجه، في مقدمة تفسيره، أو أن ينصّ وعليه في مواضع متفرقة؛ وإما أن يُعلم منهجه عن طريق الاستقراء والتتبع.<sup>١</sup>

ومن هنا يظهر هذا الموضوع الذي بين أيدينا بعد ما رأينا عدد المفسرين النيجيريين؛ فأحببت أن يطلع الناس على مناهجهم في تفسير القرآن، فلا بد من معرفة مناهجهم على العموم في تلك المنطقة (نيجيريا) وعلى وجه الخصوص، التفسيرين المذكورين. وأعلم أن التفاسير في نيجيريا كثيرة ما بين الترجمة للقرآن والتفسير من المطولات، والمختصرات، وهذا يرجع إلى كثرة المسلمين واهتمامهم بكتاب الله تعالى، ويرجع أيضاً إلى كثرة عدد اللغات واللهجات التي فيها، فقد وصل سكانها إلى مائة وستين مليون نسبة، ومنهم خمس وستين هم مسلمون. أما اللغات واللهجات، فقد وصل أيضاً إلى مائتين وسبعين، فكل مفسر يفسر القرآن بلغته ولهجته؛ إضافة إلى اللغة العربية، وهذا من عادات مسلمي نيجيريا كما تقدم، وسيأتي بيان ذلك في موضعه.

وانطلاقاً مما ما تقدم من هذا المفهوم الشامل لمنهج المفسرين، ن أو مناهج المفسرين؛ قد قلنا، هو الطريق التي يتبعها المفسرون في تفسير القرآن، وذلك أن منهم الذي يعتمد على الرواية، ومنهم من يعتمد على الدراية، ومنهم من يجمع بين الرواية والدراية فيه. ومن هنا برزت مسميات، منها "التفسير بالمأثور، والتفسير الموضوعي، والصوفي الإشاري، والعلمي؛ وكل هذه الطرق تدخل تحت كلمة منهج أو مناهج.

### المبحث الثاني: التعريف نيجيريا جغرافياً ودخول الإسلام والحركة الإصلاحية فيها

أن الحديث عن نيجيريا جغرافياً ودخول الإسلام والحركة الإصلاحية فيها، يجعلنا نعرّف دولة نيجيريا جغرافياً من حيث مسافاتها وجودها، وحددها، وسكانها، ونسبة المسلمين، والمسيحيين فيها، وجيهااتها التي تحيطها (شمال وجنوب وشرق وغرب). وأنها لم تكن بهذا الاسم وبهذا الشكل الموجود اليوم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حين اقتحم المستعمرون الانجليزي تلك المنطقة، واستولوا عليها؛ فكانت تقع في المنطقة التي كان العرب يطلقون عليها بلاد السودان أو بلاد التكرور.

<sup>١</sup> - انظر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، محاضرة بعنوان، مناهج المفسرين، ج ١، ص ١.

من المعلوم أن التاريخ يعد من بين العلوم النقلية فله مكانة لا تجهل، ومزية. لا تنكر، وله أثره القوي في دفع عجلة التقدم؛ لأن دراسة التاريخ تكون تسلية بذكرى الوقائع والأخبار فقط؛ بل إنها تذكرو وتربية بأحوال الأمم الماضية، وبيئاتهم المختلفة في الأعصر السابقة، لتحسن الحاضر. ومهما يكن الامر فإنه يذكرنا بالماضي وينبّهنا للحاضر.<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> - انظر: آدم عبد الله الالوري، الإسلام في نيجيريا، عثمان بن فودي الفلاني، ط ٢، (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م)، في المقدمة ط ١، ج ١، ص ١١.



## أولاً: تعريف دولة نيجيريا

أما كلمة نيجيريا، فهي كلمة محرّفة من نيغرو اللاتنية الاصل معناها الزنجي الصغير والاسود القصير، وقد أطلقتها الامم القديمة على سكان غرب إفريقيا، كما أطلق العرب عليهم كلمة الزنج أو النوبة، أو السودان، وأطلقوا كلمة نيل السودان على نهرهم الذي ينبع من أعالي فوتا جالون، ثم يجري شرق إلى نواحي الصحراء الكبرى ماراً ببلاد تُنْبُكْتُو<sup>١</sup>، ثم ينحدر جنوباً إلى ثغر (لُوكُوجَا)<sup>٢</sup>؛ حيث يلتقي به نهر بُنُوي<sup>٣</sup> الآتي من بلاد أَدَمَاوَي<sup>٤</sup>، التابع من سفح جبال كمورن<sup>٥</sup>؛ فيتحد الإثنان في المحيط الأطلسي بنواحي خليج بنين<sup>٦</sup>.

إذاً كلمة نيجيريا تطلق على كافة الزنوج الشرقيين باستراليا وإندونيسيا والغربيين بإفريقيا. وقد تحدث الرحالة الاوائل عن نيغرو ضمن مشاهداتهم للبلاد التي مرّ بها هيرودت أبو التاريخ بالقرن الخامس قبل الميلاد، وقد ذكر في أثناء كلامه شمال إفريقيا وصحراء ليبيا. وكلمة نيجيريا بالمعنى العام، تعني ما حول بلاد نيغرو، أو ما حول وادي النيجر، وهو اسم مستمد من الزنجي الاسود كما تقدم، ثم أطلقوه على النهر المنسوب إلى الزنج، وسموه نهر نيغرو؛ أي نيل الزنج أو نيل السودان؛ فأخذت البلاد اسمها من ذلك<sup>٧</sup>.

وأول من أطلق اسم نيجيريا على هذه البلاد هم الأسبان وتبعهم سائر الإفرنج، ويظهر أن الإفرنج والعرب اتفقوا بالمصادفة على تسمية هذه البلاد بما يدل على الأسود وإن كانت ألفاظهم ولغاتهم مختلفة<sup>٨</sup>. وتقع نيجيريا ما بين ٤ و ١٤ شمالاً درجة (٣٠) من خطوط أسفل خط الاستواء، وتحدها

---

<sup>١</sup> - وهي مدينة تقع في شمال دولة مال، وهي مدينة قديمة تحت الدولة الإسلامية، وفيها علماء أجلاء وآثار دينية وثقافية، منذ سنين، وإحدى الطرق التي دخل بها الاسلام في نيجيريا، وإحدى الطرق والقوافل التي تمر بها إلى شرق إفريقيا، من جهة ولاية صكتو-نيجيريا.

<sup>٢</sup> - وهي مدينة تابعة لولاية كوفي إحدى ولايات شمال نيجيريا، وهي مجاورة لعاصمة الفيدرالية (أبوجا).

<sup>٣</sup> - وهي مدينة تقع في شمال نيجيريا، وهي فاصلة بين شمالها، وجنوبها، ومجاورة لولاية جوس، ونصراً واً.

<sup>٤</sup> - وهي مدينة تقع في نيجيريا وإحدى ولاياتها الشمالية.

<sup>٥</sup> - وهي دولة مستقلة، ومجاورة لدولة نيجيريا في شمال شرقها.

<sup>٦</sup> - في السابق آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ج ١، ص ١٣.

<sup>٧</sup> - انظر آدم عبد الله الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه، عميد المركز العربي الإسلامي باغيغي نيجيريا، ج ١، ص ٢١.

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢١.

شرقاً بلاد كمرون، وغرباً الداهومي، وشمالاً منطقة النيجر، وجنوباً المحيط الاطلسي. وأما مسافتها (٣٣٩،١٦٩) ميلاً مربعاً، (٣٦) ولاية. وعاصمتها (أبوجا) منطقة العاصمة الفيدرالية، تقع في وسط نيجيريا، وكانت قديماً عاصمتها مدينة لاغوس انتقلت من لاغوس إلى أبوجا التي أصبحت عاصمة جديدة لها في سنة (١٩٩٢م)، وكان ذلك تحت حكومة عسكرية إبراهيم ببانجدا رئيساً للدولة، وعدد سكانها وصل إلى (١٧٠) مليون حالياً، واعتماداً على إحصائية أجريت في عام (٢٠٠٦).

أما الديانات فهي الإسلام، ثم المسيحية، والوثنية. أما المسلمون فهم خمس وستون في المائة تقريباً، والمسيحيون ثلاثون في المائة تقريباً، والوثنيون وغيرهم خمسة عشرة في المائة تقريباً، وإن عدد قبائل نيجيريا نحو مائتين وسبعين قبيلة تقريباً؛ لكل واحد منها لغتها الخاصة تجهلها جارتها، ولا تفهمها إلا بالتعلم.<sup>٢</sup>

ويتكلمون بمختلف اللغات واللهجات ويختلفون فيما بينهم في الهيئات والعادات والتقاليد، "ولم تتحد هذه القبائل تحت حكومة واحدة قبل الاحتلال الاري ولم تنصر هذه البلاد في بوتقة هذا الاسم المعروف به اليوم قبل سنة (١٩١٤م)؛ وإنما كان العرب يطلقون على هذه النواحي كلها باسم السودان الغربي أو بلاد التكرور"<sup>٣</sup> أما القبائل الرئيسية في نيجيريا فهي على النحو الآتي:

---

<sup>١</sup> - القبائل جمع قبيلة وهم جيل من الناس يسكنون ناحية من القطر ويتكلمون بلغة موحدة، وهم دون الشعب كثرة وفوق البطن قلة.

<sup>٢</sup> - في السابق، آدم عبد الله الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، ج ١، ص ٢٥.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٥.

قبائل هوسا،<sup>١</sup> وقبائل إيبو،<sup>٢</sup> وقبائل يوربا،<sup>٣</sup> وقبائل فلاتا،<sup>٤</sup> وقبائل كائوري بزئو،<sup>٥</sup> وقبائل نوفي.<sup>٦</sup>



أما السكان الأصليين لتلك المنطقة فقد تعددت أقوال المؤرخين الذين حاولوا أن يعرفوا السكان الأولين لهذه البلاد؛ قبل الزنوج الذين اختلف المؤرخون في موطنهم الأصلي وفي تاريخ هجرتهم إلى هذه البلاد؛ ولكن الذي عرف هو هجرات الساميين والحاميين التي تنابت من آسيا إلى إفريقيا ومن شمال إفريقيا إلى غربها منذ آلاف السنين والتي حصلت لأسباب مختلفة منها السعي وراء العيش، ومنها الفرار من هجمات العدو إلى حيث الأمن والسلام.

وكان المهاجرون الجدد يهاجمون الأولين ويحلونهم من أماكنهم ليحتلوها بدورهم؛ فيفر أولئك إلى الغابات والسواحل؛ حيث يجدون التربة خصبة ويأمنون على أنفسهم من غارات المستعمرين

١- أما قبيلة هوسا فموطنهم الإقليم الشمالي الغربي ويتوزعون في سائر الأقاليم، ولغتهم أشهر لغات غرب إفريقيا تداولاً، كالنيجر، وغانا، ومالي، وسنغال، وكامرون.

٢- أما قبيلة إيبو فهي فطرية إلى عهد غير بعيد منذ قرن إلى الآن، كانت قبائل متفرقة لا تجمعها أية رابطة ولا تتكون إلا من عائلة واحدة؛ فموطنهم الإقليم الجنوبي الشرقي، ومحارة لقبيلة يوربا.

٣- أما قبيلة يوربا فموطنهم بالإقليم الجنوبي الغربي ويمتد إلى الإقليم الشمالي وإلى بلاد الداهومي.

٤- أما قبيلة فلاتا من سكان الإقليم الشمالي فهم قسماً: البدويون وهم رعاة البقرة والأغنام، والحضرية وهم الذين نزلوا المدن واختلطوا بأهلها وذابت بجنسيتهم في القبائل المجاورة بعضهم انضموا إلى قبيلة هوسا.

٥- أما قبيلة كائوري برنو فيقع موطنهم وبلادهم بالشمال الشرقي من نيجيريا، ويمتد إلى البلاد المجاورة مثل تشاد والكامرون والنيجر، وهم متفرقون وموزعون في تلك البلاد، لأجل الاستعمار الإنجليزي.

٦- أما قبيلة نوفي فمنهم من نزلوا على ضفاف شمال نيجيريا فمنهم من سكن ضمن يوربا وهم موزعون بين شمالها وجنوبها، المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٦-١٢٨.

المهاجرين. وانحدرت قبائل نيجيريا الحاضرة من أجناس مختلفة بعضهم من الذين استعمروا شمال إفريقيا وطرفا من غربها كالفينيقيين والقرطاجيين والروم والعرب والبربر، وبعضهم من المصريين والاحباش والنوبيين والبتنوس؛ ومن هذا الامم نشأت قبائل نيجيريا المختلفة، وتزوجت مع بعضها، واختلطت حتى صعب على المؤرخين إرجاعها إلى أصولها الأولى إلا بشئ من آثار اللغات والعادات والتقاليد، وذلك لعدم انتشار الكتابة أو إنسحاء مخلقاتهم مع توالي الحروب ومع كثرة التنقلات ومرور الأجيال المتعاقبة.<sup>١</sup>

### ثانيا: الكلام الموجز عن دخول الإسلام في نيجيريا

أما الكلام عن دخول الإسلام في غرب إفريقيا أولاً ثم عن دخول الإسلام في نيجيريا. أما دخوله في إفريقيا أمر جلي، وقد دخل الإسلام في غرب إفريقيا في وقت مبكر حتى شمل جميع مناطقها؛ فقد ثبت وجود الصلة بين شمال إفريقيا وغربها قبل ظهور الإسلام بمئات السنين، ولذلك صار من السهل أن يصل نفوذ الإسلام على غربها على إثر دخوله إلى شمالها.

وقد صرح الشيخ عبد الله بن فودي<sup>٢</sup> حيث يقول فيه "إن دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا - يعني غرب إفريقيا كان بالقرن الأول الهجري على يد عقبة بن نافع الصحابي الجليل؛ إذ إنه وصل إلى قبيلة من قبائل الروم فدعاهم إلى الإسلام فأسلم ملكهم من غير قتال، وتزوج عقبة بنت ذلك الملك واسمها بج منع، فولدت له أولادا نشأوا في بلاد أمهم وتكلموا بلغة أبيهم إلى أن قال "هذا ما تواتر عندنا وأخذناه عن الثقة العلماء الذين يخرجون من بلاد فوتا".<sup>٣</sup>

لقد دخل الإسلام في شمال إفريقيا على إثر دخوله القطر المصري ضمن فتوحات عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عيّن عمرو بن العاص على مصر والشام، ثم عين عمرو بدوره عقبة بن نافع الفهري لفتح شمال إفريقيا؛ فسار عقبة إلى أطراف المغرب فدخل عاصمة غانا العليا القديمة فكان لذلك دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، آدم عبد الله الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

<sup>٢</sup> - هو عبد الله بن محمد بن عثمان صال بن هارون بن محمد بن جبّ بن محمد فودي، أبو محمد، ويلقب بنادر الزمان وعربي السودان في كتابه تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، طبع بصكتو.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، ج ١، ص ٢٦.

<sup>٤</sup> - انظر آدم عبد الله الإلوري، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ط ١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة وهبة ١٤، شارع

الجمهورية، عابدين، ج ١، ص ٤٧.

أدخلوا الإسلام في المنطقة هم العرب، وهم أول من نشر الإسلام في غرب إفريقيا؛ ثم تلقاه منهم العجم كالبربر وسائر أجناس السودان، وطبقاتهم من ملوك وأمراء وعلماء وفقهاء وعباد ونسك؛ كل قد ساهم في خدمة الإسلام ونشره في حدود إمكاناته وطاقاته. ويمكن حصر أقسامهم الرئيسية في الأصناف الآتية، فهم يستحقون أن يطلق عليهم لفظ أدعياء من كل طبقة ومن كل قبيل، وكانوا بالكيفية التي لم يعرف أعداء الإسلام أن أضروا بها.<sup>١</sup> إن الإسلام في غرب إفريقيا أطواراً:

- ١- دور النفوذ: فهو في القرن الأول الهجري الذي طبق فيه النفوذ الإسلام في جميع العالم خصوصاً قارتي آسيا وإفريقيا. وما من قطر أو مصر في هاتين القارتين إلا وقد تأثر بالنفوذ الإسلامي منذ القرن الأول الهجري، ومن بين ذلك جميع الأقطار والبلدان العامرة حينذاك بغرب إفريقيا.<sup>٢</sup>
- ٢- هو الاعتناق والانتشار؛ فالإسلام انتشر انتشاراً بطيئاً في بعض الجهات على أيدي التجار المتجولين أو على أيدي الدعاة المجهولين، وانتشر انتشاراً هائلاً على أيدي المجاهدين والملوك الفاتحين.
- ٣- النضوج من حيث فهم الإسلام في أذهانهم فيمتزج الإيمان بدمائهم؛ حتى يصيروا ينظرون بعين الاسلام ويتكلمون بلسان الاسلام ويحكمون بشريعة الاسلام.<sup>٣</sup>
- ٤- ذلك حين يعتريهم الضعف والذبول والتدهور والحمول؛ إما بموت قائدهم أو ملكهم أو أميرهم أو إمامهم، ووقوع التنازع التناحر بينهم؛ فتذهب ريجهم وتضعف قوتهم، فتسام دولتهم بالخسف وكرامتهم بالبخس، وكان الناس في غرب إفريقيا عموماً على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المسلمون الذين آمنوا بالله وأخلصوا لله دينهم، وصدقوا ما عاهدوه عليه؛ والقسم الثاني: الكافرون الذين لم يهتدوا إلى الإسلام ولم يرتضوا بالكفر بديلاً آخر؛ والقسم الثالث: المنافقون الذين يترددون بين هؤلاء وهؤلاء يظهرهم الإسلام بلسانهم، ويضمرون الكفر في قلوبهم،

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٩.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٧.

<sup>٣</sup> - في السابق، آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٣٧.

ويشاركون المسلمين في شعائر دينهم. وإذا جاءت أعياد الكفر اندفعوا معهم وشاركوا فيها، وكانت الإسلام ترجح دائما على كفة الكفر؛ حيث كان عدد المسلمين يزداد ولا ينتقص، ويدخل الوثنيون في دين الله وحدانا وزرافات.<sup>١</sup>

أما أصناف عن نشر الإسلام في غرب إفريقيا فيمكن حصرها في ثلاثة أصناف

أ- هم الفاتحون الذين أقاموا دولة الإسلام في مختلف ربوع إفريقيا؛ فهم الذين عملوا على نشر الإسلام أولا في غرب إفريقيا، ووطدوا السبل ومهدوا الطرق بفتوحاتهم وأقاموا دولا إسلامية، وهم من أيام عقبة بن عامر الصحابي الجليل، ومن ولى على إفريقيا من بعده حتى الأدرسة والمرابطين والحفصيين والموحدين والملاويين والوناغرة والسنغاليين والفلانيين والبرناويين.<sup>٢</sup>

ب- هم التجار المتجولون الذين ينقلون البضائع والسلع التجارية من مكان إلى مكان؛ فالقوافل التي وصلت بين شمال إفريقيا وغربها. منذ تاريخ متوغل في القدم كانوا من الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان والعرب، وصح أن العرب في صدر الإسلام كانوا ينقلون بضائع الأسلحة كالسيوف والرماح والملابس الصوفية والحربية من شمال إفريقيا إلى غربها، ويتوزعون لبيعها في غانة ومالي وتكرور وسنغي وكشنة وكنو وبرنو، ثم يعودون من هذه البلاد بربش النعام والعاج والعييد.

ت- هم الدعاة الذين نشروا الإسلام ومحاسن الإسلام، وذلك الذين مهدوا السبل للدعاة المجهولين الذين كانوا يتطوعون للدعوة في أماكنهم، ويتوزعون أقاصيهم وأدانيهم، لا تيعثهم حكومة، ولا تشرف عليهم إدارة ولا تنظمهم قيادة، بل هم مبعثون في تلك البقاع يستعملون مختلف الوسائل الممكنة لنجاح دعوتهم.<sup>٣</sup>

وهؤلاء الأصناف قد ربطوا بين شمال إفريقيا وغربها وقد أقاموا الدولة الإسلامية في التنقل بالتجارة من هنا وهناك، ومحاسن الإسلام ساعدت وانتشرت فاستبان الدين وعمل بالحق. وهذا أهم ما جرى في كيفية دخول الإسلام في تلك المنطقة ابتداء من زمن عمر رضي الله عنه؛ حيث أرسل الفاتح

<sup>١</sup> - في السابق، آدم عبد الله الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٣٨.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٠.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤١.

عمرو بن العاص الصحابي الجليل إلى مصر، وإلى يومنا هذا؛ بحيث دارت أدوار مختلفة وأصناف مختلفة حتى شمل هذه القارة وهذه المناطق من بين شمال إفريقيا وغرب إفريقيا، والصلة التي تربط بينهما قوية حتى دخل الإسلام أغلب سكانها.

### ثالثاً: دخول الإسلام فيها

أما شأن دخول الإسلام فيها بالذات عبر الطرق والوسائل التي ذكرنا سالفا فقد ساعدت على انتشار الإسلام فيها. هناك أهم الطرق التجارية القديمة التي تربط بين شمال إفريقيا وغربها أيضاً، والتي تساعدنا على التحديد وكيفية دخول الإسلام فيها. وإذا نظرنا إلى موقعها من أقطار إفريقيا الشمالية التي دخل منها الإسلام إلى السودان الغربي، أن الطرق ثلاثة الرئيسية من أهم طرق القوافل التي كانت ولا تزال تَحْتَرِّقُ الصحراء الكبرى جنوباً؛ تلتقي كلها داخل نيجيريا.<sup>١</sup>

أولاً: يبدأ من طرابلس<sup>٢</sup>، ماراً بفزان، وكوار<sup>٣</sup> وينتهي في برنو<sup>٤</sup> داخل نيجيريا.

ثانياً: يبدأ من تونس وينتهي في كنو<sup>٥</sup> في حين إن الثالث يبدأ من تافلت في المغرب وقد تفرع فرعين أحدهما يمر بِسِجْلَمَاسَة وَتَغَازَة، والآخري تَوْتْ وَأُوْدُعَسْتْ، فيجتمعان كلاهما في تَنبُكْتُو، ومنها يتوجه شرقاً إلى مدينة كنو. وهذه الخريطة تبين العلاقات بين شمال إفريقيا وغربها عامة ونيجيريا خاصة.<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> - انظر علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا من (١٧٥-١٩٦) عام الاستقلال، ط ١، ١٩٧٢م، ج ١، ص ١٢.

<sup>٢</sup> - وهي مدينة تقع في ليبيا حالياً وعاصمة لها.

<sup>٣</sup> - وهي منطقة تقع اليوم في شرق جمهورية النيجر وما زالت تحمل نفس الاسم؛ وانظر شفيع محمد أحمد، في ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية العلاقات على جانبي الصحراء العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها "التواصل الحضاري بين المناطق الإفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى كجنوبها، كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٤٩.

<sup>٤</sup> - وهي إحدى ولايات شمال شرق نيجيريا في حدود ما بين جمهورية كمورون، وتشاد والنيجر، أما القبائل التي تسكن فيها كثيرة وأهمها قبيلة كانوري، والتي تسمى البرناويون نسبة إلى بلد هم برنو.

<sup>٥</sup> - وهي إحدى ولايات شمال نيجيريا، وهي مركز مشهورة بالتجارة قديماً وحديثاً، وأغلب قبائلها قبيلة هوسا.

<sup>٦</sup> - في السابق، على أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٤.



إن طرق القوافل هذه إن دلت على شيء؛ فإنما تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت ولا تزال تربط بين شمالي إفريقيا وغربها؛ تلك العلاقات التي وصفها الرحالة بادرث بأنها أقدم من كل ما يتصور. والذي لا بد من الإشارة إليه بهذا الصدد هو أنه على الرغم من قدم هذه العلاقات التجارية التي ذكرناها؛ فإن معظم المراجع التي بأيدينا تشير إلى أن الإسلام لم يتسرب من شمال القارة الإفريقية إلى غربها تسرب السلعة التجارية؛ وإنما تسرب بواسطة جسور، وهذه الجسور هي الدول الإسلامية التي قامت في المنطقة المجاورة لبحيرة تشاد، وهي منطقة تمر بها القوافل وفي منطقة منحى نهر النيجر، وهي المنطقة التي تمرُّ بها القوافل الثلاثة.<sup>١</sup>

فلما جاء الإسلام وقام العرب بفتح مصر، وامتدت فتوحاتهم إلى بَرْقَة وطرابلس ويذكر المؤرخون أن عقبة بن نافع الفهري بعد أن نزل بَعْدَ امْس سنة (٤٦هـ)، أراد أن يوغل جنوباً؛ فاستخلف على جيشه زهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه في أربعمائة فارس وأربعمائة بعير وثمان مئة قرية ماء حتى قدم وِدَّان وافتتحها، ثم واصل زحفه جنوباً فاستولى على مدينة فزان، ومضى جنوباً حتى أتى على قصور كوار فافتتحها إلى أفصاها وفيه فأخذه.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر؛ الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٥.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٦، هذه المدينة كوار المسافة بينها وبين مملكة كانم برنو مسيرة يوم وليلة. فقد انتشر الإسلام انتشاراً سريعاً عظيماً في الأقاليم الأهلة بالسكان في غرب إفريقيا وكان أول وجود للإسلام بها في منطقة كانم برنو يعود إلى سنة (٤٦هـ - ٦٦٦م)، وهي السنة التي وصلت فيها طلائع عقبة بن نافع إلى كوار. وانظر إبراهيم محمد، الإسلام والحركة العلمية في إمبراطورية برنو، رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة-بايرو-كنو نيجيريا، ج ١، ص ٥٠. وإن منطقة كوار تقع اليوم في شرق جمهورية النيجر ومازلت تحمل نفس هذا الاسم، في السابق، أبو سعد عبد السلام، في ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية العلاقات على جانبي الصحراء"، ج ١، ص ١٩.



أهم هذه الطرق هو الطريق الذي يبدأ من فاس إلى سلجماسة إلى تنبكتو، وطريق آخر هو مسلك التجار إلى كانم برنو. هناك طرق عدة؛ أهمها طريق طرابلس إلى مُرزق فُكوكاو<sup>١</sup>، وطريق آخر من طبرق فكفرة، وطريق آخر من القاهرة إلى دارفور<sup>٢</sup> فكوكاو؛ فتكون كانم برنو قد تأثرت بما وفد إليها من جهة الشمال عن طريق طرابلس، وجهة الشرق عن طريق وادي النيل ومصر<sup>٣</sup>. لقد شكّلت هذه الطرق والسبل المعابر التي عبر منها الإسلام، ووفد إلى بلاد السودان، ودخل إلى مملكة كانم برنو؛ فمعرفتها ضرورية لأنها سوف تساعدنا على تحديد ومعرفة الجهة التي وصل منها الإسلام. وإن الخلاف الحاصل بين المؤرخين في تحديد التاريخ الذي دخل فيه الإسلام إلى بلاد السودان يرجع أساس إلى عدم اتفاقهم في تعيين الجهة التي دخل منها الإسلام إلى هذه المنطقة؛ لذلك سوف ينصب جهدنا في إلى البحث عن الجهة التي نفذ منها الإسلام إلى نيجيريا على حسب ما ذكره المؤرخون.<sup>٤</sup>

كما تقدم فإن الإسلام أول ما جاء إلى إفريقيا كانت محطته الأولى مصر، إذا استبعدنا الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة. تذكر الروايات والمصادر التاريخية بأن الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت ٤٢هـ)، وهو أول من جاء الإسلام ونشره في مصر. وتذكر هذه المصادر التاريخية بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ) ولي على مصر، والشام عمرو بن العاص، حيث كتب عمر بن الخطاب كتابا بهذا الخصوص إلى عمرو بن العاص بعد فتح الشام بأن يتوجه إلى فتح مصر بمن معه.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> - وهي مدينة قديمة، ومقر المملكة كانم برنو سابقا، ولآن ولاية بُرُتُو في شمال نيجيريا.

<sup>٢</sup> - وهي مدينة من مدن السودان حاليا، وولاية من ولاياتها.

<sup>٣</sup> - شلي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط، النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٩٨٢، م ٤، ج ١، ص ١٩٤.

<sup>٤</sup> - المقصود ببلاد السودان هنا غرب إفريقيا كلها تسمى بالسودان، وعلى مراتب السودان المعروفة، والسودان الوسطى فيما يتعلق بمنطقة برنو وما جاورها، والسودان الأخير فيما يتعلق دولة صكتو وما جاورها، وأحيانا تسمى ببلاد التكرور كما قال أمير محمد بللو في كتابه الانفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ابن للشيخ عثمان بن فودي، وهكذا في الاصطلاحات المقصود منه.

<sup>٥</sup> - أحمد سعيد غلادشي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، من ١٨٠٤-١٩٦٦م، رئيس جامعة صكتو نيجيريا، وسفير نيجيريا بالمملكة العربية السعودية، سابقا، ط ٢، (١٤١٤هـ) (١٩٩٣م)، ج ١، ص ٤٠.

إن الأمور المتعلقة بتاريخ دخول الإسلام وشخصية من أدخله الخلاف تجاذب، وموضع أخذ ورد بين المؤرخين في القديم والحديث، ولا يزال قائما إلى يومنا هذا؛ لأن المؤرخين لم يتوصلوا بعد إلى رأي محدد في ذلك، بل ذهبوا فيها مذاهب شتى. والمقدار الذي اتفقت حوله كلمة المؤرخين فيما يخص هذا الموضوع هو أن الإسلام قد سلك في الوصول إلى كانم برنو نفس الطريق الذي تسلكه القوافل التجارية. وللتعريف على هذا الطريق لابد من استعراض طرق الاتصال المختلفة بين كانم برنو وكنو وتنبكتو مع العالم الخارجي. لنتمكن على ضوء ذلك من التعريف على الطريق الذي وصل منه الإسلام إلى دولة نيجيريا خاصة، ونستطيع كذلك تحديد المنافذ التي دخل منها الإسلام إلى بلاد السودان بدقة.<sup>١</sup>

أما دخول الإسلام في تلك المنطقة؛ فإن أكثر المؤرخين والباحثين الذين كتبوا عن هذا الموضوع يذهبون إلى أن الإسلام دخل فيما بين القرن الحادي عشر، والرابع عشر الميلادي<sup>٢</sup>. ويقولون إن الإسلام دخل إلى مملكة كانم في القرن الحادي عشر، وأن أول من اعتنقه من ملوكها هو همي جلبي (١٠٨٥-١٠٩٧)، وسمى نفسه بعد إسلامه محمدا<sup>٣</sup>، وأسلمت على يده مملكته كلها؛ وأما ولايات الهوسا فإنهم يقولون: إن الإسلام دخل إلى كنو مثلا في القرن الرابع عشر، وأن أول ملك أسلم فيها هو على ياجي (١٣٤٩-١٣٨٥)، وقد انتشر الإسلام في عهده.<sup>٤</sup>

ويذكر المؤرخون أن الإسلام لا يمكن أن يدخل قطرا من الأقطار إلا عن طريق اعتناق الأسرة الحاكمة له أو الفتوحات الحربية؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى المؤرخين العرب، وهم أول من كتب عن تاريخ هذه البلاد وكانوا يهتمون اهتماما بالغا بتاريخ الفتوحات الإسلامية، وكانوا يعتبرون وهم على حق أن البلاد المسلمة هي تلك التي أسلم ملوكها، أو البلاد التي فتحها

١- في السابق، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٤٢.

٢- أما أخبار الإمبراطورية كانم برنو وهي مملكة قديمة واسعة كانت من ممالك السودان القديمة، وصل نفوذها إلى حدود مصر شمالا وإلى المحيط الأطلسي، ودخل الإسلام من قبلها سنة (٦٤هـ)، على الصحيح، وانتشر الإسلام فيها بعد مدة من الزمن؛ حتي وصل إلى بقية مناطق نيجيريا. وقيل دخل الإسلام من ناحية مدينة كنو من الوفود الذين أتوا من دولة مالي من أهالي ونغارواي هم الذين أدخلوا الإسلام في كنو، في السابق، محمد بللو، الانفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرار، ج ١، ص ٣٤.

٣- وهو همي بن سليمان الثاني عشر، مقالة المؤرخ الأستاذ عبد الله سميت فيه.

٤- انظر: تاريخ أرياب هذا البلد المسمى كنو.

المسلمون والتي تدين بالإسلام ويحكمها ولاية مسلمون خاضعون للنظم الإسلامية والقوانين الشرعية.<sup>١</sup>

ومن المحتمل جدا أن يكون الإسلام قد دخل بعض هذه الولايات عن طريق التجار في وقت مبكر، كما دخل في غانة القديمة أو كانم برنو. وما يذكره بعض المؤرخون من أن الإسلام كان منتشراً في القرن الحادي عشر في مملكة غانة غرباً إلى مملكة كانم شرقاً مما يؤيد هذا القول؛ لأن هذه الحدود المذكورة تضم أكثر ولايات الهوسا التي كانت موجودة في ذلك الزمن؛ ولكن انتشار الإسلام بطريقة واسعة لم يحدث إلا في القرن الرابع عشر حينما بدأ عدد كثير من القبائل الفلانية يهاجرون من مملكة مالي وما جاورها إلى بلاد الهوسا شرقاً. وكان لهذه الهجرات أثر بعيد في تاريخ نيجيريا فيما بعد.<sup>٢</sup>

فالحاصل قبل القرن التاسع عشر إذا أنه كانت هناك عدة ولايات وممالك موزعة في تلك المنطقة، تختلف في حجمها وقوتها، وقد تختلف أيضاً في عاداتها وبتقاليدها. وكانت كل واحد منها مستقلة ومنفصلة عن الأخرى تمام الانفصال؛ إلا أن بعضها، وهي ولايات الهوسا، كانت تربطها صلة قوية، وهي صلة لغة الهوسا التي تتكلم بها. وهناك رابطة أخرى تربط كل هذه الولايات الهوساوية وهي الرابطة التجارية؛ فهذه الولايات يحتاج بعضها إلى بعض، وقد تتحالف في أوقات الحرب أو الخوف ضد العدو. ولقد شاهد التاريخ ذلك مثلاً عند ما قام الشيخ عثمان بن فودي بثورته الإصلاحية ضد ما كان من تلك الولايات من فساد؛ فكتب ملك غوبر (Gobir)، وهي إحدى ولايات الهوسا إلى زملائه الأمراء يطلب المساعدة منهم ضد الشيخ عثمان بن فودي.<sup>٣</sup>

خلاصة الكلام هو أن الإسلام دخل في نيجيريا من جهتين؛ جهة شمال الشرق من طرابلس إلى الإنبراطورية كانم برنو إلى داخل نيجيريا، على حسب الطرق والقوافل التجارية المعروفة القديمة، التي أشرنا إليها سابقاً. وهو أسبق وأقدم من غيرها؛ والثاني عن طريق تنبكتو أو عن طريق كانو على حسب الطرق التجارية والقوافل كما مر بنا أيضاً على أقوال المؤرخين؛ فدخل الإسلام في هذه المنطقة حتى دخل جميع المناطق نيجيريا شمالاً وجنوباً، وشرقاً، وغرباً؛ فدخل الإسلام من

<sup>١</sup> - في السابق، أحمد سيعد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٢٧.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٧.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٩.

جهة شمال الشرق نيجيريا من مملكة كانم برنو وما جاورها، ثم من جهة شمال الغرب نيجيريا من الناحية صكتو وما جاورها من مدينة كنو إلى جميع ملوك ولايات الهوسا، وامتدت إلى جنوب الغرب نيجيريا حتى بلاد يوريا، وجنوب الشرق بلاد وإيو حتى شمل جميع جيهااتها وزواياتها.

#### رابعا: عن الحركة الإصلاحية فيها

أما الحركة الإصلاحية في نيجيريا. فقد بدأت في دولة صكتو حتى عمت جميع ولاياتها ولايات الهوسا. وكان مولده الشيخ عثمان بن فودي<sup>١</sup> يوم الأحد في شهر صفر سنة (١١٦٨هـ)، الموافق ديسمبر سنة (١٧٥٤)، والده محمد الملقب بفودي، ينتمي إلى قبيلة الفلانية تسمى توروب، وهي من قبيلة الفلانية التي هاجرت من فوت<sup>٢</sup>، إلى أن وصلت يدر يجبا بعد سنين إلى غوبر<sup>٣</sup> إحدى ولايات الهوسا؛ حيث استقرت، وولد الشيخ عثمان هناك، وشب الغلام في قرية تسمى طغل (Degel)، وقرأ القرآن على والده، ونشأ في حجره، وكان لهما الفضل في توجيهه إلى الدين والعلم والعبادة. وأخذ الشيخ مبادئ العلم أولا عن والده، وبعد أن أكمله شرع ينتقل من عالم إلى آخر يتعلم ويتفقه حتى أصبح عالما كبيرا، وأخذ أيضا عن علماء زمانه من الفلانيين والهوساويين والتوارق وليس من علمائه العرب، وهذا من فضل الله على أهل هذه المنطقة.<sup>٤</sup> ومن أشهر العلماء الذين قرأ عليهم وتأثر بهم شيخه جبريل كان الذي رحل إلى الحج واتصل بكبار العلماء في الحرمين ثم رجع وتصدّر للتدريس والوعظ.<sup>٥</sup> وصاحب الشيخ عثمان نحو سنة يقرأ عليه ويستمتع إلى وعظه وإرشاداته، وحينما اعتزم الشيخ جبريل الحج للمرة الثانية صاحب تلميذه

---

<sup>١</sup> - هو عثمان بن فودي (معناها فقيه) بن عثمان بن طالح بن هارون ابن محمد بن غر طوبن جبّو بن محمد بن موسى جكل، وهو من قبيلة الفلانيين، وهذه القبيلة اختلف المؤرخون في أصلها، يوجد قول من يقول إنهم من الفرس نزحوا إلى آسيا، وقول من يقول إنهم من اليهود، حين يقول بعض الآخر إنهم من الروم والعرب، وهذا القول الأخير هو المأثور عن آل فودي حيث قالوا: إن الجد الأعلى للفلانيين عربي وهو عقبة بن نافع الصحابي، وأن الأم العليا لهم رومية تدعى بجّ مع، وهي بنت ملك إحدى قبائل الروم، تزوجها عقبة وأنجبت له أربعة أولاد الذين صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها في بلاد ونغارة وغانة ومالي وتكرور وسنغي وبلاد هوسا، في السابق، آدم عبد الله الالوري، الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، ج ١، ص ٤٧.

<sup>٢</sup> - وهي تقع الآن في دولة السنغال.

<sup>٣</sup> - وهي مدينة تابعة لولاية صكتو شمال الغرب نيجيريا.

<sup>٤</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادشي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٤٩.

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد بللو، الانفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرار، ج ١، ص ٥.

إلى بلاد أقدس<sup>١</sup>، وأراد أن يرافقه إلى رحلته هذه؛ ولكن الشيخ جبريل أمر التلميذ بالعودة إلى أهله؛ لأنه لم يستأذن والده في الذهاب إلى الحج ورجع، الشيخ عثمان، واستمر أستاذ في طريقه إلى الأراضي المقدسة. وبعد رجوعه أقام في بلد أدر (Adar) وظل بها بقية حياته، وتوفي ودفن بها، ولا شك في أن الشيخ جبريل قد أثر في الشيخ عثمان تأثيراً كبيراً، وقد أقر بذلك الشيخ عثمان، حيث يقول عن شيخه هذا "إنه أول من قام بهدم هذه العوائد الذميمة في بلادنا السودانية هذه كان كمال ذلك ببركة الله على أيدنا، ونحن بالنسبة إلى مقامه نسبة الضالع من الضليع، وفي شأنه يقول<sup>٢</sup>:

إِنَّ قِيلَ فِي مُحْسِنِ الظَّنِّ مَا قِيلَ فَمُوجَّهٌ أَنَا مِنْ أَمْوَاجِ جَبْرِيلَ

ومن أساتذته أيضاً بندور الكبوى، والشيخ عبد الرحمن بن حمدا الذي أخذ منه الإعراب. ومنهم محمد ثنب، والشيخ هاشم الزنفرى، ومحمد بن راجي الذي أخذ عنه الصحاح الستة، وقد أخذ أيضاً عن الشيخ جبريل بن عمر ولازمه مدة<sup>٣</sup>.

عند ما ناهز الشيخ عثمان عشرين سنة بدأ في حركته الإصلاحية؛ فكان يدرّس الناس ويعظهم ويرشدهم ويأمرهم وينهاهم عن المنكر، ويدعو إلى ترك العوائد المخالفة للشرع وإحياء السنن وإخماد البدع. ولم يزل ذلك دأبه ينتقل من قرية إلى أخرى للوعظ والإشاد، حتى اشتهر أمره وكثرت جماعته وأتباعه. ويقال إنه لم يكن يبالي بالملوك في ذلك الزمن، لا يسير إليهم ولا يعاملهم، في حين إن غيره من العلماء كان يلتف حولهم ويتلطف بهم التماساً للرزق والجاه؛ ولكن لما اشتهر أمره رأى أن لابد من السير إليهم، فسار أولاً إلى أمير غوبر (Bawa) غير ملتصق لرزق أوجاه؛ ولكنه كان داعياً وواعظاً؛ فبيّن للأمير الإسلام الصحيح ونصحه باتباع السنة وإقامة العدل في بلاده؛ ولعل أمير غوبر أصغى إليه في أول الأمر؛ ولكنه لما فكر في أمره وقدره أدرك خطورة هذه الحركة الإصلاحية التي بدأ يدعو إليها الشيخ عثمان بن فودي؛ فخاف منه وضاق به ذرعاً، وقبل أن يتلخص من الشيخ عثمان وافاه الأجل، فخلفه أخوه يعقوب وبعده نافتا، وهو

<sup>١</sup> - وهي إحدى ولايات: في النيجر.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٢.

<sup>٣</sup> - انظر: الشيخ عبد الله بن فودي، إبداع النسخ من أخذت عنه من الشيوخ، ط، مكتبة نولا زاريا: (١٣٧٧هـ) -

(١٩٥٨م)، ج ١، ص ٥٧.

الآخر أراد أن يطفئ نور تلك الحركة الإصلاحية إلا أن مدة ملكه لم تطل؛ فلم يلبث أن قضى نحبه، ثم تولى الأمر بعده ابنه ينفا، وكان كسلفه أو أشد منه كراهة للحركة الإصلاحية.<sup>١</sup>

من الطبيعي أن يكره ملك غوبر وأمثاله من ملوك ولايات الهوسا هذه الحركة الإصلاحية التي كان يقودها الشيخ عثمان حين ذاك، لأنها تدعو لإقامة العدل، وهم لا يريدون أن يعدلوا، أو يتركوا البدع المحرمة، وهم لا يحبون تركها. وعلى العموم فإنها حركة إصلاحية تدعو إلى إقامة الحدود الشرعية واتباع القوانين والنظم الإسلامية، وهم يكرهون كل ذلك وكانوا يحقدون على الشيخ لما كان يتمتع به من الاحترام من جماعته. وقد اتضح للملوك أن الجماعة الذين التقوا حول الشيخ قد اتخذوه إماما وقائدا لهم، وكان عدد هم يزداد في كل وقت وحين.<sup>٢</sup>

ولما كثرت جماعة الشيخ كثرت مكائد أعدائهم عليهم، وكادت تضيق عليهم الأرض بما رحبت من كثرة الأذى، وعندئذ بدأ الشيخ يحضُّ جماعته بالتسلح دفاعاً عن أنفسهم لئلا يغشاهم العدو على غرة.<sup>٣</sup>

وأخيراً اضطر الشيخ وجماعته أن يهاجروا؛ فخرجوا من قريتهم (طغل)<sup>٤</sup> إلى مكان قريب من حدود ولاية غوبر يسمى غدو سنة<sup>٥</sup> (Gudu) وكان ذلك يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة سنة (١٣١٨هـ). الموافق الحادي والعشرين من فبراير سنة (١٨٠٤م). ولما أصبحت هذه الجماعة منعزلة عن غيرها رأت ألا حلية لها إلا أن تستعد للدفاع عن نفسها مواجهة أعدائها، ورأت أنه لا بد من اتخاذ إجراءات لازمة لتنظيم نفسها؛ فاجتمع رؤساؤها وتشاوروا فيما بينهم، فاتفقوا أولاً على أن يختاروا رئيساً لهم، فوقع الاختيار على الشيخ عثمان؛ فبايعوه قائدا وإماما لهم على الكتاب والسنة وأول من بايعه هو أخوه عبد الله بن فودي ثم ابنه السلطان محمد بللو، وبعده صاحب عمر الكم ثم بقية الجماعة.<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٥٢.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٣.

<sup>٣</sup> - انظر الشيخ عبد الله، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الآيات، ط، المشهد الحسيني بالقاهرة، ص ٥١.

<sup>٤</sup> - وهي قرية ولد فيها الشيخ عثمان بن فودي، أخ الشقيق لعبد الله بن فودي المفسر.

<sup>٥</sup> - وهي قرية تابعة لولاية صكتو شمال نيجيريا.

<sup>٦</sup> - في السابق، محمد بللو، الإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرار، ج ١، ص ٧٠-٧١.

ولم تلبث الأحداث أن أدت إلى وقوع قتال بين الشيخ عثمان وأمير غوبر وأتباعه؛ فتتابعت الغارات التي أدت إلى واقعة كتو (Koto) تلك الواقعة التي وصفها محمد بللو بأنها أعظم واقعة بينهم وبين أعدائهم؛ فهي كما قال بمثابة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان<sup>١</sup>. وكان أمير غوبر ينفا قد أعد جيشاً كبيراً قاده هو بنفسه ونهض به صوب أعدائه، فلما التقى الجيشان وتحالط الصفان تقاتل الفريقان قتالاً عنيفاً، وهُزم أمير غوبر وجماعته فولوا هاربين<sup>٢</sup>.

وهكذا انتصر جيش الشيخ على أعدائه، وفاز بكثير من الغنائم التي تركها الأعداء وراء ظهورهم. ولا يخفى أهمية هذا النصر لأصحاب الحركة الإصلاحية؛ فقد زاد في قوتهم وشجعهم وأعطاهم ثقة في أنفسهم، فجعلوا يشبهون حالهم بحال المهاجرين الأولين، ويقارنون بين واقعتهم هذه وبين واقعة بدر؛ فهم ضعفاء وأعداؤهم أموياء وليس لهم إمكانات كثيرة كما لأعدائهم، ولكن إيمانهم بالله وحبهم للإسلام واعتقادهم بنيل إحدى الحسينيين منحتهم حماسة ليس فوقها حماسة<sup>٣</sup>.

وقل عكس كل ذلك نحو أمير غوبر وطائفته؛ فقد أدخلت هذه الهزيمة الذعر والخوف في قلوبهم، وولدت فيهم عقدة النقص التي أذهبت ثقتهم بأنفسهم. وبعد هذه الانتصارات العظيمة كتب الشيخ إلى كل ملوك الهوسا يبين لهم موقفه ليكونوا على علم وذكر لهم أنه عازم على إحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية، وأمرهم أن يخلصوا لله، وأن يتبرأوا من كل ما يخالف الشرع؛ ف وقعت أوا مر هذه في آذان صماء ولم يجد كتابه قبولا حسنا من الأمراء، فمنهم من مزقه، ومنهم من توعد الكاتب وهددته<sup>٤</sup>.

ولم يزل الشيخ وجماعته يقاتلون ملوك الهوسا حتى انتصروا عليهم كلهم، وسقطت الولايات واحدة تلو الأخرى، ودخلت بعد ذلك كلها تحت الدولة الجديدة، وصار الشيخ عثمان إماماً لهذه

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٧٠-٧١.

<sup>٢</sup> - وفي ذلك يقول عبد الله بن فودي في قصيدة له:

فشئت جمعهم وهم عطاش      حيارى مثل غوغاء الجراد  
فَقَلْنَاهُمْ وَحَزَنًا كَمَا مَالِ      لَهْمُ تَرَكَوْهُ مَنُثُورًا بِوَادِ

في السابق، أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٥٤.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٦.

<sup>٤</sup> - في السابق، أمير محمد بللو، الانفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرار ج ١، ص ١٩٠.

المملكة الواسعة، فوضع لها نظاما إداريا دقيقا خاضعا للنظم الإسلامية السليمة، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وهي كذلك اللغة الثقافية فيها. وبعد أن استولى الشيخ على أكثر الولايات بما فيها ألقاضوا حيث لقي أمير غوبر ينفا حتفه واستقر له الأمر، رأى أن الأليق أن يترك زمام القيادة بيدي وزيره، ابنه محمد بللو، وأخيه عبد الله، ويتفرغ هو للتدريس والوعظ والتأليف؛ فجعل الأول واليا على البلاد الشرقية، والثاني على البلاد الغربية، وأمرهما بمراعاة العدل فيهما، وكان ذلك في سنة (١٢٢٧هـ) الموافق (١٨١٣م). واستمر الأمر كذلك إلى أن توفي الشيخ عثمان سنة (١٢٣٢هـ)، الموافق (١٨١٧م)، وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله.<sup>١</sup>

على الرغم من أن الدين الإسلامي قد انتشر في نيجيريا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وعلى الرغم من اعتناق عدد كبير من السكان في ممالك الهوسا لهذا الدين الحنيف، ومع قيام ممالك إسلامية في نيجيريا الشمالية وغيرها من مناطق السودان الغربي؛ على الرغم من كل هذا لم تصبح الشريعة الإسلامية ثابتة الأكان في هذا الجزء من العالم إلا في مطلع القرن التاسع عشر الذي يطلق عليه عصر الجهاد والدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا.<sup>٢</sup>

لقد شهد مطلع هذا القرن حركات الجهاد الإسلامي التي استهله الشيخ عثمان بن فودي الأخ الأكبر للشيخ عبد الله في إمارات الهوسا، وتحدى الحكام الوثنيين، ودخل في صراع معهم ابتداء من عام (١٨٠٤م) حتى عام (١٨٠٨م)، ونجح في دخول عاصمة إمارة (غوبر) وقتل حاكمها (يونا)، وأعلن قيام إمبراطورية إسلامية حملت اسم إمبراطورية (الفولاني) التي اتخذت مدينة (صُكُتُو) عاصمة لها. وطبق الشيخ عثمان الشريعة الإسلامية، وأحيا الخلافة الإسلامية في هذا الجزء من القارة الإفريقية.<sup>٣</sup>

لم يكن الشيخ عبد الله بن فودي ببعيد عن هذه التطورا؛ فهو أول من بايع أخاه الشيخ عثمان بن فودي على إقامة الدولة الإسلامية بنيجيريا، واتخذ الشيخ عثمان وزيرا له، ومستشارا مرافقا له في سياسة الدولة الفتية، وقائدا لسرايا المجاهدين في مواقع عديدة، وترى ذلك جليا في القصائد الشعرية التي خلد فيها الشيخ عبد الله بعض المعارك والغزوات التاريخية التي دارت بينهم وبين

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٥.

<sup>٢</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٥٦.

<sup>٣</sup> - في السابق، الشيخ عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، ج ١، ص ٦٠.



الوثنيين من حكام الولايات النيجيرية، فعند ما أعلن الشيخ عثمان دولته الإسلامية بأطراف الصحراء على حدود بلاد (غُوبِر) بالمكان المسمى (قُدُو)، جمع ملك (غوبِر) أوباشًا من النوبة والتوارك والهوسا، فأقبل بجنوده للهجوم عليهم في مكانهم؛ فقام الشيخ عبد الله بن فودي بقيادة جيش المسلمين للدفاع عن أنفسهم، فالتقى الجيشان في مكان يسمى (كُوتُو) فهزم الله جيش الملك بأيدي المؤمنين؛ فغنم المؤمنون أموالهم وأسلحتهم؛ حيث قال الشيخ عبد الله في ذلك قصيدة جاء في مطلعها<sup>١</sup>:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ يَتَّبِعُ لِيَسْتَأْصِلُوا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ  
إلى أن يقول<sup>٢</sup>:

فَيَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ جِدُّوا وَجَاهِدُوا فَقَتَلَاكُمْ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ دَائِمًا  
فَقَدْ تَمَّ وَعْدُ اللَّهِ فِي نَصْرِ دِينِهِ عَلَى قَمْعِ كُفَّارِ عَلَيْنَا بَجَمْعُوا  
بِلَادَهُمْ وَاللَّهُ فِي الْفَضْلِ أَوْسَعُ يُجَرِّهُمُ وَاللَّهُ يَرَى وَيَسْمَعُ  
وَلَا تَهْنُوا فَالصَّبْرُ لِلنَّصْرِ مَرْجِعُ وَرَاجِعُكُمْ بِالْعَزِّ وَالْمَالِ يَرْجِعُ

ولم يبق إلا شكره والتضرع

ثمَّ جَهَّزَ الشيخ عبد الله بن فودي بنفسه جيش الفتوح وقاده إلى بلاد (كِبِّ)<sup>٣</sup> التي شقت عصا أميرها عثمان، وخلعته وطردته من ملكه؛ لأنه يناصر الشيخ عثمان وجماعته، ويدعو بما يدعون إليه من نصره الحق وإظهار الإسلام فحمل اللواء عليَّ جيدو، ومَرَّ على بلاد (زَنْفَرَا)<sup>٤</sup> ففتحها الله عليهم من غير قتال، واستمرَّ حتى فتحوا بضعا وعشرين حصنا من بلاد كب منها حصن

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٠.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ص ٦٢.

<sup>٣</sup> - إحدى ولايات شمال نيجيريا، وهي مجاورة لولاية صكتو ومنفصلا عن صكتو القديم.

<sup>٤</sup> - إحدى ولايات شمال نيجيريا، وهي أول ولاية طبقت الشريعة الإسلامية، وكانت جزء ولاية صكتو القديم.

أحد سلاطينها المسمى محمد بن سليمان، وأعادوا الأمير المخلوع إلى دولته، وهناك بنى محمد بلو حصنا منيعا في أرض كبّ، بموقع يقال له (غُونْدُو)،<sup>١</sup> فانقل إليه أمير المؤمنين ابن فودي (عثمان بن فودي) وعائلته. ووقعت بعد ذلك غزوة (أَلُوسَا) وهو موضع في بلاد كبّ؛ فاستشهد فيها نحو ألفين من الجماعة، ونحو مائتين من العلماء والقراء، وقام الشيخ عبد الله مع أخيه الشيخ عثمان بن فودي بالدعوة إلى الله، ولم يزل حتى قامت دولة عاشت مائة عام قبل احتلال الإنجليز لنيجيريا، وهكذا استمرّ الحرب سجّالا بين الشيخ عبد الله وجماعته، وملوك الهوسا وأتباعهم، إلى أن تَمَّ للشيخ النصر العزيز، وفتح أَمْنَع حصون غوبر، وهي أَلْقَالَاوا؛ فَتَمَّ بفتحه تأسيس دولة إسلامية، وكان ذلك سنة (١٢٢١هـ - ١٨٠٦م).<sup>٢</sup>

يقول محمد بللو عن هذا الانتصار وما تترتب عليه من الخيرات "لما فتح الله على المسلمين هذا الحصن فرحوا فرحا شديدا وذل المشركون ذلا كثيرا، وكان المسلمون أينما كانوا يتوقعون وقعة أَلْقَالَاوا، والكفار حيث كانوا يرون أن ثبات ملكهم وزواله وكانوا في كل بلدة مصغين إليها، ينظرون ما يكون من أمرها فلما كانت الواقعة وسارت بها الركبان سقط في أيديهم، وانكسر ظهرهم فتأبى بعضهم وتابع آخرون؛ فاستقام أمر البلاد واطمأن جانبها والحمد لله رب العالمين"<sup>٣</sup> ومن المعلوم أن التاريخ له مكانة لا تجهل، ومزية ولا تنكر، وله أثره القوي في دفع عجلة التقدم؛ لأن دراسة التاريخ لا تكون تسلية بذكرى الوقائع والأخبار فقط؛ لكنها تكون تذكيرة وتربية بأحوال الأمم الماضية، وبيئاتهم المختلفة في الأعصر السابقة، لتحسين شئون الماضي من الحاضر، كما قال الشاعر:<sup>٤</sup>

لَيْسَ بِإِنْسَانٍ وَلَا عَاقِلٍ مَنْ لَا يَعِي التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ

<sup>١</sup> - قرية عاش فيها الشيخ عبد الله بن فودي في آخر حياته، وهي تابعة لولاية كبّ، وقد زرناها وشاهدت قبره في يوم ١٢ من شهر صفر سنة (١٤٣٤هـ) الموافق (١٥-١٢-٢٠١١م)، برفقة أبو بكر الحاج أبو بكر وزيادة من الإخوة الذين قابلتهم هناك الشيخ مختار والي غوندو إمام وخطيب المسجد المركزي، والشيخ آدم عبد الله نائبه، وما لم إبراهيم بن أحمد بشر الذي أخذت منه المخطوطات ضياء التأويل وغيرهم.

<sup>٢</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٦٠.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٧١.

<sup>٤</sup> - آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، عثمان بن فودي، ط ٢، (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م)، ط ١، ج ١، ص ١١.

وَمَنْ وَعَى أَخْبَارُ مَنْ قَبْلَهُ أَضَافَ أَعْمَارُ إِلَى عُمْرِهِ

وهذه الحادثة التي كانت بمثابة فصل جديد في تاريخ نيجيريا، هي نقطة البداية للحوادث التي هدمت ولايات الهوسا كما أشرنا سابقا، وبينت مملكة صكتو على أساس كان قوامه الدين، ولحركة الإصلاحية وآثارها التي شملت بقية ولايات نيجيريا. وثمره هذه الحادثة جعل تلك المنطقة منطقة دينية قام فيها الإصلاح والدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الناس إلى الصواب وتخرج فيها العلماء الأجلاء الذين نشروا الإسلام والثقافة العربية.

**المبحث الثالث: ازدهار الحركة العلمية ومنهج نشر الإسلام والثقافة العربية في نيجيريا**  
من بعد أن انضج لنا بكل جلاء ووضوح وبعد أن اطلعنا على هذا الانتاج منهج المفسرين النيجيريين وجدنا أنهم قد ساهموا عليه مساهمة لا يستهان بها في هذا الميدان. ولم تقتصر جهودهم على شرح المشكل والغامض حسب؛ تصريح الشيخ عبد الله بن فودي المتواضع فحسب. ولكنهم أضافوا إلى الثقافة العربية ثروة قيّمة في شتى الميادين. وإذا نظرنا إلى ما قدموه في ميدان علوم الشرعية والدين، نجد أنهم لم يقتصروا على توضيح المسائل المشككة فحسب؛ ولكنهم ابتكروا أيضا طريقة تسهيل على طلاب العلم حفظ هذه المسائل؛ وذلك بتحول القول إلى المنظوم والأدلة كما في مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي.

#### أولاً: الإسهام في نشر التعليم الإسلامي والثقافية العربية

حقيقة إن الذين ساهموا في نشر تعليم الإسلامي والثقافية العربية في نيجيريا، هم التجار والدعاة من المغاربة<sup>١</sup> والشناقطة<sup>٢</sup> والفلاانيين<sup>٣</sup>. وذلك قبل ظهور الشيخ عثمان بعدة قرون، وقد وفد إليها علماء فلاينيون تولوا مهمة التدريس والقضاء في معظم بلدان غرب إفريقيا، وقد كانوا ملمين بالعلوم الشرعية، ولاسيما الونغرايون الذين حملوا مع تجارتهم العلم الشرعي إلى كثير من مناطق

<sup>١</sup> - من سكان الجزائر (Algeria) والمغرب (Morocco) على حسب الاستعمارية الحديثة.

<sup>٢</sup> - من سكان الموريتانيا (الشناقطة) نسبة شنقيطي من دولة موريتانيا.

<sup>٣</sup> - نسبة إلى قبيلة الفلاني.

غرب إفريقيا، وثبت أنهم دخلوا بلاد هوسا، وبالتحديد كنو في القرن الثامن الهجري، والرابع عشر الميلادي، ومع دخولهم بدأت دراسات علم التوحيد تزدهر في كنو.<sup>١</sup>

وكذلك الحركة العلمية في عصر الشيخ عبد الله امتدت للنشاط العلمي والثقافي الذي انطلق من مسجد تُنْبَكْتُو محط الحضارة العلم والفكر الإسلامي الذي بدأ فيها منذ القرن الرابع عشر الميلادي إلى الثامن عشر الميلادي حين كانت تمبكتو تغذى منطقة غرب إفريقيا وبلاد الهوسا، بل ووسط إفريقيا بالعلماء الأفذاذ لنشر الثقافة والفكر الإسلامي إلى بجانب الدعوة للإسلام؛ مما كان له أكبر الأثر في تطور تلك المناطق والعمل على تصدير تلك العلوم والثقافة إلى بلاد هوسا؛ فنشأت مراكز ثقافية أخرى في تلك البلاد شبيهة بتنبكتو مستمدة روحها منها، أمثال: كشنا، وكنو التي عملت على تعميق هذه الحركة الثقافة محليا معتمدة على العلماء المحليين والوافدين إليهم من غرب إفريقيا ومصر.<sup>٢</sup>

وأبرز العلماء الذين بذلوا جهودهم في نشر العلم والثقافة الإسلامية في بلاد هوسا، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ أحمد بابا التمبكتي، وقد كان المغيلي جادا في الأسفار بين أقطار غرب إفريقيا مهمة الدعوة إلى الله عملا بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.<sup>٣</sup>

لقد زار كلا من مدينة كنو وكشنا في أواخر القرن التاسع الهجري، واتصل بحاكميهما، وقام بمهمة التدريس فيهما، وأسّس مدارس دينية ومعاهد إسلامية فيهما؛ فأصبحت هاتان الولاياتان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين تعتبران من أهم مراكز التعليم الإسلامي، ليس في بلاد هوسا فحسب بل في غرب إفريقيا قاطبة؛ فصارتا مصدرا لجميع الرواد من العلماء وطلاب العلم، فدرسوا فيهما الثقافة الإسلامية والعربية. وفي القرن الثالث عشر الهجري، أصبحت زاريا من أهم المراكز العلمية، واشتهرت بعلمي النحو واللغة؛ فوفد إليها كثير من طلاب العلم.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> - محمد بن علي بن محمد السكاكر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة، ط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ج ١، ص ٦٦.

<sup>٢</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ١٤٣.

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٠٤).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٠-٥١.

أيضا من الذين ساهموا في نشر التعليم الإسلامي والعربي. هم والنيجيريون الذين درسوا خارج نيجيريا وداخلها، كالذين درسوا في الأزهر بمصر. ومن هؤلاء: الشيخ محمد الأمين الكانمي<sup>١</sup>، وغيره. ومن الثابت أنه درس في الأزهر على إنشاء رواق سموه بالرواق البرناوي نسبة إلى برنو، ولا يزال هذا الرواق في جامعة الأزهر بهذا الاسم.<sup>٢</sup> ومنهم الذين درسوا في المغرب وتنمبكتو والأغدس<sup>٣</sup>، وفي نيجيريا. ولا شك في أنهم كان لهم في هذا الإسهام حظٌّ وافر، ومنهم: الشيخ جبريل بن عمر، والشيخ عثمان بن فودي، وأخوه الشيخ عبد الله بن فودي، وغيرهم من العلماء الذين كرسوا حياتهم في نشر الإسلام والثقافة العربية.<sup>٤</sup>

وكان عصر هؤلاء الجهابذة الإعلام هو عصر النهضة وازدهار الحركة العلمية للثقافة العربية، كما كان عصر التجديد للدين الإسلامي في المنطقة؛ فقد أصبحت العربية هي اللغة الرسمية في البلاد، فضلا عن كونها لغة التخاطب. وأنشأ أهل الحل والعقد مناصب حكومية بأسماء عربية، كالوزير، والقاضي، والوالي، والمتولي، والساعي، وغيرها. كما أسسوا مؤسسات بأسمائهم، كبيت المال، وفرضوا كل ما أوجبه الكتاب والسنة، كالزكاة. كما فتحوا دواوين ودور القضاء، حيث سجلوا جميع الإجراءات باللغة العربية، وظلت الأمور على ذلك قرابة قرن، ازدهرت من خلاله علوم العربية والثقافة الإسلامية أيما ازدهار، وأصبحت صكتو عاصمة الدولة يسعى إليها طلبة العلم من كل فج عميق في أنحاء إفريقية الغربية، وتأسست فيها عدة مدارس، لا يقل مستواها عن مستوى الجامعات في عصرنا هذا في كثير من المدن، والمواد التي تدرس فيها لا تقل شأنًا عن المواد التي تدرس في تلك الجامعات أو تفوقها.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> - ولد بفران من أبٍّ عربي وأمٍّ كانمية، حج مرارا، وأقام مدة بين المدينة، ومصر، وفاس، ثم عاد إلى وطنه. وكان من العلماء الإعلام، وله مؤلفات كثيرة؛ لكن أغلبها مفقودة إلا أن له قصيدة واحدة في التوسل بالأسماء الله الحسنى وأولها:

أيَا طيِّبِ الأَسْمَاءِ يَا مَنْ هُوَ اللهُ وَمَنْ لَا يَسْمَى ذَلِكَ الأَسْمَ إِلَّا هُوَ

في السابق، آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فودي الفلاني، ج ١، ص ٦٤،

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٤٧.

<sup>٣</sup> - وهي مدينة إحدى ولايات جمهورية النيجر.

<sup>٤</sup> - في السابق، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٦٦.

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٨.

كما مر بنا عند كيفية دخول الإسلام في المنطقة من مملكة برنو وولايات الهوسا الرئيسة، وذكرنا أنه كان عبر الطريق السلمي، وطريق التجار والدعاة. وكان التجار قبل دخول الإسلام بدءوا في وضع الحجر الأساسي للتعليم وبدأت البذور الأولى تنبت وتتسع بانتشار الإسلام؛ فحيثما وضع الإسلام قدميه يدخل معه التعليم؛ إذ يجب على كل مسلم أن يتعلم على أقل تقدير ما يكفيه لأداء فرائضه من صلاة وغيرها؛ فيتعلم بعض الآيات والصور القرآنية وبعض الاصطلاحات الدينية. ولا يخفى أن الدين الإسلامي دائما ما يشجع التعليم ويجعله جزءا لا يتجزأ من الدين، ويمنح العلماء في المجتمع الإسلامي منزلة لا تساويها منزلة، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>١</sup>.

ولا نبالغ في الكلام إذا قلنا إن العالم في المجتمع النيجيري في القرون الماضية كان يتمتع بتبجيل وإجلال يكاد يبلغ حد التقديس، وذلك لما يمتاز به من ثقافة دينية راقية؛ فيلتف حوله عدد من الناس ليتعلموا ويتثقفوا؛ وذلك تبتدئ الفصول الدراسية وبالتدريج تترعر وتزدهر. ولا يزال العلماء يتمتعون بهذه المكانة إلى يومنا هذا.<sup>٢</sup>

قال الشيخ آدم عبد الله إلوري: يصور جهود علماء نيجيريا: لقد أخذت نيجيريا من العلوم الإسلامية وآداب اللغة العربية قسطا لا يستهان به، وكان طلاب العلم في صدورهم يرتحلون به إلى بلاد المغرب الأقصى لطلب العلم ويسافر بعضهم إلى مصر، ويأخذ بعضهم من مهاجري العرب، ومن السائحين إلى بلاد المغرب. ولما ارتكز العلم بمدينة تنبكتو رجع الناس إليها في طلب العلم؛ إذ إنها أقرب إليهم من غيرها، فارتادوا ديار العلم بها؛ حتى نبغ فيهم عدد كبير من أهل العلم، وعند ذلك اكتفوا بما في بلادهم وصاروا لا يطلبون العلم إلى سواها، ولا يحتاجون إلى غير مؤلفات علمائها الرسخين في العلم.<sup>٣</sup>

ولما استغلظ الإسلام واستوى على سوقه وتأسست الدولة الإسلامية في شمال نيجيريا كثر سواد طلاب العلم واتسعت نطاق المدارس في مدنها المهمة مثل: كثنه، وبرنو، وكنو، وزاريا، وارتقى بها التعليم حتى بلغ المستوى الجامعي القديم فصار المتخرجون فيها يؤلفون في شتى الموضوعات الدينية

<sup>١</sup> - سورة الزمر الآية: (٩).

<sup>٢</sup> - في السابق، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٧٠.

<sup>٣</sup> - في السابق، آدم عبد الله إلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٢٧.

والأدبية، ولا يسع الواقف على تلك المؤلفات إلا أن يعترف ببراعتهم ونبوغهم رغم كونهم أعاجم.<sup>١</sup>

كان هذا منذ القرن الخامس الهجري حتى آخر القرن الثالث عشر؛ حيث بدأ ظل التعليم العربي يتقلص بنمو التعليم الإنجليزي الذي غرسه الاستعمار والتبشير؛ فاحتلت اللغة الإنجليزية مكان العربية بعد أن مهدوا السبل لتعلمها، ورفعوا شأن من يعرفها في المجتمعات، وأصبحت، هي اللغة الرسمية في البيت والشارع والسوق والإدارة.<sup>٢</sup>

ولهذا الجانب أعني جانب تعليم القراءة والكتابة أهمية كبيرة؛ فلذلك كان إسهام المدارس القرآنية في نشر الثقافة في نيجيريا كبيراً جداً؛ فهي في ذلك العصر كان تعلم الكتابة والقراءة، فإذا ما أكملها التلميذ استطاع بعد ذلك أن يقرأ القرآن ويقرأ كذلك لغته ويكتبها؛ فهي بمثابة المدارس الأولية، أو تكاد تشبه ذلك المجهود الذي يبذل في عصرنا هذا لحو الأمية في بعض الدول، وكل ذلك لم يكن يكلف الدولة مليماً.<sup>٣</sup> ولقد نال تعليم اللغة العربية أهمية كبرى بعد تأسيس دولة صكتو.<sup>٤</sup>

إن منهج نشر العلوم الإسلامية والثقافة العربية يرجع إلى عدة عوامل منها: حبه الشديد لهذه العلوم وثقافتها، وتعظيمه لها ومن ثم اطلاعه الواسع على عناصرها ومصادرها المختلفة بالإضافة إلى مقدراته وملكاته التي أحسن توجيهها وتنميتها. وتتلخص الوسائل التي استخدمها علماء نيجيريا في نشر العلوم الإسلامية والثقافة العربية في ثلاث وسائل رئيسية هي:

أ- حلقات العلم والوعظ والإرشاد.

ب- المنظومات الشعرية.

ت- التأليف وتصنيف الكتب.

أما منهجهم في نشر الإسلام لا يخلو من الإنصات والاستماع ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر ولا يخرج من هذه الدائرة. القوافل التجارية إذن هي التي نثرت البذور اللغوية أولاً وذلك في إطار

<sup>١</sup> - في السابق، آدم عبدالله الإلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٩٤.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٩٦.

<sup>٣</sup> - انظر: سلسلة محاضرات أكتوبر للكتاتب، نشرته وزارة الثقافة والإرشاد النيجيرية سنة: (١٩٩٢م)، ص ٥١.

<sup>٤</sup> - في السابق، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٤٢، والآن في ولاية صكتو.

محدود جدا لا يتجاوز الأسواق الرئيسية في المدن التجارية، ولم يمنح اللغة مجالا واسعا للتوسع في ذلك الزمن، وكان لذلك الإتصال أثر من ناحيتين:

١- أدخلت كلمات عربية جديدة في اللغات المحلية في نيجيريا، ولا تزال اللغة التجارية السائدة في غرب إفريقيا، فمثلا أسماء بعض البضائع المستوردة من البلاد العربية والتي لم تكن معروفة عند أهل المنطقة،<sup>١</sup> أدخلت العقود من الأعداد من العشرين إلى تسعين وبعض الكلمات التي لا يستغني عنها التجار. ما من اللهجة من اللهجات تلك المنطقة إلا ودخلت عليها اللغة العربية.

٢- إن بعض التجار في تلك الولايات الذين كانوا يتعاملون مع العرب في الأسواق قد تعلموا من تلك اللغة أكثر من غيرهم.

كان لا انتشار الدين أثر في انتشار اللغة فقد دخلت بدخول الدين الإسلامي كما سبق؛ فالمسلمون لابد أن يتعلموا على الأقل ما يكفيهم لأداء فروضهم الدينية العينية من صلاة وصيام وغيرها، ومعنى ذلك هو حفظ بعض السور القرآنية والأدعية المأثورة، وتعلم كلمات دينية كالركوع والسجود والكفارة وغيرها؛ ولعله في أوائل تلك الفترة أيضا دخلت أسماء الأيام العربية وانتشر استعمالها حتى نسي الناس أسماءها المحلية. إن انتشار الإسلام هو الذي أدى إلى انتشار المدارس القرآنية لتحفيظ الأطفال شيئا من القرآن الكريم، فهي ضرورية في المجتمع الإسلامي والمسلمون دائما يعطون أهمية كبرى لها ويفتحونها لتعليم أطفالهم؛ فلا بد أن يكون بعض التجار الذين دخلوا الإسلام قد ساعدوا أيضا في المدارس القرآنية، بتدريس شيء بسيط لمن اعتنق الإسلام.<sup>٢</sup>

وأخيرا فإن الحركة العلمية والثقافية العربية أبان عصر النهضة العلمية المباركة التي شهدتها نيجيريا في العصر الذهبي، كانت سببا في ازدهار الحياة العلمية والفنون والمعارف الإسلامية والعلوم الشرعية فيها، ونبغ فيها بعض العلماء الذين طبقت شهرتهم الآفاق، وذاع صيتهم. إن بعض هؤلاء العلماء هم محط اهتمامنا وعنايتنا.

<sup>١</sup> - مثل الحرير والزعفران والسرج وغيرها، أحمد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٦٠.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٦١.



## المبحث الرابع: أشهر كتب التفسير والمفسرين في تعامل التفسير وعلومه لدى علماء نيجيريا

بناء على ما تقدم من عادات أهل نيجيريا عموماً ولشمالها خصوصاً والتي لا زالت إلى يومنا هذا مثل إقامة مجالس التفسير في شهر رمضان المبارك لمدارسة كتاب الله تعالى، وتذكير برههم، ودعوتهم إلى تدبر كلام الله تعالى، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه. ويرجع بعض المؤرخين بدايات هذا العمل إلى عهد قديم منذ أن دخل الإسلام وانتشرا في تلك المنطقة. وكما مرنا في شأن التعليم عموماً على كيفية تلقي العلوم الإسلامية والعربية وآدابها وثقافتها قبل ظهور الحركة الإصلاحية في ولاية صكتو، ولوفرنا أن نتحدث عن المفسرين النيجيريين كما في العنوان، وهم كثرة؛ لأنها دولة كبيرة بكثرة سكانها، من شمالها وجنوبها، وشمال شرقها وغربها، وكذا الجنوب الشرقي والغربي، ومن كل هذه الناحية علماء أجلاء ومفسرين هم كوكب دري، ونجوم يهتدى بهم. وأذكر أشهر كتب التفسير في المنطقة على النحو الآتي.

### أولاً: تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل

هو عبارة عن تفسير القرآن كاملاً وقد أكمل تصنيفه يوم الثلاثاء بعد الظهر لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة (١٢١٣هـ) من الهجرة النبوية، ويقع في أربع مجلدات، طبع أولاً في سنة (١٣٨٠هـ) بالقاهرة مطبعة الأزهر الشريف، وكان هذا بأمر من رئيس وزراء شمال نيجيريا السيد أحمد بللو حفيد الشيخ عثمان بن فودي، والذي عزم على إخراج تراث زعماء حركة الجهاد ونشرها في العالم الإسلامي، قال: "من الأسف الشديد أن هذه الكتب لم يطبع فتنشر من قبل فلم تعرف في غير محلها، فقد هممت إن شاء الله أن أجبر منها ما انكسر حتى يعم النفع للمسلمين"<sup>١</sup> إلا أن المنية أدركته فاغتيل على يد ضباط كافر من الجنود ولم تحقق أمنيته. ومن الجدير بالذكر أن هذا التفسير قرأه علماء الأزهر في من أكبر الجامعات في العالم الإسلامي.

<sup>١</sup> - انظر: الشيخ عبد الله بن فودي، تفسير القرآن المسمى، ضياء التأويل في معاني التنزيل في معاني التنزيل، أحمد أحمد السعد وعثمان الطيب ٧٥، شارع الأزهر القاهرة ص-ب ١٦٩ كنو نيجيريا، ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦١م، مكتبة الإستقامة بالقاهرة، ج ١، ص ٨.

## ثانياً: كفاية تفسير ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن

هو عبارة عن تفسير القرآن كاملاً، يقع في مجلد واحد وفي طبع قوة أخرى في مجلدين، وقد طبع سنة (١٤٠١) من المهجر طبعة محلية وهو مثل سابقه نافع لطلاب العلم ومرجع مهم لما يحتوي من معلومات قدمها بطريقة ميسرة يسهل استيعابها وفهمها وتحاشى فيه التطويل والإستطراد كما هو معلوم في بعض التفاسير القديمة التي قد تخرجك عن فهم مراد كلام الله تعالى. وقد ذكر زبدة التفسير متجنباً الخرافات التي عرضت كتب التفسير على مذهب الجمهور بالاختصار، وتجنب تكرار الألفاظ وراعي اتحاد المعاني، وذكر فوائد كثيرة.

سبب تأليفه وكان سبب تأليفه كما قال: "لما من الله علي بإكمال تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، وكان حافلاً ببيان القراءات السبع، وبيان أقوال الأئمة الأربعة في الفروع، وبيان علوم العربية والبلاغة والأصول، وترتيب الغزوات والسرايا وغير ذلك"<sup>١</sup>. مما لا يعرفه إلا من طالعه مستحضراً لما فيه، فضعف عنه لذلك الضعفاء، وصرفت المهمة إلى تلخيصه لهم منبهاً على رواية ورش<sup>٢</sup> فقط، وعلى مشهور مذهب مالك، ولا بد منه من علوم العربية والبلاغة والقصص. قلت وقد وقع خطأً من الطابع والناشر هل تعتمد فيه أم حدث منه سهواً؛ حيث كتب الآيات في السور على غير رواية ورش.

## ثالثاً: نيل السؤل من تفاسير الرسول

هو عبارة عن جمع أقوال النبي ﷺ التفسيرية، يقع في عشرين ورقة تقريباً؛ ولعل الشيخ عبد الله أخذه من كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي رحمه الله، ثم اختصره وأضاف إليه كلاماً عن تطور التفسير وأشهر المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن قام بالكتابة في التفسير في زمن التابعين. وقد وجدتُ النسخة الأصلية بخط المؤلف رحمه الله تعالى في مكتبة الدكتور عمر

<sup>١</sup> - انظر: الشيخ عبد الله بن فودي، كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، الدكتور ثاني موسى أياغي، رسالة ماجستير قدمت له بجامعة إفريقية العالمية في السودان، ج ١، ص ٣٠، وهناك طبعة بمجلد واحد يتداول في الأسواق. إن تفسير كفاية ضعفاء السودان هو خلاصة تفسيره ضياء التأويل. فلما صعب على الطلبة العلم، ألف هذا التفسير وسماه بكفاية ضعفاء السودان.

<sup>٢</sup> - بمعنى مكتوب بالخط المغربي وليس للامام ورش رسم خاص ورش إما لخط الرسم العثماني، وإما خط لارسم المغربي

(مالم فاشي) نسبة إلى بلد مالم فاشي وكذلك نسخة أخرى مخطوطة في مكتبة المخطوطات في جامعة بايرو كنو، وتوجد أيضا نسخة في المتحف الوطني بمدينة كدونا.<sup>١</sup>

انتهى الكتاب يوم الجمعة المبارك في شهر ربيع الأول لسبعة خلت منه سنة (١٢٢١هـ)، وذكر العلامة الجليل عبد الله أقوال النبي ﷺ في تفسيره للآيات القرآنية وجمعها في هذا الكتاب باسم نيل السؤل من تفاسير الرسول، حققه وعلق وقدم له الدكتور عبد العلي عبد الحميد بقسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو-كنو- وهو كتاب صغير الحجم؛ لكن كثير النفع وعدد صفحاته (٩٥) صفحة مع المراجع والفهارس، ومرتب على ترتيب المصحف بمعنى من سورة الفاتحة إلى الناس، وأسلوبه ما جاء في الفاتحة إلى الأعراف، و من الأعراف إلى مريم، و من مريم إلى ص و من ص إلى آخر القرآن، وأضاف إليه أشياء من المصادر الأخرى في التفسير؛ وهذا الكتاب هو باكوره أعمال عبد الله في مجالس تفسير القرآن.<sup>٢</sup>

#### رابعاً: تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن

هو تفسير كامل من التفاسير المفيدة والسهلة ألفه الشيخ أبو بكر محمود جومي قدّمه المؤلف في وقت كان الناس بحاجة إلى فهم مقاصد القصص القرآنية، وكان الناس يقرؤونها للتفكه لا للاعبار والاتعاض. هو التفسير الكامل الذي ألف بعد تفاسير الشيخ عبد الله بن فودي، وهو زبدة تفسير الجلالين، وأوضح الشيخ سبب تأليفه فقال: "كثيراً ما قرأت كتب تفسير القرآن ما بين مطول ومختصر يرحم الله أصحابها وجعل الفردوس مأواهم لما خدموا به الإسلام والمسلمين فرأيت أنه مع كثرة الكتب يحتاج اليوم إلى تفسير وجيز، بين معاني القرآن على وجه يمكن تفهيمها والعمل بها. فإن كثيراً من القصص التي أدخلت في تفسير القرآن أذهلت العقول فجعلت الناس يقرؤونها للتفكه بها لا للعمل بما جاء في القرآن من العبر والمواعظ والشرائع، أدى ذلك إلى نسب ما لا يجوز شرعاً إلى خير الخلق الأنبياء والملائكة والصالحين، أو غير المعنى المقصود في مقدمة رد الأذهان إلى معاني القرآن".<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، نيل السؤل من تفاسير الرسول، ج ١، ص ٢٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، نيل السؤل من التفاسير الرسول، ج ١، ص ٤١.

<sup>٣</sup> - انظر الشيخ أبو بكر محمود جومي رئيس قضاة نيجيريا، تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن، طبع على نفقة الحاج محمد بللو ميتما يوسف وزير التجارة في حكومة جمهورية نيجيرية الفيدرالية، دار العربية للطباعة والنشر والترزيع بيروت

لبنان (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ج ١، ص ١-٢، وج ٢، ٨٣٨.

وقد طبع هذا التفسير في مجلدين ثم في مجلد واحد. لقي هذا التفسير احتجاجا ومعارضة شديدة وخاصة من مخالفيه في العقدة والمنهج، وكان يكتفي لهذا التفسير في دروس شهر رمضان في سنة إلى أن أتمه وخرج بصورته الحالية، وجزى الله الشيخ خيرا لما قدم في خدمة الإسلام.<sup>١</sup>

#### خامساً: البرهان في تفسير جزء عمّ

هو عبارة عن جزء تفسير القرآن مختصرة، ألفه عبد الحميد محمد بشر الأبهجي بعد تقرّظ الكتاب والمقدمة، بدأ بمعنى القرآن ومن أسمائه وأوصافه ودعاء الحفظ، والقول بخصوصيات السورة المكية أو المدنية، ثم اختلاف المفسرين وآخر ما نزل من الآية، وبدأ من سورة النبأ إلى آخر الناس، وفيه جداول يذكر كلمة ومعناها، ويذكر مجمل معنى لكل السور وسبب نزولها وفوائدها، وهو كتيب وعدد صفحاتها بلغ (١٣٧)،<sup>٢</sup> صفحة.

أما عن سبب تأليفه فقد ذكر صاحبه يقول "وجعلني أتفكر في اقتدائه والتشبه به في وضع شيء يسير يستفيد منه الطلبة في الأقسام الأعدادية والثانوية، فأفرغت بحثي في القرآن وما يتعلق به فجاهدت نفسي مع قلة علمي وفهمي في تفسير جزء عمّ والكشف عن حقائق السورة والفحص عن أسرار فوائده المضمونة" إلى أن قال سمّيته البرهان في تفسير جزء عمّ مذيلا ببعض معلومات تتعلق بالقرآن العظيم".<sup>٣</sup>

#### سادساً: البينات في تفسير أحكام العبادات

هو عبارة عن جزء تفسير أحكام العبادات، كتاب مختصر جدا ألفه صاحبه وكتب المقدمة التمهيدية بين فيه الحكم والشرعية ومميزات الشريعة الإسلامية بالتدرج، وأن الدين يسر وجمال القرآن، وأردف القول في سبب خلق الجن والإنس، ثم أقسام التفسير وأنواعه وطبقات المفسرين. ويذكر تفسير آيات الإيمان والأحاديث الواردة فيها وأركانها، معنى الشهادة وحكمة مشروعيتها. وكان تفسيره كتفسير الموضوعي يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد ويفسرهما تفسيراً موضوعياً.

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٣٩.

<sup>٢</sup> - عبد الحميد محمد بشر الأبهجي، البرهان في تفسير جزء عم، المدرّس بمركز التعليم العربي الإسلامي أغيني، مدير مركز السلام للعلوم الإسلامية ابيوتي ايو، لاغوس، نيجيريا، ط ٥، شعبان ١٤٣١هـ، ج ١، ص أ-ز و ٩-١٣٣.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٣.

فمثلا آية الوضوء، ومعانيها وتفسيرها والأحاديث الواردة فيها وحكمة مشروعيتها، وآية استقبال القبلة ومعانيها وتفسيرها وحكمة مشروعية استقبال القبلة، وعدد صفحاته (١٧٧)،<sup>١</sup> صفحة. هذا ما يتعلق بالتفسير التي كتبت باللغة العربية نثرا ونظما؛ أما فيما يتعلق بهذين التفسيرين السابقين وهما البيّنات في تفسير أحكام العبادات، والبرهان في تفسير جزء عم؛ فإن صاحبه ألفها كمقرر مدرسي بين الإعدادي والثانوي، ولم يقصد بهما تفسير القرآن، وهذا ما وجدته في تلك المنطقة جنوب غرب ما يسمى ببلاد يوريا- نيجيريا-، وليس ما لديهم من ذكر تفسير القرآن المكتوب باللغة العربية إلا هذا. أما بالنسبة للترجمة إلى لغة يوروبا وهذا موجود عندهم. وأما إبداعات التفسير، أقول بأن هناك كتب التفسير التي كتب باللغة العربية نظماً، وقد كتب السلطان محمد بن عثمان بن فودي ابن أخ الشقيق عبد الله فودي نظم عدة منظومات في علوم القرآن.

#### سابعاً: نزهة الأسير في إنالة اليسير

كتبه السلطان محمد بن عثمان حمدي، وهو منظومة شعرية تحتوي على أكثر من ألف بيت شعر، وذكر أن كتابه انتهى في جمادى الأولى لعشرين بقين منه؛ إلا أن السنة غير معروفة في بلدة (مُلامَغا) على نهر (كوار).<sup>٢</sup>

وفي مقدمة الكتاب قدّم الشّاء على الله ثم صلى على رسول الله ﷺ، ثم بيّن جهود العلماء في القرآن، وأن كلاً أدلى بدلوه؛ فمنهم من كتب في علم أسباب النزول أو في الناسخ والمنسوخ. وقال إن نظمه هذا هو بيان ما خفي من المبهّمات الواردة في القرآن، وذكر أنه لا بد من الرجوع إلى المنقول لا المعقول في معرفة المبهّمات، ثم قسّم سورة القرآن إلى أربعة فصول؛ الفصل الأول من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، والفصل الثاني من الأنعام إلى سورة الرعد، والفصل الثالث من الرعد إلى سورة يس، والفصل الرابع من يس إلى آخر سورة الناس. والأسانيد التي تردد أكثرها عن طريق ابن جرير الطبري أو قتادة بن دعامة السدوسي والسدي الصغير. وأحياناً يذكر

<sup>١</sup> - انظر: عبد الحميد محمد بشر الأبهجي، البيّنات في تفسير أحكام العبادات، (٩- ١٣٣)، ط ٢، يناير (٢٠١٠م) الموافق محرم (١٤٣١هـ)، ج ١، ص ٣-٥ و ٧٥-٨١.

<sup>٢</sup> - وهي تسمية قديمة، ويعرف الآن باسم نهر النيجر، وهو أطول نهر في غرب إفريقيا. والكتاب ما زال مخطوطاً في المكتب الرئيسي جامعة بايرو-ولاية كنو-نيجيريا.

بعض الروايات عن البخاري في صحيحه وابن أبي حاتم، وقد عمل على جوانب الأبيات هوامش يوضح فيها بعض الفوائد المهمة.<sup>١</sup>

### ثامناً: هبة الله الرفيق في بيان قصة يوسف الصديق

وهو الكتاب الثاني للشيخ محمد بللو بن عثمان بهذا العنوان. وهو بيان عن قصة يوسف عليه السلام كما جاءت في القرآن، وهو نظم شعري يوجد فيه أكثر من أربعمئة بيت وعدد الصفحة (٦١) صفحة، وذكر القصة كما ورد في القرآن الكريم مرتباً؛ لكن لم يُعرف تاريخ كتابته، وفي أي مكان. وهذه بعض الأمثلة للأبيات التالية<sup>٢</sup>:

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ بِذِي الْقَصِيدَةِ إِضْخُ مَعْنَى قِصَّةُ الْقَصِيدَةِ

أُشِيرُ فِيهَا مَا أَتَى الْقُرْآنَ بِلَفْظٍ يَفْهَمُهُ الصَّبِيَّانِ

إلى أن قال:

مَضَى انِّي عَشَرَ قَدْ سَجَدُوا كَوَاكِبَ لَدَيْهِ حَتَّى وَقَدُوا

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ سَاجِدَانِ كَهَيْئَةِ الْأَحْيَاءِ يَفْعَلَانِ

وهذه من الأمثلة التي بيّناها، وقصيدة الشيخ من ذكر قصة يوسف عليه السلام تيسير فهمها على الصبيان كما أشار إلى ذلك في البيت الأول لأن القصة تشتمل ذكر ما جرى بين إخوة يوسف ومثلها مع قصص الأنبياء والصالحين والأتقياء بمقارنة ذلك مع سير الملوك، بالإضافة إلى أن فيها موعظة وإرشاداً للعباد كي يكونوا على بينة من مكاييد الشيطان ومكر النساء عن طريق الحيل مثل امرأة العزيز، وكيف عصم الله نبيه يوسف عليه السلام من كيدها.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - انظر المخطوطات للشيخ محمد بن عثمان في جامعة بايرو-كنو- نيجيريا، والشيخ محمد بن عثمان أوثق من عبد الله، من حيث أنه يرجع إلى المأثور، ثم أنه تتبع جميع المبهمات من سور القرآن وهذا لم يفعله الشيخ عبد الله بن فودي.

<sup>٢</sup> - انظر: محمد بن عثمان بن فودي، قصة يوسف عليه السلام، ص ٦، والكتاب ما زال مخطوطاً.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ص ٩.

## تاسعاً: قصة أصحاب الكهف

وأما قصة أصحاب الكهف وكذلك الكتاب الثالث من كتب الشيخ محمد بن عثمان فودي، وفيه سبعة وأربعون بيتاً من الشعر، وعمل تعليقات بين الأبيات. وهكذا مضى يحكى القصة كما أتت في القرآن حتى ختمها، وهذه بعض الأمثلة للأبيات الآتية<sup>١</sup>:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ هَاكَ مَسْأَلَةٌ تَرْوُحُهَا مُحْتَصِرَةً مُشْتَمِلَةً

فِي قِصَّةِ الْكَهْفِ عَلَى مَا قَالَ رَبِّ الْوَرَى فِي أَفْصَحِ الْمَقَالَةِ

إلى أن قال:

أَوَوَا إِلَى الْكَهْفِ مُحْذَرِينَ إِيْمَانَهُمْ مِنْ قَوْمٍ جَبَّارِينَ

إن قصة أصحاب الكهف فيها عظة وعبرة، وفيها أيضاً المحجة بالدين وإيثار عبادة الله تعالى عن عبادة غيره أما هذان الكتابان هبة الله الرفيق في بيان قصة يوسف الصديق عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف، فيعتبران من لونين من ألوان التفسير الموضوعي، وإن كان الأسلوب يختلف لأن صاحبه استخدم أسلوباً مستقلاً شعرياً بأسلوب التفسير الموضوعي لا نثراً كما عرف؛ لكن ومع ذلك يشتمل على التفسير الموضوعي في بابه.

## عاشراً: المفتاح التفسيري

وهو عبارة عن منظومة نظم فيها ألف بيت ما اشتمل عليه كتاب النقاية وكتاب الاتقان للسيوطي رحمه الله، وقد شرحها أيضاً الترمسي شارح ألفية السيوطي في الحديث، ولم أعثر بعدُ على شرح، وسمه عبد الله بن فودي مفتاح التفسير، ولعل الشيخ عبد الله بن فودي شعر أنه يحتاج إلى زيادة توضيح وبسط للكتاب الأول، فأضاف فيه أبواب كتاب الاتقان للسيوطي أيضاً في نحو ألف وخمسمائة بيت (٢٤٠)، وأشار إلى أنه أكملها في يوم السبت قبل الظهر بدون ذكر السنة، ولم يجعل له أبواباً وفصولاً، بل عمل له عناوين رئيسة في المباحث. وفي المقدمة أضاف المسائل التي تتعلق بأصول الدين من ذكر الإلهيات والنبوات، وتحدث أيضاً عن أهمية علوم القرآن والتفسير

<sup>١</sup> - انظر: محمد بن عثمان بن فودي، قصة أصحاب الكهف، وما زال مخطوطاً أيضاً في جامعة بايرو-كنو- نيجيريا.

وموضوعه، وعمل على جوانب الآيات شروحا كثيرة. وفي خاتمة الكتاب أضاف طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين، وحث فيه على اتباع السلف الصالح، وحذّر من اتباع البدع في التفسير.<sup>١</sup>

### حادي عشر: الفوائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة في علوم القرآن

هو منظومة في علوم القرآن، من نظم الشيخ عبد الله بن فودي بلغ عدد أبياتها (٣٩٨) بيتا من بحر الرجز في أربعين ورقة. وأصل هذا الكتاب مختصر من كتاب الفوائد الجميلة من الآيات الجليلة، وقد نظم فيها كتاب الفوائد الجميلة من الآيات الجليلة لابي علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي<sup>٢</sup> المطبوع بتحقيق الدكتور إدريس عزوزي. وقد طبعت بتحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد؛ فقد رتبّه في سبعة أبواب. أما الباب الأول تحدث فيما يتعلق بنزول القرآن، والثاني فيما يتعلق بقرآته، والثالث فيما يتعلق بخطه، والرابع فيما يتعلق بتعليمه، والخامس فيما يتعلق بأحوال حامله، والسادس فيما يتعلق بأحوال القرآن، والسابع الأخير فيما يتعلق بفضائله.<sup>٣</sup>

### اثنا عشر: سلالة المفتاح

هو منظومة فيها تلخيص لمفتاح التفسير من نظم الشيخ عبد الله بن فودي من الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي في (١٢٠٠) وبيت شعر. سماه "سلالة المفتاح" وعدد الصفحات (٣٩) صفحة من الورقة الكبيرة، وعليها تعليقات في جوانب الآيات. وقد رتب الشيخ عبد الله السلالة في تسع فصول، وأبواب وعنوان وكل فصل في بدايته، وذكر المباحث المتعلقة به في الأبواب. وفي فاتحة الكتاب والمقدمة فيها الحمد والثناء على الله وعلى رسوله ﷺ، وذكر الدواعي لنظم الإتيقان وتحدث عن معنى التفسير. وفي الفصل الأول يرجع إلى نزول القرآن وفي أبوابه المكي والمدني وضوابطه وغير ذلك. وفي الثاني يرجع إلى سند القرآن، وفي الثالث طريقة الأداء وذكر فيه القراءات السبعة ومن قرأ بها. والرابع يرجع إلى ألفاظ القرآن. والخامس يرجع إلى المعاني المتعلقة بالأحكام. وفي السادس فضائل القرآن. وفي السابع أفضله وفضله والخلاف في ذلك. الثامن إعراب القرآن.

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، تزين الورقات بجمع بعض مالي من الآيات، ج ١، ص ٣٨.

<sup>٢</sup> - هو حسن بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي (ت ٨٩٩هـ)، قيل أنه توفي في أواخر القرن التاسع الهجري، عمرضا كحالة، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المحظوظة والمفقودة وماطبع منها وحقق بعد وفاتهم وفيات ١٣١٠-١٤٢٤هـ ١٨٩٧-٢٠٠٣م، مكتبة الملك فهد الوطني ١٤٢٥هـ، ج ١، ص ١١٠، ج ٣، ص ٢٥٤.

<sup>٣</sup> - في السابق، الدكتور ثاني أياغي رسالة الماجستير، كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٤.



التاسع ما يتعلق بمصدر التفسير وشروطه. وقد انتهى كتابه في يوم الإثنين من ذي القعدة سنة (١٢١٠هـ).<sup>١</sup>

وهذا من الأشياء التي انفرد بها أهل المنطقة، من المنثور والمنظوم من تفسير القرآن، لو أننا نتحدث عن أشهر كتب التفسير التي يعتمد عليها أهل المنطقة ويتداولونها فيما بينهم، وهما تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي؛<sup>٢</sup> إن الشيخ عبد الله أحياناً يستخدم منظومة شعرية علمية بدون الاعتماد على أي كتاب، ومن أمثلة ذلك ما فعل في كتابه الحصن الرصين في علم التصريف، وفتح اللطيف الوافي لعلم العروض والقوافي، ومصباح الراوي، وهو ألفية الحديث. وأحياناً ينظم المنظومة لا لغرض تقريب علم من العلوم؛ ولكن لغرض ما من الأغراض الشعرية المعروفة، كالمدح، والثناء، والوصف، وغير ذلك. ومن أمثلة ذلك ما فعل في كتابه روض العاشق في مدح سيد العباد، وهي منظومة خمسة في مدح رسول الله ﷺ وموصوفة السودان، وهي منظومة أيضاً في مدح الشيخ عثمان، وذكر مناقبه، ومراحل جهاده، وأهم الأحداث التي جرت في حياته.<sup>٣</sup>

لقد بحث الباحث في شأن تفسير القرآن باللغة العربية، فلم يجد سوى هذه الكتب التي ذكرتها سابقاً، وهي أهم وأشهر كتب التفسير المكتوب باللغة العربية لأهل المنطقة؛ أما غير هذه كلها تدخل تحت ترجمة للقرآن وهي كثيرة جداً.<sup>٤</sup>

### الثالث عشر: كيفية تعامل التفسير وعلومه بالاخص بلغة المحلية

أما مجالس تفسير أهل بلاد الهوسا يرجع بعض المؤرخين بدايات هذا العمل إلى عهد أمير كنو على ياجي الذي حكم في الثالث الميلادي، وذلك عند نزول وفد قبيلة (ونْغراوى) هـ حيّ مدابو بقيادة الشيخ عبد الرحمن فقد وضعوا عصا الترحال في مدينة كنو عند لمسوا كرمًا أصيلاً عند

<sup>١</sup> - وقد وجدتُ نسخة من هذا الكتاب في متحف الوطني بمدينة كدونا تقع في (٤١) صفحة، وكذلك نسخة أخرى في مركز البحوث الإسلامية بجامعة بايرو-كنو-نيجيريا.

<sup>٢</sup> - محمد ثاني عمر موسى، التبصير لمجالس التفسير، دار الحكمة للكتاب الإسلامي، ط ١، (٤٣٣هـ—٢٠١٢)، الناشر مركز الإمام البخاري للأبحاث والترجمة - كنو-نيجيريا، سلسلة أبحاث لتلك المركز، ج ١، ص ٣١.

<sup>٣</sup> - الملاحظ أن جميع مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي، منهجه أو أسلوبه في التأليف هكذا إما أن يعتمد على كتاب معين أو لا يعتمد على أي كتاب.

<sup>٤</sup> - وقد بحثتُ كثير في الأماكن في نيجيريا لم جد فيما أعرفه والله أعلم

<sup>٥</sup> - اسم قبيلة التي سكنت في مدينة كنو حيث وصلوا إليها لأجل التجارة، وقيل هم الذين أدخلوا الإسلام إلى كنو، وإحدى التي دخل فيه الإسلام إلى نيجيريا على حسب الطرق والقوافل التجارية التي تمر بها.

قبائل الهوسا، وزارهم شوقاً إلى البقاء في هذه المنطقة ما رأوه من حبّ أهلها للإسلام ورغبتهم في تعلّمه؛ فقام زعيم هذه الجماعة بالدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه بين هذه القبيلة، واتخذ لدعوته إلى الله طريقة تفسير آيات من كتاب الله، وبخاصة ما يتعلق منها بالإيمان بالقضاء والقدر والإحاث الشريفة التي تبشر المؤمنين بالجنة<sup>١</sup>.

وفي عهد السلطان باواين محمد زُنْفَا (١٦٦٠-١٧٠٠)، وفد إلى كَنُو داعية إسلامية يدعى الشيخ عبد الله، ومنذ وصوله جعل شغلَه الشاغل تفسير القرآن يقوم، بذلك دبر صلاة الصبح في كل يوم، حتى استفحل أمرُه وتعاضم ذكره، وسمع به السلطان؛ فطلبه وأكرم وفادته، وأسكنه في قصره الملكي، فبوجوده في قصر السلطان اكتسب دور التفسير لونا آخر من الرّفعة والجلال، وحرك ذلك مشاعر المفسرين، فشمروا عن ساق الجدّ في البحث والتنقيب في معاني القرآن. وفي عهد محمد كنفارو (١٧٣١-١٧٤٢)، وُجد بعض المفسرين في حي مدابو من بينهم: الشيخ الطاهر، والشيخ بندو وغيرهما<sup>٢</sup>.

ولما قرر الشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله ترك الإخوان والأوطان، والرحلة إلى المدينة النبوية طلباً للرحمة والرضوان، وصل إلى مدينة كَنُو ستوقفه أهلها، وطلبوا منه الإقامة عندهم لتعليمهم أمور الدين؛ فاستقر فيها لفترة من الزمن وقرأ فيها على أهل كَنُو تفسير القرآن من أوله إلى آخره<sup>٣</sup>. وكذا الأمر في كانم برنو من منطقة شمال الشرق نيجيريا، في عهد السلطان إدريس الأول ثم إدريس الثالث الملقب ألوما (١٥٧٨-١٦٠٣م)، وعالما واعظا حتي أنه كتب تفسيراً كاملاً من أوله إلى آخره<sup>٤</sup>.

ومحمد الأمين الكانمي (ت ١٨٨١م)، وعارض ابن فودي في جهاده برسائل عديدة دوّنها محمد بللو ابنه في (إنفاق الميسور) قام بالدفاع عن برنو؛ حتى استردها من جيوش ابن فودي، فأصبح

<sup>١</sup> - انظر: إسماعيل بن إدريس، التفسير في كَنُو، أطروحة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة بايرو- كَنُو ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٨-١٩.

<sup>٢</sup> - في السابق، إسماعيل بن إدريس، التفسير في كَنُو، ج ١، ص ٣٩.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٢.

<sup>٤</sup> - سم التفسير (تفسير الشيخ إدريس لألوما) ولكن هذا التفسير مفقود ما زل البحث قائماً عليه.

بذلك عظيما على أرض برنو، وجعل سلطانا إلى أن توفي في تلك التاريخ المذكور أعلاه، وآلت إلى أولاده، وأحفاده دولة برنو كانم وهم يتلقبون بالشيخ حتى اليوم.<sup>١</sup>

ومن قبل السلطان دونغه بن هومي (١١٤٩-١١٥٤م)، وابنه دُونْغَه دِبلامي (١٢٢١ - ١٢٥٩م)، وغيرهم؛ فهؤلاء كلهم من العلماء الأجلاء، فأصبح العلم ميسرا وعاما وشائعا في متناول الجميع، وأصبح الناس في برنو بين عالم أو متعلم. وكانت العلوم والمعارف والفنون والثقافة الإسلامية بوجه عام موجودة ومتوفرة بمختلف أنواعها في هذه المدينة التي أصبحت قبلة الطلاب ومقصد العلماء؛ حتى وصفت بأنها أكبر مركز للعلوم والفنون والثقافة والحضارة الإسلامية في بلاد السودان. وتدفق علماء وفقهاء الدين الإسلامي القادمين من الشمال الأفريقي من مصر ودولة الخلافة العثمانية، وبيان الدور الذي قامت به هذه الدول في تسهيل وتيسير انتقال العلم والنور والمعرفة إلى المنطقة، وتدفقت الكتب العلمية والمراجع الإسلامية عليها بكثافة؛ مما أوجد حركة فكرية إسلامية واسعة النطاق في كامل المنطقة.<sup>٢</sup>

وكذا الأمر في منطقة جنوب غرب نيجيريا ما يعرف ببلاد يوربا<sup>٣</sup>، ولم يعرف من يستحق الذكر من علماء يوربا قبل تأسيس الدولة الإسلامية في الالورن؛ وإنما وجد في مختلف القرى والأحياء بعض أفراد من أهل الصلاح والتقوى والعبادة؛ ولكنهم ليسوا في المستوى العالي من الثقافة العربية الإسلامية ما يقربهم من مصاف الطبقة الراقية من علماء بلاد هوسا؛ ومنهم: والشيخ محمد السنسي السني عالم ربوة السنة، والشيخ محمد ينبؤ، والشيخ موسى البرنوري الأيجي. وبعد قيام الدولة الإسلامية في مدينة الالوري وجد العلماء الفلانيون والنوفايون وغيرهم أرضا جديدة خصبة صالحة لغرس آدابهم وعلومهم فيها؛ حتى وجد فيهم المفسرون، وهكذا استتب الأمر.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٦٤.

<sup>٢</sup> - في السابق، إبراهيم محمد الإسلام والحركة العلمية في إمبراطورية كانم برنو، ج ١، ص ١١٩.

<sup>٣</sup> - تقع بلاد يوربا جنوب نهر النيجر، وتمتد من حدود هذا النهر شمالا وشرقا وإلى المحيط الأطلسي جنوبا وحدود إلى الد هومي غربا، وإلى الآن لم يوجد من كتب تفسير القرآن باللغة العربية إلا جزء يسير بسيط كما نبهت إليها سابقاً؛ لكن الترجمة بلغة يوربا هذه موجود عندهم نسخة القرآن كاملا.

<sup>٤</sup> - في السابق، آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٦٧.

وأما كيفية تلقي تفسير القرآن ونشأته شبيهة كبقية مناطق نيجيريا، وقد فسروا تفسير القرآن بلغتهم بمعنى بلغة يوريا؛ لكن مكتوب بالحروف العربية ما يسمى (بعجم) <sup>١</sup> ثم بالحرف الإنجليزية، وليست باللغة العربية. ولم يكتب أحد من أهل يوريا تفسير القرآن باللغة العربية. إلا شيء يسير من التي ذكرتها سابقا. <sup>٢</sup>

أما بلاد إيبوم يعرف منه شيء إلا بعد نزول الإنجليز؛ إذ لم يكن بينها وبين القبائل الأخرى أية صلة تذكر وليس للإسلام فيها خبر يؤثر كما تقدم. ولما دخل الإنجليز إليها وجدوا بها أرضا خصبة لغرس النصرانية (الكاتوليكية)؛ ولكن هناك رجلا من قبائلها أسلم على يدي الشيخ إبراهيم أنياس السنغالي في (١٩٥٠)، وسماه باسمه <sup>٣</sup> واتصل بالهيئات الإسلامية والدول العربية ليساعده على نشر الإسلام في بلاده. وهناك ترجمة للقرآن بلغة إيبو بالحروف الإنجليزية هذا ما عنده وكل هذا وذاك عمل حسن، لما فيه من تحقيق قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ <sup>٤</sup> والتأسي برسول الله ﷺ، الذي كان جبريل يلقاه في أيام شهر رمضان بدارسة القرآن. <sup>٥</sup>

أما عن كيفية تعامل تفسير القرآن باللغة المحلية، فهذا يرجع إلى الأصل الذي أخذ عنه الإسلام. وعند ما دخل الإسلام إلى تلك المناطق شمال نيجيريا وجنوبها لم يختلف من ناحية إلى أخرى فكل منطقة من المناطق تبعوا منهجاً واحداً، من المنهج الذي تلقوا منه الإسلام وكيفية التعليم والعلوم عموماً وتعاملوا مع تفسير القرآن باللغة المحلية خصوصاً. أما المنهج العام فكان يخص الشيخ في بيته مكاناً واسعاً يلتقي فيه مع تلاميذه كل يوم لمدة نصف ساعة لكل تلميذ. ويجلس

---

<sup>١</sup> - سمي بالعجمي سواء كانت بلغة الفلانة أو الهوسا، أو البرنوية، وغيرها؛ فكانت مستخدمة قبل أصول الاستعمار المنطقة، وكان الأمراء والسلطين، في العلماء يستخدمونها في أمور المواصلات، والشئون الإدارية والرسائل وغيرها، ويكون في جميع قبائل نيجيريا، بل الأمر في جميع العالم الإسلامي قبل الإستعمار.

<sup>٢</sup> - في السابق، البينات في تفسير أحكام القرآن، والبرهان في تفسير القرآن، ص (٤٦)، و (٤٧).

<sup>٣</sup> - بمعنى باسم إبراهيم أنياس، وهو زعيم الصوفية في السنغال حيث توفي في أمريكا.

<sup>٤</sup> - في السابق، آدم عبد الله الآلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ج ١، ص ٧٠.

<sup>٤</sup> - يفسره باللغة المحلية بمعنى الفلاني، وهوسا، وبرنو، ويوريا، وكل يفسر بلغتها وهكذا في بقية القبائل النيجيرية.

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (١٨٥).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٧٠.

الشيخ على منبر مرتفع قدر شبر فيدخل كل تلميذ مع كتبه ليقرأ منها والشيخ يفسر له كل كلمة،<sup>١</sup> وهو يَسْتَمِعُ وَيَعِي فإذا سبقه شريك له انتظر دوره واستمع إلى درس زميله والتقط من دروسه فوائد يضيفها إلى دروسه الخاصة. ومن الشيوخ من يجلس للدرس من الصباح إلى الظهر ثم ينصرف إلى عمل آخر بكسب منه معيشته كالزراعة أو الحياكة أو الخياطة أو الكتابة (الوراقة) ومنهم من يستمر في التدريس حتى الغروب ولا يقوم إلا للصلاة والغذاء والضروريات الأخرى.<sup>٢</sup> فمثال ذلك: كتاب تعليم المتعلم<sup>٣</sup> من علماء القرن الخامس الهجري، وهو الأسلوب والمنهج المتبع في المعاهد والمدارس، والكتاب نفسه مقرر على التلاميذ يدرسونه في السنوات الأولى للتعليم، ليجعلوه قانونا ودستورا يعملون بإرشاداته وتوجيهاته. وأهم المواد المقررة من العلوم والفنون هي التوحيد الأشعري، والفقه المالكي، والقصائد الوعظية، ومتون اللغة، كمقامات الحريري، ومختار الشعر الجاهلي، وقواعد النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والقافية، والتجويد، والقرآن، والتفسير، والحديث، والأصول، والمنطق، والفلك.<sup>٤</sup>

أما الكتب المقررة فهي الكتب المشهورة قديما في بلاد العرب، وربما أضافوا إليها بعض الكتب الأخرى من مؤلفات علمائهم. وهناك كتب يستخدمونها كمادة؛ فمثلا العشرينيات،<sup>٥</sup> والوتريات،<sup>٦</sup> والشعراء الستة.<sup>٧</sup> ومن كتب الفقه متون: الأخضرية،<sup>٨</sup> والعشماوية،<sup>٩</sup> ورسالة ابن أبي زيد

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، يفسره باللغة المحلية؛ حيث يتناوله جميع قبائل نيجيريا.

<sup>٢</sup> - المرجع السابق، آدم الإلوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو، ج ١، ص ٥٤.

<sup>٣</sup> - برهان الإسلام الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعليم.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٥.

<sup>٥</sup> - العشرينيات: قصيدة في مدح النبي ﷺ نظمها أبو زيد عبد الرحمن (ت ٦٢٧هـ)، وسميت بذلك لكونها تشتمل على عشرين بيتا لكل حرف من حروف الهجاء، في السابق، عمر رضا معجم المؤلفين المعاصرين، ج ٥، ص ١٨٧.

<sup>٦</sup> - الوتريات، هي قصيدة الوترية في مدح خير البرية، نظمها الشاعر الكبير أبو بكر بن عبد الكريم الشافعي، (٨٥٨هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بدون ط و ت، ج ٢، ص ١٣٤.

<sup>٧</sup> - الشعراء الستة هم: امرؤ القيس، والنابعة الذبياني، وعنزة بن شداد، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، وعلقمة بن عبدة. وتوجد مجموعة أشعارهم في ديوان الشعراء الستة برواية يوسف بن سليمان الأعمى الشنتمري (ت ٤٧٦هـ).

<sup>٨</sup> - عبد الرحمن بن محمد الأخضر (ت ٩٥٣هـ) كتاب مختصر الأخضر في الفقه المالكي، المرجع نفسه، معجم المؤلفين، ج ٥، ص ١٨٥.

<sup>٩</sup> - هو كتاب في الفقه المالكي، ألفه عبد الباري العشماوي، (ت ١٠٨٦هـ)، الإعلام للزركشي: ج ٤، ص ١٨٢.

القيرواني،<sup>١</sup> وألفية العراقي،<sup>٢</sup> وصحيح البخاري،<sup>٣</sup> وتفسير الجلالين،<sup>٤</sup> وتفسير الصاوي.<sup>٥</sup> وهذه أهم الكتب المقررة التي يدرسونها، أهلية؛ بمعنى يؤخذ من المشائخ مباشرة ومشافهة في حلقاتهم العلمية وبيوتهم وأحيائهم. وكانوا يقتصرون على المتون دون الشرح، ولا يأخذون منها إلا الشواهد فقط، وكانت العادة أن يدرس التلميذ في المادة الواحدة أهم الكتب المشهورة فيها، وإذا استوعب الكتب المشهورة في أكثر الفنون اللازمة، مثل: النحو، والصرف، والفقه، والتفسير؛ استأذن الشيخ أن يستقل ويدرس، وربما بعثه الشيخ نفسه إلى جهة معينة وأجازه التدريس فيما علم، على أن يراجعها فيما لا يعلم وأن يستوضحه ما أشكل.<sup>٦</sup>

ويدرس هذه الفنون كلها باللغة المحلية، بمعنى أن الطالب يترجم له بلغته التي يفهم منه؛ فمثلا أهل هوسا بلغة هوسا، والفلاي بلغة الفلاة، والبرنو بلغة البرناوي؛ وهكذا كل يتلقى بلغته التي يفهمها، منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، وهو من الأسلوب المستخدم لأهل نيجيريا عموما، إضافة إلى الدراسة النظامية بمعنى المدارس الحديثة، من المعاهد الدينية والجامعات، وفيها يوجد جميع التخصصات العلمية الدينية، والثقافية والعربية كأنك في الدول العربية، وهذا أهم ما يجري في شأن كيفية تعامل تفسير القرآن باللغة المحلية. ومن هذا المنوال درسوا ودرّسوا وألفوا كثيرا من الكتب العلمية والدينية عامة وتفسير القرآن خاصة؛ منها التفسير الموضوعي والتحليلي، وترجمة القرآن؛ هناك ترجمة لتفسير القرآن، ترجمة بلغة الهوسا للشيخ أبي بكر محمود جومي، وترجمة القرآن

<sup>١</sup> - محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي زيد القراوي، رسالة من أشهر المتون في الفقه المالكي المتداولة في غرب إفريقيا، وعليها شروح كثيرة، المرجع نفسه، الأعلام للزركشي، ج ١، ص ٨٤١.

<sup>٢</sup> - عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت ٨٠٦هـ)، ألفية العراقي: متن متداول في علوم الحديث "التذكرة والبصرة" واشتهر بالألفية لكونه في ألف بيت، المرجع السابق، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم، ج ٥، ص ٢٠٤.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، جامع صحيح البخاري، ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين، (ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م) مؤسسة الرسالة، ج ١٢، ص ٣٩١.

<sup>٤</sup> - هو تفسير مختصر في جزئين في مجلد واحد، سمي بتفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

<sup>٥</sup> - عبد الكريم بن هوازن القشيري، الصاوي الخلوئي، أبو العباس العالم الفقيه المالكي (ت ١٢٠١هـ-١٨٢٥م)، في المدينة المنورة، حاشية الصاوي، المعروف بالتفسير الصاوي.

<sup>٦</sup> - في السابق، آدم عبد الله الالوري، الإسلام في نيجيريا الشيخ عثمان بن فوديو، ج ١، ص ٥٥.

بلغة الهوسا بمجموعة من العلماء بلغة الهوسا، وترجمة القرآن للشيخ الناصر كبر<sup>١</sup> أيضا ترجمة القرآن بلغة الفلاني، والبرنو، ويوربا، وإيو؛ منها ترجمة الاجزاء ومنها ترجمة القرآن الكامل. ما من جهة في المنطقة النيجيرية إلا ولها عالم ومفسر للقرآن أو مترجم للقرآن وقد ألفوا في تفسير القرآن ما بين مقتصرات؛ فمثلا: نزهة الاسير في قصة يوسف الصديق عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف، وتفسير سورة القدر كتبه محمد البخاري ابن للشيخ عثمان بن فودي، ورد الأذهان إلى معاني القرآن للشيخ أبي بكر محمود جومي ونيل السول من تفاسير السول وكفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن للشيخ عبد الله بن فودي، أما المطولات فمثلا: ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله ويقع في أربع مجلدات متوسطة. أما الباقيون كلهم في مجلد واحد أو في مجلدين وهذه كلها كتبت باللغة العربية ولا يفهم منها شيء إلا الدارس للغة العربية. أما المترجم فقد ترجم القرآن بلغة النيجيريين فمثلا: بلغة هوسا، ويوربا، وإيو، والبرنو، والفلاني والإنجليزي وغيرها من لغات نيجيريا؛ فإن عدد التفسير والترجمة ما بين خمس وثلاثين إلى أربعين، هذا للنيجيريين، فقد أجري البحث والتنقيب في المخطوطات التي خلفها العلماء الأجلاء، وقد فقدت الكثير منها.

#### المبحث الخامس: مصادر التفسير وأنواعه وألوانه وعلومه وإبداعاته من المنظومات

تعددت المصادر وكثرت اختلافاتها في القضايا الفقهية واللغوية التي تعرض ويرجع إليها للمفسرين في تفسيرهم عموما، وعلى المفسرين النيجيريين خصوصا. وسوف نأتي بكل منها بعد الرجوع إلى أصل الكتاب إذا كان موجودا لأثبت المسألة منه ما أمكن ذلك وحسب توفر ذلك المصدر، وأخص بالذكر الشيخين والباقي يكون ضمنا؛ إما يكون قد ارتضاها فتأتي بها كشاهد لإثبات مسألة من المسائل أو رأيا.

وإن قيمة كل كتاب ألف في فن ما يرجع إلى مصادره وأصالة تلك المصادر؛ ولذا اعتمد الشيخ أبو بكر محمود جومي في تأليفه للتفسير القرآن (رد الأذهان إلى معاني القرآن)، على أمهات

---

<sup>١</sup> - هو الشيخ العلامة ناصر كبرا زعيم فرقة القادرية في نيجيريا، وله مؤلفات كثيرة موجودة بين أيدي الناس، وهو أحد الشيوخ للشيخ أبي بكر محمود جومي.

كتب التفسير المعتمدة، وكتب الحديث ومصادره، والفقه وأصوله، وكتب اللغة وفروعها والسيرة وغيرها. أذكر بعضها فيما يأتي:

**أولاً: مصادر الشيخ أبو بكر محمود جومي التي اعتمد في تفسيره أهمها كالتالي:**

أ- مصادره من كتب التفسير بالرواية، والدراية أما الرواية كالتالي:

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري.<sup>١</sup>

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.<sup>٢</sup>

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.<sup>٣</sup>

٤- تفسير الجلالين.<sup>٤</sup>

٥- تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير.<sup>٥</sup>

---

<sup>١</sup> - هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبو جعفر المفسر على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وله تصانيف كثيرة، ولد سنة (٢٢٤ هـ)، و(ت ٣١٠ هـ)، ويقال عنه كل من جاء بعده أخذ منه، انظر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات المفسرين للسيوطي، ط ١، (١٣٩٦) ترجمته في طبقات المفسرين للسيوطي، ج ١، ص ٨٢.

<sup>٢</sup> - هو عبد الحق بن عبد الملك بن غالب بن عطية، أبو محمد الغرناطي، ولد سنة (٤٨٠ هـ)، (ت ٥٤١ هـ)، المرجع نفسه، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ترجمته، ج ١، ص ٥٠، وكذا محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي (ت ٩٤٥ هـ) طبقات المفسرين للداودي، دار الكتب العلمية - بيروت، ج ١، ص ٢٦٥.

<sup>٣</sup> - هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي الشيرازي، كان إماماً علامة عارفاً بالفقه والتفسير والعربية، زاهداً شافعيّاً (ت ٦٩١ هـ)، انظر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: (ت ٧٧١ هـ)، ط ٢، (١٤١٣ هـ)، في طبقات الشافعية للسبكي، ج ٨، ص ١٥٧، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٣٨.

<sup>٤</sup> - هما جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي (ت ٨٦٤ هـ)، وكمّله جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ).

<sup>٥</sup> - إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبو الفدا، شهاب الدين القرشي البصريّ الدمشقي الشافعي، كان مولده بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق سنة (٧٠١ هـ) كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، تفقّه على الشيخين برهان الدين، وكمال الدين بن قاضي، ثم صاهر أبا الحجاج المزني ولازمه، وأخذ عنه وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وقرأ الأصول على الأصفهاني، وأقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب (ت ٧٧٤ هـ)، صاحب التصنيف التفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية، المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٢.



- ٦- جامع الأحكام القرآن للقرطبي.<sup>١</sup>
  - ٧- في ظلال القرآن للسيد قطب.<sup>٢</sup>
  - ٨- الإتيان في علوم القرآن للسيوطي.
  - ٩- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.<sup>٣</sup>
- يكون ذلك ما نقله كلا من المفسرين من أمهات كتب الحديث بمعنى المصادر الأصلية يدخل أيضا في ذلك شروح الحديث وغيرها.

- ١- صحيح البخاري.
- ٢- صحيح مسلم.
- ٣- إرشاد القاري شرح صحيح البخاري للقسطلاني.<sup>٤</sup>
- ٤- سنن أبي داود.
- ٥- سنن الترمذي.
- ٦- المستدرک للحاكم.<sup>٥</sup>
- ٧- سنن النسائي.<sup>٦</sup>

١- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، مصنف التفسير المشهور، جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا في خمسة عشر مجلدا، سماه كتاب (جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن) وهو من أجل التفاسير. في السابق، طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ٦٩.

٢- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، ط ١٧، (١٤٢١ هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة.

٣- الشيخ سليمان بن عمر العجيلي المعروف بالجليل (ت ١٢٠٤هـ)، وسمى تفسيره بهذا الاسم بتفسير الجمل، وانظر قرة العين على تفسير الجلالين في مقدمة الكتاب، ص و-ز.

٤- هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، الإمام المحدث صاحب التصنيف وقد أخدم السنة، كتب المشهور بفتح الباري شرح لصحيح البخاري، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب، وغير ذلك.

٥- هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمد بن نعيم بن الحكم النيسابوري، أبو عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، الإمام المحدث الحافظ، المستدرک على الصحيحين، ط ١ (١٤١١ - ١٩٩٠)، دار الكتب العلمية - بيروت، ج ١، ص ٤٣.

٦- هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي الخرساني، أبو عبد الرحمن، وُلد سنة (٢١٥هـ) تقريباً، حيث حدد هو نفسه هذه السنة، لكنه حددها بالتقريب، قال: يُشبه أن يكون مولدي سنة (٢٢٥هـ) - الإمام المحدث الحافظ، صاحب التصنيف المشهور سنن النسائي، الإمام النسائي ممن أخذ عن الإمام البخاري على الصحيح، (ت ٢٤٠) وقيل (٢٣٨)، وإسحاق بن راهويه (ت ٢٨٣هـ)، وانظر دراسة منهجية لسنن النسائي وابن ماجه، تثبيت الموقع الإلكتروني، المكتبة الشاملة، ج ١، ص ١٠-١٨.

٨- سنن بن ماجه.<sup>١</sup>

٩- السنن الكبرى للبيهقي.<sup>٢</sup>

وهذه أهم مصادر كتب التفسير بالرواية، والدراية، وعلوم القرآن؛ أما كتب التفسير بالرواية منها، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، وتفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير؛ أما بالنسبة للدراية المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز لابن عطية، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، وجامع الأحكام القرآن للقرطبي، وأحكام القرآن، وتفسير الجلالين، والفتوحات الإلهية؛ أما بالنسبة لعلوم القرآن فهناك الإتقان في علوم القرآن؛ للسيوطي.

١- أهم المصادر التي اعتمد عليها؛ كتب الحديث وذلك يكون من أمهات كتب الحديث بمعنى المصادر الأصلية، من الصحاح، والمسانيد والسنن، والجامع الصحيح لمسلم، والجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري؛ أما المسانيد من أبرزهم مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ وأما السنن سنن أبي داود، وسنن النسائي، وابن ماجه، والترمذي، والمستدرک للحاكم وهكذا.

٢- مصادر كتب الفقه وأصوله، وذلك في تناول الفقه كمختصر الخليل وشروحه، ورسالة لأبي زيد القيرواني فيما يتعلق بالمسائل الفقهية، وأكثرها اعتمادا كان الكتاب الذي ذكرته؛ أما القواعد الفقهية والاصولية يأتي ضمنا في تفسيره ولا يتقيد بكتاب معين بل يعتمد على قوته العلمية.

٣- مصادر كتب السيرة والزهد فيما يتعلق بتهذيب السلوك، وسيرة ابن هشام "السيرة النبوية"<sup>٣</sup>، والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض<sup>٤</sup>، وبعض أسباب النزول الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

١- هو محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، أبو عبد الله، وما جة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، الإمام المحدث الحافظ صاحب السنن بن ماجه، سنن بن ماجه، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، ج ١، ص ٢.

٢- هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، صاحب السنن الكبرى للبيهقي، الإمام المحدث الحافظ، صاحب التصنيف، وانظر السنن الكبرى للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢، (١٤٢٤ هـ) - (٢٠٠٣ م).

٣- انظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعارفي (ت ٢١٨هـ).

٤- انظر القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (ت ٥٤٤هـ).

- ٤- مصادره كتب السيرة والزهد فيما يتعلق بتهذيب السلوك، وسيرة ابن هشام والشفاء للقاضي عياض، وبعض أسباب النزول الإتيان في علوم القرآن للسيوطي.
- ٥- مصادره في كتب اللغة وفروعها: أما بالنسبة شأن اللغة وفروعها فيما يبدو لي أن الشيخ أبو بكر جومي لم يتقيد بكتاب معين من كتب اللغة؛ لكن أحيانا يذكر الخلافات النحوية لدى في بعض علماء اللغة مثل سيويه وغيره إلا نادرا جدا.
- ٦- مصادره في كتب القراءات القرآنية؛ أما القراءات فيذكر القراءات ولا ينصب إلى قائله بل يكتفي به؛ بمعنى يقول ذلك في قوله قرئ للفاعل أو قرئ للمفعول أو لغتان، أو مصدر وغير ذلك، وهذه أهم المصادر التي اعتمد عليها الشيخ أبو بكر محمود جومي في تفسيره رد الأذهان إلى معاني القرآن.

#### ثانيا: مصادر الشيخ عبدالله بن فودي التي اعتمد عليها في تفسيره

كما تقدم في التمهيد اعتمد الشيخ عبد الله بن فودي في تأليفه لتفسير القرآن ضياء التأويل في معاني التنزيل على أمهات كتب التفسير المعتمدة، والمصنفات في علوم القرآن، وكتب الحديث ومصادره، والفقه وأصوله، وكتب اللغة وفروعها والسيرة وغيرها، كالتالي:

أ- مصادره من كتب التفسير بالرواية، والدراية، إما الرواية، فهي:

- ١- تفسير مجاهد بن جبر البربر موهم.<sup>١</sup>
- ٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري.
- ٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.
- ٤- تفسير ابن أبي حاتم لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم.<sup>٢</sup>
- ٥- معالم التنزيل للحسن بن مسعود الفراء البغوي.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - مجاهد بن جبر المكي، المفسر، أبو الحجاج، مولى السائب بن أبي السائب، كان أحد الإعلام الإثبات، ولد سنة (٢١١هـ) في خلافة عمر بن الخطاب، وكانت وفاته بمكة وهو ساجد، سنة (١٠٤ هـ) على الأشهر، وعمره (٨٣) سنة في السابق، محمد حسين الذهبي، التفسير المفسرون ج ١، ص ٧٩.

<sup>٢</sup> - هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، أبو محمد، الرازي ابن أبي حاتم: (ت ٣٢٧هـ)، صاحب التفسير المشهور تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وانظر تفسير العظيم لابن أبي حاتم، ط ٢، ١٤١٩هـ، مكتبة، مصطفى الباز مكة المكرمة، في المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٣.

<sup>٣</sup> - هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، محي السنة، أبو محمد كان إماماً في التفسير والحديث والفقه (ت ٤١٠هـ)، في السابق، بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٣٩.

٦- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لجار الله الزمخشري.<sup>١</sup>

٧- زاد المسير في علوم التفسير لابن الجوزي.<sup>٢</sup>

٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.<sup>٣</sup>

٩- تفسير القرآن العظيم لعماد الدين بن كثير.

١٠- الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

ب- مصادر الشيخ عبد الله من كتب التفسير بالدراية

١- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي.<sup>٤</sup>

٢- البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان.<sup>٥</sup>

٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر أبي

القاسم جار الله.

٤- مفاتيح الغيب لمحمد بن بن الحسين الرازي.<sup>٦</sup>

---

١- محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم (ت ٥٣٨ هـ)، المعتزلي، مفسر القرآن تفسيراً عظيماً لولا ما فيه من نزعات الاعتزال، وهو أشمل ما وصل إلينا من تفاسير المعتزلة، المرجع نفسه، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٢٧٧.

٢- هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، أبو الفرج، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق عليه السلام، ولد في بغداد سنة (٥٠٩ هـ)، وسمع من مشايخ كثيرين، وصنف مصنفات كثيرة (ت ٥٩٧ هـ)، في السابق، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ٢١، ص ٣٦٥-٣٨٤.

٣- هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلف الثعالبي الجزائري المالكي، كان إماماً مفسراً مصنفاً، ولد سنة (٧٨٦) و(ت ٨٧٥ هـ)، في السابق، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٣٠٠.

٤- هو القاضي أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المغافري الأندلسي الإشبيلي، الإمام المتبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، ولد سنة (٤٦٨) و(ت ٥٤٣ هـ)، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٣٤.

٥- هو أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الاندلسي، أبو عبد الله، بأبي حيان، ولد سنة (٦٥٤ هـ)، وكان مُلماً بالقراءات صحيحها وشاذها، قرأ القرآن على الخطيب عبد الحق بن عليّ إفراداً وجمعاً وتوفى بمصر سنة (٧٤٥ هـ)، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٢٦.

٦- هو محمد بن عمر بن الحسي بن الحسن ابن عليّ، التميمي، أبو عبد الله الطبري، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة (٥٤٤ هـ)، وكان فريداً عصره، جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً في التفسير، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة. وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الري، وعن الكمال السمعاني (ت ٦٠٦ هـ)، المرجع نفسه، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٠٧.

- ٥- أنوار التنزيل لعبد الله بن أحمد أبي البركات النسفي.<sup>١</sup>
- ٦- لباب التأويل لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن.<sup>٢</sup>
- ٧- غاية الأمان في علم الروحاني لعبد الكريم بن علي المغربي.<sup>٣</sup>
- ٨- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لذكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري.<sup>٤</sup>
- ٩- تفسير الجلالين.

ج- مصادره من كتب التفسير الإشاري الصوفي.

- ١- لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن القشيري.<sup>٥</sup>
- ٢- الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي الحاتمي الطائي.<sup>٦</sup>

١- هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أبو البركات، وكان إماماً في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه، بصيراً بكتاب الله تعالى، وهو صاحب التصانيف المفيدة المعتبرة، وتوفي سنة (٧٠١هـ)، ودفن ببلدة أيدج رحمه الله، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢١٦.

٢- هو علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد ابن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيعي، البغدادي، الشافعي، الصوفي، المعروف بالخازن، ولّد ببغداد سنة (٦٧٨هـ)، صاحب التفسير، صوفياً حسن السمات، كثير التودد للناس (ت ٧٤١هـ)، بمدينة حلب رحمة واسعة، في السابق، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٢٢١.

٣- هو عبد الكريم بن علي بن عبد الكريم الحسيني المغربي، ثم المصري فقيه شافعي (١١٣٨هـ)، من مؤلفاته غاية الأمان في علم الروحاني، انظر موقع إنترنت.

٤- هوز كريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، ولد سنة (٨٢٦هـ) فتح الرحمن كتاب مختصر يكشف عن المشكلات في الايات المتشابهات، وله شروح ومتخصرات في كل فن، ثم أن هذا التفسير قيل إنه أخذه من الرازي وزاد بعض الفوائد، ولم أعتز عليه في ما لدى من المراجع، انظر محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة - بيروت، ج ١، ص ٢٥٢.

٥- هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، القشيري، أبو القاسم، صوفي، مفسّر، فقيه، أصولي، محدث، واعظ أديب، ولد في سنة (٣٧٥هـ) و(٤٦٥هـ)، وهو تفسير كامل للقرآن ويقع في ثلاث مجلدات متوسطة، وهو تفسير مبني على الإشارات الصوفية من روحانيتهم الربانية كما يزعمون، وقد نقل كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَجَاءً مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ سورة آل عمران الآية (١٩٠)، في السابق، عبد الله بن فودي، **ضياء التأويل في معاني التنزيل**، ج ١، ص ١٥٩.

٦- هو كتاب يعبر عن التصوف على طريقة الاتحاديين والحلوليين، وفيه كلام غامض على اصطلاحاتهم، وهو كتاب مطبوع متداول في أيدي الناس، في السابق، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ١٨، ٦- تقدم ترجمة السيوطي في السابق؛ إلا أن الشيخ لم يعتمد عليه كثيراً على الإتقان، أنه اعتمد على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي.

د-مصادره من كتب علوم القرآن الكريم.

١- الإتيان في علوم القرآن لعبد الله بن أبي بكر السيوطي.

٢- التحبير في علم التفسير لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.<sup>١</sup>

ه-مصادره من كتب الحديث وشروحه.

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٢- الجامع الصحيح من حديث رسول الله وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري.

٣- الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيري.

٤- الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

٥- صحيح ابن خزيمة لمحمد بن إسحاق أبي بكر.

٦- سنن الإمام أبي داود السجستاني لسليمان بن الأشعث.

٧- سنن الإمام النسائي لأحمد بن شعيب النسائي.

٨- مسند الإمام أبي داود الطيالسي لسليمان بن داود بن الجارود.

٩- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد أبي القاسم.

١٠- المستدرک على الصحيحين في الحديث لمحمد بن عبد الله الحاكم.

١١- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة.

١٢- المسند المنتخب.

١٣- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد القسطلاني.

١٤- شرح موطأ مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.

١٥- المواهب اللدنية لأحمد بن محمد القسطلاني.

اعتمد الشيخ عبد الله بن فودي في تفسيره الجانب الأثري على كتب الحديث من الصحيحين، والسنن الأربعة؛ ولكن نقل. عن البخاري ومسلم كثيرا جدا، وعن السنن الأربعة أيضا، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وداود الطيالسي

<sup>٦</sup> - تقدم ترجمة السيوطي في السابق؛ كتاب التحبير في علوم القرآن وهو مطبوع ومحقق، ص ٢٢٧-٢٣٢. في السابق،

ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٢٦٦.

<sup>١</sup> - تقدم ترجمة السيوطي في السابق، كتاب التحبير في علوم القرآن وهو مطبوع ومحقق.

والمنصف لأبن أبي شيبة. أما المستدرک للحاکم والمعجم للطبرانی فينقل عنهما كثيراً، وقد اعتمد أيضاً في شرح البخاري على إرشاد الساري، ولم يعتمد على شرح موطأ للزرقاني مع أن موطأ مالك من أقدم كتب الحديث، وإن كان الإمام مالك أدمج فيه آراءه الفقهية المبنية على المدينة. و- مصادره في كتب اللغة وفروعها على النحو الآتي:

- ١- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي.<sup>١</sup>
  - ٢- الخلاصة الالفية في علم العربية لجمال الدين محمد عبد الله بن مالك.<sup>٢</sup>
  - ٣- النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك بن محمد الجزري بن الأثير.
  - ٤- الكافية لابن الحاجب.<sup>٣</sup> وقد تناول هذه الكتب الكافية والقاموس المحيط، فيما يتعلق بالمسائل النحوية، وهناك كتب مختصرات، ومثال: ذلك شرح معاني المفردات، والإجرومية وشرح الكفراوي، ومقامات الحريري، وغير ذلك.
- ز- مصادره من كتب القراءات السبعة:

- ١- الشاطبية المعروف بحرز الأماني ووجه التهاني للقاسم بن فيرة أحمد الشاطبي.<sup>٤</sup>
- ويعتمد على كتاب حرز الأماني ووجه التهاني المسمى بالشاطبية لأبي القاسم بن فيره كما تقدم من مصادر التي اعتمد في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل.
- ط- مصادره في كتب الفقه وأصوله:

---

<sup>١</sup> - هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيبازي الفيروز آبادي، القاضي مجد الدين، إمام في اللغة، مهر في اللغة، واشتهرت فضائله وكتب الناس تصانيف، وله من المصنفات القاموس المحيط، الذي اختصر فيه الصحاح، (ت ٨١٧هـ)، وانظر الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، طبقات الشافعية ج ٤، ص ٦٣-٦٦.

<sup>٢</sup> - هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي، إمام العربية المشهور، وكان إماماً في القراءات وعلمه وله فيها قصيدة في مقدار الشاطبية (ت ٦٧٢هـ)، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٣٩.

<sup>٣</sup> - هو جمال الدين عثمان بن عمر فقيه مالكي، ونحوي بارع، ولد بمصر، وسكن دمشق، وله الكافية في النحو، والشافعية في الصرف، وكتب أخرى في الفقه والعروض (ت ٦٤٦هـ).

<sup>٤</sup> - هو أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الأندلسي، ولد في آخر سنة (٥٣٨هـ)، و(ت ٥٩٠هـ)، ودفن بمقبرة القاضي الفاضل بالقرافة الصغرى بسفح جبل المقطم بالقاهرة، وقبره معروف يقصد حتى الآن للزيارة، انظر عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (١٤٠٣هـ)، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادى للتوزيع، ط ٤، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، ج ١، ص ٤.

١ - القوانين الفقهية لمحمد بن أحمد بن جزي.<sup>١</sup>

٢ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام لعبد العزيز بن عبد السلام.<sup>٢</sup>

وأما الفقه وأصوله، والقوانين الفقهية، والمختصر وشروحه، والرسالة؛ فقد اعتمد على هذه الكتب فيما يتعلق بالمسائل الفقهية، وأكثرها اعتماداً كتاب القوانين الفقهية لابن جزي، وأحياناً ينقل عنه نصاً، وأما المختصر؛ وشروحه، فقد نصّ في بعض الأماكن من كتابه (ضياء التأويل) على ذلك؛ فيقول مثلاً: قال عبد الباقي شارح المختصر؛ وأما الرسالة فلم أجد نصاً من كتابه على أنه ينقل منها لكن من خلال تخريجي للمسائل الفقهية ظهر لي أن بعض المسائل نقلت منها. ك-مصادره في كتب الرقائق والسيرة والزهد:

١ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

٢ - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.<sup>٣</sup>

٣ - التنوير في إسقاط التدبير في التصوف لابن عطاء.<sup>٤</sup>

٤ - الشفاء للقاضي عياض.<sup>٥</sup>

٥ - سيرة ابن هشام.<sup>٦</sup>

فيما يتعلق بتهذيب السلوك، وسيرة ابن هشام، والشفاء للقاضي عياض، والمغازي والسيرة، وبعض أسباب النزول، وإحياء علوم الدين.

---

١ - هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه أصولي، لغوي، مفسر، صاحب التسهيل، وله مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة استشهد سنة (٧٤١هـ)، في السابق، طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ٨٥.

٢ - هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو القاسم السلمي، ولد سنة (٥٧٧هـ) وقيل (٥٧٨هـ)، و(ت ٦٦٠هـ)، انظر محمد بن إدريس الشافعي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢٠٩-٢٥٥.

٣ - هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الشافعي الغزالي، أبو حامد، (ت ٥٠٥هـ)، في السابق، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٢٢.

٤ - هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن عطاء الله الإسكندري، وكان معاصراً لابن تيمية شيخ الإسلام، (ت ٧٠٩هـ) ودفن بمقبرة المقطم بسفح الجبل.

٥ - هو شيخ الإسلام، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، وجمع وألف، واشتهر في الآفاق (ت ٥٤٤هـ)، المرجع نفسه، ج ٢٠، ص ٢١٢.

٦ - هو عبد الملك بن هشام الحميري، أبو محمد، كان إماماً في النحو واللغة العربية، رجل السيرة الذي انتهت إليه سيرة ابن إسحاق وغلب اسمه عليها فعرفت به، (ت ٢١٨هـ)، انظر مقدمة سيرة ابن هشام ج ١، ص ١٧-١٨.



أما الإتقان، فنقل عنه ما يتعلق بعلوم القرآن، وأما الإحياء للغزالي، فنقل منه ما يتعلق بتهذيب السلوك، وأحيانا ينقل عنه بواسطة من تفسير الثعالبي، وكان نقله عنه قليلا جداً؛ وأما سيرة ابن هشام، والشفاء للقاضي عياض، فقد اعتمد عليهما فيما يتعلق بالمغازي والسير، وبعض أسباب النزول؛ وأما الكافيه والخلاصة، والقاموس المحيط، فقد اعتمد المؤلف على الأولين فيما يتعلق بالمسائل النحوية، كما اعتمد على الأخير في شرح معاني المفردات.<sup>١</sup>

### تقويم مؤلفاته في علوم القرآن وبيان قيمتها

لا نقدر على تقويم مؤلفات صدرت بالنظم الشعري إلا من خلال النظر إلى الأسلوب المستخدم في تلك المؤلفات، وبيان مدى شاعرية المؤلف الذي نظمها، ثم بعد ذلك نعرض المادة العلمية التي احتوتها تلك المؤلفات لنرى قيمتها ومدى استيعابها لموضوعات الفن الذي ألف فيها. وعليه فيمكن القول إنه من الممكن تقويم مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي في علوم القرآن من خلال النقاط الآتية:

١- الأسلوب المستخدم في تلك المؤلفات.

٢- مدى شاعرية المؤلف.

٣- المادة العلمية التي احتوتها تلك المؤلفات.

أما من حيث الأسلوب؛ فقد استخدم المؤلف في مؤلفاته لعلوم القرآن أسلوباً سهلاً، يفهمه الطالب المبتدئ، ويفقهه العالم المنتهي؛ فلم يستخدم في المنظومات كلها الألفاظ الغريبة الصعبة، ولا الجمل ذات الأحاجي والألغاز التي لا يستطيع حلها إلا أصحاب القرينة الوقادة، وبعد جهد جهيد، كما أنه لم يأت بما يحير العقول والفهوم. وهذا لا يعني أنه استخدم أسلوباً ضعيفاً متدنياً، ضئيل المستوى؛ كلا، لم يقع هذا ولا ذاك؛ ولكن أسلوبه سلس عذب في غاية الرونق والجمال، وزينته بالمحسنات اللفظية والمعنوية، والديباجة الفنية؛ لذا يتمتع-بقراءته الأبيات الواردة في المنظومات- كل من له ذوق سليم.

وأما شاعرية المؤلف فقد وهبه الله المقدرة على تطويع اللسان العربي في قرض الأشعار كأنه عربي الأصل والمحتد؛ فالمؤلف من الشخصيات التي لا تبارى في الشعر؛ لأنه حتى النقاد من أهل الصناعة الشعرية، شهدوا له بالبراعة في ذلك، وقد ظهرت تلك الشاعرية في مؤلفاته في علوم

<sup>١</sup> - مقتطفات في أماكن متخلفة من تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

القرآن أيضا. فمن حيث المبنى راعى المؤلف فيها القواعد النحوية، ولا تكاد تجد فيها خللا شعريا، أو بيتا معوجا، أو رويًا مخالفا، أو قافية متروكة؛ أما من حيث المعنى فقد سار المؤلف فيها على نظام بديع يحمل من المعاني أحسنها وأجودها لذا ترى آياته على قدر كبير من البلاغة والفصاحة والبيان؛ لكأن المعنى والمبنى متساويان في جميع القصائد، فلا يطغى المعنى على المبنى ولا العكس. وأما المادة العلمية التي تضمنتها مؤلفات الشيخ في علوم القرآن، فقد سبق أن مؤلفاته نظم لما في بعض كتب علوم القرآن، وهي الإتيان في علوم القرآن، والنقاية في علوم القرآن، والفوائد الجميلة في علوم القرآن. ومن خلال البحث يظهر جليا أن المؤلف قد بذل مجهودا كبيرا في استخلاص ما تضمنته تلك الكتب من العلوم، إلا أنه استخدم أسلوب الإيجاز، فلم يورد في منظوماته جميع ما ورد في تلك المؤلفات من المعارف، بل اقتصر على ما يراه مناسبا لطلابه آنذاك. ولنضرب مثلا بكيفيات الوحي إلى النبي ﷺ، يقول المؤلف رحمه الله في منظومته<sup>١</sup> (الفرائد الجلية):

علمه	بفضله	جبريل	ثم	أتى	وعلم	الرسولا
يأتيه	تارة	كصوت	الجرس	وتارة	كصورة	المدرس
وتارة	ينفثه	في	روعه	وتارة	يأتيه	في هجوعه

فالوحي له كيفيات خمسة: الأولى أن يأتي جبريل النبي ﷺ في مثل صلصلة الجرس، وهي صوت متدارك يسمعه ولا يتثبت أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد؛ والثانية: أن ينث في روعه نفثا؛ والثالثة: أن يأتيه في صورة الرجل يكلمه؛ والرابعة: أن يأتيه الملك في النوم؛ والخامسة: أن يكلمه الله إما يقظة كما في ليلة الأسراء أو في المنام. والملاحظ أن المؤلف لم يذكر في الآيات هذه الحالة الخامسة، اختصارا منه.

وأما الحديث عن قيمة مؤلفات الشيخ في علوم القرآن فهي كالحديث عن مؤلفاته في التفسير؛ فقيمتها ترجع إلى قيمة المؤلف، وطول باعه، ووفرة قدره ومكانته في القدرة على التأليف. وكما تلقت الأمة مؤلفاته في التفسير بالقبول، فقد تلقت مؤلفاته في علوم القرآن باهتمام بالغ. ولم تكن قيمة مؤلفاته منحصرة في نيجيريا اليوم فقط، بل شملت جميع أقطار غرب إفريقيا والدول

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، الفرائد الجلية، ج ١، ص ٥٦ - ٥٧ .

المجاورة لها، وامتدت إلى سائر أنحاء إفريقيا والعالم بأكمله. وبما أننا اليوم في عصر انفجار المعلومات فكل عشاق العلم والمعرفة من جميع أنحاء العالم يحرصون غاية الحرص في قراءة مؤلفات هذا العالم، كي يستقوا من معينه الصافي، وينهلوا من معلوماته القيمة.

فمن هذه الأسطر السابقة ويمكن القول بأن الشيخ عبد الله بن فودي قد أغنانا بمؤلفاته الرائعة في التفسير وعلومه عن كثير من مؤلفات العلماء السابقين، وإمكاننا أن نستغني بما قدّم لنا عن غيرها، فنستخدمها في مناهجنا الدراسية، ومجالسنا التعليمية، من مساجدنا وحلقاتنا العلمية، ونحاول التطبيق العملي لما قدّمه لنا هو وأمثاله من تراث علمي رائع.

هذه أهم المصادر التي اعتمد عليها في التفسير، وله مصادر أخرى، واستخرجت هذه من خلال المعلومات الواردة في تفسيره ضياء التأويل على سبيل الأجمال، إما تلويحاً أو تلميحاً، وهي على التفصيل وحسب استفادته، وهذا يرجع إلى كتب التفسير المداولة والمدونة وله مصادر أخرى غيرها، واستخرجت هذه من خلال المعلومات الواردة في تفسيره وخاصة (ضياء التأويل في معاني التنزيل) على سبيل الإجمال؛ إمّا تلويحاً أو تلميحاً، فهو أصل الكتاب. فكلّ مادته كانت مستفادة منه المؤلّف، وهي على التفصيل وحسب الاستفادة<sup>١</sup>.

أما تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين؛ فقد اعتمد عليهما أكثر من غيرها، وأحياناً ينقل المادة العلمية منهما نقلاً حرفياً، فينبّه على ذلك تارة، وتارة أخرى لا ينبّه، ويأتي بعدهما تفسير الثعالبي، والخازن، وأحكام القرآن لابن العربي، وابن عطية. ويبدو أن هذا الأخير ينقل عنه بواسطة تفسير الثعالبي، وأما أحكام القرآن فقد نقل عنه كثيراً مما يتعلق بالأحكام الفقهية وغير ذلك؛ وأما تفسير الخازن والنسفي فقد اعتمد عليهما أيضاً، وأغلب الظن أنّ ما ورد في كتابه ممّا يتعلّق بالإسرائيليات كان منهما، وخاصة فيما يتعلّق بقصص الأنبياء؛ وأما تفسير الثعالبي فقد نقل عنه أشياء كثيرة، منها ما يتعلّق بالعقيدة، ومنها ما يتعلّق باللغة، وغيرها، ويبدو أنّ تفسير البغوي ينقل عنه بواسطة تفسير الخازن، ثمّ يأتي بعد ذلك: غاية الأمانى، وتفسير القسطلاني، وتفسير الرازي، وتفسير ابن الجوزي. وكان يعتمد على غاية الأمانى كثيراً أيضاً، وهو مخطوط وُقِّت في الحصول عليه من مكتبة المسجد النبوي الشريف، وكان كلما نقل عنه يقول قال في غاية الأمانى، وأما الرازي وابن الجوزي، فقد استفاد منهما أيضاً، لكن لم تكن استفادته منهما كاستفادته من غيرها ممّا سلف؛

<sup>١</sup> - مقتطفات في أماكن المتخلفة من تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

وأما تفسير الطبري فقد اعتمد عليه من الناحية الحديثية والروايات، كما استفاد من تفسير الزمخشري من الناحية اللغوية والبلاغية.<sup>١</sup>

وأما الحديث صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، والمستدرک للحاكم؛ فأغلب الاحاديث الواردة في الكتاب كانت منها، ينصّ على ذلك الشيخ أحيانا، يقول مثلاً: كما في الصحيحين، وفي البخاري، أو صحيح مسلم، أو أخرجه الترمذي، أو غير ذلك، ويستعين بشرح القسطلاني لصحيح البخاري في توضيح وبيان تفسير بعض الآيات الواردة في الكتاب.<sup>٢</sup>

وأما القوانين الفقهيّة، والمختصر وشروحه، والرسالة؛ فقد اعتمد على هذه الكتب فيما يتعلق بالمسائل الفقهيّة، وأكثرها اعتماداً كتاب القوانين الفقهيّة لابن جزى، وأحيانا ينقل عنه نصاً، وأما المختصر وشروحه، فقد نصّ في بعض الأماكن من كتابه (ضياء التأويل) على ذلك؛ فيقول مثلاً قال عبد الباقي شارح المختصر؛ وأما الرسالة فلم أجد نصاً من كتابه على أنه ينقل منها لكن من خلال اطلاعي للمسائل الفقهيّة ظهر لي أن بعض المسائل نقلت منها؛ والله أعلم.<sup>٣</sup>

### ثالثاً: أنواع التفسير وألوانه وعلومه

لو فرضنا بأن نتحدث عن أنواع التفسير وعلومه وألوانه في نيجيريا؛ فإننا نجد مدى استخدامهم لجميع طرق تفسير القرآن، من أنواعه وألوانه ما بين المطولات، والمقتصرات، والتحليلي والموضوعي والنثر والنظم، وترجمته إلى اللغات الرئيسية فيها، وهو أمر جلي للناظر والطالع لكتب تفاسير النيجيريين، ومصادره بالكثرة. وهناك أشخاص من المفسرين لم يوفقهم الله إلى تأليف تفسير كلام الله تعالى لكن برعوا، وجاهدوا واجتهدوا في بيان كتاب الله، زمننا طويلاً قديماً وحديثاً، فمنهم من قدّم تفسير القرآن في حوالي عشرين سنة وبعضهم خمسين سنة، ومنهم ثلاثون سنة وهكذا. وجد في جميع جهات نيجيريا شمالها وجنوبها، وشمال شرقها، وجنوب شرقها من الذين

<sup>١</sup> - مقتطفات في الأماكن المتخلفة في تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

يتحقق ذكركم في هذا المجال كالتالي:

- ١- الشيخ العالم العلامة محمد أبه أجي أبوناصر رحمه الله.<sup>١</sup>
- ٢- الشيخ العالم المفسر جعفر محمود آدم أبو سالم رحمه الله.<sup>٢</sup>
- ٣- الشيخ العالم المحدث محمد ثاني عمر ريجا زاكي.<sup>٣</sup>
- ٤- الشيخ العالم المؤرخ آدم عبد الله الالوري والشيخ حبيب الله ابن الشيخ آدم الالوري.<sup>٤</sup>

١- هو محمد أول بن أبه أجي بن إدريس الكانوري البرناوي ولد في مدينة ميدغري عاصمة ولاية برنو بحج هو ساري سنة (١٩٤٠م)، بدأ حياته العلمية في الخامس من عمره حيث والده مدرّساً يعلم القرآن في البيت، وأخذ مبادي العلوم عند الشيخه الشيخ مصطفى مي جلالين في عام (١٩٦٦م)، والتحق بكلية المعلمين لتدريس المدرسين بولاية صكتو درس فيها ثلاث سنوات، ولما تخرج وعاد إلى ولايته وعُيّن موظفاً في وزارة التعليم في عام (١٩٧٢م)، والتحق بجامعة ميدغري وحصل على شهادة دبلوم (١٩٨٧م)، وقدم إلى مرحلة الماجستير لكن لم يوفقه الله بإكماله، إلى أن توفاه الله، وقدم الكثير في تدريس القرآن وتفسيره مضي عليه (٥٠) سنة، في شأن تفسير القرآن بلغة الكانوري والهوسا والندرا وهي لغة الام، وهو شيخه، وتوفي الشيخ محمد أبه أجي مكة المكرمة بعد أداء فريضة الحج، وصلي عليه في المسجد الحرام ودفن في مقبرة جانب الحرم مكة المكرمة وذلك في عام (٢٠٠٩م)، وانظر مجلة طه الإصدار الأول (١٤٢٩هـ) - الموافق (٢٠٠٨م) ص ١٠، وانظر مقالة بعنوان ملامح من حياة الشيخ أبه أجي الدعوية كتبه بعض طلاب العلم بإشراف الشيخ إبراهيم مصطفى المالك، ص ٤-٥، تجده في الموقع الإنترنيت.

٢- الشيخ القاري الحافظ المفسر جعفر بن محمود بن د آدم أبو سالم من أصل منطقة (دورّه) محافظة تابعة في ولاية كشنا- نيجيريا ولد في يوم ١٢ من شهر فبراير سنة (١٩٦٠م)، نشأ في بيت شرف وعلم نبغ فيه عظماء الرجال، وكان والده من أسرة تتهتم بالعلم الشرعي وحفظ القرآن، عند جده آدم كان شيخاً كبيراً ومدرّساً للفقهاء واللغة وغيرها، وشارك بالمسابقات القرآنية الدولية، والتحق بجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، وتوفي يوم الجمعة ١٣ من شهر أبريل عام (٢٠٠٧م)، حيث أطلق عليه النار من قبل أشخاص مجهولين، وهو يصلي في مسجده حي دورّي في مدينة كنو، انظر منصور عيسى بللو جهود الشيخ جعفر محمود آدم في العناية بالقرآن الكريم وتلاوة وتجويداً وتفسيراً وتعليمياً ودعوة، مقالة لطالب في مرحلة الماجستير في القانون المقارن كلية أحمد إبراهيم للقانون الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا ص ٤ موقع نترنيت.

٣- هو محمد الثاني عمر ريجا لليمو، ولد في مدينة كنو نيجيريا وترعرع فيها، قبل أن ينتقل إلى المدينة المنورة للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ حيث ترقى في مراحل دراسته حتى حصل على الدكتوراه ثم عاد إلى نيجيريا لينشر العلم من خلال مركز الإمام البخاري للدراسات، وهو داعية ومفسر للقرآن وخليفة للشيخ المجاهد الشهيد جعفر محمود آدم، وحلّ محله في أنشطة الدعوة، انظر حوار مع محمد الثاني عمر في حوار الحصري لموقع الصوفية، تاريخ الإضافة الإثنين ١٢، جماد الآخرة، ١٤٣٢هـ موقع إنترنيت.

٤- الشيخ آدم عبدالله الالوري الكاتب المشهور مضي خمسين سنة في مجال الدعوة والإرشاد، وقد زرت مركزه في حي أغني أغني ولاية لاغوس جنوب شرق نيجيريا، وخلفه ابنه في المركز صاحب التأليف وقد ألف كثير من الكتب المختصرات؛ ولكن

٥- الشيخ أبو بكر غريه نيبا.<sup>١</sup>

٦- الشيخ ناصر كبر.<sup>٢</sup>

٧- الشيخ طاهر عثمان بوشي.<sup>٣</sup>

وهناك خلق كثير في هذا الشأن ومنهم من توفي ومنهم من لا يزال على قيد الحياة، وكل أدلى بدلو، لولا الإطالة لأوردت أكثر من خمسين (٥٠) مفسراً في المنطقة، من الذين خدموا كتاب الله تعالى، واستخدموا أنواع التفسير وألوانه وعلومه بكل معنى. ما من مفسر إلا استخدم أنواع تفسير القرآن، سواء في مجال التفسير الموضوعي أو التحليلي، وجانب تفسير القرآن بالقرآن بمعنى يفسر القرآن بآية أخرى لها علاقة في فهم الآية واستنباطاتها، ثم تفسير القرآن بالسنة بمعنى يفسر القرآن بالسنة النبوية الشريفة وآثار السلف الصالح من التابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم، ثم تفسير القرآن بالرأي المحمود في استنباط واستخراج من نص صحيح الصريح من القرآن والسنة وآثار السلف، ثم اعتمدوا على المصادر التي ذكرنا سالفاً، واجتهدوا في استخراج بعض الفوائد التربوية والإصلاحية.

---

لم يوفقه الله بتأليف التفسير، وعند ما سألت ابنه عن ذلك تجنب ذلك توضع واحترماً لكتاب الله، وتوفي الشيخ (١٩٩٣م)، الأديب المؤرخ، ومدير مركز التعليم العربي بلاغوس.

١- الشيخ الداعية المفسر وقارئ للقرآن، وقد قابلته شخصياً في سنة (٢٠١٤م)؛ حيث قال لي أن له خمسين سنة في مجال تدريس القرآن وتفسيره، وقد حفظ مصحفاً كاملاً للقرآن الكريم، وتوفي يوم ٩ من شهر يناير سنة (٢٠١٤م).

٢- هو محمد الناصر بن محمد المختار بن محمد ناصر الدين بن الشيخ محمد والدته جده ما لم كبر، ولد الكبرى يوم الخميس في شهر شوال عام (١٣٣٣هـ). الموافق (١٩١٢م)، وهو زعيم فرقة القادرية في نيجيريا بل في إفريقيا، عالم متفنن في العلوم الإسلامية من التفسير والتوحيد والفقه والحديث والتصوف والتاريخ والسيرة والتراجم وعلوم اللغة العربية، صاحب التصنيف، وهو شيخ للشيخ أبو بكر جومي، وتخرج على أيده خلق كثير من المشائخ، وتوفي يوم الجمعة ٢١ من جمادى الأولى سنة (١٤١٦هـ). الموافق (١٩٩٦م)، عن عمر (٨٢) ودفن يوم السبت في مدينة كنو، وخلفه ابنه الشيخ كريب الله بن ناصر كبر، انظر الموقع الإلكتروني الموسوعة الحرة (١٣ أكتوبر ٢٠١٣م).

٣- هو الشيخ طاهر بن عثمان بوشي زعيم فرقة التجانية الصوفية وداعيتها وناظر من العمر (٨٣) ما زال على قيد الحياة، وتخرج على يده خلق كثير من طلاب العلم، وعالم ومتفنن في علوم الشريعة من التفسير والحديث والفقه والتوحيد، ويلقي درسه تفسير القرآن في رمضان سنوياً في ولاية كدونا-نيجيريا.

## الفصل الثاني: التعريف بالمفسرين وتفسيريهما والبيئة التي أثرت فيها

المبحث الأول: التعريف بمفسر رد الاذهان وترجمة شخصيته

المبحث الثاني: التعريف بتفسير رد الاذهان إلى معاني القرآن

المبحث الثالث: التعريف بمفسر ضياء التأويل وترجمة شخصيته

المبحث الرابع: التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل

المبحث الخامس: معرفة البيئة التي أثرت فيهما وجهودهما المتميزة من المراكز العلمية والأهلية في التعامل بالتفسير.

### تمهيد

في الفصل الثاني تمهيد بيان تعريف عن المفسرين في تفسيريهما والبيئة التي أثرت فيهما. وفي المبحث الأول أتناول فيه بيان عن التعريف بتفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن لأبي بكر محمود جومي وفي المبحث الثاني أتناول فيه معرفة مفسره من ترجمته وشخصيته، وفي المبحث الثالث يأتي ذكر عن التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن فودي، وفي المبحث الرابع معرفة مفسره من ترجمته وشخصيته، وفي المبحث الخامس أردف القول في معرفة البيئة التي أثرت فيها.

### المبحث الأول: التعريف بمفسر رد الأذهان وترجمة شخصيته

وأما هذا المبحث فيكون الحديث فيه عن ترجمة المؤلف وشخصيته من اسمه، ومولده، ونشأته، العلمية، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤهلاته العلمية، وثناء العلماء عليه، ومذهبه، وعقيدته، ثم وفاته.

وقد قدم الشيخ جومي في تلك التجربة عطاء سخيا وواجبا دينيا لبني جلدته ليقرهم من روح كتاب الله وجوهر معانيه في وقت كانوا في أمس الحاجة إلى الارتواء من عطش طال أمده؛ حيث كان المجتمع وشعب هوساوين يتوقون إلى مثل هذه الترجمة، بعد أن نجح المستعمر الأوربي المسيحي في حربه ضد الحرف العربي الذي كانت تكتب به لغة الهوسا، لوقف انتشار اللغة العربية بين هذه

الشعوب التي كانت في طريقها إلى التعريب، في محاولة لقطع العلاقة اللغوية بين هذه الشعوب وكل ما يمت إلى العربية والإسلام بصلة، علاوة على ذلك يعد الشيخ أبو بكر محمود جومي بحق رائد حركة النهضة والتطوير التي شهدتها مجال القضاء الشرعي في نيجيريا؛ وأما فيما يتعلق بمكوّنات المبحث الثاني هي كالتالي:

#### أولاً: اسمه ونسبه ومولده ونشأته

هو أبو بكر بن محمود جومي<sup>١</sup> بن الشيخ بن علي البدوي نسبة إلى البدوي، وهو رجل عربي من القبائل العربية الذين أتوا إلى تلك المنطقة. وكان سبب وصولهم لتلك المناطق لأجل التجارة خلال القرن الخامس عشرة، ومكثوا في تلك المناطق واختلطوا ثم تزوجوا وتناسلوا مع القبائل الهوسا، والفلاة، ثم تهوسوا بعضهم، وتقلّتو ثم اختلطوا بتلك القبائل؛ بمعنى صاروا هوساويين أو فلاتيين لكن قبيلة الفلاة أكثر قوى في تلك المنطقة، وأمه حليلة وهي أيضا حفظت القرآن الكريم، ودرست بعض الكتب الدينية العلمية.<sup>٢</sup>

وكان مولده في يوم الجمعة آخر شهر رمضان (١٣٤٤هـ) الموافق (١٩٢٤م)، في قرية تسمى "جومي"<sup>٣</sup> أحد المراكز التابعة لولاية صكتو سابقا، وتابعة لولاية زامفرا، في منطقة شمال نيجيريا. وكان أبوه عالما كبيرا من كبار العلماء آن ذاك، وكان رجلا محترما في المجتمع ذا علم وزهد وترى على العفاف والطهارة؛ فقرأ القرآن وختمه وكان عمره خمسة عشرة ومجتهدا منذ نعومته واجتهاده نحو طلب العلم وسماعه من العلماء الاعلام متفرغا للبحث والتحصيل العلمي.<sup>٤</sup>

وأما نشأته فقد نشأ أبو بكر جومي في حجر والده الذي كان قاضيا وتلقى منه القرآن ومبادئ الدين، وقد تعهده بالعناية وحسن التربية؛ فداوم على اصطحابه إلى مجالس العلم ومنازل العلماء، وكان يعتمد سؤاله في بعض المسائل والقضايا ليتيح له فرصة بناء الثقة والاعتزاز بالنفس. بدأ التعليم مبكرا وألحقه أبوه بالتعليم الابتدائي بقرية "دوغون داجي" على نهج التعليم الغربي النصراني، ورغم المعارضة الشديدة لهذا التعليم في مجتمع الهوسا آنذاك؛ فإن أباه أصر على ذلك رغبة منه

<sup>١</sup> - اسم القرية التي ولد فيها، وهي تابعة للولاية زنفرا.

<sup>٢</sup> - انظر: الشيخ أبو بكر محمود جومي، في كتابه وقصدي، ج ١، ص ٢، هذا الكتاب مكتوب باللغة الإنجليزية وترجم الهوسا، وللتأكد هذه المعلومات زرت بيته في ولاية كدونا وقابلت ابنه شخصياً الدكتور أحمد أبو بكر جومي.

<sup>٣</sup> - كلمة (جومي أوغومي) تكتب بالغين الجيم غومي وتقرأ الجيم غينا عند العرب.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣.



في جمع بين التعليم العربي والإنجليزي الجديد، ثم المدرسة الوسطى في صكتو، وحصل منها على شهادة المعلمين "المرتبة الرابعة"، ونظرا لذكائه الشديد بعد تخرجه والتحق "بالمدرسة الوطنية، لأبناء شمال نيجيريا" في تلك المحافظة في ولاية صكتو في سنة (١٩٣٦م) وكان يجمع بين دراسة الأهلية والنظامية معا، وتناول شيء من العلوم الشرعية؛ فمثلا أخذ دروس في الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه والحديث واللغة وغيرها من العلوم.<sup>١</sup>

أما شيوخه الذين درس عند هم العلوم الشرعية كان قد تتلمذ على أبيه في البيت، وكان أيضا أبو بكر محمود جومي قد تتلمذ على أيدي علماء محليين النيجيريين، منهم: الشيخ جنيد بن محمد البخاري وزير ولاية صكتو سابقا، والشيخ ناصر الدين كبراً، زعيم الطريقة القادرية في نيجيريا، والشيخ "معلم بللو شَيْهُو يَابُو"، كما أخذ عن عالم لبناني اسمه "سعيد ياسين" برواية حفص عن عاصم في علم القراءات، ودرس على هذا الشيخ ثم أخذ من تلاميذ أبيه، أولاً من الذين جمعوا بين العلوم النظامية والأهلية، وبعد أن حفظ القرآن، بدأ بحفظ المختصرات؛ فمثلا: كتاب الأخضري، والعشماوي، ومقدمة العزية، ورسالة لإبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، ومقامات الحريري، وفتح الجواد، وملحق الاعراب، وألفية ابن مالك، وغير ذلك من المختصرات. وكان رفقاؤه في ذلك الوقت الذين يدرسون معه شَيْخُو شَعْرِي رئيسا للدولة نيجيريا سابقاً، والأستاذ حَلِيلُ نَنْجِي.<sup>٢</sup>

وفي سنة (١٩٣٧م)، كانت وفات والده وهو في المرحلة الثانوية وعند ما سمع حزن على ذلك حزناً شديداً، وترك له والده العديد من الكتب في جميع الفنون العربية وغيرها، وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الشرعية، ومن هنا فَكَّرَ في نفسه بأن يواصل في علم الشريعة، وكان أبوه عالماً كبيراً من كبار العلماء آن ذاك، وكان رجلاً محترماً ذا علم وزهد في المنطقة.<sup>٣</sup>

وفي سنة (١٩٤٨م)، إلْتَحَقَ بمدرسة التدريب الأساتذة والمعلمين لشمال نيجيريا في بلدة تسمى (مَارُو)، ثم إلْتَحَقَ بعدها بمدرسة العلوم العربية (كلية القضاء) بولاية كنو ومنها تعلم العربية والدراسات الإسلامية لمدة خمس سنوات وتخرج عام (١٩٤٧م)، وحصل على منحة دراسية في

<sup>١</sup> - الموقع الإلكتروني الموسيقي، ٢٨-رمضان-١٤٢٦هـ-٣٠-أكتوبر-٢٠٠٥ عدد القراء ٢٢٤، أبوبكر محمود جومي،

رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، Manufaata (قصدي)، ج ١، ص ٢٥.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٥.

معهد التربية في بلدة بُحْتُ الرضا بالسودان، ونال على شهادة الدبلوم العالي في القضاء الشرعي عام (١٩٥٥م).<sup>١</sup>

وفي سنة (١٩٤٢م)، انتقل من صكتو إلى مدينة كنو والتحق بمدرسة تخصص في الشريعة، وتخرج فيها سنة (١٩٥٢م)، وانتهى دراسته في قسم الشريعة، وهي فرع للمدرسة التي كانت في السودان. وبدأ الشيخ نشاطاته العملية والعمل في سبيل التعليم، ثم سلك مسلك القضاء؛ حيث عين قاضيا شرعيا بإحدى المحاكم الشرعية بقرية من القرى التابعة لمدينة صكتو عام (١٩٤٧م)، ثم عاد إلى العمل في التدريس في مدرسة العلوم الشرعية بولاية كنو عام (١٩٥١م)، وبعدها انتقل إلى مدينة (مأزو) للتدريس، ثم عاد مرة ثانية إلى مجال القضاء فعين نائبا لقاضي القضاة الشرعيين لإقليم شمال نيجيريا، ثم تولى منصب قاضي القضاة لشمال نيجيريا بلقب "كبير القضاة" مكث في هذا المنصب منذ مطلع التسعينات إلى منتصفها.<sup>٢</sup>

وفي سنة (١٩٦٥م)، حصل على شهادة الليسانس أو (بكالوريوس) على يد صاحب الجامعة أحمد بللو في ولاية كدونا وكما تولى منصب المستشار الديني لرئيس وزراء إقليم شمال نيجيريا في عهد (الزعيم أحمد بللو)، وعيّن مديراً عاماً لمجلس الشورى للشئون الدينية بإقليم شمال نيجيريا، وكان على رأس الهيئة الوطنية لشئون الحج والحجاج لمنطقة شمال نيجيريا.

وفي سنة (١٩٥٧م) رفعت درجته إلى الدرجة الرابعة في قسم المحكمة الشرعية العليا.<sup>٣</sup> وفي سنة (١٩٦٠م)، حصل على منصب قاضي القضاة لشمال النيجيريا؛ حيث كان مدرّساً في ولاية كَنُو حين ذاك، ثم انتقل إلى كَدُونَا، ومن هنا بدأ العمل ويدرس الطلبة يقصدونه في كل مكان وخاصة كبار الموظفين الذين يعملون تحت الحكومة. وعند ما يأتي من العمل يبدأ في تدريسهم بين العصر والمغرب، إلى العشاء، وخاصة كبار الطلاب. وفي سنة (١٩٦٠م) كان بدأ أول تفسيره في شهر رمضان المبارك في مسجد السلطان بللو، وختم هذا التفسير في خلال أربع سنوات حتى عُرف أنه عالم ويقصدون إليه، وكان يتبع منهج تفسير الإمامين الجلالين وهو تفسير مختصر ويقع في مجلد واحد.<sup>٤</sup>

١ - الموقع الإلكتروني، عدد القراء ٢٢٤. وموقع الخضر عبد الباقي الإسلام أون لاين.

٢ - في السابق، Manufaata (قصدي)، ج ١، ص ٢٢٤.

٣ - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٩.

٤ - المرجع السابق، Manufaata (قصدي)، ج ١، ص ٢٠٩.

بدأ أسلوب الدعوة بكتابة المقالات في الجرائد، وأنه قدم كثيرا من أعمال الخير في أوساط النيجيريين خاصة وللإسلام والمسلمين عامة، وسنذكر شيئا من جهوده التي قدمها للأمة الإسلامية عبر مؤلفاته في اللاحق.<sup>١</sup>

وأما رحلاته فكان الشيخ مجتهدا ومجاهدا في سبيل إعلاء كلمة الله؛ ففي سنة (١٩٥١م)، اتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج وهو رئيس لبعثة الحج، وبعد انتهائه اتجه إلى بريطانيا مع أحمد بللو سَرَدُونًا صكتو، وكان أحمد بللو حاكما للولاية الشمالية النيجيرية حين ذاك، ويعتبر هذا أول خروج له، خارج الدولة. ومن هنا بدأ الشيخ أبو بكر مع أحمد بللو زيارات متتالية ومتتابعة إلى الدول الإسلامية مثل المغرب والتونس وليبيا واليمن والعراق والكويت والسعودية لإجتماع رابطة العالم الإسلامي، في أيام الحج في جدة في المملكة العربية من يوم (٢٩-٤-١٩٦١م)، وهو اجتماع مهم تكلموا فيه عن أهمية اتحاد المسلمين في العالم الإسلامي، وخطورة الاستعمار على المسلمين وغيرها من القضايا التي تخصهم في العالم الإسلامي.

حتى ضرب المثل بفلسطين المحتلة وغيرها من العالم الإسلامي، وإنشاء جامعة إسلامية لتعليم الإسلام لأبنائها، ثم قرروا في الاجتماع القادم أن الحكام والرؤساء في هذا الاتجاه. وتكلم في هذا الاجتماع أحمد بللو سردونا صكتو، عن مهمة يسير وحدة الأمة بمعنى اتحاد المسلمين جميعا. وهناك من الدول الذين شاركوا في هذا المؤتمر كعضو منها ماليزيا، والسنغال، والكامرون. وهذا هو أول مؤتمر لرابطة العالم الإسلامي. وكان الشيخ جومي وكيلا لمجلس الأعضاء للرابطة العالم الإسلامي، ولذلك هو من هيئة كبار المجلس الدائم لرابطة العالم الإسلامي. وقد قدّم كثيرا للرابطة قضايا مختلفة، وخاصة فيما يخص تعليم أبناء المسلمين وقضية فلسطين، ولبنان وإيران والخليج العربي بعد الثورة الخمينية في دولة إيران، عندما بدأت الحرب بين أفغانستان وروسيا، والحرب بين العراق والكويت، لقد حضر الشيخ هذا المؤتمر مرارا وتكرارا ولم يفوته ولو مر واحدة.<sup>٢</sup>

وقبل ذلك فإن من الأعمال التي قدمها للأمة الإسلامية، تأسيس جماعة نصر الإسلام وهي أكبر هيئة دينية في نيجيريا في سنة (١٩٦٧م) ثم توالى رحلاته في داخل نيجيريا وخارجها مع أحمد بللو سردونا تجولات كثيرة في الأماكن. وقد أسلم على أيديهما كثير من القبائل في المناطق

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٩.

<sup>٢</sup> - المرجع السابق، في كتابه، **Manufaata** (قصدي)، ج ١، ص ٨٧.

الشمالية، وأيضاً واجه كثير من القضايا لكونه قاضي القضاة، مثل ما حصل من انقلاب عسكري في سنة (١٩٦٦م)، والحرب بين شمال وجنوب نيجيريا، وغيرها من القضايا. قام بمجهود كبير وسعى إليها لإطفاء هذه النار التي اشتعلت وحل مشكلتها في ذلك الوقت. وقد شارك كثيراً في أعمال الخير في داخل نيجيريا وخارجها، وبالأخص اهتمامه برابطة العالم الإسلامي ولم يفوته ولو مرة واحدة حتى توفاه الله.<sup>١</sup>

وهكذا تمثل حركة الشيخ أبو بكر محمود جومي امتداداً للدعوة عند الشيخ عثمان بن فودي التي قامت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لنشر الإسلام وحضارته في بلاد الهوسا وغرب إفريقيا فقد تأثر بها بكل معطياتها البيئية والعلمية والثقافية والدينية؛ ولذا كان مناطل دعوته مرتكزاً على مجال الإصلاح الديني والتجديد الفكري من خلال تصحيح المفاهيم والممارسات، وذلك بالتركيز على المظاهر الدينية والإصلاحية في المجتمع والأفراد جميعاً.<sup>٢</sup>

**ثانياً: مذهبه** أنه كان ينتمي إلى المذهب المالكي، ويعرف هذا من خلال كتاباته وخاصة في فتاويه وتفسيره، كما يذكر بعض أقوال الأئمة الأربعة من الحنفية،<sup>٣</sup>

---

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٣.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٣.

<sup>٣</sup> - هو النعمان بن ثابت التيمي، مولاهم الكوفي، فقيه العراق، وأحد أئمة الأسلام، والاسادة الإعلام، وأحد أركان العلماء، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة، وهو أقدمهم وفاة، لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك قيل: وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة، وروى عن جماعة من التابعين منهم: الحكم، وحماد بن أبي سليمان، وسلمة بن كهيل، وعامر الشعبي، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، والزهرى، ونافع مولى بن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ولد سنة (٨٠هـ)، وكان إماماً ورعاً عالماً عاملاً متعبداً كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر، قال ضرار بن سرد سئل يزيد بن هارون أيما أفقه الثوري أو أبو حنيفة فقال أبو حنيفة أفقه، وسفيان أحفظ للحديث، وروى الخطيب بسنده، عن أسد بن عمرو: أن أبا حنيفة كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن كل ليلة، ويكي حتى يرحمه جيرانه، ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة، وكانت وفاته في رجب من عام (١٥٠هـ) في السابق، ترجمة الأئمة الأربعة، ج ١، ص ٢٠.

والمالكية،<sup>١</sup> والشافعية،<sup>٢</sup> والحنابلة،<sup>٣</sup> لكن غالباً ما يرجّح إلى مذهب الإمام المالكي في بعض المسائل، ثم أثر فيه المجتمع الذي عاش فيه، وهو أيضاً المنتسب إلى مذهب الإمام المالكي، وكما عرف أن أغلب المنطقة غرب إفريقيا ينتسبون إلى مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، أو ما يسمى بالمغرب (جغرافياً).<sup>٤</sup>

**ثالثاً: عقيدته رحمه الله:** أما عقيدته فهو عالم جليل من علماء أهل السنة وأتباع السلف الصالح رحمهم الله، ويظهر هذا من خلال كتاباته ومن اطلع على كتاباته يعرف عقيدته، أنه لا يخوض في النصوص الشرعية، بل يستنبط ويستدل ويرجّح ما يراه راجحاً فلا يخرج عن قائمة السلف الصالح فيما ذهبوا إليه في التفسيرات والتأويلات فمثلاً آيات الأسماء والصفات لا يقول ولا يشبه ولا يعطل بل يُثبت ما أثبتته السلف الصالح، وغيرها من الأحكام الشرعية. والشيخ قوي بالحجة والإستدلال من القرآن والسنة وأقوال العلماء رافض للتقليد والتعصب محارب للبدعة والعادات والتقاليد التي تخالف شرع الله تعالى المستمد من الكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> - هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الحافظ فقيه الأمة شيخ الإسلام أبو عبد الله الأصبحي المدني الفقيه إمام دار الهجرة، أشهرهم وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة عاش سنة (٨٦)، وقيل ولد سنة (٨٧)، وأما يحيى بن بكير فقال سمعته يقول ولدت سنة (٩٣) فهذا أصح الأقوال وأما وفاته ولما احتضر قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم جعل يقول: لله الأمر من قبل ومن بعد، ثم قبض في ليلة أربعة عشر من صفر، وقيل: من ربيع الأول من هذه السنة، وله خمس وثمانون سنة، وكلهم قالوا في سنة (١٧٩هـ)، رحمة الله عليه قال الواقدي، بلغ سبعين سنة ودفن بالبقيع، في السابق، ترجمة الأئمة الأربعة، ج ١، ص ٤٢٣.

<sup>٢</sup> - هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، القرشي، وأمه أزدية، وقد ولد الشافعي بغزة، وقيل: باليمن سنة خمسين ومائة (٢٥٠هـ)، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: ابن ثمان عشرة، وتفقه على مالك، وكانت وفاته بمصر، من رجب سنة: (٢٠٤) أو (٢٥٤)، في السابق، ترجمة الأئمة الأربعة، ج ١، ص ٢٠.

<sup>٣</sup> - هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين، فكفلته أمه، وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم الجمعة ١٢، ربيع الأول سنة (٢٤١)، وله من العمر سبع وسبعون سنة، رحمه الله، في السابق، ترجمة الأئمة الأربعة، ج ١، ص ٢٧٥.

<sup>٤</sup> - وهو ثاني المذهب الدينية عبر التاريخ بعد مذهب أبي حنيفة، وهو مذهب أهل المدينة وانتشر في قارة إفريقيا كلها، وانظر، آدم عبه الله إلالوري، كتاب نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، مدير مركز التعليم العربي الإسلامي، دار العربية، بيروت، ط (١٤٢٠-١٩٨١م)، ج ١، ص ٣٢.

<sup>٥</sup> - في السابق، آدم عبد الله نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، ج ١، ص ١٣٠.

وأما وفاته فقد جاءته المنية بعد أن قدم هذه الجهود المباركة للعالم الإسلامي ككل، وتوفي يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول (١٤١٣هـ) الموافق (٩-١١-١٩٩٢م)، بعد مرضه بقصير في المستشفى البريطاني أرسل جثمانه إلى نيجيريا في طائرة خاصة، ودفن في بيته ليلة الأحد بجوار أمه كما أوصى بذلك، وصلى عليه الشيخ إبراهيم العرب، هو قارئ القرآن الكريم عند ما يُقَسَّر القرآن في رمضان وبأمر منه، وكان يحترمه في حياته رحمهم الله جميعاً. فقد اهتز المسلمون داخلاً وخارجاً لوفاته، وحضر جنازته كثيراً من الناس حتى كبار الشخصيات من الحكام والوزراء وأصحاب الفضيلة في الداخل والخارج، وخاصة من الدول الإسلامية.<sup>١</sup>

#### رابعاً: شيوخه وتلاميذه ومؤهلاته العلمية

وكما تقدم ذكره أنه بدأ طلب العلم مبكراً من تلاميذ أبيه، ما لم شَيْهُو بَأْيُو، ودرس على أبيه وأخذ على خلق كثير منهم ما لم نَاصِرُ كَبْرًا زعيم الفرقة القادرية الذي تعلّم عنده كتاب اسمه نظم الأكبر، ودرس على شيخ محمد غَدَاثُو، وزير في ولاية كَنُو، والشيخ بشير الريان، والشيخ نور، والشيخ محمد صالح وإلي خمس سنوات، وهذا في سنة (١٩٣٤-١٩٣٧م). ويعتبر هؤلاء مشائخه من السودان؛ وكما أخذ عن عالم لبناني الشيخ سعيد ياسين رواية حفص عن عاصم في التجويد وعلم القراءات عند ما كان يدرس في السودان وأما في نيجيريا أيضاً ما لم أمين وإلي، وما لم علي جُوسُما وصديق زَارِيَا.<sup>٢</sup>

ودرس على أيدي الكثير من العلماء بدءاً من أبيه في جومي من بلدته إلى ولاية صكوتو عاصمة لها، وإلى كَنُو في داخل نيجيريا، وخارجها إلى السودان، وقد نال شتى من الفنون سواء فيما يتعلق بعلم اللغة والفقه والحديث وغيرهم من العلوم الدينية؛ وأما تلاميذه رحمه الله: وقد أخذ عنه خلق كثير مثل قاضي قضاة ولاية كَنَسَا الحاج عثمان محمد وما لم إدريس والحاج تميم سَوَلَاوِي وما لم بللو وما لم تُوكُرُ كَنَسَا وما لم أحمد محمد سنوسي من كبار طلابه وإسماعيل إدريس بن زكرياء، زعيم (جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة)، وإبراهيم بن إدريس العرب وما لم لَوْنُ أبو بكر وهو من كبار طلابه والذي ناب عنه في بعض دروسه بعد وفاته.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، في كتابه، **Manufaata** (قصدي)، ج ١، ص ٢٥٣.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٤.

<sup>٣</sup> - في السابق، في كتابه، **Manufaata** (قصدي)، ج ١، ص ٢٤.

ولذا كان طلابه على شقين: كبارا وصغارا. أما الكبار فهم الذين يأخذون عنه بين العصر والمغرب عند ما يأتيه من دوام العمل، فقد أخذ عنه خلق كثير من كبار العمال والموظفين وغير هم، وأما الصغار فهم الذين يأخذون دروسه بين المغرب والعشاء في مسجد السلطان بللو في ولاية كدونا<sup>١</sup>.

وقد اتخذت دعوة الشيخ أبو بكر محمود جومي شعار "إزالة البدع وإقامة السنة"، وكانت مجالس دروسه للدعوة والتدريس فيها خلق غفير من مختلف شرائح المجتمع؛ حيث جذبهم أسلوبه المتميزة في الالتقاء ومنهجه في شرح المسائل وطرح الأفكار التي ظلت تذاع على الهواء عبر إذاعة نيجيريا بولاية كادونا لمدة أكثر من ربع قرن، وهو ما جعل لها أكبر الأثر في توسيع قاعدة الانتشار والاستفادة من علمه وثقافته الدعوية. وقد شملت جهوده الدعوية القادة السياسيين وزعماء الحي من غير المسلمين؛ فاهتدى على يده عدد كبير من النصارى والوثنيين<sup>٢</sup>.

وأما مؤهلاته العلمية؛ فقد حصل على شهادات كثيرة من بينها الشهادة الدراسية وتركيبية ابتداء من المدرسة الابتدائية ومن مدرسة الثانوي ومن مدرسة القضاء في ولاية كنو؛ حتى وصل إلى المرحلة الجامعية، وحصل على بكالوريوس أو ليسانس سنة (١٩٦٥م) كما سلف أنه تولى منصب المستشار الديني لرئيس وزراء إقليم شمال نيجيريا في عهد (الزعيم أحمد بللو)، وعين مديرا عاما لمجلس الشورى للشئون الدينية بإقليم شمال نيجيريا، وترأس الهيئة الوطنية لشئون الحج والحجاج لمنطقة شمال نيجيريا، وإضافة إلى ذلك كانت له عضوية في العديد من الهيئات الإسلامية داخل نيجيريا وخارجها، فهو عضو ومؤسس مجلس جماعة نصر الإسلام (أقدم وأكبر هيئة إسلامية في نيجيريا)، وكان عضوا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في النيجيريا والمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة<sup>٣</sup>.

وحصل الشيخ جومي على العديد من الأوسمة والجوائز التقديرية منها الدكتوراه الفخرية في كل من جامعة أحمد بللو زاريا في ولاية كدونا شمال نيجيريا وجامعة إبادن جنوب نيجيريا، ووسام الدرجة العثمانية من دولة رئيس الوزراء لشمال نيجيريا، وجائزة الدولة التقديرية من حكومة

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٥.

<sup>٢</sup> - الموقع الإلكتروني الإنترنت القراء في إفريقية، الخضر عبد الباقي محمد إسلام أون لاين.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٥.

نيجيريا الفدرالية، ثم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام (١٩٨٧م) من المملكة العربية السعودية.

#### خامساً: أخلاقه وصفاته ومؤلفاته وثناء العلماء عليه

أما أخلاقه وصفاته: كان رجلاً عالماً تقياً زاهداً ورعاً، ومجتهداً ومجاهداً، ولا يخاف في الله لومة لائم، يحب الصدق في القول والعمل، وهو رجل صبور ولا يتدخل فيما لا يعنيه، ويقول الحق ولا يبالى. والدعوة إلى الله، مذهبه في كل مكان وزمان، وفي كل ضيق وحر، ويهتم بحقوق العامة للناس، وبالأخص حقوق المسلمين في أي مكان؛ ومعنى أنه يهتم بأمر المسلمين في كل مكان، ولا أزكي على الله وهو حسيبه، وهذه صفاته الخلقية. وأما صفاته الخلقية كان رجلاً متوسطاً في الطول ونحيف الجسم وأبيض اللحية عارض الوجه.<sup>١</sup>

وأما حالته الاجتماعية: فقد تزوج وهو في الثامنة عشرة من العمر وكان في المرحلة الثانوية حين ذاك، وهكذا العادات والتقاليد في شمال نيجيريا في أمر الزواج المبكر لطالب العلم إذا ختم القرآن يُزوّجُ والده وتكون المسؤولية على الوالد، وخاصة إذا كان في أسرة محترمة فيها العلماء الأجلاء. ولما توفي كان متزوجاً بثلاثة نساء في حجره، وهن: حَجَّه عائشة بنت داود وحَجَّه آمنة بنت داود، وحليمة بنت عمر، وله عشرون من الأبناء ما بين البنين والبنات كالتالي:

أما البنين: نور الدين، وعبد الكبير، وعبد العزيز، وحسن، ويوسف، وعباس، وأحمد، وإبراهيم، وعثمان، وعلي، وسليمان، وأبو بكر الصديق، وعبدالرحمن. أما البنات فهن: عائشة، وحواء، وبركة، وأسماء، ومريم، وسعاد، وزَيْنْدَةُ. ومن أبنائه كبار العسكريين والأطباء وغيرهم يعملون في شتى مجالات الحكومية، وأكبرهم الدكتور أحمد أبو بكر محمود جومي وكان طبيباً، وانتقل إلى الدراسة الدينية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وتخرج فيها مرحلة الدكتوراه قسم الفقه وأصوله، وهذا خلاصة حالاته الاجتماعية.<sup>٢</sup>

وأما مؤلفاته: بدأ كان الشيخ التأليف في وقت مبكر منذ نعومته بدأ التأليف وهو في المرحلة الثانوي، ويعتبر هذا أول تأليف له وكتبه بخط المغاربة. وقد دعم الشيخ أبو بكر مشروعه التجديدي الاصلاحى بتأليف بعض الكتب والرسائل شملت مجالات العقيدة والفقه والتفسير

<sup>١</sup> - في السابق، في كتابه **Manufaata** (قصدي)، ج ١، ص ٤١.

<sup>٢</sup> - في السابق، الموقع الإلكتروني الأنترنت الخضر عبد الباقي محمد، إسلام أون لاين.



والحديث والادب، والتفسير في تفسيره المشهور (رد الازهان إلى معاني القرآن)، بالعربية. ومن أهم ما كتب في العقيدة العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، وكتاب الاسلام ونواقضه باللغة الهوسا، وكتاب مراتب الاسلام باللغة الهوسا، ومناسك الحج والعمرة، وكتاب قضايا في الاقتصاد والتعامل مع البنوك الربوية، وفي الحديث كتاب الورد العظيم من الاحاديث والقرآن، وفي الأدب كتاب ديوان غومي، وكلها بالعربية.<sup>١</sup>

وهكذا خصص جزءاً من مؤلفاته والوعكوف على ترجمة بعض الكتب العربية إلى لغة الهوسا، لاسيما بعض كُتُب الشيخ عثمان بن فودي، منها كتاب نور الأبواب في مسائل التوحيد والعقيدة، وكتاب أصول الدين في مسائل الاعتقاد، وكتاب هداية الطلاب في أهم مسائل الدين. ومن بين الرسائل الصغيرة التي ترجمها الهوسا وكتاب القاديانية، وقد أثر كتاباه رداً لاذهان إلى معاني القرآن، والعقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة. إذا مؤلفاته على وجه الإجمالي كالتالي:.

- ١- كتاب التوحيد المنظومة.
- ٢- العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة.
- ٣- الإسلام ونواقضه باللغة الهوسا.
- ٤- مراتب الإسلام باللغة الهوسا.
- ٥- مناسك الحج والعمرة.
- ٦- قضايا في الاقتصاد والتعامل مع البنوك الربوية.
- ٧- الورد العظيم من الأحاديث والقرآن الكريم.
- ٨- ديوان غومي.
- ٩- ترجمة القرآن الكريم باللغة الهوسا.
- ١٠- (Manufaata) قصدي بلغة العربية.
- ١١- تفسير (رد الازهان إلى معاني القرآن).<sup>٢</sup>

وأما كتابه المنظوم الذي أشرت إليه سابقاً، وهو كتاب التوحيد كتبه باللغة العربية وعن طريق نظم، ويخط المغاربة، وحوَّلَتْهُ إلى خط رسم العثماني حتى يعرف الناس ماكتبه في تلك الأبيات؛

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤١.

<sup>٢</sup> - في السابق، في كتابه (Manufaata (قصدي)، ج ١، ص ٤٢.

ولكن هذا الكتاب لم يذكر اسمه، وهكذا وصلت إلينا في ذلك الكتاب، Manufaata قصدي، والمترجم بلغة الهوسا والإنجليزي، العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، طبعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، وطبع عدد قليل ووزعت لأعضاء مجلس رابطة العالم الإسلامي في المؤتمر في ذاك الوقت، وبعد ذلك طبع عددا كبيرا حتى سمح طباعته في بعض الدول الإسلامية مثل لبنان وسوريا والسنغال وغيرهم من الدول. وكان قصده وغرضه تعليم أبناء الأمة الإسلامية وشعبها واتحادها لمواجهة أعدائهم، ولذلك لا يكون ذلك إلا بعد عقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة، وهذا كانت فكرته. وقد نال قبولا على هذه الجهود الجبارة ورفع مرتبته وشأنه عند الأمة، وقد أثنى عليه كثير من العلماء والمشايخ من الدول الإسلامية على هذا العمل.<sup>١</sup>

وأما كتابه ترجمة المعاني القرآن، ويأتي في مقدمة أعمال الشيخ أبو بكر محمود جومي وإنجازاته جهده المتميزة في ترجمة معاني القرآن إلى لغة الهوسا، وهي أول ترجمة من نوعها تشهدها لغة الهوسا وتنسم تلك الترجمة بالإتقان، وروعي فيها مميزات الأسلوب القرآني والقواعد العربية، فلم تكن مجرد ترجمة حرفية ولم يخرج بالتطويل في شرح المعاني عن المقصود؛ فقد ألهمه المولى عزوجل ووقفه إلى القيام بهذا العمل الجليل بمفرده، ثم تعاون معه بالمراجعة نفر من علماء المسلمين المخلصين الناطقين بلغة الهوسا، ومن ينطقون إلى باللغة العربية من قبائل الهوسا في منطقة شمال نيجيريا. وساعد الشيخ جومي على مهمته كونه ثلاثي اللغة يجيد العربية والإنجليزية إلى جانب لغته الأم وهي الهوسا أو الفلاة.<sup>٢</sup>

لقد استغرق عمله في إعداد هذه الترجمة ومراجعتها وطبعها ما يزيد عن سبع سنوات من شعبان (١٣٩١هـ)، حتى محرم (١٣٩٩هـ)، وطُبِعَتْ حتى الآن أربع طبعات الأولى عام (١٩٧٩م)، والثانية عام (١٩٨٢م)، من طباعة الدار العربية للنشر ببيروت، وقد طبعتا على نفقة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود وظهرت الطبعة الثالثة عام (١٤٠٧هـ)، والرابعة عام (١٤١٤هـ)، وقد طبعتا في مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، وتمت تداول هذه الترجمة بين عموم الشعب الهوساوي في كل من نيجيريا والنيجر وغانة وتوغو وساحل العاج (كوتديوة) وجمهورية تشاد وغيرها من المجتمعات

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، الموقع الإلكتروني الإنترنت القراء في افريقية.

الإفريقية التي تنتشر وتسود فيها لغة الهوسا، كما وفرت تلك الترجمة مادة علمية لطلبة العلم والباحثين على سواء، فضلا عن كونه مرجعا للعامة لفهم المعاني القرآنية لنصوص الأحكام والتوجيهات في جهوده الدعوية.<sup>١</sup>

(Manufaata) بالإنجليزية، ثم تُرجم إلى لغة الهوسا وهو مجلد واحد، وطُبع مرارا، ويتداول في أيدي الناس حاليا، وهو كتاب بشخصية يعرف الشيخ أبو بكر محمود جومي؛ فليرجع هذا الكتاب المذكور سابقا، وفيه قصته من ولادته إلى قريب من وفاته، بمعنى جمع فيه أشياء حصلت في حياته كلها، وهذا الكتاب يقع في (٢٥٢) صفحة، وكتبه خلال ثلاث سنوات؛ حيث أُملى على تلميذه الدكتور إسماعيل أبو بكر. وهذا الكتاب من أهم الكتب التي كتبها الشيخ أبوبكر جومي، وشارك بعدد من المقالات في الندوات والجرائد وخاصة الجريدة التي تسمى (الحق لا يُبدلُ بالمال) المترجمة إلى لغة الهوسا، (GaskiyaTafikobo) وهذه من الجهود التي قدمها للأمة الإسلامية في كتاباته، والذي شهد له العالم به وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.<sup>٢</sup>

أما ثناء العلماء عليه: فقد أثنى عليه خلق كثير من العلماء الأجلاء وبالاخص عملاء الحجاز منهم: الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قبل وفاته، والشيخ محمد صالح بن عثيمين، وخاصة الشيخ عبد العزيز بن باز كان يثني عليه كثيرا، وقد أثنى عليه أيضا كثير من حكام الدول الإسلامية، والوزراء في داخل نيجيريا وخارجها ما بين السعودية وغيرها.

١- وقد جاء عليه الثناء من مصر العربية، وحصل على جائزة جمال عبد الناصر سنة (١٩٦٣م).

٢- وفي سنة (١٩٦٤م)، جاء عليه الثناء من دولة (Commander of the order of the Federal Republic).

٣- حصل على شهادة شكر وتزكية ولسانس من جامعة إبادن.

٤- وفي سنة (١٩٨٢م) حصل على الثناء والتزكية من إيطاليا.

(Certificate of International who is who of Intellectuals)

<sup>١</sup> - في السابق، الموقع الإلكتروني الإنترنت الموسيية، عددالقرأ ٢٢٤.

<sup>٢</sup> - في السابق، في كتابه Manufaata (قصدي)، ج ١، ص ٢٣٢.

- ٥- وفي سنة (١٨-٤-١٩٨٧م) الموافق (٨-٨-١٤١٧هـ)، حصل على ترقية، وثناء وشكر من مركز الشباب الإسلامي في نيجيريا.
- ٦- وفي سنة (٣-٧-١٩٨٧م) الموافق (٨-٧-١٤١٧هـ)، حصل على الجائزة الكبرى، واسم الجائزة هي جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، والتي تسمى بالإنجليزية (Bara'ah Ja'izah El-Malik Faisal El-Alamiyah Likhidmah El-Islam).
- ٧- وفي ذلك اليوم وصل إلى السعودية برفقة كبار شخصيات نيجيريا من الرؤساء والوزراء ومن طلابه وأمنائه من كبار العسكريين فمنهم (الجنرال غَدَ نَسْكَو) والسلطان إبراهيم دَسُوكي في ذاك الوقت ومُنِحَ هذه الجائزة لجهوده الجبارة التي قدمها في نشر الدعوة والكتابات التي قد مهّاب وبالأخص (العقيدة الصحيحة، وتفسيره رد الأذهان إلى معاني القرآن).<sup>١</sup>

### المبحث الثاني: التعريف بتفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن

إن هذا التفسير عنوانه "رد الأذهان إلى معاني القرآن" كما أثبت على غلاف الكتاب.

١- سبب تأليفه قال: في مقدمته "كثيرا ما قرأت كتب تفسير القرآن ما بين مطول ومقتصر، يرحم الله أصحابها، ثم رأيت أنه مع كثرة تلك الكتب نحتاج اليوم أيضا إلى تفسير وجيز بين معاني القرآن على وجه يمكن تفهمه والعمل به؛ فإن كثيرا من القصص التي أدخلت في تفاسير القرآن أذهلت العقول فجعلت الناس يقرؤونها للتفكه بها لا للعمل بما جاء به القرآن من العبر والمواعظ والشرائع، وربما أدى ذلك إلى نسب ما لا يجوز شرعا أو عقلا إلى خيرة خلق الله الأنبياء والملائكة والصالحين، أو غير المعنى المقصود، مع أن القصص القرآنية كلها تعاليم، وتكرارها لغرض يقتضيه المحل، وتطويلها أو تقصيرها لتوضيح الغرض الذي تعالجه السورة، إذ كل سورة وضعت لموضوع رئيسي وإن كان يتداخله مواضع آخر متناسبة الذكر معه، وسأبين كل ذلك في محله<sup>٢</sup>، وهذا هو السبب الدافع والحافز لأبي بكر جومي إلى كتابة تفسيره هذا.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، في كتابه، Manufaata (قصدي)، ج ١، ص ٢٥٠.

<sup>٢</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٢.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١.

٢- **أوصاف التفسير ومحتوياته:** ألف بعد تفاسير الشيخ عبد الله بن فودي، وهو زبدة تفسير الجلالين وطُبع أيضا على نفقة الحاج محمد بللو ميتما يوسف وزير التجارة في حكومة جمهورية نيجيريا الفيدالية، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع يوزع مجانا بيروت لبنان ( ١٤٠٢ هـ الموافق ١٩٨٢ م)، يقع في مجلدين؛ أما المجلد الأول بدأ من سورة البقرة إلى آخر سورة الكهف، في المجلد الثاني من سورة مريم إلى آخر الناس، أو نقول على جزئين جزء من البقرة إلى آخر الكهف، والجزء الأخير من سورة مريم إلى آخر الناس.<sup>١</sup>

٣- **طباعة التفسير:** طُبع هذا التفسير في مجلد واحد جزئين، وهناك طبعة تقع على مجلدين لقي هذا التفسير احتجاجا ومعارضة شديدة وخاصة من مخالفه في العقدة والمنهج، وقد جمع هذا التفسير من دروسه التي يقيمها في شهر رمضان المبارك سنوياً إلى أن أتمه وخرج بصورته الحالية، وجزى الله للشيخ خيراً لما قدم في خدمة الإسلام، وافق الختام يوم الأربعاء أيام بقين من شهر الله المبارك جمادى الآخر سنة ألف وثلاثمائة واثنين الهجرية الموافقة لستة أيام خلون من أغسطس ستة ألف وتسعمائة واثنين وسبعين الميلادية، واستغرق هذا التأليف مدة سبع سنوات.<sup>٢</sup>

٤- **منهجه العام:** هو من التفاسير المفيدة والسهلة قدم المؤلف في وقت كان الناس بحاجة إلى فهم المقاصد القرآنية، وكان الناس يقرؤونها للتفكه للتعاطف، ويُنْهجه في مقدمة تفسير من تقويم القصص القرآنية وتوجيهها، وتصفيه ما ورده القصص زيادة لما في القرآن وذكر الموضوعات الرئيسة لكل سورة، واقتصر في القراءة على رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، من قراءة عاصم بن أبي النجودي، لا نتشارها؛ لأن لها سند متصل بالنبي ﷺ بواسطة الشيخ سعدي ياسين لبناني من سنده المشهور، ولربما أشير إلى رواية أو قراءة لاحتياج المحل لذلك، واعتمد على ما هو مشهور مذهب مالك بن أنس رحمته الله، وبما يشير إلى مذهب غيره، وعلى ما لا بد منه من العلوم العربية من صرف أو نحو أو لغة فقط وهذه هي بمنهج أبي بكر جومي في تفسيره.<sup>٣</sup>

حيث قال: سميت (رد الاذهان إلى معاني القرآن)، لخص الشيخ كتابه الذي أقام عليه، وهو إزالة القصص التي ألصقت بالأنبياء مما يخالف الشرع ومقام النبوة، واقتصر في القراءات على رواية

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٠.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٢٨.

<sup>٣</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الاذهان إلى معاني القرآن ج ٢، ص ٢.

حفص بن سليمان وربما أشار إلى غيرها فيما دعت الحاجة إلى ذلك، وبذكر الأقوال المشهورة من مذهب مالك رحمه الله في الفروع الفقهية؛ لأنه المذهب الرائد في هذه المنطقة ويشير إلى غيره من المذاهب الأخرى في الأمور المهمة، وكذلك يشير إلى العلوم العربية من النحو والبلاغة في توضيح بعض المعاني. ١٠

منهجه بذكر الآثار المروية من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ولم يكن مَيَّن درجة كل حديث من الناحية الجرح والتعديل وخاصة فيما لم يكن من رواية البخاري ومسلم، واعتمد في الإشارة إلى المواضع الرئيسية لدروس السور القرآنية مما نقله عن سيد قطب في ظلال القرآن وأهم مصادره في رد الاذهان، تفسير الجلالين جلال الدين السيوطي، وجلال الدين محلي، والفتوحات الإلهية لسليمان بن عمرو "في ظلال القرآن سيد قطب، وربما ذكر أشياء من تفسير جامع البيان للطبري، والجامع الاحكام القرآن للقرطبي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، والجواهر الحسان لعبد الله الثعالبي، ويذكر الأحاديث والآثار ما في الصحيحين والكتب الستة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وصحيح بن خزيمة والبخاري وشرح النووي، وأما مصادره في التوحيد شأن العقيدة، فقد اعتمد كثيرا على رسائل محمد بن عبد الوهاب، وإرشادات لعبد العزيز بن باز.<sup>١</sup> وفي خاتمة تفسيره قال: الشيخ رحمه الله وجعل الجنة مأواه، "هذا ما قدر الله لي جمعه من تفسير القرآن الذي سميت (رد الاذهان إلى معاني القرآن) مما لخصته من كلام الأئمة الأعلام، لم أقصده إلا تبين مواضع السور، والتنبيه على حمل القصص لتراجم الفصول، وإزالة ما يمكن أن يسبب الاشكال فيما أورده بعض المفسرين في بعض المواضع الذي لا يوافق مقام النبوة المعصوم، أو هو يخالف أسس الشريعة المطهرة، ولم أخالف في ألفاظ الإمامين الجليلين جلال الدين المحلي وعبد الرحمن السيوطي إلا بما أشار إليه الإمام سليمان بن عمر الشهير بالجميل في حاشيته عليهما في كتاب الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، في أكثر الألفاظ والمعاني التي ملت إليها في هذا الكتاب؛ ولذلك لم أحتج إلى إسناد أقوال إلى قائلها الأصليين مما نقلت منه خوف التطويل ولسهولة مراجعة مواقعها في الكتاب المذكور، واتبعت سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) في الإشارة إلى المواضع الرئيسية لدروس السور، واختصرت كلامه بقدر الحاجة

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣.

ومقتضى المقام، وكثيرا ما انتفعت بنفس ألفاظه في التفسير بدون التنبيه على ذلك لما مر في الجمل، ونقلت بعض الاحاديث أو الاثار المروية من تفسير الإمام إسماعيل بن كثير، ولم نقم بالتنبيه عليه لقلة ذلك عندي؛ جزى الله الجميع عني وعن الاسلام خيرا، وجعل الجنة مأوانا في دار السلام مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكل من سعى في تحصيل هذا الكتاب، وإصلاح ما وقع فيه من الخطأ أو الغفلة واستغفر لمؤلفه الضعيف؛ فعسى الله أن يتقبل دعاء المسلمين بعضهم لبعض<sup>١</sup>.

### المبحث الثالث: التعريف بمفسر ضياء التأويل عن ترجمة شخصيته

هذا المبحث في ترجمة المؤلف وشخصيته، من اسمه، وكنيته، ولقبه، وقبيلته، ونسبه، ولادته ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه، ورحلاته، وشمول ثقافته، ومنزله العلمية، وصفاته الخلقية، ومؤلفاته، وآثاره العلمية، وعقيدته، ومذهبه، وفاته، وثناء العلماء عليه.

#### أولاً: اسمه وكنيته ولقبه وقبيلته ونسبه

هو عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جب بن محمد ثنب بن أيوب بن ما سران بن بوب باب بن موسى جكل، كنيته أبو محمد، وقيل أبو الحسن، ولقبه الملقب بفودي<sup>٢</sup>، وأمه حواء بنت محمد بن عثمان، بن حم، بن عال، بن جب، بن محمد ثنب، بن ماسران، بن بوب، بن موسى جكل، ويلتقي مع أمه في الخامس له الرابع لها<sup>٣</sup>. أما قبيلته: فينتسب إلى قبيلة فلانية هاجرت من شمال إفريقيا إلى أقاليم فوتا تورو وفوتا جالون في موقع السنغال وغينيا الحاليين منذ زمن طويل، واستقرت بهذين الإقليمين زمنا طويلاً، ثم رحل جزء منها إلى جهة الشرق، وعاشوا في مواطن القبائل الهوسوية، وذلك في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي تقريبا، وكان أجداد الشيخ عبد الله من بينهم<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الازهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٨٢٨.

<sup>٢</sup> - ومعناه: (الفقيه) بلغة الفلانية.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، إيداع النسخ من أخذت من الشيوخ، ج ١، ص ١٩-٢٠.

<sup>٤</sup> - وقد ذكر عبد الله أن أصل قبيلتهم من نصارى الروم وصلت إليهم جيوش الصحابة فأمن ملكهم، وتزوج بنته عقبة بن عامر المجاهد الصحابي أمير الغرب، فولد قبيلة فلاني المشهورة، وجدهم الرومي أبوه عيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل

## ثانياً: ولادته ونشأته وشيوخه وتلاميذه

وأما مولده: اختلفت الروايات الواردة في تاريخ ميلاد الشيخ عبد الله بن فودي ووفاته، وتضاربت الأقوال في ذلك؛ فذكر الشيخ أبو بكر محمود جومي أنه: "ولد الشيخ عبد الله بن فودي سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية (١١٧٩هـ - ١٧٦٥م)، وذهب الشيخ آدم عبد الله الإلوري إلى أنه ولد سنة (١١٧١هـ - ١٧٥٨م)، ووقع الخلاف في تحديد قرية ولادته، حينما اجتمع الكتاب والمؤرخون في تعيين الإمارة التي ولد فيها، اتفقوا على أنه ولد في إمارة غوبر؛ أما القرية فقليل إنه ولد في مغم وقيل: بل إنه ولد في طغل<sup>١</sup> مثل أخيه الشيخ عثمان، وقيل غير ذلك".<sup>٢</sup> أما نشأته وجهاده؛ وكانت نشأة الشيخ عبد الله بن فودي في بيت معروف بالعلم والصلاح، ذاعت فيه التقوى والورع كابراً عن كابر، ويؤرخ للعلماء من أهله منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)؛ فتربى في بيئة متعلمة ومتدينة، تلتزم بأوامر الله وتتمسك بدينه، فهو علم متوطن قوي قويم، عاش وترعرع وسط المهتمين بالتربية الإسلامية منذ نعومة أظفاره.<sup>٣</sup> وأهم ما يلفت النظر في نشأته هو جهاده وتحصيله العلمي؛ لأن حياته حافلة بالعلم والتعليم، والجهاد والتذكير؛ فلنبدأ بالسرد الموجز عن جهاده، ثم نعقب بالحديث عن تعلمه وشيوخه. وعلى الرغم من أن الدين الإسلامي قد انتشر في نيجيريا منذ ذلك الوقت، واعتنق عدد كبير من السكان في ممالك الهوسا الدين الحنيف، ومع قيام ممالك إسلامية في نيجيريا الشمالية وغيرها من مناطق السودان الغربي. على الرغم من كل هذا لم تصبح الشريعة الإسلامية ثابتة الأركان في هذا الجزء من العالم إلا في مطلع القرن التاسع عشر الذي يطلق عليه عصر الجهاد والدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا.

لقد شهد هذا القرن حركات الجهاد الإسلامي التي استهلها الشيخ عثمان بن فودي الأخ الأكبر للشيخ عبد الله في إمارات الهوسا وتحدى الحكام الوثنيين، ودخل في صراع معهم ابتداء من عام (١٨٠٤م) حتى عام (١٨٠٨م)، ونجح في دخول عاصمة إمارة غوبر، وقتل حاكمها يونفا،

---

الله، وأمه نسمة بنت إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، المرجع نفسه، إيداع النسخ من أخذت من الشيخ، ج ١، ص ٢، وفي مقدمة أبي بكر جومي لتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣ - ٤.

<sup>١</sup> - هي بلدة مغمم ديدي، واقعة في محافظة مرادن، التابعة لولاية زمفرا.

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة، ص ١٦١.

<sup>٣</sup> - انظر: عمر أحمد سعيد، رسالة ما جستير، التفكير الصوفي عند الشيخ عبد الله بن فودي، ج ١، ص ١.



وأعلن قيام إمبراطورية إسلامية حملت اسم إمبراطورية الفولاني التي اتخذت مدينة صكتو<sup>١</sup> عاصمة لها، وطبق الشيخ عثمان الشريعة الإسلامية، وأحيا الخلافة الإسلامية في هذا الجزء من القارة الإفريقية.<sup>٢</sup>

أما شيوخه فإن النظام في هذه المدارس حر ومفتوح، ينتقل فيها الطلاب من مدرسة إلى أخرى، ومن مجلس عالم لآخر حسب حاجته وتخصصاته. ولما كان الشيخ عبد الله أحد خريجي تلك المدارس وأحد علمائها ومنشئها، فمن المناسب إعطاء القارئ جانبا من نشاطه التعليمي، وقد صوّر لنا ذلك هو بنفسه؛ حيث يقول: "قد سنع في خاطري أن أكتب عن الشيوخ الذين أخذت عنهم واستفدت منهم اشتهارا لهم، وتعلّما لمن جهلهم، وإعلاما لمستندي في النقل".<sup>٣</sup> لقد قرأ القرآن على أبيه، ثم انتقل إلى أخيه الأكبر الشيخ عثمان فقراً عليه؛ حيث يقول في ذلك: "وقد تركني أبي في يده بعد قراءة القرآن وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فقرأت عليه العشرينيات، والوتريات، والشعراء الستة، وأخذت منه علم التوحيد من الكتب السنوسية وشروحها وغيرها، كما تقدم، وأخذت منه الإعراب من الأجرومية والملحة والقطر ونحوها وشروحها، وأخذت منه علم التصوّف الذي للتخلق والذي للتحقق ما استغنيت به إن شاء الله عن غيره، وأخذت منه كتب الفقه ما يعرف به فرض العين كالأخضرية والعشماوية، ورسالة ابن أبي زيد وغيرها، وأخذت منه تفسير القرآن من أول الفاتحة إلى آخر القرآن مراراً لا أعرف قدرها، وأخذت منه علم الحديث دراية ورواية، من ألفية العراقي وصحيح البخاري وغيرهما، وأخذت منه علم الحساب القريب منه اليسير، وحصل لي بحمد الله التبصر في الدين من فيضان نوره ومن تأليفه المفيدة العربية والعجمية، فما ألّف كتاباً من أول تأليفه إلى الآن إلا كنت أول من نقله عنه غالباً، وصحبته حضراً وسفراً ما فارقت منذ أن يافع إلا إذا كان هذا النجير منقولاً من صاحبه مباشرة والحمد لله على ذلك".<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> - عاصمة الملك في الدولة الفودية، وهي الآن إحدى الولايات في شمال نيجيريا.

<sup>٢</sup> - انظر: الشوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث المعاصر، (١٩٨٦م)، ج ١، ص ١٠٨، ومقال عبد الله عبد الرازق إبراهيم في مجلة المناهل، العدد السابع، الرباط، يونيو، ١٩٧٦م، ص: ١٣٧ وما بعدها.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، إيداع النسخ من الشيوخ، ج ١، ص ٤٥.

<sup>٤</sup> - ألفية العراقي، متن متداول في علوم الحديث، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، واسم الكتاب: "التذكرة والبصرة" واشتهر بالألفية لكونه في ألف بيت، في السابق، معجم المؤلفين، ج ٥، ص ٢٠٤.

ودرس بعض علوم اللغة العربية على أيدي عمه عبد الله بن محمد بن الحاج، وعلى ابن خالته محمد بن محمد الذي علمه مقامات الحريري وغيرها، ودرس البلاغة على ידי الشيخ أحمد بن أبي بكر بن غار، ودرس مع أخيه عثمان على ידי العالم الجليل الشيخ المجاهد جبريل بن عمر،<sup>١</sup> وارتحل لطلب العلم وتحصيله إلى البلدان المجاورة والقاصية، ولم يتوقف الشيخ عبد الله عند هذا الحد بل كان يكتب إلى الشيوخ والعلماء في بلاد السودان الغربي يطلب منهم مؤلفاتهم وكتبهم المفصلة، وكان دؤوبا على العلم وتحصيله.<sup>٢</sup>

### ثالثاً: رحلاته وثقافته ومنزلته العلمية

١- رحلتها إلى مملكة غُوبُر مرة ثانية، سنة (١٢٠٣هـ، ١٧٨٨م)، وذلك لما أرسل السلطان بَاو إلى جميع علماء البلاد لضيافة أعدّها لهم بمناسبة عيد الاضحى، وكان من بين الحضور الشيخ عثمان وأخوه الشيخ عبد الله، وفي ختام الدعوة تصدّق السلطان على العلماء بأموال كثيرة، فانتهر الشيخ عثمان هذه الفرصة السانحة، وطلب بدل الأموال الطائلة أن يسمح له الملك بممارسة أنشطته الدعوية على قدم وساق، وعدّد له أموراً تتعلق بمستقبله الدعوي، فسمح له الملك بها، وأجاب طلبه.

٢- رحلتها الثانية إلى جميع بلاد كَبّ، استعد الشيخ عثمان لرحلة دعوية، تعم جميع بلاد كَبّ؛ لتبليغ الدين، وكان معه في هذه الرحلة أيضاً أخوه الشقيق الشيخ عبد الله بن فودي، فجالوا جميع بلاد كَبّ، حتى وصلوا إلى بحر كُوارا<sup>٣</sup> وهو البحر الأعظم في البلاد، فدخلوا حتى وصلوا إلى غربيّه في بلد يسمّى إلفبلغو الدين ورجعوا إلى أوطانهم.

٣- رحلتها إلى بلاد زرم<sup>٤</sup>، وكان ذلك في حوالي سنة (١٢٠٧هـ، ١٧٩٢م)، ارتحلوا إلى هذه البلاد أيضاً لتبليغ الدين ووصلوا إلى محل أميرها بموضع يسمّى زغو؛ فرجعوا إلى الوطن وقد تاب

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، إيداع النسخ من أخذت من الشيوخ، ج ١، ص ٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، الحسين عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، الرياض، (١٩٨١م)، ج ١، ص ٣٩٤.

<sup>٣</sup> - بحر كوارا: هو البحر المنسوب إلى مدينة كوارا، وهي إلورن، وهي عاصمة ولاية كوارا شمال نيجيريا.

<sup>٤</sup> - زرم: هي عاصمة زمفرا القديمة.

فيها كل من قدّر الله له التوبة،<sup>١</sup> وربما استفاد بالرحلات العلمية فطلب فيها العلم من بعض المشايخ، والله أعلم.

٤- وأما رحلاته في طلب العلم، فلم أقف إلا على رحلته إلى الشيخ جبريل بن عمر؛ حيث زار شيخه جبريل بن عمر أكثر من مرة في أغدس. قال في تزيين الورقات: ثم بعد ذلك تحرّك قلبي إلى زيارة شيخنا جبريل بن عمر رحمته الله ثانياً؛ لأننا قد زناه أولاً قبل انتقالنا من بلدنا طغل إلى بلاد زمفرا حين رجوعه من الحج ثانياً ونحن مع الشيخ عثمان رحمته الله، فتلقيناه وهو حينئذ في موضعه المسمّى (فودي)، وقرأت عليه الكوكب الساطع للسيوطي مستمّعا كتباً شتى تقرأها الطلاب، ثم رجعت إلى الوطن.<sup>٢</sup>

أما شمول ثقافته: عند ما نتحدث عن الشيخ عبد الله فإنما نتحدث عن شخصية متعددة المواهب، شمولية الأفكار واسعة الأفق؛ فقد سبق أن ذكرنا أنه اغترف في معين كل علم من العلوم الإسلامية والعربية، وأخذ من كل فنّ بحظّ وافر، وسار مؤلفاً في كل مجال، فقد صنّف في التفسير وعلوم القرآن، والفقه وأصوله، واللغة والتاريخ، والمنطق والحساب، وكان قادراً على تطويع اللغة العربية في تعبيرها، فقد كان شاعراً مفلحاً، وأديباً مبدعاً، وكان مجاهداً مقبلاً غير مدبر، يكتب بلغة سهلة، وعبارة سلسلة شيقة، وأمسك السيف فجاهد في سبيل الله، وأعلى راية الإسلام، وأحيا السنة، وأخذ البدعة، ولما وليّ إمارة منطقة غوندو أصبح سياسياً محنّكاً، وحاكماً بارعاً.<sup>٣</sup>

فَلِلَّهِ مَا قَدْ نَالَهُ مِنْ مَّوَاهِبٍ وَمَنْ هَمُّهُ عَنْهَا الْمَعَالِيُ تَنْزَوِي

وأما منزلته العلمية: يُعد الشيخ عبد الله بن فودي من الأقطاب النوار الذين تفتخرهم منطقة غرب إفريقيا عامة، ودولة نيجيريا خاصة، في الماضي والحاضر، لا لكثرة مؤلفاته، أو لقيمتها العلمية فحسب، بل لشمولها وتنوعها وتناو لها مختلف فروع العلم، وهذا هو السبب في لقبه بعربي السودان، ونادرة الزمان، لمنزلة علمه، وعلوّ كعبه. وهذا أيضاً ما جعل البعض يقدّمه على أخيه

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، ج ١، ص ٥.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٠.

<sup>٣</sup> - في السابق، على السكاكر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، دراسة تاريخية مقارنة، ج ١، ص ١٦٧-١٧١.

في مجال العلم والمعرفة، ويعتقد فيه أنه أكبر عالم وكاتب عرفته إفريقيا الغربية،<sup>١</sup> وهذا وإن كان فيه نوعٌ من المغالاة إلا أنه ليس كثيرا في حقه إذا نظرنا إلى إنتاجاته وإسهاماته؛ فهو جدير بأن يُثنى عليه بهذه الصفات، ويمتدح بهذه النعوت.

#### رابعا: صفاته الخلقية ومؤلفاته وآثاره العلمية

أما صفاته الخلقية: لا يتخلّق الشيخ عبد الله بالاخلاق الفاضلة ويتحلّى بالصفات النبيلة، فهو عالم عامل، يطبق ما علمه، ويجتنب هوى النفس، هذا ما سجّلته لنا حياته وهذا ما حكاه لنا التاريخ، ولا نزكي على الله أحدا والله حسيبه وإليك نُتَقًا من أخلاقه وصفاته على سبيل المثال: أ-ورعه، وزهده: كان الشيخ عبد الله متورعا وزاهداً في الدنيا، لا يميل إليها ولا يسكن إلى زخار فيها، وهذا ما جعله يهجر وطنه لما رأى قادة الجهاد صرفوا همهم إلى الملك والجاه، ومن ورعه أيضا ما مضى من تحفّظه عن إطلاق كلمة التفسير في كتابه (ضياء التأويل)؛ لأنها كما يرى تدل على القطع بأن الله عني بهذا اللفظ هذا المعنى، ولم يخالف أخاه الشيخ عثمان في حكم لبس ما أخذه المسلمون من الكفار من لباس الذهب والفضة إظهاراً للنعمة من غير استدامة؛ فمنع ذلك ورآه حراماً إلا لشدة ورعه، وزهده في الدنيا.

ب-تواضعه: كان متحلياً بالتواضع والانخفاض، متحلياً عن التكبر والخيلاء، ويظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ فسرّه بقوله: الكافرين والمؤمنين؛ أي إن الله لا يحب من اتصف بصفة الكبرياء، مؤمناً كان أو كافراً.<sup>٢</sup>

ومما يدل على تواضعه أيضا أنه لما انتهى من قصيدته الجيمية، التي مدح بها شيخه جبريل، وأخاه الشيخ عثمان، ورجال الدعوة، كانت قصيدة مليئة بالفصاحة والبلاغة قال معلقاً عليها: (قد حوت هذه القصيدة من علوم العربية وعلوم البلاغة ما لو تأمله اللبيب المنصف لعدّها من كرامات الشيخين الممدوحين بها، وإني والله ليس لي قوة فيها ولا حول؛ وإنما هي نفحة من نفحاتهما وبركة من بركاتهما، أفاضها الله علينا آمين).<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر سعيد غلادني، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ٢٦٤ .

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٩٣ .

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٥ .

فقوله هذا وإن دل قوله على احترامه لشيخه، وخفض جناح الذل لهما؛ إلا أنه في الوقت نفسه يدل على تواضعه، وعدم تكبره أو إعجابه بنفسه على موهبة قدرة تطويع اللغة العربية، والإتيان بالتعبير الرائع، ومطلع القصيدة الجيمية هو أما إثارة رحمه الله: الإيثار خصلة عظيمة من خصال الخير، وخلق شريف لا يتخلق به إلا من صدق الله ورسوله، لأن النفس البشرية مجبولة على جلب النفع إليها، ودفع الضرر عنها، ولذا مدح الله تعالى المتصفين بهذه الصفة في كتابه فقال: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup> والإيثار هو تقديم حاجة الغير على حاجة النفس.<sup>٢</sup>

والشيخ عبد الله من الذين وفقهم الله بالاتصاف، ويتضح ذلك جليا لما ذهب إلى صكته للتعزية بعد وفاة أخيه الشيخ عثمان، ورأى أبواها أغلقت دونه، رجع ولم يعزم بعد رجوعه على القتال مع قدرته على ذلك، بل اثر حاجة ابن أخيه (محمد بللو) أن يبقى خليفة، على حاجة نفسه، ليسود الأمن والوثام بين المسلمين.

**ج-جراته في الحق:** كان رحمه الله جريئا على الحق، إذا آمن بشيء لا يصرفه عن تنفيذه شيء، ولا يلويه عن تطبيقه لا؛ فهذا شيخه وأخوه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي، مع تقديره له، واحترامه لجنابه، واعترافه له بفضلته عليه؛ فقد خالفه في بعض المسائل، رأى فيها رأيا ورأى الشيخ عثمان فيها رأيا غيره، ولم يصرف ذلك عبد الله عن رأيه، بل تمسك بما اقتنع به من الدلائل، وهذه المسائل هي

- ١- حكم استعمال آلات اللهو كالطبل والدف وغيرهما.
- ٢- حكم لبس ما أخذه المسلمون من الكفار من لباس الذهب والفضة إظهاراً للنعمة من غير استدامة.
- ٣- التسمي بألقاب معينة كالملك، والسلطان والوالي.
- ٤- جواز أو عدم جواز إقامة صور للأئمة.
- ٥- حكم تعقب الأموال التي تصرف فيها الكفار بالجور.

<sup>١</sup> - سورة الحشر الآية: (٩).

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم، عند تفسيره لهذه الآية.

٦- تكفير المسلمين الذين يوالون الكفار وينصرونهم على إخوانهم المسلمين أو عدم تكفيرهم.<sup>١</sup>

اختلف الإخوان في هذه المسائل ولكل أدلته في تدعيم ما ذهب إليه بالحجج إما من الكتاب أو السنة أو الإجماع، ولا غرو أن يكون الشيخ عبد الله جريئاً في الحق، وهو الذي يقول<sup>٢</sup>:  
وَلَا يُطَاعُ عَالِمٌ فِي بَاطِلٍ وَالْحَقُّ مَقْبُولٌ وَلَوْ مِنْ جَاهِلٍ

د-مضاء عزيمته: إذا عزم عبد الله على شيء لا يعرف شيئاً اسمه المستحيل، بل يمضيه مهما يكلفه من الصعب والمشقة، ويظهر ذلك واضحاً في قصة عزمه على الهجرة إلى المدينة المنورة لجوار المصطفى ﷺ، فكان لا يعرف الطريق، ومع ذلك مضى عازماً، واستقبل الطريق متوجهاً إلى ما عزم إليه، كما قال في أبياته<sup>٣</sup>:

أسير بلا علم ولا قود قائد ونيل سبيل في الفيا في العواشب  
بخمسة أحرار كذاك الرقيق مع ثلاثة أفراس كمثل الركائب  
نشيم عطاشاً حين حان نزولنا ذوائب أشجار المياه الشوارب  
وكم ليلة بتنا بها نابغة ولا نار إلا نارنا في السباب

مؤلفاته وآثاره العلمية؛ أما المؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي مجهودات جبارة فيه، وتأليفه يشمل كل فن، وقد قيل إن مؤلفاته تبلغ مائة وسبعين مؤلفاً<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء السياسات، ج ١، ص ٢٧.

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، الحصن الرصين، ج ١، ص ٨.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ضياء السياسات، ج ١، ص ٢٧.

<sup>٤</sup> - في السابق، محمد كبير، عبد الله بن فودي وحياته العلمية، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر.

ويمكن تقسيم المؤلفات من حيث صياغتها إلى قسمين: منظومات علمية شعرية، ومؤلفات تعليمية إصلاحية؛ فأما المنظومات العلمية، فكان أحيانا يعتمد على كتاب ألف في فنّ من الفنون النثرية، فينظمه على بحر الرجز كما هو أسلوب المؤلفين لأغلب المنظومات العلمية، وغرضه من ذلك تقريب المعلومات إلى الطلاب، وتسهيل حفظها لهم، وكان طابع التأليف في عصره انتهج هذا المنهج. ومن أمثلة ذلك ما فعل في:

- ١- مفتاح التفسير، أنه نظم لما في الإتيان والنقاية لجلال الدين السيوطي.
- ٢- ألفية الأصول، في كتابه: مفتاح الوصول في علم الأصول للتلمساني.<sup>١</sup>
- ٣- البحر المحيط، في كتابه: جمع الجوامع، للسيوطي، وهو أكثر من أربعة آلاف بيت.
- ٤- الفرائد الجلية وسائط الفوائد الجميلة، وهو نظم لما في كتاب (الفرائد الجميلة في الآيات الجلية) للشوشاوي، وأحيانا ينظم منظومة شعرية علمية بدون اعتماد أيّ كتاب.
- ٥- الحصن الرصين في علم التصريف.<sup>٢</sup>
- ٦- فتح اللطيف الوافي لعلم العروض والقوافي.
- ٧- مصباح الراوي وهو ألفية الحديث، وأحيانا ينظم المنظومة لا لغرض تقريب علم من العلوم؛ ولكن لغرض ما من الأغراض الشعرية المعروفة، كالمدح، والثناء، والوصف، وغير ذلك، ومن أمثلة ذلك ما فعل في روض العاشق.
- ٨- روضة العاشق في مدح سيد العباد، وهي منظومة خمسة في مدح رسول الله ﷺ.
- ٩- موصوفة السودان، وهي منظومة أيضا في مدح الشيخ عثمان، وذكر مناقبه، ومراحل جهاده، وأهم الأحداث التي جرت في حياته.
- ١٠- تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، وهو كتاب أودع فيه قصائده التي نظمها في مناسبات مختلفة، كأخبار الجهاد، والمراثي، والمدائح، وغيره.<sup>٣</sup>

١- هو محمد بن أحمد بن علي الإدريسي، أبو عبد الله العلوي، المعروف بالتلمساني، باحث من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم في المغرب، (ت ٧٧١ هـ)، في السابق، الزكشي، الإعلام للزركشي، ج ٥، ص ٣٢٧.

٢- مطبوع طبع دار الكتب العلمية.

٣- فيه يذكر الشيخ عبد الله بن فودي تاريخ للإمارات الإسلامية وما لاقوه على يد ملوك هوسا وذكر أيضا بعض شيوخهم، مكتوب بخط كوفي وفيه قصيدة النصائح ختمه سنة (١٢١٨ هـ)، وفيه ٦٣ صفحة.

وأما مؤلفاته الاصلاحية والتعليمية، التي ليست شعرية، فهي أكثر مؤلفاته، ومنها رسائل مطولات، ومنها مختصرات، ألفها في فنون مختلفة، وأغلبها كانت بعد عودته من كنو حين تفرغ للتأليف والعبادة وسياسة الدولة؛ فكان شغله الشاغل تأليف ما يصلح به مجتمعه، فتصفوا أكراده، وتشفي أمراضه.

- ١١ - البحر المحيط.<sup>١</sup>
- ١٢ - ضياء الأحكام.<sup>٢</sup>
- ١٣ - ضياء التأويل في معاني التنزيل.<sup>٣</sup>
- ١٤ - ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الأحكام.<sup>٤</sup>
- ١٥ - ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو في فروع الدين من المسائل.
- ١٦ - ضياء أولي الأمر والمجاهدين في سير النبي والخلفاء الراشدين.
- ١٧ - آداب العادات.
- ١٨ - العادات على سنة الرسول وتابعيه السادات.
- ١٩ - أخلاق المصطفى.
- ٢٠ - آداب المعاشرة لطلب النجاة في الدنيا والآخرة.
- ٢١ - التبيان لحقوق الإنسان.
- ٢٢ - الأسماء السبعة عن طريق السادة الخلوتية.
- ٢٣ - خلاصة الأصول.
- ٢٤ - بيان الأذكار والشروط للطريقة القادرية.
- ٢٥ - الترغيب والترهيب.
- ٢٦ - تهذيب الإنسان من خصال الشيطان.
- ٢٧ - التبيان لحقوق الإخوان.
- ٢٨ - تعليم الراضي أسباب الاختصاص بموات الأراضي.

<sup>١</sup> - حققه محمد الثاني خامس برسالته الجامعية، الدكتوراه، بجامعة بايرو - كنو - نيجيريا.

<sup>٢</sup> - حققه شيخو با موسى، جامعة أحمد بيللو زاريا ولاية - كدونا - نيجيريا.

<sup>٣</sup> - طبع بمصر، أحمد أحمد أبو السعود، وعثمان الطيب.

<sup>٤</sup> - وقد طبعه أبو بكر سكي ولاية - صكتو - نيجيريا.



- ٢٩- تلخيص الحصن الرصين.
- ٣٠- تعليم الانام بتعظيم ربنا ورسولنا سيد الانام .
- ٣١- تخميس العشرينيات.
- ٣٢- دواء الوسواس والغفلة في الصلاة وقراءة القرآن .
- ٣٣- جودة السياسة.
- ٣٤- الحصن الرصين في الصرف.<sup>١</sup>
- ٣٥- زاد المعاد.
- ٣٦- سبيل السلامة في الامامة .
- ٣٧- تقريب الضروري من علوم الدين.
- ٣٨- سبيل المرشد المعين على الضرورة من علوم الدين.
- ٣٩- سبيل أهل الصلاح.
- ٤٠- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن.<sup>٢</sup>
- ٤١- ضياء الولاية.
- ٤٢- نظم منن المنان لمن أراد شعب الايمان.
- ٤٣- تاريخ العلماء والصالحين.
- ٤٤- ثنيت قولي بالصلاة مسلما (قصيد).
- ٤٥- تعريب ما أعجم الشيخ عثمان.
- ٤٦- الطريقة الجادة وما احتوت عليه من المادة .
- ٤٧- روض العاشق في مدح سيد العباد.
- ٤٨- فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي.
- ٤٩- دالية الشيخ عبد الله بن فودي.
- ٥٠- عليكم السلام والسلام عليكم (قصيدة).

<sup>١</sup> - قد طبع بدار الفكر- بيروت.

<sup>٢</sup> - في مرحلتي الماجستير والدكتوراه محمد ثاني أياغي محاضر في الجامعة بايرو- كنو- نيجيريا.

- ٥١- الفرائد الجلية في علوم القرآن.<sup>١</sup>
- ٥٢- ضياء القواعد ونشر الفوائد لأهل المقاصد.
- ٥٣- مدح الوزير محمد البخاري (قصيدة).
- ٥٤- لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل.<sup>٢</sup>
- ٥٥- نيل المأمول من جوامع كلم الرسول.
- ٥٦- من طلل خلا أم نقد قوم ألفتهم (قصيدة).
- ٥٧- درر الحكم للرسول وأهل الكرم.
- ٥٨- النصيحة بتقريب ما يجب على كل مكلف.
- ٥٩- شكر الإحسان على ممن المنان.
- ٦٠- النفحات البشرية في شرح القصيدة العشرية.
- ٦١- سفينة الصلاة أو روح الصلاة.
- ٦٢- مدح الوزير محمد البخاري (قصيدة).
- ٦٣- شفاء الناس من داء الغفلة والوسواس.
- ٦٤- النيات في الأعمال الدنيوية والدينية.
- ٦٥- مصباح الراوي وهو ألفية الحديث.
- ٦٦- ضياء الإمام في إصلاح الأنام.
- ٦٧- ضوء المصلي.
- ٦٨- ضياء أهل الرشاد.
- ٦٩- ضياء الانام في الحلال والحرام.
- ٧٠- ضياء الحلفاء.
- ٧١- ضياء المقتدين.
- ٧٢- ضياء الأمة في أدلة الأئمة.

<sup>١</sup> - تقدم تخرجه.

<sup>٢</sup> - كتاب يتعلق بمصالح الانسان كأنه يشبه كتاب التربية ذكر فيه حقوق المتعلقة بإخوانه ومسائل تتعلق بالطب وطريقة شفاء الامراض مطبوع بالخط الكوفي وفيه ٧٩ صفحة.

- ٧٣- ضياء السلطان.
- ٧٤- ضياء الولايات.
- ٧٥- كفاية الطلاب في النكاح.
- ٧٦- ضياء السند.
- ٧٧- طريق المصلحين.
- ٧٨- تعريب ما في جامع البخاري.
- ٧٩- كتاب النسب.
- ٨٠- كتاب المواعظ.
- ٨١- الحمد لله المتفضل الوهاب.
- ٨٢- مصباح الإنسان.
- ٨٣- مفتاح التفسير<sup>١</sup>.
- ٨٤- درع اللينة في علم الهيئة.
- ٨٥- النصيحة الكافية.
- ٨٦- نظم رجال الغيب.
- ٨٧- سبيل النجاة، طبع بصكتو.
- ٨٨- سراج الجامع للبخاري مفتاح القارئ في تراجم أبواب البخاري<sup>٢</sup>.
- ٨٩- نظم الوسطى.
- ٩٠- كتاب النصائح في أهمّ المصالح.
- ٩١- كتاب الديانات.
- ٩٢- المسائل.
- ٩٣- اللؤلؤ المصون في علم القواعد.
- ٩٤- مطية الزاد إلى المعاد.
- ٩٥- مفتاح الأصول.

---

<sup>١</sup> - تقدّم تعريفه.

<sup>٢</sup> - حقّقه الشيخ محمد المنتقى ونشر، توجد نسخته في مكتبة جامعة بايرو- كنو- نيجيريا.

- ٩٦- قواعد الصلاح إلى الفلاح.
- ٩٧- النصيحة الوضيئة.
- ٩٨- الكوكب الساطع.
- ٩٩- ممن المنان لمن أراد شعب الإيمان.
- ١٠٠- كفاية العوام على البيوع.
- ١٠١- كتاب العادات على السنة.
- ١٠٢- علامات المتبعين للسنة.
- ١٠٣- النصائح في أهم المصالح.
- ١٠٤- لمع البرق في الاعراب.
- ١٠٥- نيل المرام من شيم الكرام .
- ١٠٦- هبة الوهاب على شرح ممن المنان.
- ١٠٧- يا طالب النور(قصيدة)<sup>١</sup> توجد مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي في مكتب جامعة بايرو بكنو، ومركز البحوث بولاية صكتو، في المتحف الوطني بولاية كدونا، وغير ذلك من المكتبات العامة والخاصة في نيجيريا وسائر دول غرب إفريقيا<sup>٢</sup>.

#### خامسا: عقيدته ومذهبه ووفاته وثناء العلماء عليه

أما عقيدة الشيخ عبد الله المطلع على مؤلفات الفوديين<sup>٣</sup> يدرك أنهم أشعريون قادريون في العقيدة والتصوف، ومالكيون في المذهب الفقهي؛ ولعل السبب في ذلك هو تأثر منطقته بالمغرب العربي الذي منه دخل الإسلام إليهم. والظاهر أن تصوف الشيخ عبد الله لم يخرج من دائرة الاعتدال إلى الغلو، فلم يكن من أهل الحلول والاتحاد، بل مفهوم التصوف عنده منصب على التصوف الإسلامي في مرحلته الأولى الذي مبناه على الزهد في الدنيا والاشتغال بالعبادة، والدليل على ذلك مقالته في التصوف التي اختتم بها كتابه (ضياء السياسات)، يقول فيها: (حد التصوف:

<sup>١</sup> - الشيخ عثمان بن فودي، بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع منظمة الايسسكو، بتاريخ (١٤١٧هـ)، عبد القيوم عبد الحليم الحسن، مقالة، بعنوان، **مخطوطات الفوديين**، ج ، ص ٤٠٩-٤٠٤.

<sup>٢</sup> - وقد زرتُ مراراً وتكراراً المتحف الوطني في ولاية صكتو ولاية كدونا، في مكتبة الجامعة بايرو، كنو وشهدت هذه المخطوطات وبعضها مطبوع وكذلك حقق بعضها، أغلبها مكتوب بالخط المغربي.

<sup>٣</sup> - الفوديون نسبة إلى فودي، وهم الشيخ عثمان، والشيخ عبد الله، والسلطان محمد بيلو، وأسرتهم .

صدق التوجه إلى الله تعالى، وهو مشروط من حيث يرضاه الحق وبما يرضاه، ولا يصح مشروط بدون شرطه، ولا يرضى لعباده الكفر، فلزم تحقيق ﴿وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾<sup>١</sup> لزم العمل بالإسلام، فلا تصوف إلا بفقهه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق التوجه، ولا هما إلا بالإيمان إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح بالأجسام، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال لها إلا فيها، وأصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).<sup>٢</sup>

ولما أن المذهب المالكي هو السائد في بيئة الشيخ عبد الله فقد تلقى مبادئ دروسه الفقهية من كتب ومختصرات هذا المذهب، ابتداء من الاخرية والعشماوية، ومرورا برسالة ابن أبي زيد القيرواني، وانتهاء بمختصر خليل وشروحه، وغير ذلك من كتب المالكية السائدة في بلده ويبدو أن الشيخ عبد الله تضرع من هذا المذهب، ولذا بنى تفسيره (صياء التأويل ومعاني التنزيل) على مشهور مذهب مالك، وهذا أيضا إن دل على أنه اختار لنفسه مذهبا فقهيا عاش عليه ومات عليه؛ فكذلك يدل على براعته في التأليف، وسعة اطلاعه.<sup>٣</sup>

أما وفاته رحمه الله بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم، والجهاد والتضحية، مكرسة لتبليغ الدعوة وإقامة الدين، لبي الشيخ نداء ربه، وانتقل إلى جوار رحمة، في سنة (١٢٤٥هـ)، (١٨٢٩م)، وله من العمر ٦٥، وقيل ٦٦، وقيل غير ذلك؛ ولكن الشيخ بنفسه ذكر في كتابه تزيين الورقات أنه يصغر أخاه الشيخ عثمان، بنحو اثني عشر سنة.<sup>٤</sup>

وعلى هذا يكون تاريخ ميلاده، سنة (١١٨٠هـ-١٧٦٦م)؛ لأنه من المعلوم تاريخيا أن الشيخ عثمان ولد سنة (١١٦٨هـ-١٧٥٤م)<sup>٥</sup>، وتوفي وهو ابن ست وستين سنة، أول خمس وأربعين

<sup>١</sup> - سورة الزمر الآية: (٧).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء السياسات، تحقيق الدكتور أحمد كاني، ص ١٨٦، بتصرف، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه في السابق، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، الحديث: ٨، ج ١، ص ١٥٨، قلت هذا ما قاله عبد الله، لكن وجه دلالة من الحديث التي استدلت به فيه نظر.

<sup>٣</sup> - في السابق، ثاني أياغي، الشيخ عبد الله بن فودي ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن ج ١، ص ٣٤.

<sup>٤</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، ج ١، ص ٤.

<sup>٥</sup> - في السابق، دعوة محمد بن عبد الوهاب ودعوة عثمان بن فودي، دراسة تاريخية مقارنة، ج ١، ص: ١٦٢.

ومائتين بعد ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام (١٢٤٥هـ - ١٨٢٩).<sup>١</sup> ودفن في غوندو عاصمة مملكته الغربية، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته آمين.<sup>٢</sup> أما ثناء العلماء عليه: فقد أثنى علي العلماء المعاصرون له ومن بعدهم، وإليك طائفة من أقوالهم: ١- وفي مقدّماتهم السلطان محمد بللو، فقد قال في الثناء عليه: (الأستاذ أبو محمد عبد الله بن فودي، العالم العلامة النظار الفهامة، شيخنا البركة، المصنف المفسر المحدث، الراوية الحافظ المقرئ المجوّد، النحويّ اللغوي، البياني المتفنن، الاخذ من كل فن بأوفر نصيب، الراتب من كل علم في مرعاه الخصيب، الشهير الرحالة، آخر السادات الإعلام، وخاتمة النظار، ذو التحقيقات البديعة، والأبحاث الأنيقة، المتفق على علمه وهديه، ممن قل سماح الزمن بمثله، ومن الأفراد السنية في فنون الشرع، له القدم الراسخة، والرحب الواسع، في كل مشكل، سيف الله على ذوي البدعة، معدن الصدق والعلم، وزناد الفهم، كان آية في تحقيق العلوم، مفرط الاطلاع على المنقول في الفنون، جامع شتات العلوم، فاضل وقته، وأعجوبة أوانه).<sup>٣</sup>

٢- ومنهم العالم محمد ثنب قال فيه (العلامة المحقق، والفهامة المدقق، ذوالنظر الدقيق، والفهم العميق، والزهر الأنيق أستاذ الأساتيد، أبو الحسن عبد الله بن فودي).<sup>٤</sup> ٣- ورثاه الشيخ محمد البخاري بأبيات رائعة<sup>٥</sup> قال فيها:

فيا	صبري	على	بلواه	ودّع	فؤادا	لي	جزوعاً	ذا	عناء
فما	جزعي	عليه	لفقد	عمّ	كريم	سيّد	باهي	السناء	
حليم	ماجد	الأصلين	طرّاً	شهير	بالتواضع	والوفاء			

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، في مقدمة، تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣ - ٤.

<sup>٢</sup> - تابعة لولاية كب.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بللو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ج ١، ص ٢٠٧.

<sup>٤</sup> - في السابق، محمد كبير يونس، عبد الله بن فودي وحياته العلمية، ج ١، ص ٧١.

<sup>٥</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء السياسات، تحقيق الدكتور أحمد كاني، ج ١، ص ٥٢.

عفيف طيب بر صدوق وقور صابر عند اللقاء  
ولكني جزعت لفقد حبر ينوح لفقده أهل السماء  
نزيه واضح المنهاج عين ال هدى شيخ الشيوخ بلا امتراء  
أمين فاقد الأشباه ترب التقى ذو الفضل ذخر الأولياء  
تقضى عمره في نشر علم وإرشاد لأهل الاهتداء  
وتدبير المصالح للأداني وكل المسلمين على السواء

#### المبحث الرابع: التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل

أما التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل كما أثبت صاحبه على غلاف الكتاب بهذا العنوان عبارة عن توضيح وبيان تفسير معاني كلام الله المنزل على رسوله ﷺ وأن هذا التفسير كتاب عظيم يستوعب القدر الكبير المنفع.

قال: الشيخ أبو بكر محمود جومي "إنه قد طلعت كتاب الشيخ عبد الله بن فودي (ضياء التأويل في معاني التنزيل) بأمر من قبل مولانا القائم بالأمور الدينية والدنيوية في بلادنا السيد الحاج أحمد سرْدونا صكتو بن إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي بكر مي رابا بن أمير المؤمنين محمد بللو بن الشيخ الأكبر عثمان بن فودي، فوجدت أن الكتاب يحتوي على الصفات التي وصفه بها صاحبه في أول مقدمته بل يزيد بمحسن بها فضلته على سائر كتب التفاسير التي وصلت إلينا، وإنه كتاب لم ينسج على منواله، ولم يسبق صاحبه أحد إلى وضع مثله ولم يلحقه في شاوه لاحق".<sup>١</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢.

١- سبب تأليفه: تحدث المؤلف عن الاسباب والعوامل التي دعتة إلى تصنيف الكتاب، وقد أشار الشيخ عبد الله بن فودي في مقدمة كتابه كفاية ضعفاء فقال: "لما من الله على إكمال تفسير القرآن (ضياء التأويل وفي معاني التنزيل) وكان حافلا ببيان القراءات السبع ومذاهب الأئمة الأربعة في الفروع، وبيان العربية والبلاغة والأصول، وترتيب الغزوات، وغير ذلك مما لا يعرفه إلا من طالعه مستحضرا لما فيه، فضعف عنه لذلك الضعفاء، صرفت المهمة إلى تلخيصه لهم مبنيا على رواية ورش فقط".<sup>١</sup>

٢- أوصاف التفسير ومحتوياته: قدم التفسير في أربعة مجلدات متوسطة الحجم، ومحتويات كل مجلد كالتالي:

المجلد الأول بدأ من مقدمة الطبع ومقدمة الشيخ جومي، ثم نبذة من تاريخ المؤلف، تناول تفسير من سورة الفاتحة الكتاب إلى آخر سورة الأنعام، وفي المجلد الثاني أخذ في تفسير سورة الأعراف إلى آخر الاسراء، وفي المجلد الثالث من سورة الكهف إلى آخر سورة فاطر، وفي المجلد الرابع من سورة يس إلى آخر الناس. وهذا بالنسبة للطبع؛ أما أصل المخطوطات تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل الذي كتبه صاحبه بيديه وهو يقع في مجلد واحد في جزئين.<sup>٢</sup>

٣- طباعة التفسير: وقد أكمل تصنيفه يوم الثلاثاء بعد صلاة الظهر لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة (١٢٣١هـ)، من الهجرة النبوية، وطبع أولا في سنة (١٣٨٠هـ)، بالقاهرة مطبعة الأزهر الشريف، وكان هذا بأمر من رئيس وزراء شمال نيجيريا السيد أحمد بللو حفيد الشيخ عثمان بن فودي، والذي عزم على إخراج تراث زعماء حركة الجهاد ونشرها في العالم الإسلامي. قال: "من الاسف الشديد أن هذه الكتب لم يطبع فتتشر من قبل فلم تعرف في غير محلها، فقد هممت إن شاء الله أن أجبر منها ما كان انكسر حتى يعم النفع للمسلمين".<sup>٣</sup> إلا أن المنية أدركته فاعتيل على يد ضباط كافار من الجنود ولم تحقق أمنيته، ومن الجدير بالذكر أن هذا التفسير قرأه علماء الأزهر من أكبر الجامعات في العالم الإسلامي ويدرسه الطلاب من البلاد المختلفة العلوم.

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥.

والمقصود بورش هنا خط رسم المغاري.

<sup>٢</sup> - وجدت هذه النسخة من المخطوطات عند حفيده إبراهيم بن أحمد بشر وهو في ولاية كبّ، وزوّته مرتين، وكذلك توجد المخطوطات في جامعة بيروت في ولاية كنو، وعدد صفحاتها (٧١٧)، وسأرفق صورة المخطوطات في آخر البحث.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢.



٤- **منهجه العام فيه:** فقد نهج الشيخ عبد الله بن فودي في تفسيره هذا منهج من سبقوه من المفسرين المتقدمين والمتأخرين،<sup>١</sup> الذين حذفوا الأسانيد وقللوا القصص واختصروا الأقوال المأثورة وذكروها بدون أسانيد، ومالوا كثيرا إلى التفسير بالرأي المقبول المحمود، واهتموا أحيانا بالتفسير المذمومة والتأويلات الفاسدة للآيات المتشابهة، ومنهجه في الإيراد والنقل والتوسيع شبه متوسط ليس بمسهب كالقرطبي ولا بقصر كتفسير الجلالين بل هو وسط بين وبين.

وذكر الشيخ عبد الله في مقدمة تفسيره جملة من المناهج التي اتبعها وطبقها فيه؛ حيث قال: "فقد طلب مني أي الراغبون والملحون عليّ أن" أكتب لهم تفسيراً يفهمونه كتاب الله مع الإعتماد فيه على أرجح الأقوال بإعراب ما يحتاج إلى الإعراب منه، والتنبيه على القراءات السبع، وبيان الأحكام الشرعية مع مراعاة مذهب مالك بن أنس فيها إذ هو مذهب الرائد في المنطقة والتنبيه على ما يتعلق بالبلاغة.<sup>٢</sup>

ويذكر المناسبات والآية وأسماء السور مكية أو مدنية وعددها وبيّن المسائل العقدية والفقهية ويرجح ما يراه راجحاً. والرجل متمكن بالعلوم سواء كانت من علوم القرآن، واللغة وفروعها. يذكر الغزوات ويستشهد بأشعار العرب وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، وينقل أيضاً فيمن سبقه من المفسرين من تفسير جامع البيان للطبري، والجامع الأحكام القرآن للقرطبي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، والجواهر الحسان لعبد الله الثعالبي. ويذكر كذلك في السنة على الصحيحين، والسنن، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وصحيح بن خزيمة، والبزار، وشرح النووي، وغيرها من مصادره.

وهو أول كتاب للتفسير وضعه أحد من أهل المنطقة، ولم يسبقه إلى ذلك أحد مع وجود بعض العلماء الذين سبقوه في هذا الميدان، وتعلموا على أيدي علماء الشرق كجبريل بن عمر، ومحمد الراجحي وغيرهما،<sup>٣</sup> وتمكنوا من فنون كثيرة. ولم يقدر الله لهم ذلك أن بعضهم قد عاش زمناً طويلاً، وتعلم وعلم الناس ثم لحق بربه من غير أن يكتب له القدر بأن يترك مصنفاً أو تفسيراً مع شهرته علمياً بين الناس، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾،<sup>٤</sup> وجاء الله بالشيخ

١- كالثعالبي والخازن وغيرهما ومن حذو حذوهم.

٢- المرجع نفسه، ج ١، ص ٧.

٣- في السابق، أحمد سعيد غلادنتي، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٣٢، وما بعدها.

٤- سورة الجمعة الآية: (٤).

عبدالله بن فودي، وسهل له الوسائل التي تعينه على كتابة التفسير وغيره فجمع المعلومات من التفاسير المتداولة وغيرها، في ذلك الوقت، وأضاف إليها بعض ما وجدته من مصادره أخرى غير مفهودة في تلك المنطقة.

## المبحث الخامس: البيئة التي أثرت فيها والجهود المتميزة في المراكز العلمية والأهلية في التعامل بالتفسير

دعني أعطيكم لمحة سريعة عن الاوضاع. لقد وصف المؤرخون من الناحيتين الفكرية والعقدية عامة القرن التاسع عشر بعصر الانحطاط بالنسبة للعالم الإسلامي، فلقد شهد ذلك القرن ضمن ما شهدته التخطيطات الاستعمارية الغربية التي استهدفت قلب العالم الإسلامي (الخلافة العثمانية)، والتي كانت تسيطر على رقعة جغرافية كبرى من العالم الإسلامي الممتد من دول البلقان في أوروبا الشرقية والمنطقة الآسيوية في آسيا الوسطى والصغرى، بالإضافة إلى العالم العربي والشرق الأوسط، ومناطق شمال إفريقيا. وبنهاية القرن التاسع عشر وخاصة في الربع الأخير من القرن العشرين، استطاعت الدول الغربية وبالأخص فرنسا وبريطانيا وروسيا تمزيق العالم الإسلامي إلى مناطق نفوذ معينة لغرض التحكم في مقدرات وثروات الخلافة الإسلامية. ولقد لعبت عدة عوامل داخلية وخارجية دوراً كبيراً في تهيئة الجو الداخلي في عصر القابلية للإستعمار كما أسماه الاستاذ مالك بن نبي للغزو الاستعماري الاوربي الذي تحكم في أهم المناطق استراتيجية في العالم، ونعني بذلك العالم الإسلامي، والذي يمثل جغرافيا أهم منطقة استراتيجية وسطية في العالم لأنها تربط أجزاء العالم المختلفة بعضها ببعض جواً وبراً وبحراً.<sup>١</sup>

كما تقدم إن المؤرخين وخاصة المسلمين منهم يعتبرون القرن التاسع عشر عصر انحطاط، وإن صحت هذه المقولة من الناحية العلمية على قلب العالم الإسلامي وأطرافه الشرقية والجنوبية والشمالية؛ إلا أنها لا تنسحب على ما يتعلق ببلاد السودان الأوسط والغربي، أو ما اصطلح عليه جغرافيا في الآونة الأخيرة بغرب إفريقيا؛ إذ إن منطق الواقع العلمي والتاريخي ينفي نفيا باتا

---

<sup>١</sup> - انظر: أحمد محمد، حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي، ورقة قدمها أحمد محمد كان للندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفاء بذكرى الشيخ عثمان بن فودي، بقاعة الصداقة بالخرطوم، عام (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

المنظومة التقليدية التي تقرر الانحطاط كمقياس ثابت لكل المنطقة الإسلامية. فعلى عكس ذلك شهدت منطقة غرب إفريقيا حركات علمية تجديدية إسلامية ذات جذور ثقافية وأطروحة فكرية، وبمكنا هنا تحديد ثلاث حركات جهادية علمية لعبت دورا كبيرا في تنوير مجتمعات غرب إفريقيا إسلاميا مكنتها من إقامة أنظمة إسلامية تعتمد على تطبيق الشريعة الإسلامية ومما لا جدال فيه أن أهم هذه الحركات في غرب إفريقيا حركة الشيخ عثمان بن فودي (ت ١٨١٧هـ).<sup>١</sup>

وثاني أهم هذه الحركات الإسلامية والتي تمّ ظهورها مع حركة الشيخ عثمان بن فودي والتي تأثرت بأفكارها واستراتيجيتها حركة الشيخ أحمد بن سعيد الماسني في بلاد ماسينا (في جمهورية مالي حاليا). لقد استطاعت هذه الحركة بالرغم من قصر عمرها السياسي بناء هيكل الدولة الإسلامية، وإقامة نظام سياسي إسلامي في تلك المنطقة متخذة عاصمة لها. ولقد تأثرت هذه الحركة واستمدت شرعيتها من جهاد الشيخ عثمان بن فودي. تأثرت بأفكار ومفاهيم وتصورات قادة الجهاد الإسلامي في بلاد الهوسا، وبالأخص الشيخين عثمان بن فودي وأخيه عبد الله بن فودي (ت ١٨٢٩).<sup>٢</sup>

أما الحركة الجهادية الثالثة التي لعبت دورا بارزا في توطيد دعائم الإسلام في غرب إفريقيا فهي حركة الشيخ عمر بن سعيد الفوتي (ت ١٨٦٤م) في بلاد (فوتا جالون)، ومناطق التكرور. لقد استطاعت هذه الحركة التي اعتمدت على التجانية كمنهج عقدي في إقامة دولة إسلامية اكتسحت مناطق كبيرة في بلاد مالي (سيغو)؛ و(ما سينا)، و(البمبا) وأجزاء كبيرة من الجزء الجنوبي من غرب إفريقيا المتاخم لمالي. ويتفق كثير من المؤرخين على أن حركة الشيخ عمر بن سعيد الفوتي قد استفادت أكثر من غيرها من ثمرات جهاد الشيخ عثمان بن فودي السياسية والمنهجية والاستراتيجية. لقد عاش الشيخ عمر بن سعيد الفوتي في عاصمة الخلافة الصكتية لحقبة من الزمان قبل رجوعه إلى بلاده لنشر دعوته الجديدة، ومكنته هذه المعاشة من الاستفادة من حركة جهاد الفوديين.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادني، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ٢٦٥.

<sup>٢</sup> - في السابق، مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، ج ١، ص ١٧.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بللو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ج ١، ص ٢٣.

## أولاً: حالة ولايات الهوسا في عصر الشيخ عبد الله بن فودي

كانت بلاد هوسا في غرب إفريقيا منطقة واسعة ومترامية الأطراف، وتتألف من عدة ممالك ودويلات صغيرة، تجمعها الوحدة اللغوية والتشابه في العادات والتقاليد والتقارب في الأنظمة السياسية، ومع هذا كله لم تسعد هذه المنطقة بالوحدة السياسية؛ فلارابطة تجمعهم، ولا زعيم يرجعون إليه عند الخلاف والتنازع، بل كانت متنافرة متناحرة، واستمر الحال على ذلك أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة، لم تنعم بالقرار، ولا ظفرت بالأمن بالاستقرار إلا بعد قيام جهاد الشيخ عثمان بن فودي، والذي أعاد للإسلام مجده وهويته، وللبشرية روحها ومكانتها في المنطقة.<sup>١</sup> وكان أبرز السمات السياسية لدى الدويلات الهوسوية انذا كالحروب المستمرة، والاضطرابات الشديدة، والتمزقات السياسية، والفوضى؛ فكانت الدولة إذا قويت عسكرياً تحاول ضم بقية الدويلات المجاورة لسلطانها فلا تلبث أن تضعف بواسطة الحروب في الوقت الذي تقوى فيه دويلة أخرى وتتفكر في التوسع لتجعل الدويلات الأخرى تحت سلطانها وسيطرتها وظلت تلك الدويلات في هذا الاضطراب الشد والدعوة إلى الله، مذهبه في كل مكان وزمان، وفي كل ضيق وحرَج، ويهتم بحقوق العامة للناس ثم بالاحص حقوق المسلمين في أي مكان. وبمعنى أنه كان يهتم بأمر المسلمين في كل مكان ولا أزكي على الله وهو حسيبه، والذي أضعفها وأوهنها وجعلها عرضة للتدخلات الخارجية من كلٍّ من مملكة صنغي، ومملكة برنو التي غزت بلاد هوسا واحتلت إماراتها.<sup>٢</sup>

ويشهد لما ذكرنا أيضاً ما سجل لنا التاريخ أن دويلة كب التي كانت أقوى دولة في بلاد هوسا من النصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي، وعاشت على قوتها ومنعتها مدة قرن ونصف أو يزيد، ولم تسلم تلك الدولة إبان قوتها وسيطرتها من الهجمات الثورية، والإغارات الحربية، التي قامت ضدها بين الفينة والأخرى، والتي أدت إلى انحطاطها وضعفها وذهاب ملكها في النهاية.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، آدم عبد الله الالوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، ج ١، ص ١٠٢-١٢٠.

<sup>٢</sup> - في السابق، علي السكاكر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة، ج ١، ص ٥١.

<sup>٣</sup> - في السابق، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٦، ص ٢٨١-٢٨٣.

وبعد سقوط دويلة (كب)،<sup>١</sup> استهل القرن الثامن عشر الميلادي بإيرث مملكة زمفرا ما ذهب من يد كب من الملك والسودد؛ فجاءت لتبسط نفوذها في جميع أنحاء بلاد هوسا، فأخذت توسع رقعتها وتحفظ على سمعتها، وعاشت في قوة ومجد لمدة نصف قرن، فnalها ما نال موروثها من الضعف والهواء، والهزيمة والخذلان؛ فسقطت على أيدي سلاطين (غُوبِر)، سنة (١١٧٨هـ- ١٧٦٤م).<sup>٢</sup>

وهكذا ظلت الأوضاع غير مستقرة إلى أن شاءت الأقدار لدويلة (غُوبِر) أن تقود زمام دويلات هوسا وتظل مرهوبة الجانب من بينها، وذلك من منتصف القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي؛ فأخذت في توسيع نطاقها وتمديد حجمها باجتياح كنو، واحتلال كشنا وزمفرا، وغيرها. وامتد نفوذها إلى يوريا في الجنوب حتى أصبح اسمها علما على بلاد هوسا، وعند قيام حركة الشيخ عثمان التجديدية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، كان الوضع السياسي في دويلات هوسا يتمثل في ما يأتي:

- ١- كانت دويلة غوبر أقوى دولة في الشمال الغربي من بلاد هوسا.
- ٢- كانت مملكة برنو الرئيسة المهيبة التي لا تبارى ولا تجارى في الجنوب الشرقي.
- ٣- كانت كنو وزاريا وكشنا مستقلات؛ لكن تحت وصاية مملكة برنو<sup>٣</sup>

#### ثانيا: الحالة الاجتماعية والاقتصادية عموما

كان المجتمع السكاني في بلاد هوسا منقسماً إلى قسمين:

- ١- الحضرة الذين كانوا يسكنون في المدن والقرى.
- ٢- البدو الذين ليس لهم سكن معين، وإنما ينتقلون من مكان إلى آخر لطلب الماء والكلأ أما القسم الأول؛ فكان أبرز صفات حياتهم أنهم يعيشون وفق نظام جماعي يحكمهم كبير الأسرة، وتوجد لكل مجموعة من الأسرة مزرعة كبيرة، تسمى بلغة هوسا (غندو)، وكل فرد من أفراد تلك الأسرة يساهم في زراعتها وتنميتها، ومن أجل ذلك كانت حياتهم لا تعتمد على الدولة، بل لا يهتمون بمن يحكمهم ما دام أنه يسمح لهم بزراعة حقولهم. ومع ذلك كان الحكام يفرضون عليهم

<sup>١</sup> - كان مملكة مستقلة لكن الان إحدى ولاية شمال نيجيريا، وهي مجاورة بصكتو ونيجير وزنفرا.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، دعوة محمد بن عبد الوهاب ودعوة عثمان بن فودي، دراسة تاريخية مقارنة، ج ١، ص ٥٣ .

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٥ .

الضرائب غير القانونية، وهذه الضرائب ليست منحصرة على الفلاحين فقط، بل شملت التجار وأصحاب المهن، وحتى من يريد أن يتزوج لا يألو شيخ الحي جهدا من فرض تلك الضرائب عليه، وكان كبير الورثة يستولي على تركة الميت، ويستبد بها، ولا يعطي لبقية الورثة منها شيئا، وكان السكان في كل مدينة يحيطونها بأسوار ليحموها من شنات وغارات المهاجمين من الأعداء.<sup>١</sup> وأما القسم الثاني: وهم الذين ليس لهم سكن معيّن بل كانوا يسكنون الصحراء، ويتنقلون في المناطق الزراعية؛ فكانت الملامح الاجتماعية فيهم أنهم محافظون على عصبيتهم القبلية، فكل قبيلة؛ منهم لا تختلط مع غيرها وأبرز صفاتهم الخلقية، هي: الشجاعة والبسالة، والمروءة، والصدق، وحب العزلة. وكانوا يحمون أنفسهم وأهلهم من الرواد إليهم لتجارة الرقيق.<sup>٢</sup> وتمثل مقومات الحياة الاقتصادية في بيئات هوسا في الزراعة، والتجارة، والصناعة، والصيد، والرعي؛ فكانوا يزرعون في العام أكثر مما يحتاجون إليه، فيأخذون مما زرعوا قدر ما يكفيهم لمعاشهم لمدة سنة، ويبيعون الباقي للدول المجاورة لهم. وأما التجارة فهي على ثلاثة أنواع:

- ١- تجارة محلية: وهي التي يتبادلها سكان كل بلدة فيما بينهم.
- ٢- تجارة إقليمية: وهي التي يتداولونها بين المدن والقرى في داخل بلاد هوسا.
- ٣- تجارة خارجية: وهي التي تكون بين سكان دويلات هوسا وجيرانهم من الأمم والشعوب.

وأما أصناف التجارة التي يمارسونها، فمنها:

- ١- تجارة الرقيق، وهي على الرغم من كونها موردا اقتصاديا ضخما للقبائل والبلدان التي يمارسونها، إلا أنها قد أثرت في حياتهم الاجتماعية؛ فحاولوا أن يحافظوا على بقاء عنصرهم باتخاذ الوشم على الجباه والحدود والأيدي، وذلك لتمييز أفراد القبيلة فيدافع بعضهم عن بعض، حتى لا يقعوا في الأسر فيصبحوا أرقاء.
- ٢- تجارة الذهب والفضة، وكان استعمالها قاصرا على صنع حلّي السيدات، وفي تزيين أواني الملوك والأمراء والأغنياء.

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر علي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ج ١، ص ٤٢-٤٣.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

٣- تجارة الجلود، وقد اشتهرت جلود نيجيريا في أسواق أوروبا باسم جلود مراکش، وذلك لأن أهل أوروبا كانوا يشترونها من أهل مراکش الذين يتجرون ببلاد هوسا عبر الصحراء.

٤- تجارة المنتجات الزراعية.

وأما الصناعة فتتمثل في النسيج والحياكة والحدادة والصباغة والدباغة، وغير ذلك؛ وأما الصيد فهو على نوعين:

١- صيد الحيوانات في الغابات، وهو يمثل نوعا من الغذاء لبعض القبائل في غرب إفريقيا.

٢- صيد السمك، وهو بالإضافة إلى كونه يمثل نوعا من الغذاء؛ إلا أنه يدخل في ميدان نشاطهم التجاري؛ حيث يستبدل الناس الأسماك المملحة بحاصلات جيرانهم الزراعية.

وأما الرعي فقد كان هو العمود الفقري لاقتصاد القبائل المتنقلة، فهم يصطحبون معهم مواشيهم في حلهم وترحالهم، وإذا احتاجوا إلى شيء من المأكّل أو المشرب أو الملبس باعوا من تلك الحيوانات بقدر ما يشترون به ما يحتاجون إليه.<sup>١</sup>

فقلت هذه الحالات الاجتماعية والاقتصادية ليست لقبيلة هوسا فقط بل أغلب قبائل شمال نيجيريا وأيضاً أغلب قبائل إفريقيا؛ فمثلا قبيلة الفلانية التي عمت غرب إفريقيا، وهم كذلك يرعون الاغنام ويرحلون من مكان إلى مكان آخر، وهكذا.

إن أهمّ الحركات الجهادية الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا في القرن الثالث عشر الهجري هي حركة الشيخ عثمان أخو الشيخ عبد الله، وقد لعبت هذه الحركة دورا مهما في الشريعة الإسلامية وساهمت في نشر تعاليم الدين الصحيحة منذ بدايتها إلى أن تم لها النصر بالفتوحات. ولقد كانت الأوضاع الدينية صعبة للغاية قبل دعوة الشيخ عثمان، فلما بدأ بدعوته وجد في البلاد أنواع الكفر والفسوق والعصيان وأمورا فظيعة، وأحوالا شنيعة، قد طبقت البلاد وملاؤها حتى لا يكاد يوجد فيها من صح إيمانه وتعبده إلا القليل، ولا يوجد من يعرف التوحيد إلا النادر وقد ارتد أكثر المسلمين بأفعالهم وإن كانوا يدينون بالإسلام بلسانهم. والناس في تلك الآونة كما

<sup>١</sup> - في السابق، أحمد غلادني، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ٦٧.

وصفهم السلطان محمد بللو، وكل هذا هذا يدل على تأثر المنطقة بالمغرب العربي، حيث دخل الاسلام إليها عن طريقه.<sup>١</sup>

#### رابعاً: تأثر الشيخ عبد الله بن فودي بالحالة السياسية في عصره

أما الحالات السياسية في عصره أنه لم يكن من الذين يستسلمون للأوضاع السياسية الفاسدة؛ ولكنه كان يرى أنه لا بد من وجود سلطان عادل يحكم بين الرعية بالقسط ليطبق الشريعة الإسلامية، وتحقق الدماء، وتستقر أوضاع الدولة، ويسود الأمن والوئام بين الشعب قاطبة، وتحفظ المحارم والأموال، وتعمر الأسواق والأماكن التجارية، ويعيش الجميع في أهنأ عيش وأرغده، وفعلاً انعكس هذا الهدف النبيل في عمله؛ فشارك أخاه في معاركه، وجاهد في الله حق جهاده حتى حقق الله لهم النصر بتأسيس دولة إسلامية بسطت العدل في جميع أنحاء البلاد، فحل الأمن والاستقرار محل الاضطراب والفوضى.<sup>٢</sup>

#### خامساً: تأثر الشيخ عبد الله بن فودي بالحالة الاجتماعية والاقتصادية

أما حالة الاجتماعية والاقتصادية لم تكن الشيخ عبد الله بن فودي منصب وأخوه إذا ظلت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية من الأوضاع السائدة في بلاد هوسا بما تهيمن على شخصيته فتستحوذ على مبادئه الدينية، بل كان ينظر إلى الأوضاع من منظور إسلامي. فما كان موافقاً للإسلام أيداه ودعا إليه، وما كان مخالفاً له نبذه وراء ظهره، ودعا إلى الابتعاد عنه وتركه؛ فكان يرى وجوب تحقيق العدل والمساواة بين الناس؛ فلا يجوز لكبير الأسرة أن يستولي على التركة ويتصرف فيها كيف شاء، بل عليه أن يوزع التركة على الورثة طبقاً للشريعة الإسلامية، كما لا يجوز للحاكم أن يفرض الضرائب غير القانونية على المحكومين، ويبن حرمة الغش في البيوع، وكان دؤوباً على تعليم الناس علوم الدين، لرفع مستواهم الثقافي.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - انظر: محمد بللو، ولد سنة (١١٩٥هـ، ت ١٢٥٣هـ)، بويغ بعد وفاة والده خليفة للمسلمين، وله عديدة مؤلفات أهمها، الإنفاق الميسور في بلاد التكرور، ج ١، ص ٦٥.

<sup>٢</sup> - في السابق، أحمد سعيد غلادني، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٨٠.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٨١.



### سادسا: تأثر الشيخ عبد الله بن فودي بالحالة الدينية

أما حالة الدينية كان الشيخ متأسفا شديدا على الأوضاع الدينية التي كانت مموهة بالبدع والخرافات فكان يعمل جاهداً على تغييرها، وتعليم الناس الدين الصحيح. ويمكننا أن نرى مدى تأثره بالملابسات الدينية على أشعاره التي يصف فيها تلك الملابسات وقتئذ،<sup>١</sup> منها قوله:

إنا وإن كنا بأرض لم تكن للمسلمين نقيم في الكفار

لسنا نخالطهم بشيء بل لهم دين لنا دين النبي المختار

ومرادنا إن يسر المتولى له تأليفه لنراه بالأبصار

ونريد من إسناده ما ناله من شيخه في العلم والأذكار

فالله ينفعنا به وينيلنا بركاته بنبينا المختار

صلى عليه الله مع أصحابه ما سارت الركبان بالأخبار

وقد تأثر الشيخ عبد الله بن فودي أيضا من حيث المذاهب الفقهية بالفقه المالكي، ومن الناحية العقدية بالعقدية الاشعرية، ومن جانب التصوف بالطريقة القادرية. وللشيخ عثمان قصيدة في التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلاني باللغة الفلاتية، عرّفها الشيخ عبد الله، قال<sup>٢</sup> فيها:

يا رب عالم ظاهر كالباطن أجب الذي يدعو بعبد القادر

فقلْتُ لما كان عقيدته الأشعرية الصوفية بالطريقة القادرية، فإنه من المعتدلين المنصفين في البحث والتنقيب. والطالع في كتاباته يعرف أن الرجل أسهم في مجال الدعوة والجهاد والتأليف والتصنيف

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، ج ١، ص ٢٧ .

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٨ .

إسهاما كثيرا. مهما يكن الأمر لا عصمة لعالم من العلماء إلا الأنبياء كما قال مالك كل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر، وأشار بيديه إلى قبر النبي ﷺ. وعند ما كان يدرس الناس في مسجد النبي ﷺ.

### سابعا: تأثر الشيخ عبد الله بن فودي بالحالة العلمية والثقافية

يظهر على الشيخ عبد الله الاثر العلمي والثقافي جليا في أهم النقاط الآتية:

- ١- مؤلفاته الكثيرة التي تناولت جميع جوانب العلوم الإسلامية والعربية، كما تقدم.
- ٢- تلاميذه الذين لهم باع طويل في عالم التأليف، ولهم فهم عميق للمسائل، وكل واحد منهم أصبح بحرا لا يدرك قعره ببركة مصاحبة هذا الشيخ الجليل.
- ٣- معهده العلمي الثقافي التدريسي الذي أسسه في غوندو، وظل يعلم الناس فيه معالم دينهم، ويرشدهم إلى صراط ربهم، وقد ظلّ هذا المعهد حتى بعد وفاته مرتعا ومصدرا يردّه طلاب العلم من كل جهة ويرتعون فيه.<sup>١</sup>

### ثامنا: تأثر الشيخ أبو بكر جومي بالحالة السياسية في عصره الحديث

لم يكن الشيخ أبو بكر محمود جومي، من الذين يستسلم للاوضاع السياسية الفاسدة، التي تعرضت العصرنا الحاضر؛ ولكنه كان يرى أنه لا بد من وجود عادل يحكم بين الراعي و الرعية بالقسط لتطبق الشريعة الإسلامية، وتحقن الدماء، وتستقر أوضاع الدولة، ويسود الأمن والوئام بين الشعب، وتحفظ المحارم والأموال، وتعمر الأسواق والأماكن التجارية، ويعيش الجميع في أهنأ عيش وأرغده، وفعلا انعكس هذا الهدف النبيل في عمله، فشارك في كثير من الأعمال، كونه رجلاً مثقفاً يتمتع بلغة المعاصرة اللغة الإنجليزية؛ إضافة إلى اللغة العربية. وقد ترأس الهيئة الوطنية لشئون الحجاج لمنطقة شمال نيجيريا، وترأس قسم المحكمة الشرعية العليا، ونشأ أكبر هيئة دينية جماعة نصر الاسلام، وجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة، وسعى إلى هذه الجهود الجبارة المتميزة في تحقيق العدل بين شعوب الدولة سواء كان مسلما أو غيره، فإن كبار الشخصيات من الرؤساء والحكماء والعلماء من المسلمين وغيرهم، يقصدونه، وما من رأي، إلا وله فيه رأي يدعو ويرشد ويعظ ويصلح، ويكتب المقالات في الجرائد والمجلات والتدريس والتأليف في مختلف اللغات نيجيريا؛ حتى حقق الله له النصر الاضطرابات السياسية التي واجهتها دولة نيجيريا حين ذاك.

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، ج ١، ص ١٦٥.

بسطت العدل في جميع أنحاء البلاد، فحل الأمن والاستقرار محل الاضطراب والفوضى، فلما توفى هذا العالم الجليل واجهت الدولة ما فيه اليوم من المحن والشديد للدولة.<sup>١</sup>

### تاسعا: تأثير الشيخ أبو بكر جومي بالحالة الاجتماعية والاقتصادية

أما الحالة الاجتماعية والاقتصادية أن الشيخ أبو بكر محمود جومي تأثر بالحالة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة في بلاد نيجيريا عموما التي تهيمن على شخصيته فتستحوذ على مبادئه الدينية، بل كان ينظر إلى الأوضاع من منظور إسلامي، فما كان موافقا للإسلام أيده ودعا إليه، وما كان مخالفا له فقد نبذه وراء ظهره، ودعا إلى الابتعاد عنه وتركه؛ فكان يرى وجوب تحقيق العدل والمساواة بين الناس، فلا يجوز لكبير الأسرة أن يستولي على التركة ويتصرف فيها كيف شاء، بل عليه أن يوزع التركة على الورثة طبقا للشريعة الإسلامية، كما لا يجوز للحاكم أن يفرض الضرائب غير القانونية على المحكومين، وبين حرمة الغش في البيوع، وكان دؤوبا على تعليم الناس علوم الدين لرفع مستواهم الثقافي.<sup>٢</sup>

فقلتُ ولذا حدث جدلا عند بعض العلماء والسياسيين المعاصرين للدولة من كبار أولى الأمر وبالأخص غير المسلمين؛ لأنهم فهموه على خطأ. ولربما فهموه على قصد خلاف دينهم المسيحية، وهو يفتي ويجتهد وفعلا يستحق ذلك. ولم يأخذ شيئا من أموال الدولة، ولا الأثرياء ولا من الرؤساء والأمراء، وتجنب جميع الشبهات والشهوات والمحرمات حتى توفاه الله ولم يملك بيتا واحدا ولا سيارة في حياته رحمه الله.

### عاشرًا: تأثير الشيخ أبو بكر جومي بالحالة الدينية

كان الشيخ رجلا متأسفا شديدا على الأوضاع الدينية التي كانت مموهة بالبدع والخرافات، فكان يعمل جاهدا على تغييرها، وتعليم الناس الدين الصحيح. ويمكننا أن نرى مدى تأثره بالملايسات الدينية. كما تقدم وقد. تأثر الشيخ أيضا بعقيدة السلف من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو عالم معتدل ومنصف يتكلم الحقيقة ويقول الحق ولا يبالى، ثم لا يخاف في الله لومة لائم لأنه من سلالة بن فودي المعروفين بالشجاعة كذلك. ومن درس مؤلفاته وشاهد دعوته يعرف أن الرجل معروف لدى النيجيريين خاصة، وإفريقيا عامة، ويفتي ويرجح بما يراه راجحا، ولا يتعصب بمذهب

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، في كتابه قصدي، Manufata، ١، ص ١٢٢.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ١، ص ٢٠٨.

معين من المذاهب الفقهية، إلا أنه غالبا ما يرجح مذهب المالكي، وهذا نتيجة تأثره بالبيئة. وتعتبر أن الشيخ جاء كمجدد ثان مثل الشيخ عثمان بن فودي مع أخيه عبد الله في هذا العصر بالنسبة لدولة نيجيريا، وعم دعوته فيها حتى وصل إلى البلاد المجاورة، فمثال ذلك لدولة غانة، وبنين، والنيجير، وجمهورية تشاد، كل هذه الدول شهدت لها التجديد والتغيرات الدينية، من خلال كتبه ومؤلفاته، وإنشائه للهيئة الدينية.<sup>١</sup>

### حادي عشر: تأثر الشيخ أبو بكر جومي بالحالة العلمية والثقافية

يظهر أثره العلمي والثقافي جليا عن أبي بكر جومي، في أهم النقاط الآتية:

- ١- مؤلفاته الكثيرة التي تناولت جميع جوانب العلوم الإسلامية والعربية، إضافة إلى اللغة المعاصرة الإنجليزية، ويتمتع بلغتين إضافة إلى الفلاحة والهووسا.
- ٢- تلاميذه الذين لهم باع طويل في عالم التأليف، ولهم هم عميق للمسائل العقدية، وكل واحد منهم أصبح داعية من الدعاة، وتأثيره في كبار الموظفين وبالأخص كبار العسكريين والضباط وغيرهم، وله سمعة في شأن الدولة.
- ٣- كان بيته في كدونا مقصداً للتعليم، حيث ظل يعلم الناس فيه معالم دينهم، ويرشدهم إلى صراط ربهم، وقد ظل بيته كذلك حتى بعد وفاته، وواصل التعليم ابنه الدكتور أحمد محمود جومي؛ يرده طلاب العلم من كل جهة ويرتعون فيه.<sup>٢</sup>

### ثاني عشر: جهوده المتميزة في المراكز العلمية والأهلية في التعامل بالتفسير

تؤكد جهوده المتميزة لأهل المنطقة من النهضة التعليمية ونشر الإسلام والثقافة العربية من ناحية. ومن ناحية أخرى جهوده في إنشاء المراكز العلمية والتعليمية والأهلية في كيفية تلقي العلوم الإسلامية والثقافة العربية عموما والتفسير وعلومه خصوصا؛ الطريقة القديمة في كيفية تلقي العلوم وإتقانه، وبمقارنة بالحديث بمعنى إلى يومنا هذا، ثم ساهم في نشر العلوم الإسلامية والثقافة العربية في المنطقة ذلك الوقت، ثم جاءت بعده المدارس والمعاهد الدينية الحديثة حتى شملت جميع مناطق نيجيريا بين شمالها وجنوبها. وسنضطر إلى الحديث عن المعاهد الدينية في القرن التاسع عشر إلى

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٢.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، في كتابه قصدي، ج ١، ص ١٢٢.

العشرين معا، نظرا لأنه ليس من الميسور الفصل بينهما؛ إذ إن المعاهد التي تأسست في القرن التاسع عشر أو قبله هي التي استمرت في الغالب في نشاطها إلى القرن العشرين.<sup>١</sup> وقبل كل شيء نعطي فكرة ونبذة عن تلك المعاهد المراكز الدينية والأهلية، وعن الشيخ الذي يلقي الدروس فيها، وعن طريقة الدراسة نفسها؛ فهذه المعاهد ليست كما ألفنا ها اليوم عبارة عن مبان فخمة مقسمة إلى فصول ومكاتب؛ ولكل فصل مقرره ومنهجه؛ وإنما هي كثير في نيجيريا إلى يومنا هذا، عبارة عن حجرة جلوس الشيخ في منزله، قد تكون كبيرة أو صغيرة حسب إمكانيات صاحبها، وقد تكون مفروشة بحصير أو فراء، وقد لا يكون هنالك فراش إلا في مجلس الشيخ وحده خصوصا إذا كان قاضي قضاة المدينة أو وزيرا فهي حجرة الشيخ الذي يستقبل ضيوفه وفي نفس الوقت يلقي دروسه فيها.<sup>٢</sup>

أما الشيخ الذي يلقي الدروس فلا يشترط أن يتحصل على إجازة في المواد التي نصب نفسه لتدريسها ويكفيه أنه واثق بنفسه وبقدرته على تدريسها؛ كأنها على الطريقة التقليدية؛ فأهم شيء يكسب ثقة طلاب العلم التي عليها المعول. وينقسم هؤلاء الشيوخ إلى قسمين متخصصين، ومعنى المتفنين هو أن يجمع العلم بين علم أصول الدين، والشريعة، واللغة؛ أما طريقة الدراسة فهي الابتداء بالكتب الدينية السهلة ثم قراءة بعض كتب اللغة، ثم بعض كتب النحو، ثم الحساب، ثم التفسير، ثم الحديث، ثم الصرف والبلاغة، ثم التاريخ والمنطق والعروض، وقد يدرس الطالب جميع هذه الفنون عند أستاذ واحد وإن كان متفنا وقد يعدد أساتذته إذا شاء أو ينتقل من معهد إلى آخر.<sup>٣</sup>

فإنني قد بينت ذلك كما تقدم في طريقة التدريس والكتب والمناهج وكيفية تناول وتلقي هذه العلوم الشريعة منذ تلك الفترة القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين؛ وفي الفصل السابق. وإذا رجعنا إلى تاريخ نشأة هذه المعاهد في المدن المختلفة نيجيريا بعضهم أقدم على بعض، نشأت في أوائل القرن التاسع عشر بعد أن بنى الشيخ عثمان بن فودي المدينة واتخذها عاصمة للإمبراطورية الفلانية سنة (١٨٠٩م)، فمعاهد صكتو إذا حديثه العهد إذا قارناها بالمعاهد التي في كثسنة،

<sup>١</sup> - تقدم تخرجه في الفصل الأول.

<sup>٢</sup> - في السابق، علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٥٥.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٥٦.

وكنو، وزاريا، وبرنو التي يعود عهد بعض منها إلى القرن الخامس عشر أو قبله، وهناك ستة معاهد في تلك المدينة.

١-معهد الشيخ عثمان بن فودي، كان أكبر المعاهد الدينية التي تفرعت منه عدة فروع لا في صكتو وحدها، بل في جميع أنحاء الإمبراطورية، ولما توفي الشيخ عثمان في عام (١٨١٧م)، خلفه ابنه محمد بللو في هذا المعهد، وإن كانت الأمور السياسية قد أخذت معظم وقته، ولم تمكنه من القيام بالتدريس كثيرا، وبوفاته عام (١٨٣٧م)، ابتدأ نشاط المعهد في بث العلم يتضاءل وإن كان ابنه علي الكبير قد بذل جهودا كبرى في نشر الثقافة.<sup>١</sup>

وتحت معاهد الدينية التي أسست في صكتو الإمبراطورية الفلاتية، هناك معاهد كثيرة فمثلا معهد أول وزير للشيخ عثمان وهو الاستاذ محمد غطاطو التي نشأت في عهده إلى يومنا هذا، ومعهد الأستاذ الشيخ مصطفى صاحب الشيخ عثمان وكتبه ومعدن سرّه، ومعهد الشيخ إسحاق؛ فكل من هذه المعاهد رعاها أبناءهم وطلابهم في إسهامات وإنشاء التدريس والتأليف والتصنيف، وانضم بعضها إلى بعض.<sup>٢</sup>

أما الذي يهمنا من هذه كلها معاهد غوند والتي أسسها الشيخ عبد الله بن فودي، أسست في الوقت التي تأسست فيه معاهد صكتو، وذلك بعد أن اتخذها الشيخ عبد الله عاصمة لمملكته الغربية، ومعظم الذين أنشأوا هذه المعاهد تلقوا العلم منه ومن أخيه الشيخ عثمان بن فودي، ولما كان أكبر هذه المعاهد الذي أسسه هذا العبقري العظيم فإننا لا نجد بداً من الابتداء به.<sup>٣</sup>

أما في غوند فيمتاز المعهد بأنه لا يزال إلى يومنا هذا محتفظا بنشاطه العلمي على يد الشيخ الحاج إبراهيم، وهو أحد أحفاد الشيخ عبد الله، ولا شك في أنه هو المعهد الوحيد الباقي من المعاهد التي أنشأتها حملة الألوية، أو الأسر المالكة؛ فقد رأينا أن المعهد الذي أسسه الشيخ عثمان نفسه قد ذوى بوفاة الأستاذ عبد القادر مويي بن أبي بكر؛ أما المعاهد الأخرى التي أنشأتها معظم حملة الألوية فلم تعش أطول مما عاش مؤسسها؛ ولكن هذا لا يعني أن معهد الشيخ عبد الله ظل بنشاطه منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، فقد أصيب، بعد وفاة علي بن عبد الله الذي كان يث

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٦٠.

<sup>٢</sup> - في السابق، علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٦٠.

<sup>٣</sup> - تقدم التخريج.

العلوم فيه، وظل على هذه الحالة إلى أن ظهر الشيخ إبراهيم الذي يعد اليوم لا من أكبر علماء غُونْدُ فحسب بل من أكبر علماء نيجيريا، وأتقاهم وأكبرهم تواضعا على الرغم من أن أمير غوندو الحاج هارون الحالي شقيقه وأصغر منه سنا.<sup>١</sup>

وتحت معهد غوندو هناك معاهد كثيرة منها معهد الإمام محمد مُودِي، تلقى صاحب هذا المعهد علومه من الشيخ عبد الله، وكان من أذكى طلبته، فتبحر في العلوم، وأما طلاب العلم خصوصا بعد وفاة الشيخ عبد الله، وتولى التدريس بالمعهد بعد وفاة ابنه أحمد الذي كان عالما أيضا، وخلفه ابنه محمد ببا الذي عين وزيرا في غوندو، وموته توفى المعهد؛ أما الوزير الحالي عمر ابنه فإن ثقافته الغربية تغلب على ثقافته العربية التي أصبح اهتمامه بها قليلا<sup>٢</sup>. وهناك معهد محمد البخاري، كان منشئ هذا المعهد أيضا من طلبة الشيخ عبد الله المتفوقين، فلم يكدر يتوفى شيخه عبد الله حتى حوت معظم طلبة ذلك المعهد إلى معاهده لمكانته في العلم وصلاحه وفضله. وكان أستاذا متفنا لمعظم العلوم.<sup>٣</sup>

ومعهد الحاج سعد كان عالما جليلا تقيا، وصار كل واحد منهم عالما وأنشأ معهدا، وكان أحمد قاضي قضاة غندو عندما احتل الانجليز شمال نيجيريا منقطع النظر في العلم، ورزق بولدين اشتهر كل واحد منهما بالعلم، وهما محمد مود الذي تولى أيضا منصب قاضي القضاة، وأبو بكر الذي كان من أكثر الأساتذة، ولمحمد مود ثلاثة هم: الحسن، والحسين، وأحمد وكل واحد منهم يقوم بالتدريس في معاهده ولا يزالون على قيد الحياة<sup>٤</sup>.

ومعهد مود يوكو شنظ، أكبر علماء غندو أيضا، وكان له ثلاثة أولاد، وهم عثمان وأحمد وبابو، وأنشأ كل واحد من الأخيرين معهدا بعد وفاة والدهم؛ أما الأول فقد وجه كل عنايته إلى التصوف ولم يقيم بالتدريس، وقد رزق أحمد بابن يدعى عبد الله ويلقب بمجيلي، وكان حافظا للقرآن وعالما أيضا، وعند ما توفي خلفه في معاهده ابنه أحمد الذي لا يزال يدرس فيه.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٦٦.

<sup>٢</sup> - وقد أقام هذا الشيخ بمدينة كنو فترة قبل وفاته، عند ما قصد الحج لأدائه؛ لكن عاد إلى غوندو وتوفى فيها في تلك المدينة وقبره مشهور بولي ميغيزا، وقد زرت المدينة وشاهدت ضريحه.

<sup>٣</sup> - في السابق، علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ١٦٩.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٩٦.

ومعهد أحمد النفوى، كانت نشأة هذا المعهد في القرن العشرين، بعد أن درس منشؤه في معاهد غندو السالفة الذكر، وقد رزق من الأولاد بثلاثة كلهم صاروا علماء، وهم: محمد بابا، وأبو بكر، ومحمد الطاهر؛ ولكن أبابكر كان أكثرهم علما أيضا لأن معظم الناس في مدينة غوندو، طلبته، ولا يزال على قيد الحياة هو وأخوه محمد الطاهر وكلاهما يدرس في معاهده. ومن علماء غوند المعاصرين الذين أنشأوا معاهد عصامية الشيخ محمد كوسو، وأصله من مدينة زاريا، والشيخ محمد بند وأصله من برتكب؛ وكل واحد منهما يقوم بالتدريس في معاهده حاليا.<sup>١</sup>

وهكذا فإن المعاهد الدينية والأهلية موجودة في جميع مناطق نيجيريا، من شمالها وجنوبها؛ أما الشمال كما تقدم في إمبراطورية الفلانية من مدينة صكتو إلى مدينة غندو، وكذلك الأمر في مدينة كنو مقر عبد الله بن فودي إلى آخر حياته عند ما توجه إلى أداء فريضة الحج؛ لكن لم يوفقه الله تعالى، فلما وصل إلى مدينة كنو، بدأ بتدريس والتعليم والإرشاد الناس بالمواعظ حتى رجع إلى مدينته غوندو وتوفي فيها، وكذا أيضا هناك أكبر معاهد الدينية في إمبراطورية كانم برنو تتمتع بها كثير منهم تخرجوا في جامعة الأزهر الشريف، وغيرها من في جامعات العالم، وهناك الزاوية لتحفيظ القرآن أكثر من خمس وثلاثين ألف زاوية، وهكذا الامر في جنوب نيجيريا من إبادن، ولاغوس وغيرها؛ فإن المعاهد الدينية والأهلية كثيرة جدا.

إذاً ما زال التعليم في نيجيريا على ما يرام، بمعنى بحال جيد؛ بحيث إن التعليم ينقسم إلى شقين؛ أما الشق الأول التعليم الاهلي الديني وهو عبارة عن طالب يدرس في البيت وخاصة إذا كان أبوه عالما، يدرس علوم الشريعة بعد حفظ القرآن، ثم يتناول بعض كتب الفقه من المختصرات واللغة وغيرها كما تقدم، ثم تقدم حق بالمدارس النظامية الحديثة، ومن هنا يتقن اللغتين الإنجليزية والعربية؛ أما الشق الثاني يبدأ مباشرة من الدراسة النظامية الحديثة من الروضة إلى الابتدائية ومرحلة المتوسطة والثانوية ومرحلة الجامعية؛ بمعنى التعليم الحديثة.

### ثالث عشر: مزايا كل من الشيخين (الشيخ جومي، والشيخ عبد الله)

تتمثل حركة الشيخ جومي أفكاره خاصة ونظريات في الإصلاح من الشتى النواحي، منها:

١- فكره امتدادا لدعوة الشيخ عثمان بن فودي التي قامت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لنشر الاسلام وحضارته في بلاد الهوسا وغرب إفريقيا؛ فقد تأثر بها بكل معطياتها البيئية والعلمية

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٨.



والثقافية والدينية، ولذا كان منطلق دعوته مرتكزا على مجال الإصلاح الديني والتجديد الفكري من خلال تصحيح المفاهيم والممارسات، بالتركيز على المظاهر الدينية والإصلاحية في المجتمع. وقد اتخذت دعوة الشيخ أبو بكر محمود جومي شعار: "إزالة البدع وإقامة السنة" وكان في مجالس دروسه للدعوة والتدريس خلق غفير من مختلف شرائح المجتمع؛ حيث جذبهم أسلوبه المتميز في الالتقاء ومنهجه في شرح المسائل وطرح الأفكار التي ظلت تذاع على الهواء عبر إذاعة نيجيريا بولاية كادونا لمدة أكثر من ربع قرن، وهو ما جعل لها أكبر الأثر في توسيع قاعدة الانتشار والاستفادة من علمه وثقافته الدعوية. وقد شملت جهوده الدعوية القادة السياسيين والزعماء حتى من غير المسلمين، فاهتدى على يده عدد كبير من النصارى والوثنيين.<sup>١</sup>

إذا الناظر في هذه التأثيرات يجد أن لكل له اتجاهاً خاصاً به، مع أن المضمون واحد في الانشغال بعمل الدعوة إلى الله تعالى: كل قد أدى واجبه بغض النظر عن تأثيرات البيئة التي عاشوا فيها. وإذا نظرنا إلى الشيخ عبد الله بن فودي فهو قد عاش في القرن التاسع عشر، أما الشيخ أبو بكر محمود جومي فقد عاش في القرن العشرين، كذلك بينهما فرق شاسع في الزمن والوقت والبيئة، ومع ذلك فإن النتيجة واحدة في التأثيرات التي مسّت الشيخين من جميع الجوانب، سواء أكانت سياسية، أم اجتماعية، أم دينية أم اتجاهية.

---

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر جومي، في كتابه قصدي، ج ١، ص ١٣٩، وأعماله العلمية والثقافية تشهد ذلك جليا.

## الفصل الثالث: منهج المفسرين وأفكارهما في تفسير القرآن

المبحث الأول: دراسة المنهج المؤلف رد الأذهان إلى معاني القرآن في التفسير.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير.

المطلب الأول: أفكار الشيخ جومي في تفسيره.

المبحث الثالث: دراسة المنهج المؤلف ضياء التأويل في معاني التنزيل في التفسير.

المبحث الرابع: منهجه في التفسير.

المطلب الأول: أفكار الشيخ عبد الله في تفسيره.

### تمهيد

القرآن هو الضياء الذي أنزله الله رحمة الله للعالمين وليدبروا آياته وليفهموا به. عن الله وليعلموا به. ولا يمكن فهم كتاب الله والعمل به إلا بتعلمه وتعليمه، ولا يفهم بتفسير هؤلاء جهابذة العلماء إلا بدراسة ما يخدمه من العلوم التي تخدم كتاب الله تعالى.

إن الشيخين اجتمعت لديهما أدوات التفسير وعلومه، فدرسوا العلوم الأساسية من التوحيد والحديث وفنونه، والفروع الفقهية، ولهما إلمام بالعلوم العربية من النحو والبلاغة والشعر، وعزروا الفوائد وجمع الفرائد، وبهذا ظهر تفسيريهما، ولذا فإن هذه المقدمة مدخل لمنهج الشيخين في تفسيريهما، وفي هذا الفصل يأتي بيان أبرز منهج المفسرين وأفكارهما في التفسير، وفيه أربع مباحث ومطلبان، وفي كل مبحث يتناول فيه الباحث الموضوعات أما المبحث الأول: دراسة المنهج المؤلف تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن، وفي المبحث الثاني: بيان أنواع المنهج تفسير رد الأذهان في التعامل بالتفسير، والمطلب الأول: بيان أفكاره في التفسير، والمبحث الثالث: دراسة المنهج المؤلف تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، والرابع بيان أنواع المنهج تفسير ضياء التأويل في التعامل بالتفسير. في المطلب الأول بيان أفكاره في التفسير، بمعنى بيان أنواع منهج المفسرين وكيفية التعامل مع التفسير والمصادر الذي استفاد منه فيمن سلفوهم من المفسرين السابقين.

لا أريد أن أخوض خارج الموضوع إلا بالقدر الذي يوضّح، ويبيّن لنا ما نستطيع فهم بعض المصطلحات والإطلاقات المختلفة التي يلجأ إليها المفسّرون، وسوف نتطرق إلى ذلك بشكل موجز ومختصر. إن الغرض والقصد من ذلك كله هو المساهمة في التنقيح والبحث عن الحقيقة.

### المبحث الأول: دراسة عن المنهج المؤلف تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن

إن هذا المبحث يخوض في المنهج المؤلف تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن، في التفسير وهو زبدة من تفسيرة الجلالين كما تقدم، وقد أوضح سبب تأليفه، ومنهجه مختصراً مع تجنب عن تفسير المعقول بمعنى الرأي المذموم.

أولاً: منهجه في التأليف (رد الأذهان إلى معاني القرآن).

أما منهجه في الكتاب فقد أخذه من تفسير الجلالين بكامله - كما تقدم في خاتمة تفسيره - ولم يخالف ألفاظ الإمامين الجلالين<sup>١</sup>، إلا ما أشار إليه الإمام سليمان بن عمر الشهير (بالجمل) في حاشية عليها في كتابه "الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية"، وما له في أكثر ألفاظه إلى المعاني التي في كتاب الفتوحات الإلهية؛ فلم يسند الأقوال إلى قائلها، وذلك لأسباب منها:

أ- لأن مصادرها معلومة ومعدودة؛ فلا حاجة لذكرها.

ب- خوفاً من التطويل لأن منهجه الاختصار جداً غير المخل.

ت- لسهولة مواقع مراجعتها في الكتب المذكورة.

وأضاف إلى الموضوعات الرئيسية لكل سورة - تقريباً - من "تفسير في ظلال القرآن" لسيد قطب رحمه الله، ولم ينقل منه نقلاً مباشراً، بل نقله بتصرف واختصار بقدر الحاجة، وكثيراً ما انتفع بنفس ألفاظه (في ظلال القرآن) بدون تنبيه على ذلك كما مرّنا في الجمل، وأضاف بعض آراء مذهبه المالكية في أماكن تناب ذلك، وكما حذف ما خالف مذهبه المالكية.

<sup>١</sup> - هو محمد بن أحمد المحلي بدأ "من أول الفاتحة الكتاب إلى آخر سورة آخر الإسراء، والثاني هو عبد الرحمن السيوطي، وبدأ من أول سورة الكهف حتى آخر الناس، وهو المفسّر المتمم، تقدم تخريجهما في السابق، تفسير الجلالين، ج ١، ص

وحذف بعض المواضع التي لا توافق مقام النبوة، وكذلك القصص الإسرائيلية<sup>١</sup>، وحذف معظم ما يخالف أسس الشريعة بقدر الإستطاعة<sup>٢</sup>.

ونقل بعض الأحاديث النبوية والأثار المروية من تفسير ابن كثير؛ ولكن لم ينبّه على ذلك لقلة أخذه إياه، وقرّر أنه ونهج تفسير فيما يتعلق بالعقيدة من آيات الأسماء والصفات عقدة السلف الصالح، وخاصة فيما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله<sup>٣</sup>، والشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله<sup>٤</sup>؛ ولكن الشيخ "جومي" رحمه الله سكت عن مواضع كثيرة، لم يحذفها، ولم يعلق عليها فيما ذكر الإمامان الجليلان، وسيأتي بيان ذلك عند مؤاخذه، وقد لخص منهجه الذي أقام عليه رد الأذهان إلى معاني القرآن، وهو إزالة القصص التي ألصقت بالأنبياء مما يخالف الشرع ومقام النبوة، واقتصر في القراءات على رواية حفص بن سليمان وربما أشار إلى غيرها فيما دعت الحاجة إلى ذلك<sup>٥</sup>.

إن لكل مؤلف له منهج معين يسير عليه في التأليف؛ فالشيخ أبوبكر جومي كغيره من المؤلفين المفسرين السابقين سار على منهج محدد تتجلى أسسه في النقاط التالية الآتية:

١ - عنايته واهتمامه في ذكر سور القرآن، من مكية، ومدنية، الآي السور، وبالوقوف عليها، وإشارة إلى مواضع الرئيسية للدروس السور المستفيدة منها؛ إما يذكر في أول السورة ثم يربطه في آخر السورة مما نقله عن سيد قطب في **ظلال القرآن**، في تفسيره ابتداءً من فاتحة الكتاب إلى

<sup>١</sup> - من عصمة الملائكة والأنبياء وفي القصص والإسرائيليات مثل قصة هاتوت وماروت وقصة سليمان بن داود وغيرها.

<sup>٢</sup> - الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد عرفوا (اليهو) من قديم الزمان، أما من آمنوا بعيسى فقد أصبحوا يطلق عليهم باسم (النصارى) وأما من آمن بخاتم الأنبياء فقد أصبح في عداد المسلمين، ويعرفون بمسلمي أهل الكتاب، انظر أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، القاهرة مكتبة السنة، ط ٤، د.ت ص ١١، في السابق، أبوبكر جومي، **رد الأذهان إلى معاني القرآن**، ج ٢، ص ٨٢٧ وما بعده في خاتمة التفسير.

<sup>٣</sup> - محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النحدي (ت ١٢٠٦هـ)، **أصول الإيمان**، باسم فيصل الجوابرة، ط ٥، (١٤٢٠هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ص ٨-٢٦.

<sup>٤</sup> - عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) هو مفتي العام لمملكة سابقاً، انظر **نواقض الإسلام**، ط ١، (١٤١٠هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ص ٣.

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٢٧، وما بعده في خاتمة التفسير.

آخر الناس إما يذكر في أول السور؛ وإما آخر السور؛ وإما هما معاً. وذكر بالمناسبات لدورس ما بين الآيات والسور القرآنية، ويبدأ التفسير بقوله سورة كذا، وكذا.

ومن ذلك في تفسيره أمثلة كثيرة منها لسورة الإخلاص وهي مكية، وهي أربع آيات، وموضوعه الرئيس الإخلاص والتوحيد، وأن الله وحده يحفظ دينه من أعدائه ولها أسماء كثيرة كلها ترجع إلى التوحيد، وهو رجوع العبد إلى مولاه وحده، وردت في فضلها وفي ترغيب قراءتها أحاديث كثيرة، وهي أشهر أن تذكرها لثواب الدنيا والآخرة، منها ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال شكى رجل إلى رسول الله ﷺ الفقير وضيق المعيشة؛ فقال رسول الله ﷺ إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد فإن لم يكن فيه أحد فسلم واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة، ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه اهـ. وهي ثلث القرآن وتعبر عن صفات الله تعالى<sup>١</sup>. ثم يشرع في التفسير بدءاً من البسملة إلى آخر السورة، وهكذا يسير على هذا النهج في تفسيره من أول البقرة إلى آخر الناس.

وفي سورتي الفلق والناس؛ حيث قال: الشيخ جومي "وهي خمس آيات وهي شرح لما يستفاد منه بالله من الشر الذي في العالم، ومن مخلوقاته، في فضلها أحاديث كثيرة شهيرة، وكان ﷺ يقرأ المعوذتين ثلاث مرات صباحاً ومساءً"، وعند ما جاء لتفسير سورة الناس قال: "هي ست آيات وهي مثل السورة التي قبلها، والفرق بينهما أن الأولى استعاذة من الشرور المضرة في الأبدان وهذه من الشرور المضرة في الأرواح، ولذلك كانت الاستعاذة فيها بأسماء المعددة المضافة إلى الناس من شر الشيطان"

٢- عنايته واهتمامه بجانب التفسير بالمأثور<sup>٢</sup> وتجنبه التفسير بالرأي المذموم<sup>٣</sup>، بمعنى أنه يفسر القرآن بالقرآن ويفسر القرآن بالسنة، ويفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من

<sup>١</sup> - في السابق، أبوبكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٨٢٦.

<sup>٢</sup> - "يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقل عن الصحابة رضي الله عنهم، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم، وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما رُوي عن التابعين - وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي - لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور، كتفسير ابن جرير وغيره، لم تقتصر على ما ذكر ما رُوي عن النبي ﷺ وما رُوي عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نُقل عن التابعين في التفسير"، حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٢.

<sup>٣</sup> - يُطلق الرأي على الاعتقاد، والاجتهاد، والقياس، ومنه: أصحاب الرأي: أى أصحاب القياس، أما المقصود بالرأي هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول،

سلف الأمة، ثم تفسير القرآن بالرأي المحمود أحيانا يضيف الأشياء الحديثة المعاصرة، أو بعبارة آخر تفسيرالعلمي، أن التفسير بالمأثور من تخصيص العام وتوضيح المسائل الفقهية، وذكر الراوي من الصحابة، وذكره المصادر المخرجة للحديث، وتوضيح معنى الآية بالحديث أو كلمة من الآية، وتفسير القرآن بالسنة وتأكيده بالقرآن، أراد الأحاديث بمختلف ألفاظه، وقد أراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقييد الآية بالسنة وتوضيح ما أبهم من الآية، وهذه كلها تحت تفسير القرآن بالأحاديث أو بالأثار، وهذا يدل إلى قوة استنباطه واعتماد بتفسير العلمي في تناول أدلة في تفسير القرآن.<sup>١</sup>

٣-عنايته بأسباب النزول الآية، إنه يذكر أسباب النزول، في تفسيره يقل ورودها، وله طريقتين: في إيراد سبب نزول الآية، طريقاً يذكر السبب في الهامش كما فعل في أسباب نزول آيات سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، وأما في بقية السور فيذكرها أثناء التفسير، واكتفى بأسباب النزول في السور الثلاثة السابقة، ومن أمثلة ذلك في سورة المجادلة في تفسيره عن سورة المجادلة عند ما جاءت خولة بنت ثعلبة إلى النبي ﷺ أن زوجها ظاهرت منها، وتشتكي إليها فنزلت: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>.

قلت روي عن عروة بن الزبير، قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله ﷺ، أكلَ شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر من اللهم: إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله)، أخرجها ابن ماجه سنن بن ماجه، وتفرد به ابن ماجه وله شاهد صحيح بالطريق نفسه.<sup>٣</sup>

---

ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانت به في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر من علومه، وفيه خلاف بين العلماء لكن خلاصة الكلام، الرأي يتقسم إلى قسمين الرأي المحمود والمذموم الذي لا يقوم عليه الدليل مجرد الرأي، المرجع نفسه، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٨٣.

<sup>١</sup> - في السابق، أبوبكر جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣١، و ج ١، ص ٤٧، و ج ٢، ص ٥٨٩.

<sup>٢</sup> - سورة المجادلة الآية: (١) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٧٢٤.

<sup>٣</sup> - في السابق، د. حكمت بشير الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور في تفسيره، ج ٤، ص ٤٥٣.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾<sup>١</sup>، ويقول: أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن جبير عن ابن عباس، ونرى الشيخ أبابكر أيضاً يقول في الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة روى مسلم عن أبي مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ الآيتين من آخر سورة البقرة (مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَا)؛ ولأن أسباب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية بسبب تلك الحادثة، أو يكون جواباً عن رغبات أو تمنيات كمواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأيام وقوعه يحتز من ذلك ما نزل ابتداءً تتحدث عن الأحوال الماضية أو المستقبلية كقصص الأنبياء وما حدث بأمرهم أو الحديث عن الساعة وما يتعلق بها، أن معرفة أسباب النزول من الأمور المساعدة لفهم تفسير القرآن؛ ولذا نجد علماء التفسير وجهوا واهتموا بهما ما كثيراً<sup>٢</sup>.

٤- اهتمامه بذكر الأقوال المشهور من مذهب مالك رحمه الله في الفروع الفقهية لأنه المذهب الرائد في المنطقة والبيئة التي عاش فيه ويشير إلى غيره من المذاهب الأخرى في الأمور المهمة، وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾<sup>٣</sup>، فقال: "وترتيب الإتيان على العفو يفيد أن الواجب أحدهما، وهو أحد قولي الشافعي والثاني: الواجب القصاص والدية بدل عنه، فلوعفا ولم يسمها فلا شيء عليه وعليه مالك ورجح"<sup>٤</sup>، ومن قوله تعالى: ﴿وَأُمِّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾<sup>٥</sup>، قبل استكمال الحولين ولو بمصة وحدة عند مالك، وأبي حنيفة، ولا بد أن يكون خمس رضعات عند الشافعي كما بينه الحديث<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (٦).

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ١٠٦.

<sup>٣</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٦٢.

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (١٧٨).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٤.

<sup>٦</sup> - سورة النساء الآية: (٢٢).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٠٣.

فقلت هناك حديث صحيح في المسألة عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (كَانَ فِيْمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ ثُمَّ تُسَخَّنَ بِخَمْسِ مَعْلُومَاتٍ، فَتُؤَيِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ مِمَّا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ)،<sup>١</sup>

٥-اهتمامه يتناول المسائل اللغوية، من معاني المفردات؛ لأن علم اللغة هو الكامل بإبراز أسرار الجميع بما يتضلع منه الرضيع، وإن الشريعة لما كان مصدرها عن لسان العرب، وكان العمل بموجبه لا يصلح إلا بأحكام الشريعة والعلم بمقدمته، وجب على رواد العلم وطلاب الأثر أن يجعلوه عظم اجتهادتهم وأن يصرفوا جل عنايتهم في ارتيادهم إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها والوقوف على مثلها ورسموها وقد عني به من الخلف والسلف في كل عصر، وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقها وكلامها وعلمي التفسير؛ أما شأن القراءات كان اهتمامها قليل مقتصرًا جدا، وأحيانا إقترانها بالقراءات وتوجيهها لها.<sup>٢</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾<sup>٣</sup>، وفيه قراءتان في (يطهرن) على قراءة التشديد والتخفيف.<sup>٤</sup>

فقلتُ فقراءة التخفيف (يَطْهَرْنَ) أي ينقطع الدم عنهن فيكون المعنى نهي الله عباده عن قرب الحائض حتى ينقطع دم الحيض، فجعل انقطاع الحيض غاية النهي عن قربانهن وعلى قراءة التشديد (يَطْهَرْنَ) أي يستعملن الماء بأن تغسل موضع الدم منها فقط، أو تتوضأ أو تغسل أي ذلك فعلت جازلها وأباح لزوجهها قربانها، عدم جواز قربان المرأة حتى ينقطع عنها دم الحيض، وحتى تغسل موضع الدم منها بالماء، أو تتوضأ أو تغسل، ويؤكد هذا ويعضده أنه لازم قوله تعالى عقب هذا الموضع مباشرة: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) وقد أجمع القراء على قراءته هنا بالتشديد إذ سياق الآية: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.<sup>٥</sup> وأفادت قراءة تان رفع توهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم وإن لم تطهر بالماء ونهت الآية أيضا بالقراءات إلى أن من انقطع عنها دم الحيض في حكم الحائض ما لم تطهر، وهي ممنوعة

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري ومسلم،

<sup>٢</sup> - يذكر مفردات الكلمة وبعض الأعراب في أما كن مختلفة من تعسيه.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٢٢).

<sup>٤</sup> - السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٤٧

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٢٢).



من الصلاة ما لم تتطهر ولزوجها مراحتها ما لم تطهر بالماء، والمسألة واسعة جدا بين الفقهاء ومذاهبهم الرجوع إلى الكتب الفقه وأصوله.<sup>١</sup>

٦- عنايته بالمسائل العقدية ما يتعلق بصفة الله تعالى من العلو واليد والأصابع والساق، ومحجي رب سبحانه وتعالى. ذهب الشيخ إلى مذهب أهل السنة والجماعة بلا تأويل ولا تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل، في جميع هذه المسائل لا شيء يسير، الذي تأثر به من ناقله بمعنى إنما نقله في مصدرها الذي نقل منه، وبالتأويل بالآيات العقدية، فيما يتعلق من أسماء الله وصفاته في الربوبية والألوهية الله تعالى، ثم برده على بعض مخالفيه من الصوفية في أن مقام الولاية أفضل من مقام النبوة، في تفسيره.<sup>٢</sup>

٧- اعتماده وعنايته بذكر الناسخ والمنسوخ من الآيات، الناسخ والمنسوخ في القرآن، الآيات المنسوخة الأخص في نظر الشيخ أبوبكر جومي، وموقفه من نسخ القرآن بالسنة، من جواز نسخ السنة بالقرآن؛ لكن لم يورد كثير في تفسيره، مع أن النسخ جائز عقلا وشرعا، لأنه لا يلزم عنه محال ولا تتغير صفة من صفاته تعالى، وهو الذي أنزل الأحكام وله أن ينسخ ما يشاء منها حسب ما تقتضيه مصلحة العباد وهو لطيف بهم وهو الفاعل المختار لقوله تعالى: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾<sup>٣</sup>، وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾<sup>٤</sup>.

٨- عنايته بذكر القراءات؛ لأن معرفة القراءات من الوسائل المهمة التي ينبغي معرفتها لمن يرغب في تفسير كتاب الله تعالى. والقراءات لها فوائد منها بيان إعجاز القرآن في إيجازه؛ حيث يدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرار اللفظ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾<sup>٥</sup> في قوله (فَرِهَانٌ) وفيه قراءتان، قراءة على ضم الراء وإسكان الهاء وحذف الألف وعلى قراءة كسر الراء وفتح الهاء بعدها ألف، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فَرِهَانٌ)

<sup>١</sup> - في السابق، محمد ابن جرير الطبري، الجامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٣٨٥.

<sup>٢</sup> - وقد رد الشيخ على مخالفه في موضعين في سورة آل عمران عند قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ سورة آل عمران الآية: (٦٥)، المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٧٣.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (١٠٦).

<sup>٤</sup> - سورة النحل الآية: (١٠٠).

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٤٠).

بضم الراء وإسكان الهاء، والباقون (فَرَهَانٌ) بكسر الراء وفتح الهاء بعدها ألف<sup>١</sup>، وعلى قراءة ضم الراء وإسكان الهاء (فُرْهَنْ) على وزن (فُعْلٌ) بضم وكلاهما جمع رهن، ورهن في الأصل مصدر سمي به، ثم كسر تكسير الأسماء وكلا بناءين بناء الكثرة، وقيل رُهْنٌ مثل رُسُلٌ ورسل وأَسَدٌ وأُسْدٌ وهكذا.

أما على قراءة (فَرِهَانٌ) بالمد الألف جمع رهن مثل طريق طرق وطرقات فمثل هذا يسمع سماعاً ولا يقاس عليه فرهان جمع رهن ككعب وكعاب، وأما الآية في حالتين الحالة الأولى المراد من الكلمة في جانب اللغة كما بَيَّنَّتْ القراءات المقصود منها، وأما الحالة الثانية مضمون الآية تبين حكم جواز الرهن في الشريعة، فليرجع إلى كتب الفقه وفروعه، وهكذا منهجه في تفسيره، كان يذكر القراءات لكن لا ينصب إلى قارئها أو قائلها، ويقول قرئ كذا وكذا، وغالبا يوجه بها توجيه اللغوي<sup>٢</sup>.

٩- اعتماده واهتمامه من قصص الإسرائيليات، وتجنباً في إزالة القصص التي ألصقت بالأنبياء مما يخالف الشرع ومقام النبوة، وتجنباً عن الخرافات وقصص، والضعيفة<sup>٣</sup> والموضوعة<sup>٤</sup>. ويذكر الغزوات مقتصر جداً، فمن ذلك في قوله تعالى: (منهم رعبا)، ويذكر أيضاً في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>٥</sup> قال أي غزوة بني المصطلق قوم الحرث ابن أبي ضار هو أبو جويرية زوج النبي ﷺ تشاجر بعض المهاجرين إلخ<sup>٦</sup>.

ومن بعده عن القصص والإسرائيليات التي ألصقت بالأنبياء والملائكة مما يخالف الشرع ومن قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾؛ حيث قال: "الكلام عطف

<sup>١</sup> - في السابق، القاسم بن فيره، متن الشاطبية المسمى بحرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع، وأشار بقوله (وحق رهان ضم كسر وفتح)، ص ٤٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، أبو بكر جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٦١.

<sup>٣</sup> - والضعيف: ما خلا عن شروط الصحيح والحسن، من ذلك حديث: "احترسوا من الناس بسوء الظن" وفيه خلاف بين العلماء ومنهم من يحتج به ومنهم من لا يحج به ومنهم من يفصل القول، وللمزيد انظر محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) مصطلح الحديث، مكتبة العلم، القاهرة، ط ١، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، ج ١، ص ١٤.

<sup>٤</sup> - هو الحديث المكذوب على النبي ﷺ، وهو المردود، ولا يجوز ذكره إلا مقروناً ببيان وضعه للتحذير منه؛ لقول النبي ﷺ: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٢.

<sup>٥</sup> - سورة المنافقين الآية: (٧).

<sup>٦</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣١، و ج ٢، ص ٤٧.

على نبد وثلت الشياطين أخبار اليهود على ملك سليمان من السحر وأنه أنزل عليه السحر مبه ملك الناس والجن، ويستخفون بذلك سفهاءهم فيتبعونهم في ترك العمل بالتوراة واتباع أهوائهم، فكذب الله نسبه السحر إلى سليمان، وبين حكم استعمال السحر "فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي "م يعمل السحر لأنه كفر" ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ بالتشديد والتخفيف أي أخبار هم الذين كفروا بالإفتراء على الله الكذب ونسبته لسليمان عليه السلام وهو برئ منه" ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أي أخبار اليهود الناس السحرا الجملة (حال) من ضمير كفر أو ينسبونه أيضا إلى ملكين ببابل وسموهما هاروت وماروت فكذب بهم الله بقوله ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وقرئ بفتح واللام وبكسر الكائنين هاروت وماروت بدل أو عطف بيان للملكين ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ الواء للإستئناف وما للنفي ومن زائدة أي إلى أن يقولوا له نصحاً وبلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ يتعلمه، فإن أبي الا التعلم علماء ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الفاء للعطف فوجب الرفع، أي وما يعلمان من أحد فيتعلمون ﴿مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بأن ييغضوا كلا إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقال ما للنفي هم مدعوا علم السحر بضارين بالسحر إلا بإرادة الله ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ويتعلمون ما يضرهم في الآخرة إذ؛ صرفهم عن تعلم دينهم ولا ينفعهم في الدنيا؛ إذ لا يستطيعون أن يضربوا أحداً إلا بإذن الله، وقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾<sup>١</sup>، إلى ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٢</sup>. وقال: "حقيقة ما يصرون إليه من العذاب ما تعلموا ثم عقب على ما تقدم" وواصل الكلام عن تفسير الآية التي تلي لولا حظنا هذه الآية فيها خلاف عند المفسرين قديما وحديثا في هاروت وماروت وفي ملكين بكسر الام وفتح الام ثم روايات حول هذه الآية، أن الشيخ تجنب جميع ما فيها إشكال في هذا الآية لمنهج الذي سار عليه.

١٠- بروز استدلاله في إداء برأيه في جميع جوانب تفسير القرآن، في فهمه للنصوص القرآن والحديث واستباطه الشخصي، ويذكره الفوائد التي تساعد على الفهم النصوص الشرعي، وبيان ذلك في تفسيره عن سوري (الفلق والناس) جاء ببيان مختصر عجيب، فهو حيث قال:

<sup>١</sup> - سورة طه الآية: (٦٩).

<sup>٢</sup> - سورة البقرة الآية: (١٠٢).

"والفرق بينهما أن الأولى استعاذة من الشرور المضرّة في الأبدان، وهذه من الشرور المضرّة في الأرواح؛ ولذلك كانت الاستعاذة فيها بأسماء المعددة المضافة إلى الناس من شر الشيطان".<sup>١</sup>

وخلاصة القول إنه، يمكن القول أن طابع التفسير بالمأثور قد هيمن عليه، فلم ينح المؤلف منحى التفسير بالرأي المذموم، ولم ينتصر لفرقة معينة من الفرق؛ لكن هو نهج نحو منهج أهل السنة والجماعة، ولم يتعصب لمذهب فقهي معين تعصبا يخرج عن الاعتدال إلى الغلو، ولم يميل إلى التفسير العلمي الذي يبرز الحقائق العلمية الواردة في كتاب الله تعالى؛ لأن طابع هذا التفسير لم يكن سائدا في عصره، ولم يلو أعناق النص لتأييد آراء باطلة، بل كان الشيخ متحفظا على ذلك كله.<sup>٢</sup>

### المبحث الثاني: منهجه في التفسير

للعلماء في دراسة القرآن وتفسيره مناهج متعددة فمنهم من جمع بين الرواية والآثار والدراية، ومنهم من جمع الروايات الأخبار والقصص المدهشة، ومنهم من كان همه التهذيب والتنقيح لتلك الآثار وتبيين الصحيح من الضعيف، ومنهم من رعا جانب الدراية؛ ولذا تتعلق بأذهانهم فمثال كشف أسرار البلاغة والدقائق اللغوية وخفياتها، وجوانب إعجاز القرآن الذي تحدى الله به فصحاء العرب، ومنهم من كان أهتمامه بجانب الفروع الفقه لذا تتبع الآيات المتعلقة بالأحكام وفسرها ووضح مذاهب الفقهاء واختلافاتهم، ومنهم من قام بتفسير القرآن بتأويلات الآيات حسب ما يتناسب مع مذهبه وفكره عقديا أو طائفيا، واستمر الأمر إلى يومنا هذا.

أما هذا المبحث يكون الحديث فيه عن بيان أنواع المنهج عن التعامل بالتفسير (رد الأذهان إلى معاني القرآن وهذا أمر جلي المتتبع فيه على مختلف المنهج قد يكون منهجه في الدراسة عن أصول العقائد، والعبادات، والمعاملات، وفي التعامل بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة).

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٨٢٧.

<sup>٢</sup> - تقدم تخرجه عند تعريفه بالتفسير.

## أولاً: منهجه في التعامل بالنصوص

كان يتعامل مع نصوص القرآن، أو السنة أو الآثار الصحيحة، أو غيرها، ويضخ ما أُهم في نص آخر وبيّن، ويهتم بالمأثور عموماً وتجنباً بالرأي المذموم في التفسير؛ إلا أنه لا يحكم بعض الأحاديث النبوية، والآثار، سوى البخاري ومسلم والترمذي أحياناً ويذكر الأحاديث بالمعنى غالباً وهذا كثير في تفسيره.

١- أما تعامله بنصوص القرآن بمعنى تفسير القرآن بالقرآن عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>٢</sup> في تفسيره عند هذه الآية حيث قال: "في قولكم أنكم عبدتمونا كما في آية أخرى ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَعْْبُدُونَ﴾<sup>٣</sup> الكلام إلى أن قال سيكفرون بعبادتهم أي يقولون لهم ما عبدتمونا وعبدتم أهواءكم وإذا رأوا أن المجادلة لا تنفعهم رجعوا".

---

١- النصوص جمع النص: ما لا يحتمل إلا معنى واحد، وقيل: ما لا يحتمل التأويل، وعند الأصوليين وهو الكلام المقيد وينقسم إلى ثلاثة أقسام: نص، وظاهر، ومجمل؛ إما أن يحتمل معنى واحداً فقط فهو النص نحو: تلك عشرة كاملة، وإن احتمل معنيين فأكثر فلا بد أن يكون في أحدهما أظهر من الآخر أولاً: فإن كان أظهر في أحدهما فهو الظاهر ومقابلة المحتمل المرجوح. كالأسد فإنه ظاهر في الحيوان المقترس ومحتمل في الرجل الشجاع، وإن كان لارجحان له في أحد المعنيين أو المعاني فهو المجمل، كالعين والقرء، ونحوهما، وحكمه أن لا يعدل عنه إلا بنسخ، وحكم الظاهر أن لا يعدل عنه إلا بدليل على قصد المحتمل المرجوح وذلك هو التأويل.

وانظر: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، **مذكرة في أصول الفقه**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، (٢٠٠١م) ج ١، ص ٢١١، والمراد ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، فمثلاً (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الفاتحة الكتاب الآية: (٦)، جاء تفسيرها في قوله: (صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) سورة الشورى الآية: (٥٣)، وقوله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) الفاتحة الآية: (٧)، وجاء تفسيرها في سورة النساء في قوله تعالى: (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) الآية: (٦٩)، كما في تفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي يوضح البيان القرآن بالقرآن يجمع الآيات ويفسر بعضها على بعض.

٢- سورة النحل الآية: (٨٢).

٣- سورة القصص الآية: (٦٣).

٤- في السباق، أبوبكر محمود جومي، **رد الأذهان إلى معاني القرآن**، ج ١، ص ٣٥٧.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>١</sup>، وقال عن الحق كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>٢</sup>، وفي آخر الآية قال عن طريق النجاة وقراءة الكتاب ويقولون ياليتني لم أوت كتابه، ذم قال أبعد طريقا عنه واستطرد من هذا إلى ذكر أنه لا محايده في الإسلام ولا تختص جماعة بحكم دون أخرى<sup>٣</sup>، وهكذا فإن الآية الأولى فسرت التي في القصص، والثانية فسرت في الحج، وكان منهجه مختصراً جداً ولا يطيل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>٤</sup>، بعد تفسيره لهذه الآية أورد حديثاً عن أبي موسى، رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)، ثُمَّ تَلَا ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>٥</sup> وقال ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، و في دفع الإشكال في قوله تعالى: ﴿فَاعْوِثْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا عَاوِينَ﴾<sup>٦</sup>، مع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾<sup>٧</sup>، قال: لأن ذلك لنفي السلطان للداعي وهذا لإثبات الاختيار للمدعو<sup>٨</sup>.

وفي تبين الحمل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَا نَارُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾<sup>٩</sup>، وبقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾<sup>١٠</sup>، فمثال ذلك في تفسير القرآن بنظيره من القرآن قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>١١</sup>، ويقوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾<sup>١٢</sup>

<sup>١</sup> - سورة الإسراء الآية: (٧٢).

<sup>٢</sup> - سورة الحج الآية: (٤٦).

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٧٤.

<sup>٤</sup> - سورة هود الآية: (١٠٢).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩٩، في السابق، محمد بن إسماعيل البخاري، جامع صحيح البخاري، في باب من انتظر حتى، ج ٦، ص ٧٤.

<sup>٦</sup> - سورة الصفات الآية: (٣٠).

<sup>٧</sup> - سورة الصفات الآية: (٢٩).

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٥٨٩.

<sup>٩</sup> - سورة الصفات الآية: (٧٥).

<sup>١٠</sup> - سورة القمر الآية: (٩).

<sup>١١</sup> - سورة الطور الآية: (١٤).

<sup>١٢</sup> - سورة الحجر الآية: (١٣).

وأما توضيح الآية كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>١</sup>، مع قوله تعالى: ﴿أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>٢</sup>، ولا مانع بأن يفسر بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾<sup>٣</sup>، بمعنى يشبه بعضا في الحسن والصدق<sup>٤</sup>، وهكذا كان تعامله في التفسير.

٢- أما تعامله بنصوص السنة<sup>٥</sup> بمعنى تفسير القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>٦</sup>، ففسره بقوله: وهي الرمي كما ثبت في السنة عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ يَقُولُ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ إِلَّا أَنْ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ). وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾<sup>٧</sup>، ففسره بقوله: أي بشرك، كما فُسِّرَ بذلك من حديث عبد الله، قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينالم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٨</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>٩</sup>، وقال: "وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس هي إلى السبعمئة أقرب"<sup>١٠</sup>.

١- سورة آل عمران الآية: (٧).

٢- سورة هود الآية: (١).

٣- سورة الزمر الآية: (٢٣).

٤- في السابق، أبو بكر حمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٦٣.

٥- السنة في اللغة الطريقة والسيرة، ومنه قول لبيد في معلقته: من معشر سنت لهم آباؤهم\*\* ولكل قوم سنة وإمامها، أي طريقة يسبونها عليها، وفي اصطلاح الشرع هي ما قاله رسول الله ﷺ أو فعله أو تقريره لأنه لا يقرر على باطل وقوله لدلالة المعجزة على صدقة أي إن معجزات وهذا عند الأصوليين، في السابق، محمد الأمين بن محمد، مذكرة في أصول الفقه، ج ١، ص ١١٣.

٦- سورة الأنعام الآية: (٨٢)، انظر سنن سعيد بن منصور، التفسير في باب ما جاء في الرمي وفضله، ج ٢، ص ٢٠٥.

٧- سورة الأنفال الآية: (٥٩).

٨- في السابق، محمد بن إسماعيل، جامع صحيح البخاري، في ج ٨، ص ٥١٣، رقم الحديث (٤٧٧٦)، تفسير سورة لقمان كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ج ١٢، ص ٢٦٤ رقم الحديث (٦٩١٨) في استتابة المرتدين، باب إثم من أشرك بالله.

٩- سورة النساء الآية: (٣١).

١٠- في السابق، أبو بكر حمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ١٠٥.

٣- أما تعامله بالآثار<sup>١</sup> الصحيحة من أقوال الصحابة والتابعين، ومن قوله تعالى: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لِيُدْخِلَهُ فِيهَا مِنْ شَرِيبٍ يَسْتَلْقِي فِيهَا التَّمْرَ وَيُسْقَى فِيهَا الْوَيْنُ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُحِبُّ﴾ الآية بعد تفسيره لهذه الآية ذكر قول عبد الله بن عباس إما فائدة أو تفسيراً منه، وقال: "هو الرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله" ثم ختم الآية بقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>٢</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾<sup>٣</sup>، حيث قال: إن للشيطان لمة بآدم وللملك لمة به، فأما لمة الشيطان فيإبعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيإبعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فيعوذ من الشيطان ثم قرأ الآية.<sup>٤</sup>

وقيل لمة أي الخطرة الواحدة من الإمام وهو القرب من الشيء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْقًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَقًّا).<sup>٥</sup> وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ﴾<sup>٦</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْمُوهَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ﴾<sup>٧</sup> وقال: وهو الزوج فيترك لها الكل، وعن ابن عباس "الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك".<sup>٨</sup>

١ - جمع أثر والمراد به ما أسند إلى الصحابة أو التابعين متصل السند إلى رسول الله ﷺ أو إلى الصحابة والتابعين.

٢ - سورة البقرة الآية: (٢٦٦).

٣ - سورة البقرة الآية: (٢١٩) المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٦.

٤ - سورة البقرة الآية: (٢٦٨).

٥ - في السابق، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب التفسير سورة البقرة عند تفسير هذه الآية ج ٥، ص ٢٢٠، وقال الترمذي حديث حسن غريب وهو من حديث أبي الأحوص .

٦ - في السابق، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٥٧، والحديث في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) ج ٢، ص ١٢٠.

٧ - سورة المائدة الآية: (١٠٠).

٨ - سورة البقرة الآية: (٢٣٧).

٩ - في السابق، أبوبكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٤٧.



وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وقال: "أي طرق السير إلينا، قال النبي ﷺ (من عمل بما علم علمه الله)<sup>١</sup>، واستدل بما قاله عمر بن عبد العزيز رحمه الله إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا، تقصيرنا في العمل بما علمنا ولو علمنا ببعض ما علمنا، لأورثنا علما لا يقوم به أبدا ننا قال الله تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله"<sup>٢</sup>. حيث قال: الشيخ أبو بكر جومي حول هذه الآية على أنها تدل على أنه ﷺ لا يفتي أحدا في حكم شيء من الأشياء بعد وفاته، فمن ادعى أنه يلتقي علما من النبي ﷺ بعد وفاته فإنه كاذب ومكذب للقرآن فلا يتبع في شيء وفي الحديث "حياتي خير لكم ومماتي خير لكم"<sup>٣</sup>. أما اعتمده في ذكر أقوال الصحابة والتابعين وقد تتبع تفسيره فلم أجد من الصحابة غير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن التابعين عمر بن عبد العزيز الضحاك، والزهري.

#### ثانياً: منهجه في الدراسة عن أصول العقائد

كان يتعامل في الدراسة عن أصول العقائد، وينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة منهج السلف في العقائد، معتمدا على النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، وما عليه السلف الصالح رحمهم الله<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> - سورة العنكبوت الآية: (٦٩).

<sup>٢</sup> - والحديث موضوع من أجل خراش بن عبد الله، وانظر ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، برقم الحديث (٩٧٥)، ج ٢، ص ٤٠٤-٤٠٦.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٣٠، أما بالنسبة الحديث لا يوجد حديث صحيح بهذا اللفظ، وبما أن الشيخ أورد الحديث بالمعنى.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٥٧.

<sup>٥</sup> - معنى السلف في اللغة طريقه الذي ذهب منه وسلكه، بمعنى: في طريقه الذي سلكه، وفي اصطلاح على أن المراد بالمذهب القول الذي يقتدى به بعده، أو الذي يختاره ويرجحه، ويسمى مذهبا له، أي: مسلکا سلكه وقولا رجحه على غيره بدليل اقترن به؛ أما المذاهب فيراد بها الأقوال التي تنسب إلى أربابها، ويطلق المذهب على كل قول قاله إمام مجتهد مات وهو مجتهد ومتمسك به، سواء اقتدي به فيه أو لم يقتد به، وهو هنا أضاف المذهب إلى أهل الحديث، مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة، وتطلق السنة على أحاديث النبي ﷺ، وتقابل القرآن، فأنت تقول: أعطني دليلا من الكتاب ومن السنة ومرادك بالسنة الأحاديث، فجعلت الأحاديث هي السنة؛ لأنها الطريقة التي بينها النبي ﷺ، وقال: ﷺ (لتبعن سنن من كان قبلكم) يعني: طرقهم، ثم أطلقت السنة على العقيدة السليمة، والحاصل أن أهل العقيدة السلفية يسمون (أهل الحديث)، و(أهل السنة)، و(أهل الجماعة)، ويراد بالجماعة: المجتتمعون على الحق والخير، والذين تجمعهم عقيدة سليمة ولو كان غيرهم أكثر منهم، قال ﷺ: (عليكم بالجماعة)، فهو يحث على لزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط

أ- أما تعامله في الدراسة عن أصول العقائد في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>١</sup> قال الشيخ جومي: "هذه الآية قد اشتملت على أمهات المسائل الإلهية؛ ولذا قال: "من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت"<sup>٢</sup>، وواصل الكلام إلى أن قال من رآها إذا أخذ مضجعة آمنه الله على نفسه وجاره جاره والآيات حوله،"<sup>٣</sup> اهـ

وفي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٤</sup>، وعند ما كمل تفسير هذه الآية وقال: "في صنعه فالعزة تلائم الوجدانية والحكمة تلائم القيام بالقسط".

وفي قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>٥</sup>، وقال: "أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة" إثبات الرؤية الله في الآخرة.

فقلتُ هذا يؤدي ما جاء في الصحيح، من حديث أبي هريرة قال: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (نَعَمْ هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ) قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ)<sup>٦</sup>.

بهم من ورائهم، انظر عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، اعتقاد أهل السنة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج ٣، ٥، في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٧٣.

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٥٤).

<sup>٢</sup> - في السابق، الإمام النسائي، عمل اليوم والليلة، ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل، ج ١، ص ١٨٢.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٣.

<sup>٤</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٨).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٥.

<sup>٦</sup> - سورة القيامة الآية (٢٢-٢٣).

<sup>٧</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، في باب إثبات رؤية المؤمنين ربه، رقم الحديث (١٨٢)، ج ١، ص ١٣٦ - ١٦٤.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>١</sup>، لفظ الإستواء حيث قال: "أكبر خلق الله استواء يليق به"<sup>٢</sup>. وأحيانا يقول بالمتشابهات.<sup>٣</sup>

ب- أما فيما يتعلق بآيات الصفات الله تعالى: تبعاً للأصل (تفسير الجلالين)، فمثال ذلك في نفي صفة المحبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>٤</sup>، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>٥</sup>، وفي الآية الأولى قال فيه إقامة الظاهر مقام المضمر: أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم، والآية التالية لا يحب الظالمين أي يعاقبهم وهكذا عطل الجلالين السيوطي صفة البغض، وصرفها عن ظاهرها إلى العقاب.<sup>٦</sup>

فقلت والصواب أن من نتائج عدم محبة الله لهم أن يعاقبهم؛ فالعقاب لازم عدم المحبة، وليس هو مرادفها، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ أي: مقبوضة له، في ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي بقدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>٧</sup>.

فقلت ليست القدرة هي معنى اليمين، فهذا عدول وفرار عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والصواب ما قاله ابن جرير الطبري؛ حيث قال: "وما عظم الله حق عظمتها، هولاء المشركون بالله الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره والأرض كلها قبضته في يوم القيامة ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ كلها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فالخير عن الأرض منتهاه عند قوله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، والأرض مرفوعة بقوله: ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة غيره: أنهم كانوا يقولون الأرض والسماوات جميعا في يمينه يوم القيامة، وقال آخرون: بل السماوات في يمينه، والأرضون في شماله"<sup>٨</sup>.

١ - سورة الحديد الآية: (٤).

٢ - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن ج ٢، ص ٧١٩.

٣ - في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وَأَخْرَجْنَا مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وقال: "لاتفهم معانيها كأوائل السور وآيات الصفات والأسماء الإلهية" المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٣.

٤ - سورة آل عمران الآية: (٣٢).

٥ - سورة آل عمران الآية: (٥٧).

٦ - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٥.

٧ - سورة الزمر الآية: (٦٧).

٨ - انظر محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ٣٢٤.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، وقال: هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال كشفت الحرب عن ساق ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾<sup>١</sup> فقلت المراد في الآية أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة ليسجد كل مؤمن ومؤمنة، لما ورد عن النبي ﷺ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يُكْشَفُ رِثْنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسَمْعَةً فَيَذْهَبُ لَيْسَ سَجْدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا)<sup>٢</sup> وهو الراجح الصحيح في المسئلة.

وفي قوله تعالى: ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾<sup>٣</sup>، وهذا التفسير لهذه الكلمة فرار من صفة العلو إلى شيء آخر، والصواب ما قاله ابن جرير الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من الماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمس مئة في النزول، وخمس مئة في الصعود لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل".<sup>٤</sup>

وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>٥</sup>، والصواب أن يقال: إن الملائكة والروح هو جبريل عليه السلام يصعد إلى الله تعالى، والهاء ضمير عائد على الله في قوله ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الله تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>٦</sup> قال الشيخ أبوبكر جومي هذه الآية كغيرها من الآيات المتشابهات مثل في صفة الإستهزاء، والسخرية، والمكر والوجه، واليد والعين والكلام والساق وكما تقدم والإستواء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>٧</sup>، "فإننا نؤمن بها كما ورد مع اعتقادنا بأن الله تعالى منزّه عن كل ما يشكّل مما يعني تجسيما أو تشبيها"، ولكن ما قال الإمام

<sup>١</sup> - سورة القلم الآية: (٤٢).

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، برقم الحديث (٤٩١٩) ج ٦، ص ١٥٩.

<sup>٣</sup> - سورة السجد الآية: (٥).

<sup>٤</sup> - في السابق، محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأيل آي القرآن، ج ٢٠، ص ١٦٩.

<sup>٥</sup> - سورة المعارج الآية: (٤).

<sup>٦</sup> - سورة الملك الآية: (١٦-١٧).

<sup>٧</sup> - سورة طه الآية: (٥).

المفسرون ابن جرير الطبري، يقول تعالى ذكره، ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أيها الكافرون ﴿أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء وتضطرب، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾<sup>١</sup>

فقلت إن هذه الآيات ليس فيها أدنى إشكال بدلا من الشبهة؛ لأن أهل السنة والجماعة آمنوا بأن الله تعالى في السماء على عرشه فوق عبادته، كما دل عليه الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قوله ﷺ فَقَالَ: (أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ)<sup>٢</sup>

وقال مالك بن أنس رحمه الله: "إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان" وقيل لابن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: "بأنه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل<sup>٣</sup>.

وقال الإمام الشافعي: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان، ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأن الله على عرشه في السماء، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء.<sup>٤</sup> وقال أبو حنيفة رحمه الله: "من أنكر أن الله في السماء فقد كفر".<sup>٥</sup>

قلت أما صفة الاستواء<sup>٦</sup> وقد ورد في القرآن في سبعة مواضع، وهي سورة الأعراف الآية: (٥٤)، ويونس الآية: (٣)، والرعد الآية: (٢)، وطه الآية: (٥)، الفرقان الآية: (٥٩)،

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ٢٣، ص ٥١٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في باب بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم الحديث (٤٣٥١) ج ٥، ص ١٦٣.

<sup>٣</sup> - انظر محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، أبو الطيب، (ت ١٣٠٧هـ)، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٤٢١هـ)،

<sup>٤</sup> - في السابق، شيخ الإسلام ابن تيمية عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٨، ص ٤٦٤.

<sup>٥</sup> - انظر عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، إثبات صفة العلو، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، ج ١، ص ١١٦-١١٧.

<sup>٦</sup> - معناها كما قال الشيخ الإسلام ابن تيمية: فعند أهل السنة على قولين

والسجدة الآية: (٤)، والحديد الآية: (٤)؛ فهذه المواضع وردت فيها والتي ثار عليه جدلا عند المفسرين؛ أما اكتفاء بقوله استواء يلحق به، لكن إن كان المؤلف يريد به تفويض كيفية الاستواء فهذا فرار؛ لأن الكيفية على الوجه الآثق به سبحانه وتعالى، لا يعلم ذلك إلا الله كما قاله مالك رحمه الله (الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة)؛ وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول، فهذا فرار من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش؛ لأن السلف ذكروا أن الاستواء معناه: العلو والارتفاع والاستقرار، وعبارة المؤلفين تحتمل كلا المعنيين؛ ولكن السلف لم يجهلوا معنى الاستواء، كما قال إمام دار الهجرة وغيره (الاستواء معلوم).  
ث- وقد ردّ الشيخ جومي على بعض المخالفين، في تفسيره لم يسم بأسمائهم إلا نادراً جداً؛ ولكن قدر عليهم ضمنا فمثلا في الآية السابقة سورة القيامة فيه رد على المعتزلة الذين ينكرون رؤية الله، وبعض الأشاعرة الذين ينفون صفة الساق في قوله يوم يكشف عن ساق، ثم ذكره موضعين من تفسيره عن فرقة القادرية والتجانية الصوفية، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>، حيث قال: "هنا دخل بعض ارباب الطرق من المشايخ الذين يخترعون أحكاما وشروطا ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فيلزمون أتباعهم باتباعها، فهم بذلك قد ضلوا وأضلوا، وخالفوا نص القرآن (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

---

القول الأول بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف: (وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾: علا عليهن وارتفع، فد برهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات) اه. وذكره البغوي في تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكا بظاهر لفظ (اسْتَوَى)، وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله تعالى.

القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير: (أي: قصد إلى السماء، والاستواء هنا ضُمِّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى)، وقال البغوي: (أي: عمد إلى خلق السماء، وهذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، لأن الفعل (اسْتَوَى) اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، وهو إثبات هذه الصفة لله تعالى كما أثبتته السلف الصالح خلافا للمعتزلة والجهمية وغيرهم.

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الحليم بن تيمية شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٣، ص ١١٨١.

<sup>٢</sup> - سورة آل عمران الآية: (٦٣).

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا<sup>١</sup> وحملوا الولاية على النبوة وفرقوا الأمة الإسلامية، وما لاحظوا قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)<sup>٢</sup> وأما توا العلم بالجهل، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا" وقال: الشيخ (وأما توا العلم بالجهل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء)<sup>٣</sup>.

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾، حيث قال: وقال: "فعبدوا العجل بالطليل والرقص، وفي القرطبي: سئل الإمام أبوبكر الطرطوشي: ما يقول سيدنا الفقيه في جماعة يجتمعون ويكثرون من ذكر الله تعالى: وذكر محمد ﷺ، ثم أنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل، ويقوم بعضهم يرقص ويتاجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون الأشياء يأكلونه، فهل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا يرحمكم الله، الجواب: يرحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار، فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما الطبل فأول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأما على رؤسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم عن الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، وهذا مذهب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وابن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين "اه؛ فهذا من المواضع التي ثار فيها جدلا في تفسيره حتى بعض مخالفه يمنعون الناس عن اطلاع فيه وخاصة بعض المبتدعة من القادرية والتجانية الصوفية، لأنه شاهد وعاش معهم من المجتمع التي عافيه، وهذه أهم تعامله في الدراسة عن أصول العقائد.

خلاصة الكلام في الدراسة عن أصول بمسائل العقائد، وينتمي إلى مذهب السلف في العقيد، وهو على منهج أهل السنة والجماعة في القول بالتوفيق في أسماء الله وصفاته، ولا تشبه

<sup>١</sup> - سورة المائدة الآية: (٣).

<sup>٢</sup> - سورة الأنعام الآية (١٥٨).

<sup>٣</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٧٣.

<sup>٤</sup> - سورة طه الآية: (٩٥).

ولا تعطل ولا تؤول، ولا تكيّف ويفسّر كما فسّر النبي ﷺ وأصحابه والتابعين كما سبق، وقد  
تأثر بعقيدة الأشاعرة، فيما يتعلق بآيات الأسماء والصفات، في تفسيره.



#### رابعاً: منهجه في الدراسة عن أصول العبادات

كان يتعامل عن أصول العبادات في الفقه فروعه ما يتعلق من الطهارة والصلاة وأحكام الصوم والحج، والأحكام الاجتماعية، والمعاملات؛ فظهرت آراؤه الفقيهية المبنية على مذهب مالك، ويشير إلى مذاهب أخرى، ولم يسلك طريق التعصب من إخضاع الآيات حتى توافق مذهبه كما يفعل البعض، وأورد بالأقوال أصحاب المذاهب الأربعة في الفروع، فخصصه للمذهب المالكية في تفسيره للآيات الأحكام؛ أما بالنسبة لمسألة أصولية لم يتناول فيه إلا نادراً جداً في تفسيره، ويذكر مسألة من مسائل الأصولية في تعامله مع النص القرآني ضمناً، يستدل به النص الشرعية من قبل مختلف تفسيره للآية أو الحديث، وأن الشيخ جومي ما من آية تناولت فيها مسألة فقهية إلا بيّن فيها وخاصة فيما يتعلق بأحكام الصلاة من آدابها وسننها وواجباتها فرضاً ونفلها، وكذلك أحكام الزكاة لا يمر بأحكام العبادات إلا نبه فيه، مراعاة لمنهجه مختصراً، في الأمثلة الآتية:

١- في تعامله مع العبادات وما يتعلق بالطهارة في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، حيث قال الشيخ<sup>١</sup> الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء ولا بد من جميع الرأس إلى آخر ما نبت منه الشعر وجميع الجمجمة كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم؛ فهذا قول مالك وأحمد رحمهم الله، وقال أبو حنيفة وجب مسح ربع رأس وقال الشافعي قدر ما ينطلق عليه اسم امسح وهو اسم جنس إلخ.<sup>٢</sup> قلت كأنه تعرض لمسألة مسح الرأس وخلاف العلماء عليه؛ وما يتعلق في الصلاة قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>٣</sup>، وقال في الحديث "كان إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة"، وأحياناً يذكر صحيح البخاري وصحيح مسلم وبعض أصحاب السنن ولا يحكم عليه، ويذكر الذين خرجوا

<sup>١</sup> - سورة المائدة الآية: (٥).

<sup>٢</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ١٣٧.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (٤٥).

<sup>٤</sup> - ولربما أو رد الحديث بالمعنى أما الصحيح، كَانَ ﷺ "إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى" وفي رواية أخرى "كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، الرواية الأولى عند حذيفة بن اليمان والثانية عند ابن عباس كلاهما في السابق، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٣٣.

الأحاديث في كتبهم كما في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾<sup>١</sup>، وقد بين عليه السلام فريضته بقوله (اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ) وقال رواه البيهقي<sup>٢</sup>، وحديث "أبدأ بما بدأ الله به" وقال رواه مسلم<sup>٣</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾<sup>٤</sup>، قيل معنى القنوت كل طاعة "كل قنوت في القرآن فهو طاعة" وقيل معناه السكوت أي ساكتين لحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: "كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا أَخَاهُ فِي حَاجَتِهِ" حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ<sup>٥</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَحِبِّهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>٦</sup>، قال الشافعي: بأن يطالبه بالدية بلا عفا وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما، والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء عليه وعليه مالك ورجع<sup>٧</sup>.

٢- تعامله فيما يتعلق بالأحكام الاجتماعية في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَ لَكُمْ فِيهَا مَثَلَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٨</sup>، قبل استكمال الحولين ولو بمصصة واحدة عند مالك وأبي حنيفة ولا بد أن يكون خمس رضعات عند الشافعي كما بينه الحديث<sup>٩</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾<sup>١٠</sup>، وزوجات الدنيا يمكن أبكار في الجنة وإن كن في الدنيا ثيبات وهذا على مذهب الجمهور، من أن الجن يدخلون

<sup>١</sup> - سورة البقر الآية: (١٥٨).

<sup>٢</sup> - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الخراساني، البيهقي: (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى للبيهقي، في باب وجوب الطواف بين الصفاء والمروة، دارالكتب العلمية، بيروت، ط ٢، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ج ٥، ص ١٥٨.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣١، في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الحج، في باب حجة النبي عليه السلام ج ٢، ص ٨٨.

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٣٨).

<sup>٥</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٤٨، والحديث في السابق محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في كتاب التفسير، باب وقوموا لله قانتين، ج ٥، ص ١٦٢.

<sup>٦</sup> - سورة البقرة الآية: (١٧٧).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٤.

<sup>٨</sup> - سورة النساء الآية: (٢٢).

<sup>٩</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٠٣.

<sup>١٠</sup> - سورة الرحمن الآية: (١٣).

الجنة ويتمتعون كالإنسان، وقال أبو حنيفة أن جرائمهم على طاعتهم عدم دخول النار فبعد حضورهم الموقف في القيامة يصيرون تراباً كالبهائم.<sup>١</sup> وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾،<sup>٢</sup> أي إذا طلقها الثالثة لا تحل له حتى تتزوج ويطأها كما في الحديث الذي رواه الشيخان، أشار الشيخ ولم يذكر الحديث.<sup>٣</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَضَعَنَّ حَمْلُهَا﴾،<sup>٤</sup> فتنتهي النفقة بانتهاء عدتهن والمطلقت الطلاق الرجعي لها النفقة والسكنى والمطلقات البائن غير الحوامل فلا نفقة لهن في العدة عند مذهب مالك، والشافعي؛ وأما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة إلخ، وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾،<sup>٥</sup> تحليلها الكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الأيمان تحريم الأمة عند الشافعي؛ وأما عند مالك فلا كفارة إلا في اليمين بالله في البر أو الحنث وهل كفارة قال مقاتل: إلخ.<sup>٦</sup>

وهذه أهم الدراسة عن أصول العبادات الفقهية. الستنبطة من أحكام العبادات، ولم نتناول مسألة أصولية ظاهرة في تعامله مع النص القرآن، وقضايا العبادات في تفسيره، إلا ضمن بيانه في مسألة الفقهية وباكتفاء المشهور مذهب المالكي وأحيانا يخالفه، وهكذا كان الشيخ جومي تعامل بمسائل العبادات في آية الوضوء فيما يتعلق بالطهارة والثاني يتعلق بالجنايات وأحكام الإجتماعية من النكاح والعدة المطلقات مختصر جداً ولا يتوسع ولا يحلل كثيراً ويرجح ما يراه راجحاً ونسبه إلى قائله من الأئمة الأربعة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وأحيانا يوافق الجمهور، وأحيانا يخالفه، ويكتفي بمشهور مذهب المالكي غالباً؛ لأنه المذهب الرائد في المنطقة.

١- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٧١٢.

٢- سورة البقرة الآية: (٢٣٠).

٣- المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٧.

٤- سورة الطلاق الآية: (٦).

٥- في السابق أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٧٤٩.

٦- سورة التحريم الآية: (١).

٧- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٧٥١.

#### خامسا: منهجه في الآداب والأخلاق

كان يتعامل في الآداب والأخلاق، فيما يتعلق بالصبر على الأذى، والحرص على التمسك بالكتاب والسنة من العلم النافع وعدم الترفع وفضل الكتابة والوفاء بالعهد والشكر والجوانب التربوية والإصلاحية؛ لأن القرآن أعظم مبدأ تربوي يدعو إلى تزكية النفس الإنسانية وتبيتها على الخير؛ لأنها قابلة للخير والشر بحسب ما تربى عليه، لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>١</sup>، أما مفهوم التربية إذا رجعنا إلى اللغة، وجدنا لكلمة التربية أصولا لغوية ثلاثة

١- ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>

٢- ربي يربي على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع.

٣- رب يرب بوزن مد يمد بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه.<sup>٣</sup> وقد اشتق بعض الباحثين من هذه الأصول اللغوية تعريفاً للتربية، قال الإمام البيضاوي،<sup>٤</sup> "عرفه بأن" الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا، ثم وصف به تعالى للمبالغة.<sup>٥</sup> "وقال: وفي كتاب مفردات الراغب الأصفهاني<sup>٦</sup>: "الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"<sup>٧</sup>. ثم يستخلص من هذا نتائج أساسية في فهم التربية

١- إن التربية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغايتها.

<sup>١</sup> - سورة الشمس الآية: (٧-٨).

<sup>٢</sup> - سورة الروم الآية: (٣٩).

<sup>٣</sup> - عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط ١٥٥، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ج ١، ص ١٣.

<sup>٤</sup> - تقدم تخرجه، البيضاوي، (٦٨٥هـ)، في تفسيره، أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

<sup>٥</sup> - في السابق، الإمام البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ٥٦.

<sup>٦</sup> - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: (٥٠٢هـ-)، تفسير الراغب الأصفهاني، ت د. محمد عبد العزي، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)،

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، تفسير الراغب الأصفهاني، ج ١، ص ٧٨.

٢- أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق: خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سنن سننا لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعا لتحقيق كمالها، وصلاحها وسعادتها.

٣- إن التربية تقتضي خططاً متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية، والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة إلى مرحلة.

٤- إن عمل المربي تال، وتابع لخلق الله وإيجاده، كما أنه تابع لشرع الله ودينه. ونتائجها تؤدي بنا إلى معنى الشرع والدين؛ لأن التربية تستمد جذورها منه، فطبيعة النفس الإنسانية طبيعة متدنية، والإنسان في الحقيقة حيوان متدين كما سنوضح ذلك عند بحث "خصائص التربية الإسلامية".<sup>١</sup>

ومن هنا يأتي المفهوم الديني والإسلامي؛ أما مفهوم الدين في المعنى اللغوي: تستعمل كلمة "الدين" في كلام العرب بمعان شتى أهمها: (القهر) و(السلطة) و(الحكم) و(الأمر) فيقولون: "دان الناس" أي قهرهم على الطاعة، و"دنته" أي وملكته، وفي هذا المعنى جاء في الحديث في قوله ﷺ (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ)،<sup>٢</sup> أي قهر نفسه، معنى اسم المفعول "مدين" أي مقهور ومحكوم، وخاضع قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>٣</sup>، أي إن كنتم غير خاضعين لمشئة الله في الحياة والموت، فهلا أرجعتم الروح إلى الجسد بعد فراقها بالموت، وقد استعمل في القرآن استعمالاً كثيرة فيقول: المراد بـ "الدين" في جميع هذه الآيات هو "نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية، والفكرية والخلقية، والعملية"، فقد بيّن الله تعالى أن نظام الحياة الصحيح المرضي عند الله هو النظام المبني على إطاعة الله، وإخلاص العبودية له وحده.

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة، ج ١، ص ١٧.

<sup>٢</sup> - أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ١٢٥.

<sup>٣</sup> - سورة الواقعة الآية: (٦٦-٦٧).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ج ١، ص ١٨.

أما المفهوم الإسلامي؛ الإسلام في اللغة القرآن هو الاستسلام والخضوع، لقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُؤْنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾<sup>١</sup>، ثم استعمل اللفظ في القرآن علما على الدين والنظام، الذي أرسل الله به رسوله.

العلاقة بين الإسلام والتربية علاقة قوية ويتناول المضمون التربية بثلاث النقاط على النحو الآتي:

- أ- تربية الفرد على الإيمان بالله والاستسلام لشريعته، والإيمان بالغيب.
  - ب- تربية النفس على الأعمال الصالحة، وعلى منهج الحياة الإسلامية، في الحياة اليومية، والمواسم السنوية والتصرفات المالية، وجميع شئون الدنيا.
  - ت- تربية المجتمع على التواصي بالحق للعمل به، والتواصي على الشدائد، وعلى عبادة الله، وعلى التزام الحق.
- وكذلك يقوم القرآن بتربية العقل على الفكر والتذكير والتدبر وتربية السلوك على الاعتدال، والاهتداء بشريعة الله، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾<sup>٢</sup>. ومن هنا كان منهج التربية في بناء الإنسان روحياً وجسدياً، وعقلياً، وفي التربية إحساس بالمشاعر بما لا تحسبه في أي تربية أخرى؛ فالمسلم أخ أو متعاطف مع كل كائن في هذا الكون يرى فيه رفيقاً له في تعظيم الله وتسبيحه، وإن هذا العطف والحنان ليس على بني جنسه فقط بل ينتقل إلى الكائنات الأخرى.

إن إيجابية التربية وفعاليتها تنبثق من الأسس التي بنيت عليها وخاصة الأسس الاعتقادية والتعبدية؛ فالإيمان بالآخر على النحو الصحيح جاء في القرآن والسنة وبنيت عليه التربية يجعل الحياة موزعة للأعمال يحصد المرء نتائجها يوم الحساب، ذلك لأن طبيعة الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن دائماً بين الخوف والرجاء، وبهذا كانت التربية الإسلامية أصلح للحياة، ومن أهم أسلوب الموعظة تركية النفس وتطهيرها، وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية وبتحقيقه

<sup>١</sup> - سورة آل عمران الآية: (٨٣).

<sup>٢</sup> - سورة المائدة الآية: (١٤-١٥).

يسمو المجتمع ويتعد عن المنكرات وعن الفواحش؛ فلا يبغي أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله، بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان<sup>١</sup>

فقد استخدم الشيخ جومي في تفسيره التركيز على التربية الفرد على الإيمان بالله والاستسلام لشريعته، والتربية النفس على الأعمال الصالحة، وعلى منهج الحياة المجتمع على التواصل بالحق للعمل به، والتواصي على الشدائد، وعلى عبادة الله، والتزام الحق؛ أما نماذج جانب التربية والإصلاح في تفسيره، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٢</sup>، وقال الشيخ جومي: "فإن التربية الأبناء واجبة على الأباء ونزيتها غير أهل الإنسان فرض كفاية إلا إذا لم يكن هناك مرب غيره فيتعين عليه بعد تقديم أهله السابق، فالأسبق مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>٣</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>٤</sup>، قال الشيخ أبوبكر جومي: "قلت هذا يدل على عظم الدعاء الله حيث طلب دعاء الناس له ليكرمهم بالإستجابة لهم وجعل تعالى من لا يسأله من المتكبرين وذكر الحديث عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ أَلْأَحَدُكُمْ رَبُّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شَيْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ)<sup>٥</sup>، وذكر شروط استجابة الدعاء الإخلاص في الدعاء، وأن يدعو وقبله لاه مشغول بغير الدعاء، وأن يكون المطلب بالدعاء مصلحة للإنسان، وأي يكون فيه قطيعة رحم، وأن يفتح بالثناء على الله والصلاة على رسول الله ﷺ<sup>٦</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾<sup>٧</sup>، قال الشيخ جومي: "والآية عامة لمن استجمعت له تلك الصفات وللدعوة إلى الله مراتب المرتبة الأولدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء، والمرتبة الثانية: دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج، والبراهين فقط، والمرتبة

<sup>١</sup> - انظر عبد الحمن الخلاصي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ٢٥٦ ط، دار الفكر، ج ١، ص ١١٣-١١٤.

<sup>٢</sup> - سورة لقمان الآية: (١٣).

<sup>٣</sup> - سورة الشعراء الآية: (٢١٤)، في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٥١٤.

<sup>٤</sup> - سورة غافر الآية: (٦٠).

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٨٣.

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٦٣٥.

<sup>٧</sup> - سورة فصلت الآية: (٣٣).

الثالثة: دعوة المجاهدين في سبيل الله بالسيف، والمرتبة الرابعة: دعوة المؤمنين إلى الصلاة فهم أيضا دعاة إلى الله إلى طاعته".<sup>١</sup>

خلاصة الكلام أنه تعرض في مسألة التربية إلى الأبناء والدعاء إلى الله تعالى وشروطه، ثم ذكر مراتب الدعوة إلى الله في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان تفسيره مليء بالأخلاقيات وآداب الحسنة بالقول والعمل، وهو يركز دائما في أخلاقيات من صبر عما يجري في المجتمع وهو نشيط في الدعوة إلى الله ولا يخاف لومة لائم يدرّس ويؤلف ويرشد ويوجه، وطلابه تعلم العلم والادب والأخلاق والزهد؛ لكن كما قلنا منهجه مختصرا. جدا وهكذا الأمر. سادساً: منهجه في التفسير العلمي

لقد استخرج الشيخ أبوبكر محمود جومي من خلال تفسيره جملة للمسائل العلمية في التفسير المعاني والفوائد، والمسائل العلمية الحديثة المعاصرة وهذا يدل على سعة مطالعته وتمكّنه في التفسير، ومعرفته لفنونه، وهذه جملة مما قاله، واستنبطه من الآيات القرآنية، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾<sup>٢</sup>، وقال: فيه دليل على أن المخطئ يثاب إذا فهم وأصلحه بالإدراك أو بالتوبة وإذا فات، ويثاب مرة ثانية ويترقى بذلك على ما كان عليه فضلا منه تعالى ورحمة، هذا ما يجب اعتقاده ويترك ما سواه من الإسرائيليات".<sup>٣</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾، وقال: "مذلات للطيران لنفعهم وهذا المسخر لفائدة الناس لم يوجد منه إلا الطائرات ومنه الطائرات الجوية إذ غيرها ليس مسخرا على الهواء بين السماء والأرض تحمل الناس والأثقال الباهظة بين مرامي أقطار الأرض ما يسكنهن عند طيرانها مع حمل ثقيل إلا الله بقدرته الكاملة"،<sup>٤</sup> أي أن في الإشارة إلى وجود مثل هذه الطائرات الجوية قبل وقتها بأكثر من ألف سنة آيات باقيات على صدق رسالة محمد ﷺ إذ إن ذلك من المغيبات التي لا يعرفها إلا الله وإن قلت كيف عرفت أن المقصود بالطير المسخرات في السماء هذه الطائرات المخترعة التي تقطع الجو من بلد إلى آخر بالناس

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٦٣٥.

<sup>٢</sup> - سورة ص الآية: (٢٣).

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٦٠١.

<sup>٤</sup> - سورة النحل الآية: (٧٩).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٥٦.



قلت في الجواب أنها لما قبل الطير المسخرات فالتسخير دائما يكون حال الانتفاع بالشيء  
المسخر ولا يوجد طير ينتفع بها الناس في حال طيراتها في الجو إلا هي نعم توجد طير تستعمل  
للصيد مثل الباز أو البريد مثل الحمامة.<sup>١</sup>

وقوله تعالى: ﴿لَتَسْتَخِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا  
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾<sup>٢</sup>، وقال الشيخ  
جومي: "لولا تسخير الله وإذ لا له إنما يتأتى في الدواب وأما السفن فهي من عمل ابن آدم فليس  
الامتناع بقوتها كامتناع الدواب؛ حيث قال: قلت ويلحق بالسفن والسيارات والقطارات  
والطائرات وسائر المركبات الحديدية لجامع بينها وبين السفن.<sup>٣</sup> وهذا ما انفرد به الشيخ جومي  
في تفسيره.

### المطلب الأول: بيان أفكار الشيخ أبوبكر جومي

كان للشيخ جومي أفكاره في تفسيره ونظريات خاصة من نواح منها:

أ- أفكاره في الإصلاح الديني وتوحيد صفوف الأمة عن طريق توعيتها بالتمسك بالكتاب  
والسنة، وتصحيح العقيدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرضه في ذلك كله هو تجمع  
القلوب المسلمين روح المحبة والألفة للمسلمين عامة ولنيجيريا خاصة مصداقاً لقوله تعالى ﴿لَوْ  
أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَأَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾،<sup>٤</sup> كون  
التمسك بالكتاب والسنة عقيدة يجعلهم يتحدون على الحق ولا تجتمع الأمة على الضلالة

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٦، وللمزيد راجع عند تفسير هذه الآية، ولكن عند ما  
تتبعُ والمسألة وقد سبقه سيد قطب في ظلال القرآن ونقله منه؛ لكن مع ذلك أنه انفرد عن تفسير عبد الله ضياء  
التأويل، وكأن جومي في تفسيره مال إلى تفسير مقارنة بالأشياء الحديثة أو التقنية الحديثة من الطائرات الجوية وغيرها.

<sup>٢</sup> - سورة الزخرف الآية: (١٢-١٤).

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٦٤٨، ثم واصل بالكلام ابن العربي في استنباط الفوائد فيما  
يتعلق بالسفر وغيرها.

<sup>٤</sup> - سورة الأنفال الآية: (٦٣).

قال: **﴿لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا وَيَدُ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ﴾**<sup>١</sup> من حديث عبد الله بن عمر **رضي الله عنه**.

● **ب- أفكاره في تصحيح العقيدة** كانت مدرسة التجديد الإسلامي المعاصر التي يحمل لواءها، وركز الشيخ أيضا عملها على مقاومة الخرافات والبدع التي شوهت عقيدة المسلمين كان من أهدافه تطهير عقيدة الأمة عن البدعة وكل مظاهر الشرك؛ سواء ذلك علنيا أو خفيا. يعتبر مجدد الدعوة الإصلاحية التي تزعمها، وهذا أمر جلي ويؤخذ من كتاباته العامة وفي تفسيره الخاصة، وكانت تعالج بمجاهير من مختلف شرائح في المجتمع؛ حيث جذبهم أسلوبه المتميزة في اللقاءات، والتي ظلت تذاق على الهواء عبر إذاعة نيجيريا بكدونا لمدة أكثر من ربع قرن؛ وهو ما جعل لها أكبر الأثر في توسيع والاستفادة من علمه وثقافته وفكره الدعوية، حتى وصل إلى بعض القادة السياسيين من المسلمين وغير المسلمين، فاهتدى عن طريقه عدد كبير من النصارى والوثنيين<sup>٢</sup>، تأكيدا وتوكيدا لقوله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**<sup>٣</sup>.

**ث- أفكاره في التعايش السلمي** مع غير المسلمين والعدالة الاجتماعية ويعطي كل واحد حقه في التعايش السلمي في المجتمع، وكان له يد وسمعة، ولم يتح مجالا للقادة والزعماء السياسيين بأن يتلاعبوا بالشعب النيجيري، كما تعرض إلى المشاكل الدينية، والقبلية، والإقليمية التي تحيط بها الآن، وكان عنده احترام خاص من غير المسلمين، لأنه أول قاضي القضاة، ومستشار لرئيس وزراء لنيجيريا بعد الاستقلال من الاستعمار الإنجليزي، هو من أكابر الدعاة إلى تحقيق ذلك؛ لذا يرى الشيخ أن الدولة ذاتها لا تدوم إذا لم يكن فيها تطبيق العدالة الاجتماعية، وزعيم الحركة الإصلاحية المناهضة في القرن العشرين، وقد أسهمت اجتهاداته الدينية والفكرية في إلهام الكثير

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن عبد الله، أبوعبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ٢٠٢.

<sup>٢</sup> - في السابق، الموقع الإلكتروني قراءات إفريقية.

<sup>٣</sup> - سورة الأنعام الآية: (١٢٥).

من الحركة الإصلاحية الإسلامية ليس فقط في نيجيريا، بل في غرب إفريقيا عمومًا، بل كان عميد الدعوة السلفية في نيجيريا.

**ج-أفكاره** في التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد والتصنيف والتأليف، وكان عمومًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ أن كان الشيخ جومي شابًا، وكان يعلم ويتعلم وهو شديد الإصرار على ضرورة تمسك تلاميذه وأتباعه بالكتاب والسنة الصحيحة ويحرضهم على اتباع أوامر الدين، ويؤدي أيضًا تعليم البنات بمعنى دراسة نظامية للبنات، واجتناب كل ما هو مخالف لأحكام الشريعة، كما يظهر ذلك في مؤلفاته وكتاباتاته، ومن ثم اتخاذ جميع الطرق وسائر إعلام الحديثة المعاصرة من التلفاز، والإذاعة (راديو)، وخاصة إذاعة كدونا ما يقارب خمسون سنة يُلقِي فيها دروسه من التفسير والموطأ لمالك، والصحيحين، الوسنن وغيرها. برنامج يسمى نور الإسلام (Hsken Musluci) بلغة الهوسا، وهكذا الجرائد والمجلات، الخاصة في القضايا المختلفة في المناسبات الدينية. والسياسية.

**ح-أفكاره** في تهذيب النفوس، من التربية في إصلاح المجتمع الإسلامي، والرجل عاش في القرن العشرين بمعنى أنه من المعاصرين ويتمتع بمعاصرتة كونه يُجيد اللغتين العربية والإنجليزية إضافة إلى لغته الأصلية الفلاة والهوسا، وهمه الدعوة إلى الله، عن الطريق السلمي والحكمة والموعظة الحسنة بدون حمل السلاح أبدًا كان، فقد شارك السياسيين في بعض المناصب الحكومية، فمثلاً قاضي قصاة نيجيريا، والمستشار الخاص لرئيس وزراء الدولة النيجيرية وغيرهما.

ملاحح رئيسة عن أفكار الشيخ أبوبكر جومي:

١- توحيد صفوف الأمة النيجيرية وتوعيتها بالتمسك الكتاب والسنة، وتصحيح عقيدة التجديد الإسلامي، وتبني الفهم السلفي للإسلام، ولم يكن فرق بين أفكاره وعقيدته عن مؤلفاته.

٢- تطهير عقيدة الأمة ومحاربتها للبدعة وكل مظاهر الشرك سواء أكانت علنيا أم خفيا. ويعتبر مجدد الدعوة الإصلاحية، وتهذيب النفوس، في إصلاح المجتمع الإسلامي.

٣- الدعو إلى الاعتدال ورفض الغلو والعمل على مقاومة الخرافات والبدع التي شوهت عقيدة المسلمين، انتقاد ورفض الطرق الصوفية، والقادرية، والتعائيس السلمي مع غير المسلمين.

### المبحث الثالث: دراسة في منهج ضياء التأويل في معاني التنزيل في التفسير

إن هذا المبحث يكون فيه الحديث عن المنهج تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، وأفكاره وهو تفسير القرآن الكامل، في أربع مجلدات كما تقدم، في مؤلفه الشيخ العلامة الفهامة عبد الله بن فودي، من كبار العلماء المنطقة المفسر المحدث الفقيه، الأدبي اللغوي النحوي البلاغي، صاحب التصانيف قيل عنه بنادرة الزمان السوداني الأقريني. اجتمعت لديه أدوات التفسير، ودرس العلوم الأساسية من العقيدة وعلوم الحديث وفنونه، والفروع الفقهية، والإمام بالعلوم العربية من النحو والبلاغة والشعر وبهذا أظهر تفسيره وجمع الفوائد.

ويمكن القول بأن طابع التفسير المأثور قد هيمن عليه، فلم ينح المؤلف منحى التفسير بالرأي المذموم، ولم ينتصر لفرقة معينة من الفرق، ولم يكن من قبيل التفسير الإشاري<sup>١</sup>، الذي يتبناه كثير من المتصوفة على الرغم من كونه صوفياً، ولم يتعصب لمذهب فقهي معين تعصبا يخرج عنه الاعتدال إلى الغلو، ولم يميل إلى التفسير العلمي الذي يبرز الحقائق العلمية الواردة في الذكر الحكيم<sup>٢</sup>، لأن طابع هذا التفسير لم يكن سائداً في عصره، ولم يلو أعناق النص لتأييد آراء باطلة، بل كان متحفظاً على ذلك كله، وهو الذي يقول في مقدمة (ضياء التأويل) "التفسير هو القطع على الله بأنه عني بهذا اللفظ هذا المعنى فلم يجز إلا بالنقل عن النبي ﷺ والتأويل هو ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع فيه، والله أعلم<sup>٣</sup>".

#### أولاً: منهج المؤلف ضياء التأويل في معاني التنزيل في التفسير

إن الشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله سمى تفسيره بضياء التأويل في معاني التنزيل تحفظاً وتورعاً، مليئاً بالأحاديث الرسول ﷺ والقصص، وذكر المغازي، والسير، وامتثالاً لأقوال الفقه التي دار الخلاف فيها بين أئمة المذاهب الأربعة في آيات الأحكام. واستطرد كذلك في المسائل النحوية

١- التفسير الإشاري: هو أن يرى المفسر للآية معنى آخر غير معنى الظاهر الذي تحتمله الآية الكريمة، ولكنه لا يظهر لكل إنسان، وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه وأثار بصيرته وسلكه ضمن عباد الصالحين الذين منحهم الله الفهم والإدراك، وهناك خلاف بين العلماء في شأن التفسير الإشاري من أقسامه وشروطه، للمزيد ارجع إلى مجموع الفتاوى، عبد الحليم أبو العباس، شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج ١٣، ص ٢٣٦.

٢- عمر يوسف حمزة، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، شركة سعيد رأفت للطباعة، قطر بدون تاريخ، ج ١، ص ٢١٣-٢١٦.

٣- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٤.

والبلاغية والأصولية، وسرد الأشعار عند الاستشهاد، وتعرض فيه أيضا لذكر القراءات السبع وعزوها إلى أصحابها. ولما رأى أن الهمم قد تقاصرت دونه وأن عوام الناس لا يقدرّون على استيعاب معانيه، وذلك لمستواه الفكري، وأسلوبه الرفيع، وإسهابه، اختصره في مؤلف مبسط، يتوافق مع مستوى عامة الناس العقلي، فقد نهج ابن فودي في تفسيره منهج فيمن سبقه من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وقد ذكر سبب تأليفه في مقدمة تفسيره بإيجاز، كما تقدم فقد لمح الشيخ عبد الله فيها سببين هما اللذان دفعاه إلى كتابة هذا التفسير، أن السبب الأول حاجة الراغبين إلى التفسير الذي يعتمد على أرجح أقوال العلماء. والثاني إلحاح الملحن عليه بكتابة هذا التفسير لهم ليفهموا كتاب الله تعالى.<sup>١</sup>

إن لكل مؤلف منهجاً معيناً يسير عليه في تأليف كتابه؛ فالشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله كغيره من المؤلفين سار على منهج محدد تتجلى أسسه في النقاط الآتية:

١- اهتمامه الجانب التفسير بالمأثور وتجنبه التفسير بالرأي المذموم، بمعنى أنه يفسّر القرآن بالقرآن ويفسر القرآن بالسنة، ويفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من سلف الأمة، ثم تفسير القرآن بالرأي المحمود. التفسير بالأثر من تخصيص العام وتوضيح المسائل الفقهية، وذكر الراوي من الصحابة، وذكره المصادر المخرجة للحديث، وتوضيح معنى الآية بالحديث أو كلمة من الآية، وتفسير القرآن بالسنة وتأكيد به القرآن، إيراد الأحاديث بمختلف ألفاظه ودرجة الحديث، وإيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتقييد الآية بالسنة وتوضيح ما أبهم من الآية؛ وهذه كلها تحت تفسير القرآن بالأحاديث أو بالأثر، وهذا يدل على قوة استنباطه واعتماده في الإدلاء برأيه، وتناول الأدلة في تفسير القرآن.<sup>٢</sup>

٢- اهتمامه وعنايته بالجانب العقدي من الإيمان ومتعلقاته، وآيات الصفات، وناقش الفرق الكلامية من المعتزلة وغيرها، وتناول مسألة زيادة الإيمان. ونفصانه لدى مذهب أهل السنة والجماعة، فإنهم على خلاف المرجئة الذين يقولون إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن المؤمن كامل الإيمان مهما ارتكبت من المعاصي والآثام. ويظهر رأيه عند تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣.

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٢٣٣.

تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ<sup>١</sup>، يقول الشيخ في هذه الآية: بزيادة المؤمن به أو اطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال بالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه<sup>٢</sup>.

وكذلك تعرض إلى كثير من المسائل العقدية. كحقيقة أن الجنة والنار مخلوقتان قبل قيام الساعة، ومن عذاب القبر، ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وبيان كرامات الأولياء، ووقوع السحر، والعين، وما يتعلق بصفة العلو من اليد والأصابع والساق. وذهب الشيخ إلى مذهب أهل السنة والجماعة بلا تأويل<sup>٣</sup> ولا تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل، في جميع هذه المسائل التي سبق إلا شيء يسير الذي تأثر به من ناقله؛ بمعنى إنما نقله من مصدر الذي نقل منه، ورده على الفرقة الضالة من المعتزلة؛ في أصولهم الخمسة، والفلاسفة في إنكارهم بعث الأجساد، والصوفية<sup>٤</sup> في أن مقام الولاية أفضل من مقام النبوة.

أما فيما يتعلق بآيات الأسماء والصفات كمنهج الأكثرين من المفسرين الذين إذا رأوا آية من آيات الصفات فيها ذكر صفة الله تعالى، وفي إثبات تلك الصفة ما يوهم في ظاهره - كما

<sup>١</sup> - سورة الأنفال الآية: (٢).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٧.

<sup>٣</sup> - التأويل: في الأصل الترجيع وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً. انظر علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ - )، كتاب التعريفات، ت، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٥١.

<sup>٤</sup> - المعتزلة هي فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة؛ مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة، منها: المعتزلة والقدرية، والعدلية وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدية والوعيدية. وقد اختلفت رؤية العلماء في ظهور الاعتزال. انظر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، د. مانع بن حماد الجهني، ط ٤، (١٤٢٠هـ)، ج ١، ص ٢٦.

<sup>٥</sup> - وقد تنازع العلماء في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة أرجحها: ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف حيث كان شعار رهبان أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية؛ مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصُّفة من أصحاب رسول الله ﷺ، أو محاولة نسبة الصوفية أنفسهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذهب إليه أصحاب هذا القول تشبيه الله تعالى بخلقه، أوّلوها بإرادة تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقات، مذهب السلف رحمه الله أنهم لا يؤوّلون الصفات؛ ولكنهم يمرّونها كما جاءت، ويشبتون لله ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه ما نفى عن نفسه، من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل<sup>١</sup>. لكن لم يكن الشيخ عبد الله في كلّ آيات الصفات مؤوّلاً؛ ولكنه أحياناً يسرد أقوالاً كثيرة من آيات الصفات؛ فيذكر فيها قول المثبتين وقول المؤوّلين، وأحياناً يثبت، وأحياناً يؤوّل.

٣- اعتماده وعنايته بالجانب الفقه وأصوله وتوسع كثيراً في المسائل الفقهية والمصطلحات الشرعية، وبسط القول في مسائل فروع الفقه، والآراء مع الحجج أحياناً في العبادات والمعاملات والأحكام الاجتماعية كالنكاح، والطلاق والجنائيات؛ ومما يعلق بالسياسة الشرعية نحو عدم تولية المرأة الإمامة وواجبات الحكم، واستخراج قواعد أصول الفقه من خلال تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام، كالأمر للوجوب وللفور إلا لصارف. ومفهوم المخالفة، والأصل في الأشياء الإباحة؛ ولكن الشيخ تناول الفروع الفقهية ويرجّح مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله غالباً حسب البيئة التي عاش فيها.

٤- اعتماده وعنايته في التركيز على الجانب اللغة وتوسّع فيها من النحو والبلاغة والصرف والشعر<sup>٢</sup>. وعنايته أيضاً بالإعراب وعلوم اللغة العربية قد شكّلت حيزاً كبيراً في حياة الشيخ عبد الله العلمية؛ فظهر ذلك في إنتاجاته؛ فكان تفسيره روضاً من رياض النحو والتصريف، وعلم المعاني والبيان والبدیع، وعلم الاشتقاق وبيان الإعراب، والأمثال، وشرح معاني المفردات، وكانت طريقته في إيراد ذلك في التفسير الذي بين أيدينا هي الاختصار؛ وأما في الضياء فقد بسط القول في ذلك.

---

<sup>١</sup> - والحسن البصري وسفيان الثوري رضي الله، وهي نسبة تفتقر إلى الدليل ويعوزها الحجة والبرهان، طلائع الصوفية: ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف. انظر: المصدر السابق، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج ١، ص ٢٥٢، وانظر: محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحية الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٢٣٤.

<sup>٢</sup> - في السابق، علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ٤٩٦.

٥- تجلّى اهتمامه وعنايته بذكر المناسبات بين الآيات والسور في تفسيره، المطلع فيه يجده مرتعاً خصباً لذكر المناسبات بين الآيات، وهذا ممّا زاد تفسيره جمالاً؛ لأن ذكر المناسبات يعين على فهم المراد من الآيات، وأمثلة ذلك في تفسيره لا تعد ولا تحصى.

٦- اعتماده وعنايته بذكر أسباب النزول يعين على فهم القرآن، ويوضح مغزى كلام الله تعالى. ولأهميتها فقد اعتنى بها الشيخ عبد الله بن فودي وأوردها في تفسيره، سواء ما كان منها من قبيل المرفوع إلى النبي ﷺ أو ما كان من أقوال المفسرين. وقد يكون للآية الواحدة أكثر من سبب؛ ففي هذه الحال أيضاً يحاول الشيخ عبد الله بن فودي إيراد جميع ما قيل في سبب نزولها، كما أنه يعتني ببيان ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية.

لأن أسباب النزول يكون في شخص أو جماعة، لحادثة أو مكان، وترجيح بين الأقوال فيها وتميز الصحيح والضعيف مليء في تفسيره، وهو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية بسبب تلك الحادثة، أو يكون جواباً عن رغبات أو تمنيات كمواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأيام وقوعه يحتز من ذلك ما نزل ابتداء عن الأحوال الماضية أو المستقبلية كقصص الأنبياء وما حدث بأمرهم أو الحديث عن الساعة وما يتعلق بها<sup>١</sup>. إن معرفة أسباب النزول من الأمور المساعدة على فهم تفسير القرآن؛ ولذا نجد علماء التفسير توجهوا إليه واهتموا به اهتماماً كثيراً.

٧- اعتماده وعنايته بالناسخ والمنسوخ لا يقل أهمية عن علم أسباب النزول؛ وذلك لأن ما نسخ حكمه وتلاوته أدخل فيه كثير من الآيات، وقيل بنسخها، والحقيقة أنها غير منسوخة، وتتركز الأشياء الدخيلة فيه، أن النسخ<sup>٢</sup> جائز عقلاً وشرعاً؛ لأنه لا يلزم عنه محال ولا تتغير صفة من

<sup>١</sup> - في السابق، محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج ١، ص ١٠٦.

<sup>٢</sup> - النسخ في اللغة الرفع، والازالة ومنه نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر، وقد يطلق لإرادة ما يشبه النقل كقولهم نسخت الكتاب، معنى كلامه ظاهر، أن النسخ جاء في القرآن الكريم لثلاثة معاني وجاء بمعناه اللغوي وهو الرفع، والإبطال من غير تعويض شيء عن المنسوخ وهذا في قوله تعالى؛ "فينسخ الله ما يلقي الشيطان".

ومعناه شرعاً وهو رفع حكم شرعي بخطاب جديد، وذلك في قوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها". وجاء بمعنى نسخ الكتاب أي كتابته كقوله تعالى "هذا كنا بنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون"، وهناك أنواعه وشروطه، ويجوز نسخ القرآن بالقرآن ونسخ القرآن بالسنة أو نسخ السنة بالقرآن بشرط أن يكون سنداً متصلاً إلى النبي ﷺ في

السابق، محمد الأمين بن محمد المختار، **مذكورة في أصول الفقه**، ج ١، ص ٨٠.



صفاته تعالى، وهو الذي أنزل الأحكام وله أن ينسخ ما يشاء منها حسب ما تقتضيه مصلحة العباد وهو لطيف بهم وهو الفاعل المختار، لقوله تعالى: ﴿مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾<sup>١</sup>، وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ﴾<sup>٢</sup>.

٨- اعتماد وعنايته بالإسرائيليات في جميع أنواعها ما خالف شرعنا؛ فهذا لا شك في رده، ما وافق شرعنا، فهو لا شك في قبوله. ما ليس عندنا ما يصدقه ولا يكذبه؛ فهذا يجوز روايته للاعتبار. وهذا القسم الأخير هو أكثر الأقسام ذكراً في كتب التفسير، وغالبه في تحديد مبهمات لا فائدة للأمة في تحديدها، كأسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، ومكان الكهف، وعدد الدراهم التي اشترى بها يوسف عليه السلام، وغير ذلك<sup>٣</sup>.

فإن الشيخ عبد الله قد اعتنى اعتناء تسلسلياً بالقصص القرآنية إن كانت الآيات في آن واحد، ويتخلل بينها بإيراد ما يلصق بعضها ببعض مع عدم الإطالة والحشو، ويذكر الحكمة والدروس المستفادة من جولة قصة. وأما إن كانت زيادة إسرائيلية؛ فإنه يعقبها أحياناً ببيان وجه الترجيح أو الصحة كما سيتبين لنا ذلك. والناظر إلى تفسيره من حيثية موقفه في سرد الإسرائيليات، يجد أنه بالمقارنة لكثير من كتب التفسير المشهورة يقلل من ذكر الإسرائيليات التي هي من قبيل ما خالف شرعنا؛ فكثير من المفسرين أطلق لنفسه العنان في ذكرها؛ أما الشيخ عبد الله فقد تحفظ عليها، وقد تناول فيه قصة سليمان عليه السلام وعوج بن عنق، والغرائق، وهاروت وماروت، ويأجوج ومأجوج، وعدد سحرة فرعون، ويوسف عليه السلام وعيسى عليه السلام. ومن أمثلة ذلك في قصة عوج بن عنق.

١- **قصة عوج بن عنق** قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾؛ قالوا إن عوجاً طوله ثلاثة آلاف وثلاث مائة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (١٠٦).

<sup>٢</sup> - سورة النحل الآية: (١٠٠).

<sup>٣</sup> - انظر إسماعيل بن كثير أبو الفداء، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية لابن كثير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة، ط ١، (١٤٠٨ هـ) الموافق (١٩٨٨ م)، ج ١، ص ٥.

<sup>٤</sup> - سورة المائدة الآية: (٢٢).

فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله، ويروى أن الماء في زمن نوح عليه السلام طبق ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبت عوج. إلخ<sup>١</sup>.

قال الشيخ عبد الله: "ما يذكره المفسرون من وضع بني إسرائيل في عظمة هؤلاء الجبارين وأنه كان فيهم عوج بن عنق، وأن طوله كذا وكذا، فمخالف لما في الصحيح (قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلَّمَ عَلَى أَوْلَيْكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمَعَ مَا يُحْيُونَكَ فَإِنَّهَا تَحْيِيكَ وَتَحْيِي ذُرِّيَّتَكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَ حَتَّى الْآنَ)<sup>٢</sup>.

وعقب على هذه القصة وقال: ثم ذكروا أن عوجا كان كافرا ولم يغرق بالطوفان وهذا كذب وافتراء لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾<sup>٣</sup>.  
٢- قصة الغرائق قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾<sup>٤</sup>، وهذه القصة من القصص التي تطعن في عصمة النبي ﷺ وتخدش في معجزة القرآن.

وقد روجها بعض المفسرين في كتبهم، وأصل القصة هي ما قيل عن قراءة النبي ﷺ لسورة النجم في مجلس من قريش فألقى الشيطان في قراءته، قال الشيخ: "قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم أو في حديثه ما يرضى قومه، أو ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما في الحديث عن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)<sup>٥</sup>، وقد تعقب عليه الشيخ عبد الله على هذه القصة بكلام البيضاوي "وهو مردود عند المحققين"<sup>٦</sup>.

١- أبو الفداء بن كثير، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ٤، ص ٤٨

٢- في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٤، ص ٦٠.

٣- سورة الشعراء الآية: (١٢٠). في السابق، عبد الله، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٣٣.

٤- سورة الحج الآية: (٥٢).

٥- في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، في كتاب الذكر، ص ١١٤٧.

٦- في السابق، أنوار التنزيل وأسرار للبيضاوي، عمان: دار النفائس ط ١، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج ٤، ص ٧٥

**٣- قصة يأجوج ومأجوج** قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾<sup>١</sup> قال روى أنه لا يموت أحدهم حتى يولد له ألف نفس، وكثر في كتب الأخبار، أنهم ثلاثة أصناف منهم أمثال الأرز وطوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله كذلك، وهؤلاء لا يقوم لهم حجر ولا حديد، وصنف منهم أمثال الناس يفرش أحدهم أذنه ويلحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه "قال الشيخ عبد الله بن فودي نقلا عن عبد الرحمن الثعالبي: "والذي يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة"<sup>٣</sup>.

**٤- قصة عدد سحرة فرعون** قال تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ قال الشيخ: "قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم جبل وعصا، وفي التفاسير غير هذا من العدد، وكل ذلك لا سند له والمعلوم أنهم جمع عظيم".<sup>٥</sup>

**٥- قميص يوسف** عليه السلام وقال ومن هذه القصص الواهية ما ورد ذكره عن قميص يوسف عليه السلام كما قال تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>٦</sup> قال الروايات الإسرائيلية هو قميص إبراهيم عليه السلام الذي لبسه حين ألقي في النار، كان في عنق يوسف تيممة وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال إن فيه ريحها، ولا يلقى على مبتل إلا عوفي. قال ابن عطية: "وهذا كله يحتاج إلى سند، والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبين الغرابة وإن وجد ريحه من بعد، ولو كان من قميص الجنة لما كان في ذلك غرابة ولوجده كل أحد"<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> - سورة الكهف الآية: (٩٤).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله، ضياء الاول في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٢٣.

<sup>٣</sup> - الثعالبي، الجواهر الحسان، ج ٢، ص ٥٤٢.

<sup>٤</sup> - سور الأعراف الآية: (١١٣).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٢٢.

<sup>٦</sup> - سورة يوسف الآية: (٩٣).

<sup>٧</sup> - في السابق، عبد الله، ضياء الاول في معاني التنزيل، ج ٢، ص ١٧٩.

٦- **قصة عيسى عليه السلام** ومن هذه أيضا عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>١</sup> قال الشيخ عبدالله: "كرره، أي قوله بإذن الله لنفي توهم الإلهية فأحيا "عازرا" صديقا له وابنة العاشر"<sup>٢</sup>. قال الثعالبي: "وفي قصص الإحياء أحاديث كثيرة لا يوقف على صحتها، وآيات عيسى عليه السلام إنما تجري فيما يعارض الطب؛ لأن علم الطب كان شرف الناس في ذلك الزمان"<sup>٣</sup>.

٧- **قصة بني آدم** وقد وقع الشيخ عبدالله مثل ما وقع بعض المفسرين الذين ذكروا إسرائيليّات حيث ورد حكايات كثيرة ولم يعقب عليها في مثل هذه القصة في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾<sup>٤</sup>، قال الشيخ عبدالله: "روي أن الأرض رجفت بقتله وتغيرت الأطعمة فرجع آدم من الحج فسأله عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل أنت قتلتها، اذهب طريدا فأخذ أخته وهرب إلى عدن من أرض اليمن فأتاه إبليس على صورة ناصح فقال إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من عبد النار"<sup>٥</sup>.

٨- **قصة سليمان عليه السلام** مع الخيل قوله تعالى: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾<sup>٦</sup>، قال الشيخ عبدالله: "هو ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله خيرا منها وأسرع وهي الريح. وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وتكرمة لها معدة للجهاد، قال: وهذا هو الذي رجحه الفخر الرازي، والجمهور على الأول، ويوافق الثاني حديث عروة عن النبي ﷺ (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)<sup>٧</sup>، وغيرها من القصص القرآنية ويطيل علينا ذكرها.

<sup>١</sup> - سورة آل عمران الآية: (٤٩).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ضياء الاول في معاني التنزيل، ج ٢، ص ١٢٠.

<sup>٣</sup> - في السابق، لعبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ج ٢، ص ٤٧.

<sup>٤</sup> - سورة المائدة الآية: (٣٠-٣١).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٣٥.

<sup>٦</sup> - سورة ص الآية: (٣٣).

<sup>٧</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ص ٢٧٩.

كان للثقافة اليهودية أثر في التفسير، ويتغلب الجانب اليهودي على الجانب النصراني لكثرة ظهورهم واختلاطهم بالمسلمين في بداية الإسلام، ولأنهم كانوا مستوطنين في الجزيرة، وكلتا الثقافتين دينية أيضاً؛ إلا أن الثقافة اليهودية قد اعتمدت على التوراة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾<sup>١</sup>، وجاء التوراة أحكام ولليهود أحكام بجانب التوراة سنن ونصائح وشروح لم تكتب في زمن موسى ﷺ وإنما كانت بالمشافهة، وبعد ذلك تم تدوينها وعرفت باسم التلمود، ووجد بجانبه الأدب اليهودي والقصص والتاريخ والشرائع والأساطير؛ وأما النصراني فكانت ثقافتهم تعتمد على الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﷺ، ومن الطبيعي أن يخطئ الإنجيل بشروح كاللغة، وزعموا أن كل هذه الشروح من نبهم عيسى ﷺ.

٩- عنايته، القراءات القرآنية، وأن منهجه ما اشترطه على نفسه في ضياء التأويل من التنبيه على القراءات المشهورة، والتزم منهجا علميا مضبوطا في ذلك؛ فكان لا يمرّ عند تفسيره بآية فيها اختلاف القراءات السبعية إلا نبّه عليه، وأسند كل قراءة إلى أصحابها، مبتدأ بقراءة نافع برواية ورش عنه، لأنها القراءة السائدة في منطقته آنذاك، فيفسّر الآية على ضوئها، ثم يأتي بالقراءات الأخرى فيشرحها ويوجّه معنى كل قراءة مع الدلالة على أثر ذلك في تفسير القرآن؛ ممّا يُسهّل فهم معنى الآية لدى القارئ، وتوجيهها كما في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>٢</sup>، بعد تفسيرها: وخُصّ بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحدٍ إلا الله تعالى، وقرأ الكسائي وعاصم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة، أي هو موصوف بذلك دائماً، كغافر الذنب، فصَحَّ وقوعه صفة للمعرفة<sup>٣</sup>، وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾<sup>٤</sup>، حيث قال: "(تُهْجُرُونَ) بضم التاء لنافع من أهجر إذا أتى بالهجر أي الفحش، وبفتحها للباقيين، أي تتركون القرآن أو تقولون فيه غير الحق".<sup>٥</sup>

١٠- منهجه واهتمامه بالجانب الإشاري في تفسيره، والتركيز عليه، ونماذج من التفسير الإشاري في تفسيره؛ أما معنى التفسير الإشاري في اصطلاح العلماء: (هو تأويل آيات القرآن على

١- سورة المائدة الآية: (٤٤).

٢- سورة الفاتحة الكتاب الآية: (١-٣).

٣- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٨.

٤- سورة المؤمنون الآية: (٦٨).

٥- المرجع نفسه، ج ٣، ص ١١١.

خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المراد<sup>١</sup>، فيهتم بالتفسير الإشاري في تفسيره كثيرا ما يتناول بالروحانية الصوفية، في التربية النفس وتزكيتها.

١١- منهجه يهتم بالاستدلال والإدلاء برأيه الشخصي ويتمثل منهجه في: توضيح ما أجمله المتقدمون، وشرح ما غمض من كلامهم، والتركيز على الدروس والمواعظ والتربية والإصلاح في النصوص الشرعية.

١٢- منهجه وعنايته بعلوم القرآن في تفسيره حتى ألف فيه كثير من كتب علوم القرآن، بين المنظوم والمنثور وهو كتاب جمع فيه مؤلفه ما ختم السيوطي به كتابه الإتقان في علوم القرآن من التفاسير المصرح برفعها إلى النبي ﷺ صحيحها وحسنها وضعيفها دون الموضوعات والأباطيل. وبين المؤلف بعض الأسانيد، وفي الحقيقة أن الكتاب عبارة عن بعض الأحاديث المأثورة في تفسير بعض الآيات القرآنية، وهي كما صرح به المؤلف منقولة من كتاب الإتقان للإمام السيوطي؛ إلا أن الشيخ عبد الله ختم كتابه هذا بذكر طبقات المفسرين من عصر الصحابة إلى عصر التابعين ومن بعدهم، وشيء من علوم القرآن<sup>٢</sup>.

#### المبحث الرابع: منهجه في التفسير

للعلماء في دراسة القرآن وتفسيره مناهج متعددة فمنهم من جمع بين الرواية والآثار والدراية، ومنهم من جمع الروايات والأخبار والقصص المدهش، ومنهم من همه التهذيب والتنقيح لتلك الآثار وتبيين الصحيح من الضعيف، ومنهم من راعوا جانب الدراية؛ ولذا تتعلق بأذهانهم فمثال كشف أسرار البلاغة والدقائق اللغوية وخفياها، وجوانب إعجاز القرآن الذي تحدى الله به فصحاء العرب، ومنهم من كان اهتمامه بجانب الفروع الفقهية؛ لذا تتبع الآيات المتعلقة بالأحكام وفسرها، ووضح مذاهب الفقهاء واختلافاتهم، ومنهم من قام بتفسير القرآن بتأويلات الآيات حسب ما يتناسب مع مذهبه وفكره عقديا أو طائفيا، وهكذا استمر الأمر

<sup>١</sup> - في السابق، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٣٧.

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، نيل السؤل من التفاسير السؤل، وقد حقق الكتاب أحد الأساتذة الجامعية في بيروت، كنو. وكذلك حصلت على نسخة مخطوطة من كتاب نيل السؤل من مكتبة جامعة بايرو.

إلى يومنا هذا. أما في هذا المبحث يكون الحديث عن بيان أنواع المنهج في التعامل بالتفسير (ضياء التأويل في معاني التنزيل)، وهذا أمر جلي المتبع فيه على مختلف منهجه في الدراسة عن أصول العقائد، والعبادات، والمعاملات، وفي التعامل بالنصوص من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة واستدلال برأيه الشخصي.

## أولاً: منهجه في التعامل بالنصوص

كان منهجه في التعامل بالنصوص وباهتمامه بعدّ الآي القرآن، وذكره للمكي والمدني قبل أن يشرع في التفسير. والمطلع في تفسيره يجده مرتعا خصبا لذكر المناسبات بين الآيات، وهذا مما زاد تفسيره جمالاً؛ لأن ذكر المناسبات يعين على فهم المراد من الآيات.

أ- كان تعامله بالمناسبات واهتمامه وذلك في تفسيره كثير جداً لا تعدُّ ولا تحصى، في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، لما فسّر هذه الآية قال: ولما بين أن الخير كله بيده، قطع توهم النفع من الكفار بنهي ولايتهم بقوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>١</sup> وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>٢</sup>، لما نزلت هذه الآية، والخمر مما يستطاب بين الله عدم دخولها في الحلالات بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾<sup>٣</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٤</sup>، لما جاء إلى تفسير هذه الآية قدم بين يديها ذكر من سبها بما قبلها، فقال: ولما صدر الله السورة ببيان صدق الرسول، وأن القرآن من عند الله، وأدلة ذلك، رجع إلى نفي الريب عن كون القرآن كلامه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٥</sup>، وهذا مجرد تمثيل لبعض الآيات التي ذكر فيها المناسبة بينها وبين ما قبلها، وفي تفسيره، فهو من المفسرين الذين يعتنون بعلم المناسبات، ويرون أهميته وجوازه.

ب- أما التعامل بالنصوص القرآنية، أو الحديثية، أو الآثار الصحيحة، وغيرها، وويضح ما أُبهم في النص ويبين في آخر، ويهتم بالمأثور عموماً ويتجنب بالرأي المذموم في التفسير؛ إلا أنه ويحكم على الأحاديث النبوية، والآثار؛ لكن قد قلَّ استدلاله بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في تفسيره، وقواعده سليمة متبعة، بعد معرفة المفسر للعلوم الضرورية التي تعينه على التفسير، فقد لاحظ في القسم الذي وقفت عليه من التفسير اهتماماً كبيراً من المؤلف بهذا الجانب، وربما كان ذلك لكونه متتبعا لغيره ناقلا عنه ثم محلا، بأقوال الصحابة والتابعين فهو كثير جداً، إذ

<sup>١</sup> - سورة آل عمران الآية: (٢٦).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٨.

<sup>٣</sup> - سورة المائدة الآية: (٨٧).

<sup>٤</sup> - سورة يونس الآية: (٣٧).

<sup>٥</sup> - سورة يونس الآية: (٣٧).



كثيرا ما يذكر في الآيات أقوال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عباس، وابن مسعود، وعائشة رضي الله عنهم، ومن التابعين: كعب الأحبار، ووهب بن منبه<sup>١</sup>، ومجاهد بن جبر<sup>٢</sup>، والحسن البصري<sup>٣</sup>، وعكرمة<sup>٤</sup>، وغيرهم رحمهم الله، وهو يهتم بهذا الجانب في استدلاله للنصوص؛

**ث- من تعامله تفسير القرآن بالقرآن في قوله تعالى:** ﴿هُدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>٥</sup>، قال في تفسيرها ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية والاستقامة من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، اهـ، وهذا تفسير الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>٦</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾<sup>٧</sup> فسرها بقوله: أي ألهمه إياها وهي قوله تعالى: ﴿قَالَارَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>٨</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>٩</sup> فسره بقوله: كصناعة الدروع، ومنطق الطير، وهذا تفسير الآية بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾<sup>١٠</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>١١</sup> وضح معنى الآية بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾<sup>١٢</sup>.

١- هو وهب بن منبه اليماني الصنعاني، أبو عبد الله، من خيار التابعين، (ت ١١٠هـ) في خلافة عثمان، قيل غير ذلك، في السابق، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٩٥.

٢- هو مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي ولد في خلافة عمر بن الخطاب وتوفي بمكة (ت ١٠٤هـ) وهو ساجد، المرجع نفسه، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٠٤.

٣- هو الحسن بن أبي الحسن يسار السيد الإمام أبو سعيد البصري، إمام في زمانه علما وعملا، ولد قبل نهاية خلافة عمر بن الخطاب (ت ١١٠هـ)، في السابق، الداودي، طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٥٠.

٤- تقدم ترجمته، المرجع نفسه، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣٨٦.

٥- سورة الفاتحة الكتاب الآية: (٦-٧).

٦- سورة النساء الآية: (٦٩).

٧- سورة البقرة الآية: (٣٧).

٨- سورة الأعراف الآية: (٢٣).

٩- سورة البقرة الآية: (٢٥١).

١٠- سورة الأنبياء الآية: (٧٩-٨٠).

١١- سورة القصص الآية: (٨٨).

١٢- سورة الرحمن الآية: (٢٥).

وأحيانا يحيل تفسير الآية على الآية المتقدمة عليها في المعنى، كما فعل في قصة موسى عليه السلام مع فرعون في إلقائه في اليم، أحال في سورة القصص على سورة طه في بعض الآيات، ومن ذلك في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾<sup>١</sup>، فسره بقوله: أي بشرك، كما فسّر بذلك في حديث الصحيحين عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٢</sup>.

**ج- تعامله** تفسير القرآن بالسنة وذلك ثبت بالاستقراء بأن عبد الله قد تعامل مع الأحاديث الصحيحة بكل أنواعها في تفسيره هذا في أغلب استشهاده كالتالي ويضح ذلك تماماً، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>٣</sup> فسره بقوله: وهي الرمي كما جاء في حديث عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، يَقُولُ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾؛ قال في تفسيرها: عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ "قَدِمَ أَنَسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُزَيْنَةَ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَاهَا وَأَلْبَانِهَا فَانْطَلَقُوا فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَأْفَوْا النَّعَمَ فَجَاءَ الْخَبْرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَنُفِثَتْ أَعْيُنُهُمْ وَأُلْفُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ قَالَ أَبُو قَلَابَةَ فَهَؤُلَاءِ سَرَفُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ° انتهى.

وتعامل مع الأحاديث الضعيفة دون أن يبين أنها ضعيفة؛ ولعل أكثرها في الفضائل والأخلاق وأسباب النزول وبعض الروايات الإسرائيلية؛ لذا استعملها لبيان الجواز الذي قال:

<sup>١</sup> - سورة الأنعام الآية: (٨٢).

<sup>٢</sup> - سورة لقمان الآية: (١٢)، في السابق، محمد بن إسماعيل، جامع صحيح البخاري، كتاب التفسير في باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ برقم الحديث (٣٦٢٩)، ج ٣، ص ٢٢٨.

<sup>٣</sup> - سورة الأنفال الآية: (٦٠)، في السابق، محي الدين بن يحيى، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، برقم الحديث (٤٩٢٣)، ج ١٣، ص ٦٥.

<sup>٤</sup> - سورة المائدة الآية: (٣٣).

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، جامع الصحيح البخاري، في باب أبوال الإبل والدواب والغنم، ج ١، ص ٥٦.

به بعض العلماء والأحاديث الضعيفة في هذا التفسير لا ينحصر بسهولة؛ ففي سورة البقرة تبلغ تسعة أحاديث والمقطوع ثلاثين وبالروايات في أسباب نزول الآيات أكثر من سبعين والنماذج التي سنوردها على النحو الآتي:

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾<sup>١</sup>، قال: الشيخ عبد الله "في استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة الأمر وفي الحديث (لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد)<sup>٢</sup> وقول "إشياء الله"، في الأمر كله أدب مع قضاء الله وقدره، ولكن الحديث الذي استدل به الشيخ هنا قد ضعفة العلماء وهو ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (والله لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد)<sup>٣</sup>.

وقال الشيخ عبد الله في قوله ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ذلك لغلاء ثمنها، وفي الحديث: "أي شددوا على أنفسهم بالأسئلة فشدد الله عليهم بالأبهام، وهذا الحديث أورده الحافظ أبوبكر بن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ مَا أُعْطُوا أَبَدًا، وَلَوْ أَنَّهُمْ اعْتَرَضُوا بَقَرَةً مِنَ الْبَقَرِ فَذَبَحُوهَا لَأَجْرَتْ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ"<sup>٤</sup>.

أما الحديث الموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ ويعرف الوضع بأمور منها إقرار قائله ورقة ألفاظه إذ ألفاظ النبوة لها رونق ونور وبلاغة، وسبب الوضع إما عدم الدين كالزنادقة فقد قيل أنهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث أو انتصار لمذهب أو اتباع لهوى بعض الرؤساء أو غلبة الجهل احتسابا للأجر على زعم الوضع<sup>٥</sup>.

١- سورة البقرة الآية: (٧٠)، في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣٦.

٢- المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٦.

٣- أخرجه الطبري في تفسيره محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ٢، ص ٢٠٥.

٤- قال بن كثير حديث غريب من هذا الوجه، وقال الحافظ بن حجر "فيه عباد بن منصور وهو ضعيف" في السابق، ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٥.

٥- وقد صنف أبو الفرج بن الجوزي الموضوعات، ولخص السيوطي كتاب بن الجوزي، وبن حجر ألف كتاباً القول المسدد في الذب عن المسند، وغيرهم، انظر أبو الفرج بن الجوزي، الموضوعات، ت، يحيى بن محمد، القاهرة: دار

ابن رجب، ط ١، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٥١-٥٣.

قال المحدثون: إن علم الأحاديث موضوع فلا يحل له أن يرويّه منسوباً إلى رسول الله ﷺ إلا مقروناً ببيان وضعه، وهذا الحظر عام في جميع المعاني سواء في الأحكام والقصاص والترغيب والترهيب وغيرها لحديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة قالاً: قال رسول الله ﷺ (مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ)<sup>١</sup>.

أما تعامله على الأحاديث الموضوعية في تفسيره كالتالي؛ ففي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>٢</sup>، وقال الشيخ عبد الله: "ومعنى الآية أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم، وإما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم لا تؤاخذون بسيئاتهم ولا تثابون بحسناتهم كما قال عليه السلام: (لَا يَأْتِيَنِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ) والحديث بهذا اللفظ ولفظ آخر (يَا بَنِي هَاشِمٍ لَا تَأْتِيَنِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ)<sup>٣</sup>، ولكن الحديث لا أصل له كما قال: الزيلعي؛ غريب جداً<sup>٤</sup>.

والأحاديث الموضوعات في تفسيره قليلاً جداً ولا يجاوز الأصابع اليد لمن درسها؛ ولعلها الباقية في الروايات الإسرائيلية، وقد تعامل في دراسة بالنصوص واستدل الآيات بنظيرها، وتبيين المحمل على المبيّن، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، وإزالة الإبهام، وإزالة الإشكال إيضاح المعاني تأكيد ماهو مؤكد؛ لأن نصوص القرآن يوضح بعضه بعضاً فما أجمل أو أوجز في موضع بسط وتم بيان إجماله في موضع آخر، وقد يكون لإزالة إشكال؛ لأن علم الإنسان محدود وغير محيط بكل شيء؛ ولذلك لا تجد في القرآن اختلافاً، لأنه من عند الله لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>٥</sup>، وقد تخص عموم آية أخرى أو تأتي مؤكدة، أو تكون شرحاً لما أجهل، أو تقيد المطلق. وأفضل ما فسر به القرآن نفسه، قال:

<sup>١</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، ج ١، ص ٧.

<sup>٢</sup> - سورة البقرة الآية: (١٣٤).

<sup>٣</sup> - وقد ذكر المفسرون في تفاسيرهم ومنهم محمد بن يوسف أبوحيان، تفسير البحر المحيط، ت، محمد جميل، بيروت: دار الفكر المعاصر، ط ١، (١٤٢٠هـ)، ج ١، ص ٦٤٥.

<sup>٤</sup> - جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ - )، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ت، عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، ط ١، (١٤١٤هـ)، ج ١، ص ٥١.

<sup>٥</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣٦.

<sup>٦</sup> - سورة النساء الآية: (٨٢).

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "إن صح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر".  
ولهذا كان لا بد لمن يتعرض لتفسير الكتاب من الرجوع إليه أولاً فيجمع ما تكرر منه في موضع واحد ويقابل الآيات، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملًا، ويحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص وهكذا يكون تفسير القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مهمة في تفسير القرآن؛ أي يعرفها لأن صاحب الكلام أعلم بمعاني كلامه من غيره؛ ولذا فإن الصحابة الذين عاصروا الوحي لما لم يفهموا الجمل أو المطلق أو المبهم من الآيات راجعوا إلى المبلغ الأول هو رسول الله ﷺ وسألوه عن بيان ذلك، فنقلوا عند ما أفادهم وكذلك؛ على الأجيال المتأخرة أن يجتهدوا في معرفة ذلك حتى يكون الأمر واضحاً عندهم كما اتضح لمن قبلهم. الشيخ عبد الله بن فودي من تلك النخبة، وقد صرف حياته في فهم القرآن وتفسيره هو بيان الحكمة وإيضاح السبب وشرح معنى الآية بآية أخرى؛ بمعنى أنه جمع هذه كلها في هذا الجانب، وكان منهجه مطوّل جداً لا وجه للمقارنة مع رد الأذهان، لو أننا نأخذ لكل فقرة من الفقرات أدلة وأمثلة لطال علينا ما نقصده؛ ولكن محاولتنا ليؤدي ما قصدناه.

#### ثانياً: منهجه في دراسة أصول العقائد

كان منهجه في دراسة أصول العقائد، وتناول كثيراً من مسائل العقائد فيما يتعلق بالإيمان من أن الجنة والنار مخلوقتان وعذاب القبر ونزول عيسى عليه السلام، وكرامات الأولياء، والسحر، والعين، ثم ردوده على الفرق الكلامية من المعتزلة، فيما يتعلق بالهدى والضلال، والإرادة، وخلق أفعال العباد، وكسب العبد، ومسألة رؤية الله يوم القيامة، وكلامه تعالى، وردّه على المعتزلة من الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، وكذا على الجبرية، والخوارج، والفلاسفة في إنكارهم بعث الأجساد، وردّه أيضاً في قول الصوفية أن مقام الولاية أفضل من مقام النبوة، وعلى الملاحدة، على النصاري في الألوهية عيسى عليه السلام، وفي آيات الأسماء والصفات كمنهج الأكثرين من المفسرين الذين إذا رأوا آية فيها ذكر صفة الله تعالى، وإثبات تلك الصفة ما يوهم في ظاهره-

<sup>١</sup> - انظر عبد الحليم بن تيمية شيخ الإسلام، المقدمة في أصول التفسير، ط بيروت: منشورات دار الحياة، ج ١، ص

كما ذهب إليه أصحاب هذا القول تشبيه الله تعالى بخلقه، أولوها بإرادة تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقات، والمذهب السلف رحمهم الله، وهو أنهم لا يؤولون الصفات؛ ولكنهم يمرّونها كما جاءت، ويثبتون لله ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه ما نفى عن نفسه، من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل<sup>١</sup>.

#### أ- الإيمان ومتعلقاته من زيادة ونقصان

ومن تعامله في دراسة أصول العقائد تعرض في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه مذهب أهل السنة والجماعة فإنهم على خلاف المرجئة<sup>٢</sup> الذين يقولون إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأن المؤمن كامل الإيمان مهما ارتكب من المعاصي والآثام ويظهر رأيه في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>٣</sup>، وقال الشيخ عبد الله "زيادة المؤمن به أو اطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على العمل داخل فيه"<sup>٤</sup>، واستدل بما في غاية الأمان حيث قال: "والحق أن نفس التصديق أيضا قابل للزيادة وأن مراتب اليقين متفاوتة"<sup>٥</sup>.

فقلت ثبت في الكتاب والسنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة ويتقص بالمعصية لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>٦</sup>، وقوله: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾<sup>٧</sup> وقوله تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾<sup>٨</sup>، وغيرها من الآيات؛ أما في السنة فقد ورد أحاديث كثير في الباب ما أخرج البخاري

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن علاء الدين أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج ٢، ص ٢٣٤.

<sup>٢</sup> - سمو (مرجئة) لأنهم أرجأوا الأعمال عن مسمى الإيمان، أي: أخروها، لقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾ سورة الأحزاب الآية: (٥١)، يعني: تؤخر، فسموا (مرجئة) لأنهم أرجأوا أي: أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، ولا شك في أن هذا تحاونا بالأسماء الشرعية، وقيل: لأنهم غلبوا باب الرجاء. وللمزيد انظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، اعتقاد أهل السنة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ص ٧-٨.

<sup>٣</sup> - سورة الأنفال الآية: (٢).

<sup>٤</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٤٧.

<sup>٥</sup> - انظر: عبد الكريم بن علي بن عبد الكريم، غاية الأمان في علم الروحاني، ج ٢، ص ١٣٧.

<sup>٦</sup> - سورة الأنفال الآية: (٢).

<sup>٧</sup> - سورة التوبة الآية: (١٢٤).

<sup>٨</sup> - سورة المدثر الآية: (٣١).

في صحيحه (وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيٍّ بْنِ عَدِيٍّ إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَخُدُودًا وَسُنَنًا فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ)<sup>١</sup>، وغير هذا من الأدلة متضافرة، وقد ذهب الشيخ عبد الله رأي آخر في مسألة الأعمال هل هي داخلة في مسمى الإيمان أم لا؟ وفي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>٢</sup>، قال: "وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الإيمان إذ الأصل في الشيء لا يعطف على نفسه"<sup>٣</sup>.

فلا شك في أن الإيمان يذكر تارة مطلقا عن العمل والإسلام وأحيانا يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام؛ فالمطلق مستلزم للأعمال، ومعلوم كذلك عند النظر في كلام السارح في ورود الإيمان المطلق يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين وهذا ما جاء في حديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: (إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ).<sup>٤</sup> أراد ﷺ من الإيمان أن يشمل عمل الجوارح وعمل القلب كذلك وهو الاعتقاد، فعلم أن الأعمال داخلة في الإيمان،<sup>٥</sup> وإذا لم تكن الأعمال داخلة في الإيمان فما الفائدة من إيمان بلا عمل، وهذا مثل رجل قال إنه مسلم ولا يصلي ولا يعمل أي شيء كما أمره الإسلام من بواجبات، وقد قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبُّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>٦</sup>، ففي الآية دليل على أن الله يسألهم جميعا، فكيف يسأل رب العالمين عن الأعمال ولا يسألهم عن الإيمان الذي هو أساس كل شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>٧</sup>: "فلذا الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ (البر) ولفظ (التقوى) ولفظ (الدين) فكان كما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان وكذلك

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في باب دعاؤكم لإيمانكم، ص ٢.

<sup>٢</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٥).

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٠.

<sup>٤</sup> - في السابق، الحاكم في المستدرك للحاكم، ج ١، ص ١٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم الحديث (٥٥٠)، ط، المكتب الإسلامي بيروت.

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد بن العلاء ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ج ١، ص ٣٢٧-٣٤٤.

<sup>٦</sup> - سورة الحجر الآية: (٩٢-٩٣).

<sup>٧</sup> - انظر: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، (ت ٦٦١ - ٧٢٨)، مجموع الفتاوى، ت، أنور الباز - عامر الجزار، ط ٣، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، عدد ج ٣٧، ج ٧، ص ١٧٩-١٨١، وج ٧، ص ٩.

لفظ (البر) يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك (التقوى) وكذلك (الدين). والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه عمل لا على إيمان خال عن عمل"، وواصل الكلام حيث قال: أيضاً "ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب فَعَلِمَ أنه مع إيمان القلب هو الإيمان".<sup>١</sup>

#### ب-مسألة الجنة والنار مخلوقتان

ومن تعامله في دراسة أصول العقائد تعرض لمسألة أن الجنة والنار مخلوقتان، وقد ذهب الشيخ عبد الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة في حقيقة خلق الجنة والنار، قبل قيام الساعة فقال في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٢</sup>. ومن مذهب أهل السنة أنها فوق السماوات تحت العرش وفيه دليل على أنها مخلوقتان الآن"،<sup>٣</sup> وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>٤</sup>، قال: "وفي الآية دليل على أنها مخلوقة".<sup>٥</sup>

فقلت إن الاعتقاد بأن الجنة والنار مخلوقتان من الإيمان بالغيب ومن المسلمات التي لا مرية فيها، فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ، إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)،<sup>٦</sup> وكذلك رؤيته ﷺ الجنة والنار ومحاولته أن يتناول عنقوداً من عنقود الجنة.<sup>٧</sup>

١- في السابق، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ت، ج ٧، ص ٩.

٢- سورة آل عمران الآية: (١٣٣).

٣- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٤١.

٤- سورة البقرة الآية: (٢٤).

٥- المرجع نفسه، ج ١، ص ١٩.

٦- في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في الرقائق باب سكرات الموت، ج ٧، ص ٩٣، ومسلم في كتاب الجنة ج ٤، ص ٢١٩٩.

٧- المرجع نفسه، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام ج ١، ص ١٨٢.



### ج-مسألة عذاب القبر ونزول عيسى عليه السلام

وقد استدلل الشيخ عبد الله بهذه الآية في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>١</sup>، حيث قال: "وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر هذا ما دامت الدنيا وقد تواترت الأخبار في ذلك في حاجة إلى الخوض بالتفصيل في المسألة.<sup>٢</sup>

وأما مسألة نزول عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾<sup>٣</sup>، حيث قال: "فيه دلالة على أنه ينزل في آخر الزمان".<sup>٤</sup>

فقلت موقف الشيخ عبد الله بن فودي في المسألتين عذاب القبر ونزول عيسى عليه السلام هو ظهور بعض الطوائف الذين لا علم عندهم ينكرون هاتين المسألتين اللتين تواتر فيهما نصوص القرآن والسنة، ويأتون بتأويلات سخيفة، وأقوى الأدلة لنزول عيسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>٥</sup>. واختلف المفسرون في عودة الضمير في "موته" فجمهورهم قالوا يرجع إلى الكتابي، والمعنى ما من أهل الكتاب إلا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي، وذهب طائفة إلى أن الضمير يعود إلى عيسى ويكون المعنى ما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام وذلك قبل نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن بعيسى حتى تكون ملة واحدة وهي ملة الإسلام، ويشه ذلك قوله ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ

<sup>١</sup> - سورة غافر الآية: (٤٦).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٥٧.

<sup>٣</sup> - سورة المائدة الآية: (١١٠).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٦.

<sup>٥</sup> - سورة النساء الآية: (١٥٩).

أَحَدٌ<sup>١</sup> ويقول أبي هريرة رضي الله عنه اقرؤا إن شئتم "وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ" وفي رواية قال: رضي الله عنه (وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْثَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَلْيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلْيَقُتِّلَنَّ الْخَنْزِيرَ).<sup>٢</sup>

#### د-مسألة كرامات الأولياء

والشيخ عبد الله بن فودي يؤمن بكرامات الأولياء كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة وقد استدلل بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾<sup>٣</sup>، حيث قال: "وهو دليل على جواز الكرامة للأولياء"<sup>٤</sup>. والكرامات حق وقد ثبتت في الكتاب والسنة مثل قصة موسى مع صاحبه في أمر الغلام الذي قتله، وإخبار أبي بكر رضي الله عنه أن ببطن زوجته أنثى، ولكن ينبغي أن يعلم أن هذه الخوارق إن حصل بها فائدة مطلوبة في الدين كانت من الأعمال الصالحة، وإن كانت تتضمن ماهو منهي عنه نهي تحريم أو تنزيه كانت سببا للعذاب كقصة الذي أوتي الآيات فانسلخ منها.<sup>٥</sup>

وقد وردت آثار كثيرة في إثبات الكرامة منها قصة الغلام في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ﴾<sup>٦</sup>، وقصة أصحاب الكهف، وما جرى لبعض الصحابة في الغزوات كمشيهم على الماء في البحر ونداء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر "ياسارية الجبل" وقد قال: أهل السنة من السلف والخلف بجوارها وأنها تقع، قال: ابن حمدان: "وكرامة الأولياء حق وأنكر الإمام أحمد بن حنبل على من أنكرها وضلله وقال: توجد في زمن النبوة وأشراط الساعة وغيرها.<sup>٧</sup>

وأما من ظهر على يديه شيء من الخوارق التي يسمونها بكرامات الأولياء وهو مصر على دعوة غير الله من الأحياء والأموات معتقد أنهم ينتفعون أو يضررون فهي من الحيل الباطل والشعوذة لا من الكرامات، إذ من شروط حصولها صحة الاعتقاد، وأي معتقد أفسد من

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلی الله علیه وسلم ج ١، ص ٤٧، وعند مسلم في الإيمان باب نزول عيسى بن مريم، ج ١، ١٣٥-١٣٧.

<sup>٢</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، في باب معرفة الركعتين اللتين كان، ج ١، ١٣٦.

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران الآية: (٣٧).

<sup>٤</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٣٣.

<sup>٥</sup> - في السابق، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج ١١، ص ٣١٨-٣١٩.

<sup>٦</sup> - سورة البروج الآية: (٤-٥).

<sup>٧</sup> - في السابق، محمد لابن العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج ١، ص ٤٩٠.

الإشراك بالله تعالى، وكذلك يتبين كذب من ادعى الولاية وهو تارك للصلوات مع المسلمین في مساجدهم ويزعم أنه يصلي بمكة جميع الصلوات. ويلاحظ أيضاً أنه ليس شرطاً أن يظهر في إنسان مسلم شيء من هذه الأمور وليس شرطاً في التقوى والإيمان كذلك، وأعظم الكرامة الاستقامة في الدين وإن لم يمش على الماء أو يطر في الهواء، وقدما قال أبو على الجوز قائي "كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة".<sup>١</sup>

وقد استدلل الشيخ عبد الله بوجود الفراسة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>٢</sup>، واستدل الشيخ عبد الله بحديث (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ).<sup>٣</sup>

إنه وافق أهل السنة والجماعة بوجود الفراسة، ومما ينبع الكرامة الفراسة ومهي ثلاثة أنواع فراسة إيمانية، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وهي على حسب قوة الإيمان؛ والنوع الآخر أن تكون بطريق رياضة تحصل بالجوع والسهر والتخلي كفعل الصوفية في تجويع النفس أياً ما في خلاء، والنفس إذا تخلت عن المتعلقات يحصل لها الفراسة والكشف، وهذا النوع يشترك المؤمن والكافر فيها وهي لا تدل على الإيمان ولا تكشف عن حق ونافع؛ والنوع الثالث من الفراسة هي خلقية وهي التي عند الأطباء حيث يستدلون بالخلق على الخلق للرباط بينهما يكون هذا في التداوي.<sup>٤</sup>

#### هـ-مسألة السحرة

في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾<sup>٥</sup>، قال: الشيخ عبد الله بن فودي ينقل عن الكواشي،<sup>٦</sup> في

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٧١.

<sup>٢</sup> - سورة الحجر الآية: (٧٥).

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، في كتاب التفسير، باب التفسير سورة الحجر، ج ٥، ص ٢٩٨. ولكن الحديث ضعيف ضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني من أجل عطية العوفي وهو مدلس في السابق، سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم الحديث (١٨٢١).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، شرح العقيدة الطحاوية، ج ١، ص ٤٩٨-٤٩٩.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (١٠٢).

<sup>٦</sup> - هو صالح بن حسين الكواشي قاضي تونس، ولد سنة (١١٣٧هـ ومات ١٢١٨)، وانظر: خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي، (ت ١٣٩٦هـ) الإعلام للزركلي، بيروت: دارالعلم للملأين، ط ٥، (٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ٢٧٥.

مختصره: "السحر له وجود حقيقة عند أهل السنة والعمل به كفر قالوا كذا تعلمه للعمل به، وتعلمه لاجتنابه ليس بكفر" وعن الشافعي أنه يخيل ويمرض ويقتل ويجب القصاص به على من قتل به، وقال عبد الحق<sup>١</sup>، شارح المختصر: "يكفر المسلم بمباشرو سحر مفرق بين زوجين أو مشتمل على كفر وثبت عليه ذلك بينة وإذا حكم بكفره فإن كان متجاهراً به قتل وماله إلا أن يتوب، وإن كان يخفيه فحكمه حكم الزنديق يقتل ولا تقبل توبته"<sup>٢</sup>.

وثبوت السحر وحقيقته لا ينفيه أحد إلا من ذهب مذهب أهل الاعتزال في انكاره، وقال: النووي "مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له وأشار إلى حديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي)<sup>٣</sup>، مصرح بإثباته أنه أشياء دفعت وأخرجت، وهذا كله يطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال.<sup>٤</sup> وقال ابن قدامة "له حقيقة فمنه ما يقتل، وما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه من وطأها".<sup>٥</sup>

أما فيما يتعلق بالعين يرى الشيخ عبد الله بن فودي أنه حقيقة قال: الأخبار في حقيقة العين متواترة المعنى، وعن الحسن أن هذه الآية أي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ

<sup>١</sup> - هو عبد الحق بن محمد بن هارون من شيخوخ القرويين ببلاد المغرب وتوفي سنة (٤٦٦هـ - )، بالإسكندرية، انظر: **الديباج المذهب** لابن فرحون، ج ٢، ص ٥٦.

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، **ضياء التأويل في معاني التنزيل**، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، في باب من ينتظر حتى دفن، ج ٧، ص ١٣٦.

<sup>٤</sup> - انظر محي الدين الأمام النووي، **شرح صحيح مسلم للنووي**، ج ١٤، ص ١٧٤.

<sup>٥</sup> - انظر عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، أبو محمد موفق الدين الجامعيلي المقدسي الحنبلي، **الشهير بابن قدامة المقدسي** (ت ٦٢٠هـ)، **المغني لابن قدامة**، مكتبة القاهرة: (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، ج ٨، ص ١٥٠.

بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ<sup>١</sup>، رقية العين من خاف من إصابة العين فليقرأ ها<sup>٢</sup>.

إن العين حق وقد ثبت ذلك تواترة الأحاديث، ومن أدلة على إثباتها حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْعَيْنُ حَقٌّ وَنَهَى عَنِ الْوَشْمِ)<sup>٣</sup>، وفي رواية أخرى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ (الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا)<sup>٤</sup>، وقد أنكرها طوائف من المبتدعة.

و-مسألة الرد على الفرق الكلامية من المعتزلة، والجبرية، والخوارج، والفلاسفة، والنصارى

وقد رد الشيخ عبد الله على الفرق الكلامية من المعتزلة والجبرية والمرجئة ورد عليهم في المسائل التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وما عليه السلف من هذه الأمة.

في رده على المعتزلة في مسألة الهدى والضلال. وناقش الشيخ عبد الله بن فودي أصول المعتزلة ورد عليها من خلال تفسيره للآيات ومن أصولهم العدل الذي هو إنكارهم القدر وأنه ﷺ لا يخلق الشر ولا يقضي به، ويلزم من هذا القول أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يريد أمراً ولا يكون، ويندرج في هذا الأصل قولهم في الهدى والضلال، وعلى هذا ينكرون أن تكون من الله بل العبد هو الذي يخلقها فمن شاء آمن ومن لم يشأ لم يؤمن. انظر ما قاله في تفسير قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٥</sup>، قال: الشيخ عبد الله بن فودي، "والصحيح أن هذا الختم حقيقة لا مجاز وقد جاء عن النبي ﷺ (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَغْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>٦</sup>. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ

<sup>١</sup> - سورة القلم الآية: (٥١).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٢٢٢.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب من انتظر حتى دفن، ج ٧، ص ١٣٢.

<sup>٤</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، ج ٤، ص ١٧١٨.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٧).

<sup>٦</sup> - سورة المطففين الآية: (١٤)، في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٢، وج ٣،

ص ٨٠، الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، في باب مسند أبي هريرة، ج ١٣، ص ٣٣٣.

لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»<sup>١</sup>، قال: الشيخ عبد الله حول هذه الآية "وفيه دليل أن الهدى والضلال من الله تعالى وأنه متفضل بنعمه لا يجب عليه شيء".<sup>٢</sup>

**٢-الإرادة؛** قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾<sup>٣</sup> وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٤</sup>، قال: الشيخ عبد الله بن فودي: "إلا أن يشاء الله إيمانهم فيؤمنون استثناء من أعم الأحوال أي إلا حال مشيئته به وهو حجة واضحة على المعتزلة القائلين إن الله أراد الإيمان من جميع الكفار" وقال وليس في الآية دليل على التقييد العقلي ولا بطلان التقليد مطلقا، واعلم أنه كما أن الله لا يأمر بالفحشاء كذلك لا يريد لها لأن كونها فاحشة ليس هو حكم الله فيها".<sup>٥</sup>

**٣-خلق أفعال؛** العباد وكسب العبد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾<sup>٦</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>٧</sup> قال الشيخ عبد الله في الآية الأولى ولقد ذرأنا "دليل لمذهب أهل السنة أن الله خلق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها؛ لأن الله تعالى بين بصريح اللفظ أنه خلق كثيرا من الجن والإنس للنار، ولا مزيد على بيان الله. " وفي الآية الثانية "دليل على أن للعبد كسبا وهو تعلق قدرته بالمقدور من غير فعل وهو مناط الثواب والعقاب، وليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية ولا فاعلا حقيقة كما زعمت القدرية".<sup>٨</sup>

<sup>١</sup> - سورة آل عمران الآية: (٧).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٦٦، و٢٦٩، و٢٧٩.

<sup>٣</sup> - سورة الأنعام الآية: (١١١).

<sup>٤</sup> - سورة الأعراف الآية: (٢٨).

<sup>٥</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٩٢، و ص ١٥٤.

والشيخ يريد هنا الإرادة الشرعية، أما الإرادة فهي نوعان إرادة عامة كونية لا يكون في الكون شيء خارج عن إرادته تعالى، أما الإرادة الشرعية وهي التي أرادها كوننا وأمر بما شرعا؛ فمثلا الصلاة أرادها كوننا، وأمر المؤمنين أن يصلوا.

<sup>٦</sup> - سورة الأعراف الآية: (١٧٩).

<sup>٧</sup> - سورة يونس الآية: (٤٤).

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٨، ١١٥.

٤-**التوحيد**؛ وقد رد الشيخ عبد الله عليهم في هذا الأصل إنكارهم إحاطة الله بجميع الأشياء فقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾<sup>١</sup>، وقال الشيخ عبد الله: "أي أنزله بعلم تام وحكمة بالغة، وفيه حجة قوية لأهل السنة في إثبات العلم على المعتزلة القائلين عالم بلا علم"<sup>٢</sup>.

٥-**رؤية الله**؛ تعالى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>٣</sup>، وقال الشيخ عبد الله "أي لا تحيط به هذا تفسير الجمهور أي لا تراه، وذلك مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾" وثبت في السنة عن جرير قال كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ (إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ).<sup>٤</sup> أما قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾<sup>٥</sup>،

قلت واختلف العلماء في معنى الإدراك والرؤية في الآية، فقال قوم الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤيا وإن رآه المؤمنون، كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى. وقال آخرون الإدراك الإحاطة، ولا منافاة بين إثبات الرؤيا ونفي الإدراك فإن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم، ثم اختلفوا في الإدراك المعنى ما هو؟ فقيل معرفة الحقيقة فإن هذا لا يعلمه إلا هو.<sup>٦</sup>

قال الشيخ عبد الله "والتعبير بلن تراني دون لن أرى يفيد إمكان الرؤية، فسؤال موسى للرؤية دليل على جوازها؛ إذ سؤال المستحيل على الأنبياء محال، ولن لا تفيد تأييد النفي، ثم

<sup>١</sup> - سورة النساء الآية: (١٦٦).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٢٠.

<sup>٣</sup> - سورة الأنعام الآية: (١٠٣).

<sup>٤</sup> - سورة القيامة الآية: (٢٢-٢٣).

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في كتاب التوحيد، باب قول الله "وجوه يومئذ ناضرة"، ج ٨، ص ١٧٩.

<sup>٦</sup> - سورة الأعراف الآية: (١٤٣).

<sup>٧</sup> - إسماعيل بن عمر بن كثير عما الدين أبو الفداء، ولد سنة: (٧٠١هـ)، و(ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم المعروف تفسير لابن كثير ج ٢، ص ٢١٨.

أشار إلى عدم القدرة في ذلك الوقت على الرؤية بقوله ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>١</sup>، وقال الشيخ عبد الله: "هي النظر إلى الله تعالى كما في الصحيحين (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) وعليه جمهور المفسرين"<sup>٢</sup>.

**٦- كلام الله؛** قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>٣</sup>. قال الشيخ عبد الله: "وفيه دليل على أن كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى"<sup>٤</sup>. فقد تنازع الناس في الكلام فنفاه المعتزلة، وقسمه الأشاعرة إلى نفسي ولفظي، فقالوا الكلام النفسي هو الذي يتكلم الله بلا صوت ولا يسمع؛ وأما اللفظي فهو الذي يتكلم به جبريل، ولذا أشار إليه الشيخ بأن الكلام يطلق على اللفظ والمعنى والله أعلم.

**٧- الوعد والوعيد؛** فقد تنازع المعتزلة وأحد أصول المعتزلة في الأصل إلى تخليد أهل الكبائر في النار مثل الكفار الأصليين وكذا شد وطأته عليهم ما قاله في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله "فيه دليل على أن الكافر مخلد في النار وأن غيره لا يخلد بمفهوم قوله ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي الكفار". وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>٦</sup>، قال الشيخ عبد الله "فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمه كفر بذلك فإذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار إذا لم يتب قبل موته وإن مات وهو مصر على ذلك كان مخلد في النار بكفره فلا دليل للمعتزلة بالآية على خلود العصاة في النار"<sup>٧</sup>. وقوله تعالى

<sup>١</sup> - سورة يونس الآية: (٢٦).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ٢٩، ٢٢٢، وج ٢، ص ١١٠-١١١، ١٥٥.

<sup>٣</sup> - سورة التوبة الآية: (٦).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٦٧.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٣٩).

<sup>٦</sup> - سورة النساء الآية: (١٤).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٧، ١٦٩.



﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>١</sup>. وقال الشيخ عبد الله "وهذا

صريح أنه لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه لمن يشاء وأيده سائر الآيات والأحاديث المتواترة"<sup>٢</sup>.

**٨-المنزلة بين المنزلتين؛** بهذا الأصل أن المعتزلة ينفون الشفاعة لعامة المؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله: "والآية في الكفار؛ فلا دلالة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر كما قالت المعتزلة للأحاديث المتواترة التي تردهم"<sup>٤</sup>. ومن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفيه دليل على أن حقيقة العذاب ولزومه للكفار إنما كان لأجل اتقياء الإيمان، فدل على نجاة المؤمنين إن كان فاسقاً"<sup>٦</sup>، والمعتزلة لهم طرق في إثبات منهجهم المنحرف، وفي ذلك سلوكهم طريق اللغة من ذلك عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُمْلِي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>٧</sup>.

**٩-ردوده؛ على الجبرية**<sup>٨</sup> فقد رد الشيخ على الجبرية في المشيئة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>٩</sup> ويقول الشيخ عبد الله: "الطاغوت الأوثان وهذا برهان قاطع على فساد دعوى الجبرية ولو كانت مشيئة الله رافعة للوم على الشرك والمعاصي لما أرسل الرسل"<sup>١٠</sup>.

**١٠-ردوده؛ على الخوارج** قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>١١</sup>

<sup>١</sup> - سورة النساء الآية: (١١٦).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٧٠-١٨٦، ونقل كلام طويل في تفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن التتالي.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (٤٨).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٠.

<sup>٥</sup> - سورة يونس الآية: (٣٣).

<sup>٦</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ١١٢.

<sup>٧</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٧٨).

<sup>٨</sup> - هم خلافاً للمعتزلة في القدر وأصل مقالته من جهنم بن صفوان، وبالغوا في الإرجاء حتى جعلوا فعل العبد بمنزلة طويلة ولونه، في السابق، محمد ناصر الدين الألباني، شرح العقيدة الطحاوية، ج ١، ص ٥٢٤.

<sup>٩</sup> - سورة النحل الآية: (٣٦).

<sup>١٠</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٢٥.

<sup>١١</sup> - سورة المائدة الآية: (٤٣).

قال الشيخ عبد الله: "حقيقة استحلالهم الحرام المجمع عليه أو المراد بالكفر، كفر دون كفر، إن كان بغير استحلال، فلا دليل للخوارج في الآية في التكفير المعاصي".<sup>١</sup>

**١١-ردوده على؛ الفلاسفة لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾**<sup>٢</sup> قال الشيخ عبد الله: "وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين الذين يعتقدون أن هذه النجوم لها التصرف في العالم السفلي إذ أخبر الله أنها مسخرات بأمره".<sup>٣</sup>

ومن رده على الفلاسفة انكارهم بعث الأجساد لقوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، قال الشيخ عبد الله: "وفيه دليل على أنها تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تبرأ من عابدها".<sup>٤</sup>

ومن رده على الفلاسفة في أن الله لا يعلم الجزئيات لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ﴾ الآيات<sup>٥</sup> قال الشيخ عبد الله: "وفيه رد على المنجم المخدول الذي يدعي علم الغيب والفلسفي المطرود الذي يزعم أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات".<sup>٦</sup>

ومن رده في قول الصوفية أن مقام الولاية أفضل من مقام النبوة، فقد رد الشيخ عبد الله على قول الصوفية في أن الولاية أفضل من النبوة، وأن الولي أفضل من النبي؛ فقال والولي تابع للرسول يأخذ عنه.<sup>٧</sup>

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٤٠.

<sup>٢</sup> - سورة النحل الآية: (١٢).

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٢١، فقلت هذا من ضلالات الفلاسفة حيث يقولون إن الفيلسوف يصل إلى أرقى المقام بسبب صفاء نفسه؛ لأنه جلب هذا بالرياضة، وعلى هذا يرون أن مقام الفيلسوف أفضل من مقام النبي، انظر: الموسوعة العربية ياسين صلواتي، ج ١، ص ٢٥٢١.

<sup>٤</sup> - سورة النحل الآية: (٢١).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٢٢.

<sup>٦</sup> - سورة الأنعام الآية: (٥٩).

<sup>٧</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٢٧٧.

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٧٧.

ومن رده على الملاحدة في عدم الشعور بعذاب النار لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>١</sup>. وقال الشيخ عبد الله: "دائم لا ينقطع تأكيد للخلود لئلا يظن به المكث الطويل ورد لما يزعج عمه الملحدة بأن الخلود في النار لا يستلزم العذاب لأنه يصير معتادا"<sup>٢</sup>. ومن رده على النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾<sup>٣</sup>. قال الشيخ عبد الله: "أي مركب منها يريدون بالأب الذات والابن العلم، وبالروح الحياة وضلالتهم ظاهرة فلا حاجة إلى ذكر خرافات النصارى التي قالوها في عيسى في تفسير كلام الله وقد رد عليهم في كتابه المسمى نظم الوسطى للسنوسي"<sup>٤</sup>.

ولم يكن الشيخ عبد الله بن فودي في كل آيات الصفات مؤولاً؛ ولكنه أحيانا يسرد أقوالا كثيرة لآية من آيات الصفات، من صفة العلو واليد والأصابع، والساق، والمحيى؛ فيذكر فيها قول المشتين وقول المؤولين، وأحيانا يثبت، وأحيانا يؤوله، قلت فالمضمون منهجه في العقائد يدور حول ثلاثة محور الإيمان ومتعلقاته، وآيات الأسماء والصفات، ثم رده على الفرق الضالة من الفلاسفة والمعتزلة والخوارج.

#### ثالثاً: منهجه في دراسة أصول العبادات

كان منهجه في دراسة أصول العبادات بناء على النصوص وبعضها عن الاجتهاد؛ ولكن يقل منه اجتهاداته، وأهم ما تناول فيه في ذكر المصطلحات الشرعية التي تدور حول ثلاث حوارات فيما يتعلق بالعبادات من الطهارة والصلاة، وأحكام الصوم والحج، وأحكام الإجتماعية، والمعاملات من البيوع والأطعمة والسياسية.

أما العبادات فقد تعرض إلى جانب الطهارة ومعلقاتها من الوضوء، وغسل الشهيد، وخصال الفطرة، وأحكام الحيض، واختلاف علماء حول لفظ القرء، وعدم الكفارة لمن وطأ المرأة في الحيض، ووجوب سترة العورة، وحكم الأذان والقراءة خلف الإمام، وصلاة القصر

<sup>١</sup> - سورة التوبة الآية: (٦٨)، والملاحد جمع ملحد وهو الزنديق الذي لا يؤمن بالآخرة والربوبية، انظر: القاموس

المحيط ١١٥١.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٤.

<sup>٣</sup> - سورة النساء الآية: (١٧١).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ٢٢١، ونظم الوسطى لعبد الله بن فودي.

وحكمها، ثم صلاة المقيم خلف المسافر، وقضية دخول المشركين المسجد، ووجوب صلاة الجماعة والجمعة، وإبطال النافلة، وعدم جواز الصلاة في أماكن المغضوب عليهم، وحكم من نسي الصلاة، ولمس المرأة ومس الذكر، وعن حكم الصيام من الرؤية الهلال والاعتكاف، وتعرض لحكم الحج، وأنواعه الثلاثة من القران والتمتع والإفراد واختلاف العلماء في مسألة وجوب السعي وحاضر المسجد الحرام. وذكر هذه المسائل في العبادات وبسط القول فيها.

#### أ- في تعامله في قضايا العبادات الطهارة والصلاة

أما الطهارة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>١</sup> وذكر الشيخ عبد الله في تفسيره مسألتين حول هذه الآية؛ مسألة جواز الصلوات الكثيرة بوضوء واحد، عن أنس بن مالك، عن الوضوء، فقال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ، وَكُنَّا نُصَلِّي الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ)<sup>٢</sup>، ومسألة مسح الرأس جميعه أو بعضه وتعرض لأقوال الأئمة الأربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة؛ أما الأولى فقد استدل بحديث عمر بن الخطاب يوم الفتح فقد صلى ﷺ يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد ومسح على الخفيه؛ والمسألة الثانية، خلافتهم حول الباء في (وامسحوا برؤوسكم)، وأصح الرويات عن أحمد، وربيع الرأس عند الحنفية، والباء للإصاق حتى لو شعرة فقد فعل عند الشافعية، ومسح جميع الرأس عند المالكية؛ لأن الباء للتأكيد أي زائدة وتفيد التأكيد عند من يرى عموم مسح الرأس.<sup>٣</sup>

١- غسل الشهيد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، قال الشيخ عبد الله والشهيد لا يغسل ولا يصلي عليه وهو قول مالك والشافعي لأن الميت هو الذي يفعل له ذلك، والشهيد حي، وقال أبو حنيفة، يصلي عليه لأنه في حكم الميت ولا يغسل لأنه تطهر بالقتل.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> - سورة المائدة الآية: (٦).

<sup>٢</sup> - في السابق، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، باب الرجل يصلي الصلوات بوضوء واحد ج ١، ص ١٢٣٤.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٢٦، وللمزيد راجع إلى تفسيره.

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (١٥٤).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٨.

٣- خصال الفطرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾<sup>١</sup>. وأشار الشيخ عبد الله حول هذه الآية إلى سنن الفطرة فذكر المضمضة والاستنشاق، وقص الشارب، فرق الرأس، قلم الأظفار، نتف الإبط حلق العانة، الاستنجاء والختان، ثم قال: "وهذا الأخير أعني الختان سنة مؤكدة للرجال عند مالك وأبي حنيفة، وفرض عند الشافعي ويستحب أن يؤخر الصبي إلى وقت يؤمر بالصلاة من السبع إلى العشر، وتستحب الدعوة لطعام الختان".<sup>٢</sup>

٤- أحكام الحيض في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله حول هذه الآية "واعلم أن الأئمة أجمعوا على سقوط الصلاة وقضائها عن الحائض والصوم تقضيه، وعلى حرمة الطواف بالبيت، وأنه يحرم بالنفاس ما يحرم بالحيض، واختلفوا في أقلهما، ولا حد له عند مالك بل الدفعة حيض وأقله عند الشافعي وأحمد يوم وليلة، وعند أبي حنيفة ثلاث أيام، أقل النفاس عند خمسة وعشرون يوما وأكثره عند الأكثر ستون، وعند أبي حنيفة أربعون، وأكثر الحيض عند مالك يختلف باختلاف النساء".<sup>٤</sup>

٥- عدم الكفارة لمن وطئ المرأة في الحيض في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى تحت هذه الآية في تفسيره عدم الكفارة لمن وطئ المرأة في الحيض بل عليه أن يتوب ويستغفر، وقال أحمد يتصدق بدينار؛ فالمرأة إذا لم تجد الماء تميم للصلاة، ولا يحل وطئها عند مالك أبي حنيفة، خلافا للشافعي وأحمد، وتقرأ القرآن عند مالك خلافا لباقي الأئمة.<sup>٥</sup>

٦- وجوب ستر العورة في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>٦</sup>. قال الشيخ عبد الله: "فيه دليل على وجوب ستر العورة في

١- سورة البقرة الآية: (١٢٤).

٢- المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٨.

٣- سورة البقرة الآية: (٢٢٢).

٤- المرجع نفسه، ج ١، ص ٥٨. وللمزيد راجع إلى تفسيره، ويقول قضاؤها يريد بذلك أنها تترك الصلاة في وقت الأداء، وكذلك لا تقضي ما فاتها أيام الحيض لأن الصوم رمضان يقتضي بعد شهر.

٥- المرجع نفسه، ج ١، ص ٨٨. وتعرض بالمسألة قراءة القرآن، للحائض والجنب.

٦- سورة الأعراف الآية: (٣١).

الصلاة وأقل الواجب للرجل ما بين سرّة وركبة وقيل السوءتان<sup>١</sup> والأفضل تغطية جميع البدن والأمة كالرجل وأقل ما يجزئ الحرة ثوب يستر جميع جسدها<sup>٢</sup>.

٧- حكم الأذان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله بن فودي: "فيه دليل ثبوت الأذان بنص الكتاب"<sup>٤</sup>.

٨- القراءة خلف الإمام واستنبط في تفسيره من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "نزلت في منع الكلام في الصلاة كانوا يتكلمون فيها وعبر عنها بالقرآن لاشتغالها عليه، وقيل في قراءة القرآن مطلقاً لأن الآية تتضمن تعظيم القرآن فيجب الإنصات والاستماع على كل حال. وقيل في الخطبة الجمعة، وهو ضعيف لأن الآية مكية ولم تكن الخطبة إلا بالمدينة، وقيل في القراءة في الصلاة خلف رسول الله ﷺ ورجح المالكية والحنابلة القراءة خلف الإمام في السرية لا في الجهرية بالآية وعمل المدينة، ورجح الشافعية القراءة مطلقاً والحنفية عدم القراءة خلف الإمام مطلقاً"<sup>٦</sup>.

٩- صلاة القصر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾<sup>٧</sup>، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن فودي في هذه الآية ثلاث مسائل: حكم صلاة القصر، ومقدار المسافة التي ينبغي فيها تقصير الصلاة، وصلاة المقيم خلف مسافر.

أما الأولى قال الشيخ عبد الله: "سنة عند مالك لمواظبة النبي ﷺ ورخصة عند الشافعي في قوله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ولحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قصر وأتم، وواجب عند الحنفي لحديث عائشة أيضاً في البخاري ومسلم، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ: (فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَزِيدَ فِي

<sup>١</sup> - والعبرة أن تكون ما بين سرته وركبته.

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٩٦.

<sup>٣</sup> - سورة المائدة الآية: (٥٨).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٤٤.

<sup>٥</sup> - سورة الأعراف الآية: (٢٠٤).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٤، والراجح ما ذهب إليه الشافعية لعموم قوله ﷺ (لأصلاة لمن لم يقرأ الفاتحة الكتاب) سواء كانت الصلاة الجهرية أم السرية، خلف الإمام.

<sup>٧</sup> - سورة النساء الآية: (١٠١).

صَلَاةِ الْحَضَرِ)،<sup>١</sup> وعند داود الظاهري جواز القصر مخصوص بحال الخوف ويجوز في كل سفر طويل أو قصير.

وأما الثانية قال الشيخ عبد الله عند مالك والشافعي وأحمد برد<sup>٢</sup> أي ثمانية وأربعون ميلا، وعند الحنفية ستة برد.

وأما في الثالثة قال الشيخ عبد الله هو مكروه عند المالكية، وإذا صلى مسافر خلف مقيم وهو أكد كراهية، انتظره بعد ركعتين حتى يسلم بعده، وقيل يتم، وقيل تبطل صلاته.<sup>٣</sup>

١٠- دخول المشركين المسجد واستدل الشيخ عبد الله على حرمة دخول المشرك المسجد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾. قال الشيخ عبد الله: "وقد اختلف الأئمة فيه فمنعه مالك مطلقا وجوزه أبو حنيفة مطلقا، وفرق الشافعي فمنعه في المسجد الحرام وأجازه في غيره".<sup>٤</sup> ومنع المالكية على دخول المشرك المسجد أدلتهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾.<sup>٥</sup>

قلت والله أعلم والراجع جواز دخول المسجد مطلقا كما ثبت ذلك فعل النبي ﷺ ربطه ثامة وتنزله وفد ثقيف في مسجده والسلف كانوا يؤاكلتهم ويشربون من أوانيهم ولم يعتبروا مفهوم حديث أبي هريرة رضي الله عنه (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ).<sup>٦</sup>

١١- وجوب صلاة الجماعة وقد استنبط الشيخ عبد الله وجوب صلاة الجماعة من قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾،<sup>٧</sup> قال الشيخ عبد الله: "وفي الآية الأمر بشهود صلاة الجماعة".<sup>٨</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب التقصير في باب يقصر إذا خرج من موضعه ص ٨٥.

<sup>٢</sup> - المبريد فرسخان، والفرسخ الواحد ثلاثة أميال في المصدر السابق، لابن المنصور، لسان العرب ج ٣، ص ٨٦.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٠٥.

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (١٤١).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٨.

<sup>٦</sup> - سورة التوبة الآية: (٢٨).

<sup>٧</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الغسل باب الجنب يخرج ويشي، ج ١، ص ٢٥.

<sup>٨</sup> - سورة البقرة الآية: (٤٤).

<sup>٩</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج ١، ص ١٠.

فقلت وجوب صلاة الجماعة في غير هذه الآية في قوله ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾<sup>١</sup>، وجه الدلالة أن الله تعالى أمر بها في الخوف؛ ففي الأمن أولى أن يأمر بها، أما في السنة فالأدلة كثيرة في الباب.

١٢- عدم جواز الصلاة في أماكن المغضوب عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>٢</sup>. واستدل الشيخ عبد الله بهذه الآية على عدم جواز الصلاة في أماكن الأمم السابقة التي لحقها العذاب مثل أصحاب الحجر وقوم لوط وغيرهما من الأمم الغامرة، وذكر حديثاً من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (قَالَ لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لَا يُصَيِّكُمْ مَا أَصَابَهُمْ)<sup>٣</sup>، ونقل كلام ابن العربي "فصارت هذه البقعة مستثناه من قوله (جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)؛ فلا يجوز التيمم ولا الوضوء من مائها ولا الصلاة فيها"<sup>٤</sup>.

١٣- حكم من نسي صلاة لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "أوقات ذكرى وهي موافيت الصلاة أو تذكرت صلاة إذا فتتك نوا أو نسيا نا ثم ذكر الحديث" عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قَالَ: (مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ) ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>٦</sup>.

١٢- لمس المرأة ومس الذكر لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَسْئَلُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾<sup>٧</sup>، وقد أورد أقوال الأئمة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، واستدل كل بأدلته في المسألة ورجح ما يراه راجحاً.<sup>٨</sup>

<sup>١</sup> - سورة النساء الآية: (١٠٢).

<sup>٢</sup> - سورة الحجر الآية: (٨٠).

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب في موضع الخسف والعذاب ج ١، ص ٣٧.

<sup>٤</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ٢١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣، ص ١٠. وحديث أخرجه مسلم في صحيحه باب الصلاة حيث ما أدرك الرجل، ج ٢، ص ١٢٥.

<sup>٥</sup> - سورة طه الآية: (١٤).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، صحيح البخاري، كتاب موافيت الصلاة باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر ولا يعيد إلا تلك الصلاة، ج ١، ص ٤٨.

<sup>٧</sup> - سورة النساء الآية: (٤٣).

<sup>٨</sup> - في تفسيره تحت هذه الآية في النساء، في المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٢٦.



١٣- أحكام الصوم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>١</sup>، تحت هذه الآية تعرض الشيخ عبد الله لقضية مفطرات الصوم إذا وصل الماء في الحلق عند المضمضة والاستنشاق في الصوم؛ فإن المضمضة والاستنشاق لا يفطر وهو قول الأوزاعي وإسحاق بن راهوية والشافعي أحد قوليهِ، خلافاً لمالك وأبي حنيفة يفطر، ثم رجح الأول وهو الصحيح، ثم ذكر المفطرات الصوم- الإنزال بقبلة أو مباشرة؛ ففيه قضاء إجماعاً، ووسع في قضية الصيام المجنون والكافر؛ أما المجنون يجب عليه القضاء إذا فاق في المشهور مذهب مالك خلافاً للشافعي وأبي حنيفة لا يجب مطلقاً، كذلك على المسافر فقضاء إذا لم يصم وإذا صام أثناء السفر صح صومه خلافاً للظاهرية.<sup>٢</sup>

١٤- أحكام الرؤية في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله: "إذا أخبر مخبر عن رؤية بلد؛ فإن قرب فالحكم واحد، وإن بعد فكذلك إذا رأى الهلال رؤية فاشية فيجب الصوم على سائر أهل الدنيا؛ إلا أن أصحاب الشافعي صححوا في البعيد أن لكل قوم رؤيتهم".<sup>٤</sup>

١٥- أحكام الاعتكاف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "في الآية دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد، وأن الوطء يحرم فيه، ويفسد لأن النهي يوجب الفساد إلا فيما استثناه الدليل، ومن نظر اعتكاف شهر بعينه لزمه متواليات، فإن أحل بيوم قضى ما فاتهُ. وقال أحمد يلزمه الاستئناف ولو باشر امرأته فيما دون الفرج بطل اعتكافه أنزل، أو لا عند مالك وأبي حنيفة خلافاً للشافعي وأحمد في عدم الإنزال، ولا يخرج من معتكفه إلا الحاجة الإنسان وغسل جنابة".<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (١٨٣).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٦٩.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (١٨٥).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٨.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (١٨٧).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٧١.

١٦- أحكام الحج لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾<sup>١</sup>، وقد تطرق الشيخ الشيخ عبد الله إلى ذكر المسائل المتعلقة بالحج والعمرة في، الآية فقال: "فيه وجوب الحج على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع في العمر مرة، وأما العمرة فهي سنة عند مالك وأبي حنيفة وفرض كالحج عند أحمد وأصبح قولي الشافعي، وما ذكره كذلك أنواع الحج قال:

- حج الأفراد، أنه يحج ثم يعتمر بعد فراغه منه، وهو الأفضل عند مالك والشافعي.
- حج التمتع أن يعتمر في شهر الحج ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة يحرم بالحج من مكة فيجمع في ذلك العام، وهو الأفضل عند أحمد.
- حج القران، أن يحرم بحج وعمرة معا أو يعتمر ثم يدخل عليها الحج قبل أن يطوف وهو الأفضل عند أبي حنيفة.

وكذا ذكر أركان الحج التي لا يجبرها دم، وهي الإحرام من الميقات، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة، ومن الأمور التي تطرق إلى ذكرها.

١٧- حاضر المسجد الحرام وقد اختلف العلماء في معنى حاضر المسجد الحرام إلى أقوال: القول الأول: من هم في مسافة القصر، وهو قول الشافعي، والقول الثاني: من دون الميقات وهو قول أبي حنيفة، والقول الثالث: مكة وما قرب منها لذي طوى وهو قول مالك<sup>٢</sup>.

وسبب الخلاف أن حاضر المسجد الحرام لا يجب عليهم بعض الأحكام في الحج كطواف الوداع، وحج التمتع والإحرام من الميقات؛ لأن ميقاتهم بيوتهم يحرمون منها، وقد زاد ابن العربي قولين آخرين وهما أهل الحرم وأهل عرفة، ثم قال: "والصحيح فيه من تلزمه الجمعة فهو من حاضري المسجد الحرام"<sup>٣</sup>.

١٨- الاختلاف في وجوب السعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾<sup>٤</sup>، قال الشيخ عبد الله: "إن السعي بينها مشروع في الحج والعمرة بالإجماع، واختلف العلماء في الوجوب فعن مالك والشافعي أنه ركن لا

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (١٩٦).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٧١.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٧٧، وابن العربي، أحكام القرآن لابن العربي، ج ١، ص ١٨٥.

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (١٥٨).

يجزئ تاركه إلا العود إليه لقوله ﷺ (اسْعَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ)،<sup>١</sup> وقال: ﷺ (أَبْدَأْ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ)،<sup>٢</sup> وعن أحمد أنه سنة لقوله تعالى {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} والمفهوم للتخير، وهو ضعيف لأن الجناح يدل على الجواز الداخر في معنى الوجوب فلا يدفعه، ثم تطرق إلى ذكر سبب نزول الآية.<sup>٣</sup> وهذه أهم ما تناول في العبادات.

ب- أمثلة عن دراسة تعامله مع الأحكام الاجتماعية من نكاح وطلاق وغيرهما.

أما الجانب الاجتماعي فقد تناول الشيخ عبد الله بن فودي من أحكام النكاح والصلاق والخلع والهزل، ومسألة الطلاق الثلاثة بلفظ واحد، والولاية في النكاح والخلاف في تحديد المهر، وهبة المرأة لزوجهها بدون صداق، وعدم اعتبار الكفاءة في الإحساب، ومسألة جواز العزل، وجواز عرض الرجل بنته على الرجل الصالح، وآداب خروج المرأة من بيت الزوج، وحكم الإيلاء ومدة الحمل والرضاعة، والأحكام المتعلقة بالسلام، والإمارة لا ينسب الولد إلى الأم، وهذا جملة ما ذكر في تفسيره.

١- الخلع؛ قال الشيخ عبد الله عند هذه الآية في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾<sup>٤</sup> وقال: "ومفهوم الآية أن الخلع لا يجوز إلا في وقت الخوف، وبه قال داود الظاهري، وذهب جمهور العلماء إلى جوازه من غير نشوز إلا أنه مكروه، ويجوز الخلع بأكثر من المسمى عند مالك والشافعي. وقال أبوحنيفة إن كان النشوز من قبلها أكثر أخذ أكثر من المسمى إن شاء، وإن كان من قبله كره له أخذ شيء مطلقاً، وكره أحمد أخذ أكثر من المسمى مطلقاً".<sup>٥</sup>

٢- الطلاق في الهزل قال الشيخ عبد الله: "والطلاق في الهزل نافذ كالجد"<sup>٦</sup> ولحديث النبي ﷺ

<sup>١</sup> - في السابق، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ٦، ص ٤٢٢.

<sup>٢</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الحج في باب أن السعي بين الصفا والمروة، ص ٨٨٩.

<sup>٣</sup> - وللمزيد المرجع السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

<sup>٤</sup> - في اللغة النزاع والفصل يقال خلع نعله وثوبه إذا نزع وخالعت المرأة زوجها، واصطلاحاً: الفصل من النكاح بأخذ المال بلفظ الخلع والواقع به الطلاق البائن؛ فإذا قال خالعتك يقع الطلاق البائن. في السابق، محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ج ١، ص ١٥٠.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٢٩).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٩١.

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٩١.

(ثَلَاثٌ جِدْهُنَّ جِدًّا، وَهَزْنُهُنَّ جِدُّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ)¹.

٣- الطلاق الثلاث في كلمة واحدة، قال الشيخ عبد الله بن فودي: "يعد الثلاثة للحر ويعد الثانية للعبد سواء طاقها واحدة بعد واحدة اتفاقاً أو جمع الثلاث في كلمة واحدة عند الجمهور خلافاً للظاهرية"².

٤- الولاية في النكاح قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾³، قال الشيخ عبد الله: "وفيه دليل أن المرأة لا تملك أن تزوج نفسها وإنما ذلك لوليها خلافاً لأبي حنيفة في الثيب الحرة"⁴.

٥- جواز العزل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾⁵، قال الشيخ عبد الله قال الشافعي: "أن تكثر عيالكُم" ويؤده قراءة (ألا تعيلوا)⁶ وقد جات أحاديث في العزل فمنها قول جابر بن عبد الله (كُنَّا نَعُزِّلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ) وفي رواية أبي سعيد الخدري قَالَ: أَصَبْنَا سَبِيًّا فَكُنَّا نَعُزِّلُ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (أَوَأَنْتُمْ لَتَفْعَلُونَ-قَالَهَا ثَلَاثًا-مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ)⁷.

٦- لا ينسب الولد إلى الأم قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾⁸، قال الشيخ عبد الله "وفي الآية دليل على أنه لا ينسب إلى الأم"⁹.

١- في السابق، أبوداود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في الطلاق على الهزل، ص ١٣٨٤، وذكر فيها كلام العلماء حول هذه المسألة وللمزيد راجع عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق آباد ج ٨، ص ٢٦٣.

٢- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٩١، وهي مسألة خلافية بين الأئمة الأربعة جمهور الظاهرية وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهم. راجع كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي المالكي.

٣- سورة البقرة الآية: (٢٣٢).

٤- المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٩٢.

٥- سورة النساء الآية: (٣).

٦- المرجع نفسه، ج ١، ص ١٦٣، وهي قراءة شاذة أو قراءة تفسيرية قرأ بها طلحة بن مطرف بن كعب الهمداني الكوفي (ت ١١٢هـ)، السابق، إمام القرطبي جامع الأحكام للقرطبي، ج ٥، ص ٢٠-٢٢.

٧- في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب النكاح في باب العزل، ج ١، ص ٤٥٠.

٨- سورة الأحزاب الآية: (٥).

٩- المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٢٣٢.

فقلت وفيه رد على عادة الغرب في نسبة الأولاد إلى الأمهات، وإذا حصل طلاق فإن المرأة تأخذ الأولاد جميعا ولا حق للأب في أولاده.

٧- آداب خروج المرأة من بيت الزوج لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ عبد الله نقلا عن ابن العربي: "هو إشارة إلى ما يلزم المرأة من لزوم بيتها والانكفاف عن الخروج منه إلا لضرورة" بمعنى دينية كتعليم ما يلزمها أو دنيوية كضرورات معاشها وصلة الأرحام لأنها مما ندب إليه الشرع".<sup>٢</sup>

٨- مدة الحمل لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله: "الله يعلم ما تنقص الأرحام من مدة الحمل منها أو ما تنقص من دم الحيض وما تزداد، وجاء ازداد وغاض متعديا ولازما فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثرها خمس سنوات عند مالك، وأربع عند الشافعي، وستتان عند الحنفي، وأقصى مدة للحمل لا حد لها، وقيل نهايته أربعة غالبا".<sup>٤</sup>

٩- الرضاعة لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "ولا يجب على البائن بخلع أو غيره أو عالية القدر إلا أن لا يقبل الود غيرها فيجب عليها الإرضاع بأجرة من مال الأب، فإن عدم فمن مال الصبي، وإن عدم أو مات ولا مال للصبي وجب عليها مجانا، هذا مذهب مالك خلافا للأئمة الثلاثة أن الأم لا تجب عليها إرضاع ولدها مطلقة أو لا رجعية أو لا إن أمكن غيرها".<sup>٦</sup>

ث- أمثلة عن دراسة تعامله فيما يتعلق بالمعاملات والسياسية

١- البيوع الربا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾<sup>٧</sup>، قال الشيخ عبد الله: "الربا هو الزيادة في المعاملة بالذهب والفضة

<sup>١</sup> - سورة الأحزاب الآية: (٣٣).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ٢٤٠.

<sup>٣</sup> - سورة الرعد الآية: (٨).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٨٥، ج ٣، ص ٨٤.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٣٣).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٩٣.

<sup>٧</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٧٥).

والمطعومات المقتات بها في القدر أو في الأجل، فالأول: ربا الفضل، والثاني: ربا النسا، فدخل جميع وجوه الربا وهي بيع المقتات أو النقد جنسا بجنس متفاضلا أو بغير جنس نسيئة، ومنه بيع الرطب بالتمر أو العنب بالزبيب وبيع المزانبة على أحد قولين وبيع سلف بزيادة، هذه ستة<sup>١</sup>. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>، قال الشيخ عبد الله: "واعلم أن هذه الايات لتحرم الربا مع الآية ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾<sup>٣</sup>، ومن الباطل الغرر الذي منعه رسول الله ﷺ في البيع عمت جميع البيوع الفاسدة من أنواع الربا، الستة المتقدمة وبيوع الغرر وهي كثيرة منها بيعتان في بيع، بيع الملازمة والمنازدة والحصة والنشاء والعربان، وما ليس عنك والمضامين، والملاقيح وحبل الحبله وبيع الثمار قبل بدو الصلاح، وبيع الطعام قبل قبضه"<sup>٤</sup>.

٢- شراء المتاع المغضوب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "لا تجوز معاملة الظلمة فإن كان الحرام قائما بعينه عند الغاصب أو السارق أو نحوهما فلا يحل شرائه، ولا البيع به إن كان عينا ولا أكله إن كان طعاما ملا لباسه إن كان ثوبا ولا قبول شيء من ذلك هبة ولا أخذه في دين، ومن فعل شيئا من ذلك فهو الغاصب، وإن كان الحرام قد فات من يده ولزم ذمته، فإن لم يكن له مال حلال قط حرمت معاملته، وإن كان الغالب على ماله الحرام فمعاملته حرام عند أصبغ ومكروه عند بن القاسم"<sup>٦</sup>.

٣- الأطعمة أحكام الزكاة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٧</sup>، ذكر الشيخ عبد الله مسائل في تفسيره لهذه الآية:

١- المرجع نفسه، ج ١، ص ١٠٩.

٢- سورة البقرة الآية: (٢٧٨).

٣- سورة النساء الآية: (٢٩).

٤- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١١٠.

٥- سورة هود الآية: (١١٣).

٦- المرجع نفسه، ج ١، ص ١٥٢.

٧- سورة البقرة الآية: (١٧٣).

المسألة الأولى الإهلال لغير الله معنى الإهلال هو رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لأهتهم، وذلك المذبح حرام ولو ذبحه كتابي، قال عبد الباقي في شرحه على المختصر، لا يأكل ذبح التابي لصنم ما ستحق دون غيره في زعمه لأنه مما أهل لغير الله بأن قال باسم الصنم، فإن ذكر اسم الله أيضا أكل تغليبا لاسم الله.

المسألة الثانية أكل الميتة للمضطر قال: الشيخ عبد الله خرج الباغي ويدخل فيه القطع والخوارج والمسافر في قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله من كل عاص لسفره كالأبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعند الشافعي وأحمد وهو الصحيح من مذهب مالك فإن أراد الأكل فليتب وليأكل وعجبا لمن يبيع ذلك مع التماذي على المعصية فمن قاله فهو مخطئ قطعاً، وقال ابن جزى: "وترخص بأكل الميتة للمعاصي بسفر على المشهور بخلاف القصر والفطر، وقيل لا يباح مع التماذي على المعصية".<sup>٢</sup>

المسألة الثالثة التزود به يجوز للمضطر الأكل حتى يشبع ويتزود يستغني على مذهب مالك ومنع ذلك الشافعي.<sup>٣</sup>

٤- تحريم لحم الخيل لقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾، قال الشيخ عبد الله: "واحتج بالآية مالك وأبو حنيفة على تحريم الخيل لقول ابن عباس حين تلاها فقال: "هذه للركوب" ولأن منفعة الأكل أعظم من الركوب، فلو جاز أكلها لكانت المنفعة به أولى، وذهب الشافعي وأحمد إلى إباحتها لأن التعليل بالركوب والزينة لتعريف النعم فلا ينافي أكل الخيل لثبوت إباحته في حديث أسماء بنت أبي بكر، قالت: (نَحْنُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ)° وفي حديث آخر عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

١- في السابق، ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٨٥.

٢- انظر: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى، (ت ٧٤١هـ)، القوانين الفقهية ج ١، ص ١٩٦-١٩٧.

٣- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٦٤.

٤- سورة النحل الآية: (٨).

٥- في السابق، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، باب لحوم الخيل، ص ٤٧٠.

(يَوْمَ خَيَّرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَرَخَّصَ فِي الْخَيْلِ)<sup>١</sup> وهكذا رجح ابن جرير الطبري، وقال والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله أهل القول الثاني.<sup>٢</sup>

٥- السياسة وإمامة المرأة لقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٣</sup>، واستدل الشيخ عبد الله بهذه الآية على عدم جواز تولية المرأة الإمارة والقضاء، وأتبع ذلك بحديث أبي بكرة قال: لقد نفعتني الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنته كسرى قال: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ)<sup>٤</sup>.

قال الخطابي: "إن المرأة لا تلي الإمامة ولا قضاء وفيه أنها لا تزوج نفسها ولا تلي العقد على غيرها".<sup>٥</sup> وقال ابن التين احتج بحديث أبي بكرة من قال لا يجوز أن تولي المرأة القضاء وهو قول الجمهور" وبهذا قال ابن العربي: "وهذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه".<sup>٦</sup>  
٢- تفقد الرعية في قوله تعالى: ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾<sup>٧</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وهذا دليل على وجوب تفقد الرعية صغيرها وكبيرها، ويرحم الله عمر بن الخطاب فإنه كان سيرته قال: "لو أن سخلة بشاطئ الفرات أخذها الذئب يُسأل عنها عمر، فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان وتضيع الرعية".<sup>٨</sup>

فالشيخ عبد الله بن فودي ظهرت آراؤه الفقهية المبنية على مذهب مالك، ويشير إلى مذاهب أخرى، ولم يسلك طريق التعصب من إخضاع الآيات حتى توافق مذهبه كما يفعل البعض. وقد عرض الشيخ مسائل أصول الفقه من خلال تفسيره للآيات، وبالأخص عند تفسير هذه الآية لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾<sup>٩</sup>، قال: الشيخ عبد الله

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب النحر والذبح، ص ١٠٢٠.

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ٥٦٣، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٢١٩.

<sup>٣</sup> - سورة النمل الآية: (٢٣).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، صحيح البخاري، كتاب الإمارة، باب إمارة المرأة، ص ٤٧٠.

<sup>٥</sup> - في السابق، ابن حجر العسقلاني شرح صحيح البخاري فتح الباري، ج ٨، ص ١٠٥، ج ١٣، ص ٤٧.

<sup>٦</sup> - في السابق، الإمام القرطبي، جامع الأحكام، ج ٣، ص ٤٨٢.

<sup>٧</sup> - سورة النمل الآية: (٢٠).

<sup>٨</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ١٤٢.

<sup>٩</sup> - سورة الأعراف الآية: (١٢).



"إذ أمرتك دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور، ذكره المصطلحات الشرعية من العبادات ويهتم بالمسائل الفقهية، وتخصيصه المذهب المالكي. وإذا نظرنا إلى تفسيره من الزاوية الفقهية قد نجعله في قبيل التفسير الفقهي، فهو يعتني كثيرا بتحليل آيات الأحكام، وقد أشبع (ضياء التأويل) بالفقه المقارن، وأورد فيه كثيرا من أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في الفروع، فخصصه للمذهب المالكي؛ الأمر الذي جعله يعتبر مرجعا مهما للمالكية في تفسيره لآيات الأحكام. المعاملات تناول فيها البيوع من الربا وشراء المتاع المغضوب، وجواز الجعالة، والوكالة. والجيلة والأطعمة، حكم الزكاة، وتحريم لحم الخيل وغيره؛ أما فيما يتعلق بالسياسة وذكر مسائل إمامة المرأة وتفقد الرعية، وجواز تولي الإمارة تحت الكافر، وحكم الاستيطان مع الكفار.

#### رابعا: منهجه في دراسة الآداب والأخلاق

كان منهجه في دراسة الآداب والأخلاق الحميدة الحسنة، وتقدم الكلام في تعريف التربية وبالأخص التربية الإسلامية، والتي لها علاقة قوية بالدين؛ أما بالنسبة في هذا التفسير تناول الشيخ الموضوعات ما يتعلق بالصبر على أذى، والحرص على الشهادة في سبيل الله، والحرص على التمسك بالكتاب والسنة من العلم النافع وعدم الترفعه وفضل الكتابة والوفاء بالعهد والشكر، وذلك من الجوانب التربوية والإصلاحية؛ لأن القرآن منشئ التربية يدعو إلى تركية النفس الإنسانية وتبيتها على الخير كما تقدم، فقد استخدمها الشيخ في تفسيره. ولناخذ نماذج من الجانب التربوي.

**١- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن أدى إلى قتل الأمر في حق الله أو حق الآدمي، والخطاب لمعاصري النبي ﷺ لرضاهم بقتل آبائهم<sup>٢</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> - سورة آل عمران: الآية: ٢١

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٢٠.

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران الآية: ١٠٤

**٢-الصبر على أذى ملوك السوء** وينبغي للمصلح والمري أن يصبر على ما يصيبه من الأذى وما يأتيه بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>١</sup>. قال الشيخ عبد الله، نقلاً عن ابن عطية قال: "رأيت للحسن البصري أنه احتج بقوله "وتمت إلى آخرها" على أنه ينبغي للمرء أن يصبر على أذى ملوك السوء فإن الله يدمرهم ورأيت أن العبرة أنه إذا قابل الناس البلاء بمثله وكلهم الله إليه، وإذا قابلوه بالصبر أتاهاهم الله بالفرج<sup>٢</sup>.

**٣-الحرص على الشهادة في سبيل الله** قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفي الآية دليل على أن الإنسان غير الهيكل المحسوس وأنه لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه إدراكه وتأمله، وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعات وإحماذ لمن يتمنى لإخوانه بمثل ما أنعم به عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح<sup>٤</sup>.

**٤-الحرص على التمسك بالكتاب والسنة** قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرَ نَالِئُاسِلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله، قال بعض الحكماء: "من نازع أحدا فرد عليه بالقرآن والحديث فهو كمن يدعو إلى الهدى، ومن نازع الزائع بالجدل فهو كمن عدل عن الطريق الواضح فيخاف عليه أن يضل"<sup>٦</sup>.

**٥-العلم النافع** قال تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>٧</sup> قال الشيخ عبد الله بن فودي نقلاً عن ابن عطاء: "اعلم أن العلم حيث تقرر في القرآن والسنة فإنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية.

<sup>١</sup> - سورة الأعراف الآية: ١٣٧

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٦.

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران الآية: ١٦٩

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٥٢.

<sup>٥</sup> - سورة الأنعام الآية: ٧٦

<sup>٦</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٨٠.

<sup>٧</sup> - سورة يوسف الآية: (٧٦).

٧- فضل الكتابة قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفيه رمز إلى فضل الكتاب لأنها آلة التعليم وضابطة الأحكام"<sup>٢</sup>.

٨- الوفاء بالعهد والشكر قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾<sup>٣</sup>. قال الشيخ عبد الله: والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمنين ينبغي أن لا يخافوا أحدا إلا الله تعالى"<sup>٤</sup>.

٩- الشكر على ما سر والصبر على ما ضر قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَحَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>٥</sup> قال الشيخ عبد الله: "وفي الآية تنبيه على أن ما يصاب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى فعليه الشكر على ما سر والصبر على ما ضر"<sup>٦</sup>.

١٠- القوادح في الإنفاق قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>٧</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفي الآية تحذير عن القوادح في الإنفاق ثم ذكر حديث أبي ذر رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلٍ مَا بِالطَّرِيقِ ابْنُ السَّبِيلِ)<sup>٨</sup>.

١١- مواساة الفقراء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>٩</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وهذه الآية الكريمة عامة في أنواع الخيرات ومن أعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله، ومواساة للفقراء وأهل الحاجات، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَيُّمَا

<sup>١</sup> - سورة العلق، الآية: (١٤).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨١٤.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (٤٠).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٧.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٤٩).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٠.

<sup>٧</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٦٢).

<sup>٨</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ج ١، ص ٢٠٢.

<sup>٩</sup> - سورة الحج الآية: (٧٧).

مُسْلِمٍ كَسَا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ<sup>١</sup>.

**١٢-مجالسة الفقراء** قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾<sup>٢</sup> قال الشيخ عبد الله: "وهذه الآية السبب فيها هذا ثم هي بعد تناول من شاركهم من هذه الأوصاف فحملة الشرع والعلم مخاطبون بتقريب الضعيف من أهل الخير وتقديمه على الشريف العاري من الخير مثل ما خوطب به النبي ﷺ في هذه السورة قد قل من يعمل بهذا والله المستعان<sup>٣</sup>.

**١٣-البخل شر الخصال** قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾<sup>٤</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفيه إشارة إلى أن شر الخصال بعد الكفر البخل ولذا كان أبو الدرداء يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين"<sup>٥</sup> من عدم الترفع بالعلم، وتكفل الله بالرزق، والحرص على جمع المال، وحسن العمل، والقرار بالدين، و حرمة الكذب على الله، وتذكر الحساب يوم القيامة، والاستغفار، وفضل التسبيح، وهو الحديث، والنظر إلى الأسفل في أمور الدنيا، وضرر طول الأمل، والهداية من الله، والولي هو التقى، وهذه أهم الموضوعات التي تناول بها جانب التربية في تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

وهذه أهم الأماكن في تفسيره يوجد بالفوائد والأخلاقيات وآداب الحسنة بالقول والعمل. وفي نفس الوقت هو قائد القوات مع ذلك يدرس ويؤلف ويرشد ويوجه وجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله هي العليا وهكذا لا يمر آية من آيات القرآنية إلا تجد ذكر الفوائد والأخلاقيات.

#### خامسا: منهجه في الاستدلال برأيه الشخصي

منهجه في استدلال برأيه الشخص. لقد استخرج الشيخ عبد الله بن فودي من خلال تفسيره من استدلال برأيه الشخصي، وقد ذكرت في الفروع الفقهية، من العبادات وغيرها، وهذا يدل

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ص ١٠٠. في السابق، سليمان بن الأشعث،

سنن أبي داود، باب في فضل سقي الماء، ج ٢، ص ١٣٠.

<sup>٢</sup> - سورة عبس الآية: (١-٢).

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٦١.

<sup>٤</sup> - سورة الحاقة الآية: (٣٤).

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٢٥.

على سعة مطالعته وتمكّنه في التفسير، ومعرفته لفنونه، وهذه جملة مما قاله واستنبطه من الآيات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ عبد الله " وفي الآية استقبح الاستكبار وأنه قد يفضي إلى الكفر وفيها حث على الائتمار بالأمر وترك الخوض في سره وأن الأمر للوجوب وأن الأعمال بالخواتيم"<sup>٢</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿اتَّامُزُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>٣</sup>، وقال الشيخ عبد الله " وفي الآية الأمر بشهود صلاة الجماعة"؛ ولكن لم يظهر لي وجه الإستنباط من هذه الآية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾<sup>٤</sup>. قال الشيخ عبد الله: في هذه الآية دليل على أن الشاهد إذا رأى الكتاب ولم يذكر الشهادة لا تؤديها لما دخل عليه من الرية فيها، ولا يؤدي إلا ما علم<sup>٥</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾<sup>٦</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وهذا نص على إبطال بيع المكره لفوات الرضا منه، وحمل جميع أفعاله عليه"<sup>٧</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>٨</sup>. قال الشيخ عبد الله: "فيه دليل على قبول شهادة الابن عليهما ولا يمنع برهما بل هو برهما"<sup>٩</sup>. وهكذا كان استدلاله بالرأي الشخصي كثيرة جدا في تفسيره واكتفي بهذا القدر خوفاً من التطويل.

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (٣٤).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٥.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية : (٤٤).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩.

<sup>٥</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٨٢).

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١١٢.

<sup>٧</sup> - سورة النساء الآية: (٢٩).

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٧٧.

<sup>٩</sup> - سورة النساء الآية: (١٣٥).

<sup>١٠</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٢١٣.

## المطلب الأول: أفكار الشيخ عبد الله بن فودي

يكون الحديث في هذا المطلب عن أفكاره في التفسير، خاصة ونظرياته في الإصلاح من شتى النواحي، منها:

أ- أفكاره في الإصلاح الديني؛ وجوب التمسك بالكتاب والسنة وأحكام الشريعة عموماً. يرى الشيخ عبد الله في عدم التمسك بأحكام الشريعة عدم صلاح لأمر الأمة. ما من حكمة أو فضيلة أو إصلاح حصل في تاريخ المسلمين السابقين إلا نص عليه القرآن وفسرته السنة؛ لذا حرص على المسلم بالتمسك بما اجتمعوا عليه من المسائل الدينية من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفرائضه وشرائعه لقوله ﷺ: (لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا وَيَدُ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ)<sup>١</sup> حديث صحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقوله (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ)<sup>٢</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>٣</sup>، لذا كان الشيخ يدعو المسلمين إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة، وإلى الاقتداء بأثر السلف الصالح وترك محدثات الأمور لقوله ﷺ (مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)<sup>٤</sup>؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وحاول الشيخ توحيد صفوف الأمة عن طريق توعيتها بأحكام الشريعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرضه في ذلك كله هو تجمع القلوب المسلمين روح المحبة والألفة. وقال الشيخ في نصيحة أهل الزمان ويؤكد على الأخوة والألفة المتواصلة بين المسلمين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج ١، ص ٢٠٢.

<sup>٢</sup> - في السابق، محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حديث حسن.

<sup>٣</sup> - سورة الحشر الآية: (٧).

<sup>٤</sup> - محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دارالفكر، بيروت، مصدر الكتاب موقع مكتبة

مشكاة، ج ١، ص ٥٣٧.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ<sup>١</sup> وقوله ﷺ (وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)<sup>٢</sup>.

**ب- أفكاره في تصحيح العقيدة؛** كانت مدرسة التجديد الإسلامي التي يحمل لواءها الشيخ ركزت عمله على مقاومة الخرافات والبدع التي شوهت عقيدة المسلمين. كان من أهدافه تطهير عقيدة الأمة من البدعة وكل مظاهر الشرك سواء علنياً أو خفياً، وقال في كتابه "بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية ومما أحدثوه في باب الإيمان التعصب في الدين وهو بدعة محرمة إجماعاً، ومن ذلك إفساد عقائد المسلمين وهو بدعة محرمة إجماعاً، ومن ذلك الخوض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين وهو بدعة محرمة إجماعاً" فقول الشيخ هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن في بلاد هوسا ظهور التعصب لمذهبي؛ حيث لا يقبل بعض العلماء من الدين رأياً ولا رواية إلا إذا كانت لمشايخهم؛ وهذا صنف ذهب مذاهب عدة، وكل منهم يزعم أنه على الحق وغيره على الباطل، وهذا ما كان يكره الشيخ عبد الله؛ لذلك جادل هولاء العلماء ليفند آراءهم الفاسد وطلب من المسلمين الاجتهاد في الدين، فقال: أما من كان من أهل البصيرة فيجب عليه أن يعمل الفكر في هذه الأصول ليخرج من التقليد؛ لأن الدين مبني على التبصر لأهل البصائر لا سيما إذا بلغ المرء منهم مقام الدعوة إليه<sup>٣</sup>: ثم تلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>٤</sup>.

**ث- أفكاره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** منذ أن كان الشيخ شاباً مع أخيه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي، كان يعلم ويتعلم وهو شديد الإصرار على ضرورة تمسك تلاميذه وأتباعه على بالكتاب والسنة الصحيحة، ويحرضهم على اتباع أو امر الدين، واجتناب كل ما هو مخالف لأحكام الشريعة؛ لأن المنكرات تؤدي بصاحبها إلى الهلاك لا محالة؛ لذا حث أتباعه على اتباع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تحل الفضيلة محل الرذيلة وتسود الأخلاق

<sup>١</sup> - سورة الأنفال الآية: (١).

<sup>٢</sup> - صححه محمد ناصر الدين الألباني، أدب المفرد مخرجا، في باب من سأل الله العافية، ت محمد فؤاد عبد الباقي،

دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط، ٣، (١٤٠٩ - ١٩٨٩)، ج ١، ص ٢٥٢.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بللو، الإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ج ١، ص ٦٧.

<sup>٤</sup> - سورة يوسف الآية: (١٠٨).

الحميدة وتنتقي المفاصد ويظهر المجتمع في ثوب إسلامي نقي مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ولقوله ﷺ (مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ).<sup>٢</sup>

هنا يرى الشيخ رحمه الله تعالى إذا أراد الإنسان أن يغير المجتمع عليه أن يتمسك بالقوانين التي أدرجها الله في الكون وفطر عليها الإنسان ويحترم رأي أفراد المجتمع كما بين ذلك في كتابه "بيان البدعة الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية أعملكم يا إخواني بأن البدعة منها ما يجب النهوض لإزالته، ومنها مما يندب، ومنها ما يباح، ومنها ما يحرم؛ فكل ما علم الحاق الضرر به فأنت في فسحة في إنكاره وإن كان يؤدي إلى منكر أعظم منه؛ فيمنع الإنكار لا من حيث ذاته بل من حيث ما لم يؤد إليه."<sup>٣</sup>

**ج- أفكاره في التعليم؛** كان الشيخ عبد الله بن فودي من أكابر الدعاة إلى التحقيق العدالة الاجتماعية؛ لأنه أسس كل شيء في الحياة، فحتى الكون بكامله يقوم على أسس العدل؛ لذا يرى الشيخ أن الدولة ذاتها لا تدوم إذا لم يكن فيها تطبيق العدالة الاجتماعية؛ لأنه من أسرع الخصال هد ما للملك إثارة قبيلة دون الأخرى والمحابة لقوم دون قوم وتقريب من ينبغي أن يبعد ومباعدة من ينبغي أن يقرب وتحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾.<sup>٤</sup>

لقد اهتم الشيخ بالتعليم منذ أن أسس أخوه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي خلافة صكتو الإسلامية في العام (١٨٠٤)م وقد أسس أخوه الشيخ عثمان بن فودي الجامع في ذلك الوقت لتحفيظ القرآن ونشر العلوم العربية والإسلامية، وهو بمثابة جامعة إسلامية في ذلك

<sup>١</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٠٤).

<sup>٢</sup> - في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، في باب معرفة الركعتين اللتين كان، ج ١، ص ٦٩.

<sup>٣</sup> - في السابق، سلطان محمد بللو، الإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ج ١، ص ٦٧.

<sup>٤</sup> - سورة الإسراء الآية: (١٥).



العصر، وفي الوقت ذاته جعله رباط للجهاد وقاعدة لبناء الدولة الإسلامية؛ أما الشيخ عبد الله بن فودي وقد كرس نفسه في هذا الجامع لتدريس وتوعية المسلمين فيه.<sup>١</sup> أما فكرته سياسيا، وشخصيته خاصة أنه لاشأن له بسياسة الدولة بل هو معين لأخيه الأكبر، وكل مستعين بعضه ببعض، أنه منشغل بالجهاد والتدريس والتأليف والتصنيف؛ أما أخوه الأكبر ماسكا لسياسة الدولة.

إذا أهم أفكار الشيخ عبد الله منصبه على التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد والتصنيف والتأليف؛ أما التدريس فكان يفسر القرآن، ويعلمهم الحديث والفقه، والتصوف وسائر العلوم الأخرى، حتى في آخر؛ لحظة من حياته التي قضى في مدينة كنو عند ما قصد الحج<sup>٢</sup>. وأسس المدارس والمعاهد في بلده غوندو وغيرها في شتى الأماكن التي تخرّج على يديه خلق كثير من علماء، ممن بلغوا رتبة الاجتهاد المذهب في الفقه المالكي. أما الوعظ والإرشاد فقد كان يخرج إلى القرى والبوادي يعظ في الناس، وكان يحضر مجلس وعظه خلق كثير رجالا ونساء<sup>٣</sup>، وساعد أخوه على قيام الإمارة الإسلامية في نيجيريا، وقد دامت قرنا من الزمان، وهي التي ربطت المسلمين تحت راية واحدة وهي لا إله إلا الله؛ فصاروا أصحاب قوة ومنعة بعد أن كانوا أشتاتا، وانتهى دور الكفر والشرك بالله تعالى. وقيامها كان على الأسس والمبادئ الإسلامية.<sup>٤</sup>

أما في مجال التربية والإصلاح؛ حيث استخراج فوائد من خلال تفسيره كالصبر وفضل العلم والكتابة والمواساة بين الفقراء والمساكين ومجالستهم والقوادح في الإنفاق ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.<sup>٥</sup> تأثره بالتربية الصوفية من الروحانية وذلك من خلال مطالعته

---

<sup>١</sup> - أحمد محمد اواء الدين، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ بن فودي في ترسيخه، دارالكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٤٩.

<sup>٢</sup> - هو خرج إلى الحج فقصد نحو الشرق عند ما وصل إلى مدينة كنو أخذوه فبدأ التعليم وبالأخص تفسير القرآن في بيان كلام الله تعالى، ثم رجع إلى مدينته غوندو وتوفي فيها، وقد رأيت القبر بأم عيني هو مع اثنين من أبنائه واثنين من أحفاده، وهم مجموعة في غرفتين، واحدة منها لعبد الله، والثاني لأبنائه وأحفاده.

<sup>٣</sup> - إن هذه المعلومات أخذتها من مؤلفاته ومصنفاته ولا يقيد ويتخصص بالمكان الواحد ولذا استخرجت من الاستقراء.

<sup>٤</sup> - أخذت المعلومات عن طريق الاستقراء والتتبع.

<sup>٥</sup> - أخذت المعلومات عن طريق الاستقراء والتتبع.

للكتب الصوفية كالرسالة القشيرية ولطائف الإرشاد وإحياء علوم الدين، وبهذا السبب يهتم بذكر شيء من إشاراتهم في تفسيره للقرآن الكريم، ثم التركيز على تهذيب الأخلاق والتربية<sup>١</sup>.

وقد وافق أيضاً الشيخ عبد الله بن فودي أخاه الأكبر في القيام بالنصح والإرشاد ورفع المستوى التعليمي ومستوى الوعي الاجتماعي العام لدى المسلمين؛ فإنه ركز على قضية المرأة وضرورة تحريرها من مظاهر الظلم والتمييز الاجتماعي الذي تعاني منه، وقد ساهمت المرأة المسلمة في حركة الإصلاح التي قادها ابن فودي، ولا شك في أن هذا النموذج الإسلامي للمرأة قد مثل تحدياً كبيراً للأفكار السائدة في المجتمع الإفريقي آنذاك<sup>٢</sup>.

الملاحظة أن موقف عبد الله ابن فودي من الصوفية فيها لبس، نظراً لكونه هو نفسه من الصوفية؛ لكنه لم يطرح الصوفية إطلاقاً باعتبارها جزءاً من مشروعه الفكري، وعند ما كان يشير إلى الصوفية كان ذلك في سياق الحديث عن السلوك الإسلامي القويم للفرد ولا علاقة له إطلاقاً بالمكوّن الفكري. ولا بن فودي كتابات كثيرة عن الصوفية؛ لكنه لم يوجّه نقداً إليها مثلما هو الحال مثلاً مع محمد بن عبد الوهاب. خلاصة الكلام أن الشيخ عبد الله بن فودي أفكاره في التفسير لا تخرج عن النقاط التي أوردناه في السابق، في التركيز على تهذيب النفوس والوعظ والإرشاد في تربية الأمة، وإصلاح الفرد والمجتمع انطلاقاً من منهجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإعلاء كلمة الله. وبالأخص أن المؤلف عاش في القرن التاسع عشر وليس لديه أي إمكانية حديثة معاصرة<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> - أُخذت المعلومات عن طريق الاستقراء والتتبع.

<sup>٢</sup> - انظر: الموقع الإلكتروني منارات إفريقيا.

<sup>٣</sup> - اعتمدت على المعلومات السابقة من خلال ترجمته وتفسيره، ومؤلفاته.

## الفصل الرابع: دراسة مقارنة بين التفسيرين (رد الأذهان إلى معاني القرآن، وضياء التأويل في معاني التنزيل)

المبحث الأول دراسة مقارنة منهجها في التفسير

المبحث الثاني: دراسة مقارنة منهجها في التعامل مع التفسير

المبحث الثالث: دراسة مقارنة في مصادرها

المطلب الأول: دراسة مقارنة في أفكارها

المبحث الرابع: الآثار الإيجابية لتفسير ضياء التأويل ورد الأذهان

المطلب الأول: أثر ضياء التأويل في رد الأذهان

المطلب الثاني: أثر ضياء التأويل ورد الأذهان في المجتمع النيجيري

### تمهيد

قبل أن أشرع في دراسة مقارنة بين التفسيرين يجدر بي أن أبين منهج المقارنة. في هذا الفصل كما هو معلوم أن المقارنة بين الشيئين يحتاج إلى وجوه، أوجه الاتفاق، والاختلاف، والافراد، والتميز؛ ولذا تكون دراسة نموذجية مقارنة موضوعية. في هذا الفصل أتناول ما يتعلق منهج المؤلفين في التأليف. وفي التفسير وأفكارها.

لا شك في أن الشيخ عبد الله، والشيخ أبوبكر جومي لم يعاصرا زمنا واحدا، بل بينهما فروقات في الزمن والتفاوتات. أن الشيخ عبد الله بن فودي، فعاش في القرن التاسع عشر الميلادي كما تقدم؛ أما الشيخ أبوبكر جومي، عاش في قرن واحد العشرين الميلادي من الزمن كما تقدم. ولذا إن تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله يعد أقدم تفسير على الإطلاق، سواء أكان للنيجيريين خاصة، أم للإفريقيين عامة. وقد برع منذ نعومته حتى شمل جميع مناطقها، وقد نهج الشيخ عبد الله أم منهجا الدين سبقوه من المفسرين المتقدمين من منهج التفسير وألوانه، وأنواعه في فهم معاني كلا الله تعالى، ونقل كثيرا من مادة العلمية وفوائده المستبطنة منها. والمراد بالمقارنة في منهج تأليف والتفسير بمعنى ما اتفق عليه الشيخين (الشيخ

عبد الله، والشيخ جومي) في تفسيريهما، (رد الأذهان إلى معاني القرآن وضياء التأويل في معاني التنزيل) في عديد من الأماكن تفسير القرآن الكريم، وتناول الآيات القرآنية، في استنباط الأحكام، وكثير من القضايا الفقهية، ومسائله، العقدية واللغوية وأفكارهما. وكذا الشيخ أبوبكر جومي عاش في القرن الواحد العشرين بمعنى أنه من المعاصرين يتداول تفسيره بأيدي الناس، المسمى (برد الأذهان إلى معاني القرآن). وقد نصح منهج الدين الشيخ جومي هو أيضا سبقه من المفسرين من منهاج التفسير وألوانه، وأنواعه في فهم معاني كلام الله تعالى، ونقل المادة العلمية وفوائدها المستنبطة منها، مما يحتاج إليها المفسر والمفسر إليه. فهو موزع على المباحث الآتية:

فيكون الحديث في هذا الفصل عن دراسة مقارنة بين التفسيرين؛ أما المبحث الأول دراسة مقارنة منهجهما في التأليف والتفسير وفي المبحث الثاني: دراسة مقارنة منهجهما عن التعامل بالتفسير أما المطلب الأول: أفكارهما عن العقائد الإسلامية، وإصلاح المجتمع، والتعايش السلمي والتفسير العلمي، ثم النتائج العامة للبحث.

### المبحث الأول: دراسة مقارنة منهجهما في التأليف

أما هذا المبحث فيكون الحديث فيه عن دراسة نموذجية مقارنة بين منهج الشيخين في التفسير من موضوعات للمؤلفين على وجه الاتفاق والاختلاف والانفراد والتميز كالاتي:

أولاً: منهجهما في التأليف والتفسير

١- تقدمت الإشارة إلى هذا التفسير تفسير جومي من تسميته، وسبب تأليفه، وأوصافه، ومحتوياته، وطباعته. واستغرق هذا العمل مدة سبع سنوات<sup>١</sup>، ولكن لم يذكر المؤلف التاريخ وبدايته، وجمعه من دروسه التفسيرية التي كان يقدمها سنويا في شهر رمضان المبارك في مسجد الجامع السلطان بللو في مدينة كدونا شمال نيجيريا.<sup>٢</sup>

ونصح الشيخ أبوبكر جومي المنهج الذي ذكره في المقدمة من تقويم القصص القرآنية وتوجيهها وتصفية ما أورده في القصص زيادة لما في القرآن. وذكر الموضوعات

<sup>١</sup> - في السابق في الفصل الثالث، ص ٨٩، أبو بكر محمود جومي رد الأذهان إلى معاني القرآن ج ٢، ص ٨٢٨.

<sup>٢</sup> - في السابق، في كتابه قصدي، ج ١، ص ٥٤.

الرئيس لكل سورة، واقتصر في القراءة على رواية حفص عن عاصم لا نتشارها بمعنى رسم العثماني، واعتمده على مشهور من مذهب مالك بن أنس، ويذكر مذهبها آخر إن دعت الحاجة إليها، وما لا بد منه من العلوم العربية من صرف أو نحو أو لغة، ومهما يكن الأمر فإن أبابكر جومي في تفسيره هذا، قد نَحَج منهج الشيخ عبد الله في تفسيره كفاية ضعفاء السودان، وهو زبدة من تفسير الجلالين، ونقلنا عن حاشية الجمل المسمى (الفتوحات الألهية) لسليمان بن عمر، ونقل الفوائد (في ظلال القرآن) لسيد قطب، ثم منذ حقبة من الزمن لم يصنف أحد النيجيريين تفسيراً على هذا المنوال الذي صنف الفودويون تفاسيرهم في الثمانينات؛ فجاء الشيخ أبوبكر جومي فصنف تفسيراً على نمط عبد الله بعنوان (رد الأذهان إلى معاني القرآن).<sup>١</sup> وخلاصة القول إن الشيخ جومي في تفسيره، قد التزم بمنهج المتقدمين الذين جمعوا بين التفسير بالمأثور والمعقول وهو ما يسمى بالتفسير الأثري والنظري؛ مما تقدم أيضاً نفهم من هذا التفسير ظهور سمات وملامح فقهية وعقلية وغيرها فقد أصبح مرجعاً يحتاج إليها.<sup>٢</sup>

٢- تقدم الإشارة إلى تفسير عبد الله من تسميته، وسبب تأليفه، وأصافه، ومحتوياته، وطباعته. وأشار صاحبه في مقدمة كتابه كفاية ضعفاء السودان فقال: لما منَّ الله علي بإكمال تفسير (ضياء التأويل في معاني التنزيل) ومضى عليه ثلاث سنوات ونيف في كتابته تقريباً.<sup>٣</sup>

وطبع في سنة: (١٣٨٠هـ)، والموافق سنة لـ (١٩٦١م)، بتقدم الشيخ جومي نائب قاضي قضاة نيجيريا، أربعة أجزاء متوسطة وعدد الصفحات كل جزء ما بين ٢١٥ إلى ٢٢٥ صفحة، ومنه طبعت عدة مرات مصورة بدون تحقيق، والحال أن هذه الكتاب في أشد الحاجة إلى العمل مرة أخرى. وهو أول كتاب كتبه أحد علماء نيجيريا في غرب السودان واهتم به كثير من أهلها، وعكفوا على تعلّمه والنظر فيه للاستفادة والإفادة.

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ١.

<sup>٢</sup> - البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي، ج ١، ص ٤٥.

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٢٠٢.

كان منهجه في استقلالية السنة والتشريع في استنباط الأحكام الفقهية والعقدية والأخلاقية من خلال الآيات القرآنية، وتفسيره حافلا ببيان القراءات السبع ومذاهب الأئمة الأربعة في الفروع، وبيان العربية والبلاغة والأصول، وترتيب الغزوات، وغير ذلك مما لا يعرفه إلا من طالعه مستحضرا لما فيه؛ فضعف عنه لذلك الضعفاء، وصرفت المهمة إلى تلخيصه لهم مبنيا على خط المغاربة بمعنى الرسم المغربي، بأنه تفسير جليل، وسهل دقيق، وسط الحجم، وجامع بين المأثور والمعقول؛ ولكن الأخير أكثر تناول لوجوه الإعراب متضمن لدقائق علوم البلاغة واللغة ومرشح بأقوال أهل السنة والجماعة، والرد على أباطيل أهل البدع والضلالة، ولم يوسع في القصص والعلوم الكونية؛ ولكن سرد كثيرا من سيرة الرسول ﷺ وغزواته، وأطنب في توجيه المناسبات بين السور والآيات وتكررها، وليس تفسيره هذا بالطويل الملل ولا بالتقصير المخل.<sup>١</sup>

### ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في جانب منهج التأليف تبعاً لمن سبقوهم من المفسرين المتقدمين، في الأسلوب من التشبه وذكر الفوائد المستنبطة من الآيات القرآنية، وأحاديث النبي ﷺ مختصرا الحجم، وسهل للفظ، والتناول على طلاب العلم، ولكن اختلفا في سبب التأليف، وأصنافه ومحتوياته، وتاريخ كتابته، وتسميته وحجمه.

#### ثانياً: ذكرهما في تفسير بالمأثور

١- الشيخ أبو بكر محمود جومي في اهتمامه، وعنايته بالتفسير المأثور من تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة، أو تفسير القرآن بآثار السلف من الصحابة والتابعين، من تفسير الآية بنظيرها من ودفع إشكال، وتبيين مجمل وعام وخص وتقييد ومطلق، وإزالة إشكال، وإيضاح معنى الكلمة، ولشرح آيات آخر، وتفسير القرآن بالأحاديث الصحيحة، وتوضيح المسائل الفقهية والعقدية، وتوضيح كلمة من الآية، أو إزالة إشكال وشرح الأحاديث؛ فإن الشيخ جومي يورد الأحاديث فلا يسند إلى مخرجها، إلا ما في الصحيحين غالباً، ولا يحكم على أحاديث أصحاب السنن والمسانيد غالباً، وكثيراً ما يورد الأحاديث بالمعنى. أما تفسير القرآن بآثار السلف، بأقوال الصحابة والتابعين فهو كثير

<sup>١</sup> - تقدم بيانه في الفصل الثالث من البحث ص ١٠٩.

جداً، ما يذكر في الآيات أقوال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم ومن التابعين: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، ومجاهد، وعكرمة، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، والزهري، وغيرهم.<sup>١</sup>

٢- هكذا الشيخ عبد الله بن فودي، إضافة إلى ما تقدم، يهتم بإسناد الأحاديث سواء أكانت في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد والحكم عليه من صحة أم يضعف ويشرح الأحاديث شرحاً وافياً مع تجريحه وتعديله، كموسوعة أحاديث الرسول ﷺ في تفسيره؛ أما تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين لم يكن الشيخ عبد الله بن فودي مكثراً في نقل أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره كما أفاض في الأحاديث، واللغة والقراءات والفروع الفقهية؛ فقد راجعت فيه فلم أجد من أسماء الصحابة غير عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن التابعين ذكر مجاهد، وأبا العالية، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسفيان بن عيينة، وتعاله بالأحاديث بمعنى الكلمة من الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع. وتندر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في تفسيره.<sup>٢</sup>

### ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في الاهتمام والعناية بالتفسير بالمأثور وتجنباً لتفسير بالرأي المذموم، في استدلال الآيات القرآنية بآيات أخرى، وتوضيح، وبيان شرح معنى الأحاديث بالآية والمفردات بالكلمة وتعريفها، وتعاملاً مع الأحاديث في جميع جوانب التفسير، والخلاف بينهما في التفاوت والتوسع. على أن الشيخ جومي أكثر عناية بجانب تفسير القرآن بالقرآن، والشيخ عبد الله أكثر عناية بجانب تفسير القرآن بالسنة، أو بالأحاديث واستخراج الفوائد المستنبطة من القرآن والسنة؛ وكل له حظ وافر في تفسيره.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - تقدم في الفصل الثالث من البحث ص ١٣١.

<sup>٢</sup> - تقدم في الفصل الثالث من البحث ص ١٦٢.

<sup>٣</sup> - انظر: زبير أبو بكر ماداواكي رسالة الدكتوراة بعنوان: الشيخ عبد الله منهج في تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل تعامل مع الأحاديث النبوي الشريف سورة البقرة نموذجاً ص ١٦٢.

### ثالثاً: في ذكرهما المسائل العقدية

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي ركز اهتمامه وعنايته على الجانب العقدي بالأخص في التوحيد والأسماء والصفات وما يتعلق بصفة علو الله على خلقه، وغيره من الصفات تقدم بيان ذلك. لقد ذهب الشيخ إلى منهج أهل السنة والجماعة بلا تأويل<sup>١</sup> ولا تشبيه ولا تكيف ولا تمثيل، وبالتأويل بالآيات، ثم برده شيء بسيط على بعض مخالفه من الصوفية<sup>٢</sup> الغلاة في أن مقام الولاية أفضل من مقام النبوة<sup>٣</sup>.

٢- أما الشيخ عبد الله وكان اهتمامه وعنايته في الجانب العقدي أوسع من ذلك، وناقش كثيراً من الموضوعات العقدية في الإيمان من زيادته ونقصانه. وفيما يتعلق بالتوحيد والأسماء والصفات مع بعض الأمثلة منها، وسلك مسلك أهل السنة والجماعة في المسائل العقدية، ورد على الفرق الكلامية الضالة من المعتزلة في أصولهم الخمسة، والمرجئة، والفلاسفة في إنكارهم بعث الأجساد، والنصارى والصوفية الغلاة، من حقيقة أن الجنة والنار مخلوقتان قبل قيام الساعة، ومن عذاب القبر، ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وبيان كرامات الأولياء، وغيرها من المسائل العقدية.

### ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في المسائل العقدية، وكلاهما أفاض فيما يتعلق بالتوحيد والربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ أما ما يتعلق بآيات الصفات كمنهج الأكثرين من المفسرين في إثبات الصفة لله تعالى ما يوهم في ظاهره - كما ذهب إليه أصحاب هذا القول تشبيه الله تعالى بخلقه، أولوها بإرادة تنزيه الله عن صفات المخلوقات؛ أما مذهب السلف رحمه الله أنهم لا

١- التأويل: في الأصل الترجيع وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً في المصدر السابق، علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، ج ١، ص ٥١.

٢- تقدمت الإشارة إليها على أن العلماء اختلفوا في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة في الفصل الثالث ص

٣- وتقدم تخريجه في فصل الثالث ص

٤- المعتزلة هي فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، تقدم ذكرها في الفصل الثالث في السابق، مانع بن حماد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج ١، ص ٢٦.

٥- المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٤٧.



يؤولون، ويمرونها كما جاءت، في النصوص، ويشبتون لله ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه ما نفى عن نفسه، من غير تشبيه، ولا تأويل، لكن الشيخين لم يكن في كل آيات الصفات مؤولين، ولكنهما ذكرا قول المؤولين وأحياناً يذكرا قول المؤولين. ويختلف الشيخان، أن الشيخ جومي أقل تعرضاً في المسألة العقدية في تفسيره؛ أما الشيخ عبدالله أكثر تعرضاً وتوسعاً فيها ورد على الفرق الكلامية من المعتزلة والمرجئة والفلاسفة وغيرهم في المسألة العقدية.<sup>١</sup>

#### رابعاً: في ذكرهما لمسائل الفقه وأصوله

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي في اهتمامه بذكر مسائل فروع الفقه بعد أن تعرض لمسائل حكم الرضاعة والجنائيات وغيرها من الأحكام الفقهية الفروعية، ويذكر أقوال علماء المذهب ويرجح ما يراه راجحاً، بلا تعصب؛ ولكن غالباً يرحج أقوال الجمهور والمشهور من مذهب مالك رحمه الله.

٢- هكذا الشيخ عبد الله في اهتمامه وعنايته بجانب الفقه وأصوله كثيرة وتوسع فيها، وتعرض للمصطلحات الشرعية الأصولية، من تعريفاتها وبسط القول في مسائل فروع الفقه، وآراء العلماء مع الحجج والبراهين، وجملة الموضوعات الفرعية التي تناول بها العبادات والمعاملات والسياسة الشرعية، واستخرج قواعد أصولية من خلال تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام، وتناول الفروع الفقهية، ويرجح مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

#### ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في المسائل الفقهية من العبادات والمعاملات والسياسية، وكلهما أفاض بالفقه وفروعه؛ لكن الشيخ عبد الله وسع في مسائل الفقه وأصوله، وتعرض لكثير من المسائل، وذكر كثيراً من قواعد الفقه وأصوله وتعريفات وبذكر أقوال العلماء والمذهب بترجيح أقوال الجمهور مع ترجيح مشهور مذهب مالك بن أنس رحمه الله؛ أما الشيخ جومي فأقل منه ولم يتعرض في للمسائل الأصولية والفقهية.

<sup>١</sup> - تقدم تحريرها في الفصل الثالث، في السابق، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج ١؛ ص ٢٥٢، ومحمد بن علاء

الدين، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، ج ٢، ص ٢٣٤.

### خامساً: في ذكرهما لمسائل اللغة وفروعها

- ١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي إهتم للمسائل اللغوية، من معاني المفردات، وعلم اللغة وفروعها من النحو والإعراب، هو لكامل بإبراز أسرار الجميع بما يتضلع منه الرضيع، لم يذكر كثيراً في تفسيره مسائل اللغة وفروعها مثلما أفاض الشيخ عبد الله.<sup>١</sup>
- ٢- هكذا الشيخ عبد الله بن فودي اعتمد واعتنى باللغة وركز وتوسّع فيها من النحو والبلاغة والصرف والشعر، وعنايته أيضاً بالإعراب وعلوم اللغة العربية قد شكّلت حيزاً كبيراً في حياة الشيخ عبد الله العلمية؛ فظهر ذلك في إنتاجاته، فكان تفسيره روضاً من رياض النحو والصرف، والبلاغة من علم المعاني والبيان والبدیع، وعلم الاشتقاق وبيان الإعراب، والأمثال، وشرح معاني المفردات. وكانت طريقته في إيراد ذلك في التفسير الذي بين أيدينا هي الاختصار؛ وأما في الضياء قد بسط القول وعنايته كانت كبيرة في ذلك.<sup>٢</sup>
- ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في التعامل مع المسائل اللغة وفروعها وكلاهما أفاض في اللغة وفروعها؛ لكن الشيخ جومي أقل تناولاً من الشيخ عبد الله، لم يتعرض كثيراً لمسائل اللغة وعلومه، أما الشيخ عبد الله فتوسّع في علوم اللغة العربية، من النحو والبلاغة والصرف والشعر، والإعراب، فكان تفسيره روضاً من رياض النحو والتصريف، وعلم البلاغة من المعاني والبيان والبدیع، وعلم الاشتقاق وبيان الإعراب، والأمثال، وشرح معاني المفردات. وكأن تفسيره كموسوعة اللغة، لأن أهل اللغة يعتمدون عليه كثيراً من أهل المنطقة، وإن الشريعة لما كان مصدرها من لسان العرب وكان العمل بموجبه لا يصلح إلا بأحكام الشريعة والعلم بمقدمته.<sup>٣</sup>

### سادساً: ذكرهما في مسائل القراءات وتوجيهها

- ١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي في عنايته بذكر القراءات التي استخدمها في تفسيره؛ لأن القراءات من الوسائل المهمة التي ينبغي معرفتها لمن يرغب في تفسير القرآن، والقراءات لها فوائد منها بيان إعجاز القرآن في إيجاز حكم من الأحكام الفقهية أو

<sup>١</sup> - في المصدر السابق، علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ج ١، ص ٤٩٦.

<sup>٢</sup> - تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٦٤.

<sup>٣</sup> - تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٧٢.

اللغوية وغيرهما؛ ولكن مع ذلك يقلّ في تفسيره وليست كما في ضياء التأويل، ويذكر القراءات لكن لا ينسبها إلى قارئها أو قائلها، ويقول قرئ كذا وكذا، وغالبا يوجّه بها التوجيه اللغوي.<sup>١</sup>

٢- هكذا الشيخ عبدالله اعتنى واهتم في تفسيره بالقراءات القرآنية، وأن منهجه وما اشترطه على نفسه من التنبيه على القراءات المشهورة، والتزم منها علميا مضبوطا في ذلك؛ فكان لا يمرّ عند تفسيره بآية فيها اختلاف القراءات السبعية إلا نبّه عليه، وأسند كل قراءة إلى أصحابها، بدءا بقراءة ورش عن نافع رواية عنه إلى آخر القراء السبعة المعروفة؛ لأنها القراءة السائدة، فيفسّر الآية على ضوئها، فيشرحها ويوجّه معنى كل قراءة مع الدلالة على أثر ذلك في تفسيره؛ ممّا يُسهّل فهم معنى الآية لدى القارئ، وهكذا منهجه في تفسيره.<sup>٢</sup>

٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في تعاملهما بالقراءات القرآنية وتوجيهها وكلاهما أفاض في القراءات؛ لأنها تؤثر في اللغة وتساعد على فهم الآيات القرآنية من جميع الجوانب، من اللغة والفقه، والعقيدة، بل تشمل الكل، ومن بينهما في مسألة القراءات أن الشيخ عبد الله أكثر ذكرا وتوسعا في إيراد القراءات ويسندها إلى قارئها واكتفى بالقراءة السبعية عن طريق حرز الأمان، ووجه التهاني المعروف بالشاطبية، والشيخ جومي أقل ذكرا للقراءات القرآنية في تفسيره ولا يسند إلى أصحابها، بالمقابل إلى الشيخ عبد الله في تفسيره.<sup>٣</sup>

#### سابعا: ذكرهما لأسباب نزول الآية

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي في عنايته بأسباب النزول الآية، أنه يذكر أسباب النزول، في تفسيره لكن يقلّ ورودها، وله طريقتين: خاص يخصّيه في إيراد سبب نزول الآية من تفسيره، طريقاً يذكرها في هامش الكتاب، وهي أكثر وروداً في ثلاثة السور من البقرة،

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، في الفصل الثالث ص ١٠٣.

<sup>٢</sup> - وتوجيهها كما تقدم الأمثلة في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾،<sup>٢</sup> وهي عبارة عن قراءتين وبالكسر والفتح الآم ومضمون تفسيرها، لأنه لا ملك ظاهرا فيه لأحدٍ إلا الله تعالى، فمعنى آخر مالك الأمر كله في يوم القيامة، أي هو موصوف بذلك دائما، تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٠٣.

<sup>٣</sup> - تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٠٣.

وآل عمران، والنساء، طريقا آخر وموزعة على بقية السور يذكرها في أثناء التفسير كما تقدم، وفيما يتعلق بأسباب النزول الآية<sup>١</sup>.

- ٢- هكذا الشيخ عبد الله كان اهتمامه حول ذكر أسباب النزول يعين على فهم القرآن، ويوضح مغزى كلام الله تعالى. ولأهميتها فقد اعتنى بها الشيخ عبد الله بن فودي وأوردها في تفسيره. سواء كانت من قبيل المرفوع إلى النبي ﷺ أو من أقوال المفسرين، وقد يكون للآية الواحدة أكثر من سبب، ففي هذه الحال أيضا يحاول الشيخ عبد الله إيراد جميع ما قيل في سبب نزولها، كما أنه يعتني ببيان ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية.
- ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في التعامل بأسباب نزول الآية، وكلاهما أفاض في هذا الجانب. إن معرفة أسباب النزول من الأمور المساعدة لفهم كلام الله تعالى؛ ولذا نجد علماء التفسير وجَّهوا له واهتموا به اهتماما كبيرا. والشيخ جومي أقل إراوداً لأسباب النزول عن الشيخ عبد الله أكثر إراوداً وتوسع فيها وميَّز بين الروايات الصحيحة، والضعيفة في تفسيره<sup>٢</sup>.

#### ثامنا: ذكرهما في الناسخ والمنسوخ

- ١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي أوَّلَى عنايته واهتمامه بذكر الناسخ والمنسوخ<sup>٣</sup> من الآيات القرآنية، في تفسيره كما تقدم على أن النسخ يقع وصورته المختلفة بعد تفرغنا إياه، وأوردنا الأدلة في المسألة؛ لكن لم يتعرض وكثيرا في تفسيره لذلك مثلما أفاض الشيخ عبد الله ووسع فيه<sup>٤</sup>.
- ٢- أما الشيخ عبد الله فكان اعتماده وعنايته في النسخ (الناسخ والمنسوخ) وموقفه من نسخ القرآن بالقرآن أو النسخ القرآن بالسنة، وبيان جواز نسخ السنة بالقرآن، والنسخ جائز عقلا وشرعا؛ لأنه لا يلزم عنه محال ولا تتغير صفة من صفة الله تعالى، وهو الذي أنزل

<sup>١</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٧٢٤.

<sup>٢</sup> - تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٦٥.

<sup>٣</sup> - وقد تقدم في بيان عن النسخ لغة واصطلاحا بالأدلة، وأقسامه، وحالاته، وبشرط أن يكون سندا متصلا إلى النبي ﷺ في المصدر السابق، محمد الأمين بن محمد المختار، مذكرة في أصول الفقه، ج ١، ص ٨٠.

<sup>٤</sup> - تق مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَا نُنَسِّخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ و﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ سورتي البقرة الآية: (١٠٦)، والنحل الآية: (١٠٠).

الأحكام وله أن ينسخ ما يشاء منها حسب ما تقتضيه مصلحة العباد وهو لطيف بهم وهو الفاعل المختار.<sup>١</sup>

٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في تعاملهما بالناسخ والمنسوخ في القرآن، وكلاهما أفاض في تفسيره، لا يقل أهمية عن علم أسباب النزول، وذلك لأنه أدخل فيه كثير من الآيات، وقيل بنسخها، والحقيقة أنها غير منسوخة، وتتركز الأشياء الدخيلة فيه؛ لكن الشيخ جومي لم يورد كثيرا في تفسيره، مسألة النسخ؛ أما الشيخ عبد الله فقد أفاض في الناسخ والمنسوخ في القرآن، والآيات المنسوخة الأخص في نظره، وأكثر فالأكثر ورد على بعض الذين ينكرون النسخ الحديث النبوي الشريف للقرآن، وتعقيبات عليهم.<sup>٢</sup>

تاسعا: ذكرهما للقصص والإسرائيليات

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي أولى اعتماده وعنايته بالصحيح من القصص والإسرائيليات، وتجنبه القصص والإسرائيليات التي ألصقت بالأنبياء مما يخالف الشرع، والخرافات والقصص، الضعيفة<sup>٣</sup> والموضوعة. تعرض لبعض المسائل فمثلا؛ هاروت وماروت في سورة البقرة، وقصة أصحاب الكهف وحديث الإقك في سورة النور وفي غزوة بني المصطلق في سورة المنافقين وغيرها من القصص التي ذكرها في تفسيره، فعلا أنه تجنب القصص والخرافات في التفسير وهذا أحد أسباب تأليف تفسيره وهنا أمثلة.

وقد اتفق المسلمون على أن حكم الرسل من الملائكة حكم المرسلين من البشر في العصمة في باب البلاغ عن الله تعالى، وهذه القصص أخذت من اليهود، وقد علم افتراءهم على الله، وبعضهم للملائكة والأنبياء ومن هذه الحكايات الباطلة التي نقدها، ما قيل عن داود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا

<sup>١</sup> - تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٠٧.

<sup>٢</sup> - تقدم ذكرها مع الأمثلة في الفصل الثالث ص ١٠٧.

<sup>٣</sup> - والضعيف: ما خلا عن شروط الصحيح والحسن، كما تقدم. في المصدر السابق، محمد بن صالح العثيمين، مصطلح

الحديث، ج ١، ص ١٤.

هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ<sup>١</sup>. يقول الشيخ أبو بكر: "فهذا دليل على أن المخطئ يثاب إذا فهم خطأه وأصلحه بالإدراك أو بالتوبة إذا فات، ويثاب مرة ثانية ويترقى بذلك على ما كان عليه فضلاً منه تعالى ورحمة، هذا ما يجب اعتقاده ويترك ما سواه من الإسرائيليات"<sup>٢</sup>.

وهكذا صرف همته عن ذكر ما ورد من قصة صخر المار مع سليمان، وقصة الغرائق وما قيل عن قميص يوسف عليه السلام وعن قصة عوج بن عنق وما ذكر عن ثعلبة بن حاطب في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>٣</sup>، قال: وأما القول بأنها نزلت في ثعلبة بن حاطب فغير صحيح ثعلبة صحابي جليل شهد بدراً، كما أن النهي القرآني الوارد بالجمع يدفعه ويرده<sup>٤</sup>. وذكر أيضاً بعض الإسرائيليات ولم يعقب عليها فمثال ذلك قوله تعالى ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾<sup>٥</sup>، قال روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر<sup>٦</sup>، وهكذا كانت القصص مختصرة في تفسيره.

٢- هكذا الشيخ عبد الله بن فودي فقد اعتنى اعتناء تسلسلياً بالقصص القرآنية إن كانت الآيات في آن واحد ويتخلل بينها بإيراد ما يلصق بعضها ببعض مع عدم الإطالة والحشوة، ويذكر الحكمة والدروس المستفادة من جولة قصة، وأما إن كانت زيادة إسرائيلية فإنه يعقبها أحياناً ببيان وجه الترجيح أو الصحة، وتناول فيه قصة سليمان عليه السلام وعوج بن

<sup>١</sup> - سورة ص الآية: (٢٤).

<sup>٢</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ٢، ص ٦٠١.

<sup>٣</sup> - سورة التوبة الآية: (٧٥).

<sup>٤</sup> - كما تقدم هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الأنصاري البصري من سادة الصحابة وشهد بدراً وبيعة العقبة. في المصادر السابق، محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٧٥.

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٢٥٤.

<sup>٦</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٤٨).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٥١، قلت وهذه من الإسرائيليات، لأن هذا العدد لم يرد في القرآن ولا في السنة، وتفهم من الآية الذين شربوا كانوا أكثر من الذين لم يشربوا.

عنق، والغرائق، وهاروت وماروت، ويأجوج ومأجوج، وعدد سحرة فرعون، ويوسف عليه السلام وعيسى عليه السلام وقصة عوج بن عنق، كما مرّ بنا.<sup>١</sup>

### ٣- وجه المقارنة

يتفق الشيخ أبوبكر جومي مع الشيخ عبد الله في تفسيره؛ الاعتماد على الصحيح من القصص الإسرائيلية في الغالب، وخاصة الشيخ أبابكر أشار في مقدمة تفسيره أنه لا يشير إلى الإسرائيليات التي نسبت إلى خير خلق الله الأنبياء والملائكة والصالحين مثلما ورد قصة هاروت وماروت؛ أما الشيخ عبد الله فما أورد شيئاً منها إلا لنقدها، ونقده أحياناً يكون بلهجة شديدة كقوله في حق المفسرين الذين يذكرون غرائب القصص، والإسرائيليات. وعلى العموم فإن أبا بكر جومي أضبط من عبد الله بن فودي في التحري عن الروايات الإسرائيلية.<sup>٢</sup>

### عاشرا: منهجه في التفسير الإشاري<sup>٣</sup>

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي له بعض الإشارات الصوفية؛ لكن بخلاف الشيخ عبد الله بن فودي الذي ولع بذكر أقوالهم وإشاراتهم، وأمثلة في ذلك كثيرة في تفسيره أذكر بعض ما ودر من قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَيْنُ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، قال الشيخ أبوبكر جومي: "قد قسم بعضهم مقامات العبودية إلى ثلاثة أقسام، فمن عبد الله خوفاً من ناره أَمَنَهُ الله مما يخاف وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، ومن عبد الله شوقاً إلى جنته أناله ما يرجو وإليه الإشارة بقوله تعالى (ورحمة)؛ لأن الرحمة من أسماء الجنة ومن أبدى الله شوقاً إلى وجهه الكريم لا يريد غيره؛ فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق في دار كرامته وإليه الإشارة بقوله تعالى: (لإلى الله تحشرون)، قال: وإن كان فيه

<sup>١</sup> - تقدم ذكر الأمثلة مع الأدلة في الفصل الثالث ص ١٦٦ - ١٦٩.

<sup>٢</sup> - تقدم ذكر الأمثلة مع الأدلة في الفصل الثالث ص ١٧٦.

<sup>٣</sup> - تقدم بيان تفسير الإشاري لغة واصطلاح العلماء، فيهمته بالتفسير الإشاري في تفسيره كثيراً ما يتناول بالروحانية الصوفية، في التربية النفس وتركبتها، في الفصل الثالث ١٨٢.

<sup>٤</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٥٧-١٥٨).

وجه تفسير قيمة لكنه خروج عن تفسيره ﷺ في الحديث الذي رواه عمر رضي الله عنه "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"،<sup>١</sup>

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٢</sup>، حيث يقول فالعبادة لا بد لها من الثلاثة جميعاً خوفاً عذاب الله ورجاء رحمته وشوق إليه أي انقياد إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه؛ وإلا فليست بعبادة منجية والله أعلم.<sup>٣</sup>

فقلتُ قول الشيخ جومي فيه نظر لأن الآية تحذير للمؤمنين حتى لا يكونوا مثل المنافقين في تنفير الناس عن الجهاد في سبيل الله وهذا في قولهم ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾<sup>٤</sup>، فإن الله هو المحيي والمميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وإن أقام بيته عند أهله، فلا تقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج إلى الجهاد لا تخرج فتُقتل، فأخبر الله تعالى أنه إذا تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فإما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا، وإذا متم لإلى الله تحشرون.<sup>٥</sup>

والعبادة لا بد من جمع الأمرين الخوف والرغبة؛ الخوف من عذاب الله وعقابه، والرغبة فيما عنده من النعم والجنة، وعلى هذا أثنى الله تعالى على الأنبياء بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾<sup>٦</sup>. قال ابن كثير فيما رواه عن ابن أبي حاتم عن الله بن حكم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه، ثم قال: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وتتنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرغبة، وتجمعوا الإلاح بالمسألة، فإن الله عزوجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فذكر الآية.<sup>٧</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، ج ١، ص ١٨.

<sup>٢</sup> - سورة الأعراف الآية: (٥٦).

<sup>٣</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٨٩، وهكذا كانت عبارة الشيخ جومي، والأولى أن يقال وإن كان وجهها في التفسير قيمة لكنه خروج عن تفسيره ﷺ.

<sup>٤</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٥٨).

<sup>٥</sup> - انظر: على بن محمد بن إبراهيم، البغدادى الخازن، لباب التأويل للخازن المعروف بتفسير الخازن، ج ١، ص ٣١.

<sup>٦</sup> - سورة الأنبياء الآية: (٩٠).

<sup>٧</sup> - في السابق، عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٥٩.



٢- أما الشيخ عبد الله عند ما تتبعته في تفسيره وجمعت هذه الأمثلة نماذج مما ذكر من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>١</sup>. قال الشيخ عبد الله: "والآية دليل على أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة عنده إنما يكون بعد رفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات، وأن النصر يأتي بعد اليأس والاستبعاد"<sup>٢</sup>.

في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله: ينقل عن الحلبي: "الحلم هو الذي لا يحبس أفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا أن يدعوه أو يشكره كما يقيه المطيع الذي يدعو ويسأل"<sup>٤</sup>.

ما ذكره في قصة إبراهيم أيضا لما سأل ربه عن كيفية إحياء الموتى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾<sup>٥</sup>، قال الشيخ عبد الله: "والآية دليل على أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فليقتلها بالرياضيات حتى تفكر وتطاوله سريعا إلى داعية العقل أو الشرع، وفي إثارة هذه الطيور إشارة للسالك إنما يصل إذا أمت حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاووس، وصوله الغضب والترفع هي صفة الديك، وخسة النفس بالميل إلى الخيف التي هي الدنيا وكثرة الخيلاء التي هي صفة الغراب، والمصارعة إلى الهوى التي هي صفة الحمام"<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (٢١٤).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٨١.

<sup>٣</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٢٥).

<sup>٤</sup> - الحلبي هو محمد بن أسعد بن محمد ولد سنة (٤٨٤هـ) واعظ من فقهاء الأحناف عراقي و(ت ٥٨٧هـ) في بغداد وسكن دمشق وكان ضعيفا لدينه كاذبا، وله تفسير في القرآن وشرح المقامات الحريية، وانظر: عبد القادر بن أبي الجواهر المصنعة، الوفاء ج ٢، ص ٣٢-٣٣.

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٨٩.

<sup>٦</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٦٠).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ١٠٥.

وما قاله حين تحدث عن التفكير وثماره في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ عبد الله: "إذا فكر الإنسان في أصغر ورقة من الشجر وإن عرقا واحدا يجد وسطه ممتدا يتشعب منه عروق كثيرة إلى الجانبين ثم يتشعب من كل عرق عروق دقيقة، ولا يزال كذلك حتى لا يراه الحس فيعلم أن الخالق خلق فيها قوي جارية لغذائها من قعر الأرض يتوزع في كل جزء من أجزائها بتقدير العليم الحكيم. فإذا تأمل ذلك علم عجزه عن الوقوف على كيفية خلقها وما فيها من العجائب؛ فالفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية".<sup>٢</sup>

ومن كلامه عن الذكر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>٣</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفي ذكر الثلاثة أي اصبروا وصابروا وربطوا إشارة إلى المراتب الثلاثة المعبر عنها بالسرعة والريقة والحقيقة، كأنه قال اصبروا على مشاق الطاعة ومجاهدة النفس في نقض المألوفات ومرابطة السر على جناب القدس لترصد الواردات".<sup>٤</sup>

### ٣- وجه المقارنة

اتفق الشيخان في التفسير الإشاري؛ إلا أن الشيخ جومي أشار في تفسيره ناقدا لها؛ أما الشيخ عبد الله فقد استخدم التفسير الإشاري الصوفي في تفسيره مرتباً ومسللاً من أول القرآن إلى آخر الناس. إذا نظرنا بعين الاعتبار أو البصيرة والإنصاف، نرى أن التفسير الإشاري لابن فودي تفسير رائع يرقق القلوب ويلفت العقول إلى ما هو خير وزلف، وهذه من سمات التفاسير الإشارية؛ فالشيخ عبد الله إنما أشار إلى مثل هذه التفاسير في

<sup>١</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٩٠).

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٥٩، نقلاً عن القشيري، وانظر: لطائف الإشارات تفسير الصوفي كامل للقرآن الكريم للقشيري، ج ١، ص ٣٠٦.

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران الآية: (٢٠٠).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ١٦١، معنى الآية أي اصبروا على تحمل مشاق فعل الطاعات ومخالفة النفس هواها من ملذات الدنيا ومتاعها وشهواتها وعليكم التزام التقوى والإيمان حتى تغتنموا الأجر والثواب من الله تعالى.

المواضع الالائقة لاحتياج بعض السالكين النيجيرين لها، ولم يكثر منذ لك كما فعل الرازي وغيره؛ لأنه لم يكن الهدف الأساسي من كتابة تفسيره هذا؛ وإنما اقتضته الفرصة لذلك.

University of Malaya

## حادي عشر: ذكرهما لمناسبات ربط بين الآيات والسور

١- لم يكن الشيخ أبوبكر جومي معروفاً بالمناسبات في تفسيره، فهي ربط الآيات بين السور.

وعند ما تتبعته تفسيره، فقد وجدت منها؛ لكن يندر ذلك جدا ولا يعرف إلا المدقق والمتأمل فيه، هناك أمثلة في تفسيره بسورة النساء "بدأت سورة النساء بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وختمت السورة بقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>١</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>٢</sup>؛ ففيها ما يحفظ للأمة كيائها وقوامها ويرفعها على من سواها؛ فالسورة اشتمل أولها على كمال تنزه الله وسعة قدرته، وآخرها اشتمل على بيان كما العلم. وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة، وبهما يجب أن يكون العبد منقادا للتكاليف<sup>٣</sup>.

٢- أما الشيخ عبد الله بن فودي فقد تناول كثيراً من الآيات في المناسبات، ربط بين الآيات والسور في تفسيره، واعتنى بها مرتبة ومثال ذكره عند **اختتامه** تفسير سورة البقرة، فقال "فقد اختتمت السورة المباركة التي هي سنام القرآن بما بدأت به من ذكر أولياء الله الذين آمنوا به وأطاعوه"<sup>٤</sup>.

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>٥</sup>، قال: "واعلم أن هذه القصص لبني إسرائيل لما سيقوا في البقرة لتذكير النعم ناسب القول في ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ إلى الله تعالى وناسب ذكر ﴿رَغَدًا﴾ و﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ لأنه أبلغ من ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ وتقدم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ و﴿نَعْفِرْ لَكُمْ﴾ و﴿خَطَايَاكُمْ﴾ لأنه جمع كثرة والواو في ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ الدالة على الجمع بينهما والفاء في ﴿فَكُلُوا﴾ لأنه يعلم تعقبه بالدخول بخلاف آيات الأعراف فإنها لما افتتحت بالتوبيخ في ﴿اجْعَلْ لَنَا﴾ وناسب ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ وترك ﴿رَغَدًا﴾ والسكنى تجامع الأكل ولذا قال ﴿فَكُلُوا﴾ وناسب ترك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾ ولما تقدم تبعض الهادين في

١- سورة النساء الآية: (١-١٧٦).

٢- سورة البقرة الآية: (٢٨٢).

٣- في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ١٣٤.

٤- في السابق، عبد الله بن فودي، الفرائد الجلية، ص ٢٣-٣٧.

٥- سورة البقرة الآية: (٦٠).

قوله ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ ناسب تبعض الظالمين بقوله ﴿مِنْهُمْ﴾ وناسب ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ لأن الإرسال أشد من الإنزال، وناسب ﴿يُظْلِمُونَ﴾ لأن الظلم يلزم منه الفسق، والفسق لا يلزم منه الظلم؛ فاعتبر مناسبات القرآن والله يفتح لمن يشاء.<sup>١</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.<sup>٢</sup> قال الشيخ عبد الله: وقد تقدم تفصيل الاستدلال في البقرة وأطب هناك؛ لأن الكلام مع عبدة الأصنام، وأوجز هنا لأن الكلام مع الأخبار؛ ولذلك فصل تلك يبعثون وهذه بأولي الأبواب تعريضا للأخبار. قال نقلا عن الرازي "وأعلم أن المقصود من هذا الكتاب جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق في معرفة الحق فكلما أطال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال وذكر الأدعية ولذا ختم آل عمران بهذه الآيات بنحو ما في سورة البقرة اختتمت سورة البقرة التي هي سنام القرآن بما بدأت به من ذكر أولياء الله الذين آمنوا به وأطاعوه والآيات من قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى آخر السورة".<sup>٣</sup>

وفي سورة الأنعام قال الشيخ عبد الله: "وافتح السورة بالحمد وختمها بالرحمة التي لا نعمة أجل منها؛ فانتظم آخرها بأولها غاية الانتظام وهو اللائق بكلام الملك العلام".<sup>٤</sup> وفي سورة النحل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، قال الشيخ عبد الله: "وفيه إشارة إلى أن من صبر وتجاوز محسن متفضل، وفيه ربط السورة بأولها لأن قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ في المعنى أمر بالصبر لحجاء الفرج".<sup>٥</sup> وهكذا استمر الأمر من أول القرآن إلى آخره ومرتباً ومسللاً.

### ٣ - وجه المقارنة

<sup>١</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣٣.

<sup>٢</sup> - سورة آل عمران الآية: (١٩٠).

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ج ١ ص ١٥٨، وكذا مفاتيح الغيب للرازي، ج ٣، ص ٤٥٨.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٠٦.

<sup>٥</sup> - سورة النحل الآية: (١) ربط بين أول آية من السورة وآخرها (١٢٨).

<sup>٦</sup> - المرجع السابق عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٢٤٤.

يختلف الشيخ عبد الله عن الشيخ جومي في الاعتماد بالمناسبات من ربط الآيات القرآنية وسورها كما تقدم، والشيخ عبد الله أكثر تناولا للموضوع والطالع في تفسيره (ضياء التأويل في معاني التنزيل) أفاض منها مرتباً ومسللاً، من سورة البقرة إلى آخر الناس. وهذا مما زاد تفسيره جمالاً، لأن ذكر المناسبات يعين على فهم المراد من الآيات، التي لا تعد ولا تحصى، ونقلنا عن الرازي صاحب مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الكبير. أما الشيخ جومي أقلّ تناولا لموضوع المناسبات في الربط بين الآيات والصور ولا يعرف عنه إلا المدقق فيها، وهذه أهم الموضوعات التي تناولت دراسة نموذجية مقارنة منهج التأليف والتفسير بين الشيخين من وجه الاتفاق والاختلاف والتمييز بين التفسيرين (رد الأذهان إلى معاني القرآن، وضياء التأويل في معاني التنزيل).

### المبحث الثاني: دراسة مقارنة منهجهما في التعامل مع التفسير

إن هذا المبحث لكون الحديث عن نموذجية الدراسة المقارنة بين المفسرين عن التفسير، بمعنى منهجهما في تناول للقضايا المختلفة عن الدراسات النموذجية المقارنة على وجه الاتفاق والاختلاف والانفراد، سواء أكانت في مختلف قضايا الدراسة عن التعامل بالنصوص، والعقائد، والعبادات، والآداب والأخلاق واستدلال بآرائه الشخصية.

#### أولاً: منهجه في التعامل بالنصوص

١- كان للشيخ جومي اهتمام في التعامل مع النصوص بجميع جوانبه، سواء فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور أو التفسير بالمعقول بمعنى الرأي المحمود من النص القرآني أو الحديث أو الآثار الصحيحة أو جانب اللغة وفروعها أو القراءات وتوجيهها، أو جانب البلاغة وتوضيح المفردات والكلمات والمشتقات، وكل العلوم وما يتوصل إلى فهم القرآن؛ من حيث الاستدلال بالآيات، ووجه الدلالة منها كما تقدم ذكرها.

أما تعامله بنصوص القرآن بمعنى تفسير القرآن بالقرآن، أو السنة أو الآثار الصحيحة، أو غيرها، مما يوضح ما أجهّم في نص آخر ويبين، ويهتم بالمأثور عموماً وتجنباً بالرأي المذموم خصوصاً، كما تقدم وضربنا الأمثلة في تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن بالآثار الصحيحة من الصحابة والتابعين بينا ذلك في الفصل الثالث في

الصفحة (١٣٧)، إضافة إلى ما تقدم من الأمثلة منها ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ أبوبكر جومي: لعل الأصل للترجي، وفي كلامه تعالى للتحقيق.<sup>٢</sup>

أ- في قوله تعالى: ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾<sup>٣</sup> وقال: كم الإستفهامية، ومن ذلك (حسب) حيث يقول من أخوات ظن تنصب مفعولين في تفسيره قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾<sup>٤</sup>، وهكذا مثال الهمزة للإنكار في تفسيره قوله تعالى: ﴿فَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ﴾<sup>٥</sup>، حيث قال الشيخ أبوبكر جومي: والاستفهام للإنكاري؛<sup>٦</sup>

ب- في باب البلاغة ذكر الشيخ جومي شيء منها: الاستعارة المكنية في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ﴾<sup>٧</sup>، حيث قال: وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البيئة المشبه بالبرق.<sup>٨</sup> والمجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>٩</sup>، حيث قال الشيخ أبوبكر جومي: إسناد الجري مجاز.<sup>١٠</sup> وهذه كلها جانب اللغة؛ أما ما يتعلق بتفسير القرآن بالسنة في تفسيره طريقة تفسير القرآن بالأحاديث وبآثار السلف الأمة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾<sup>١١</sup>، وقال في

١- سورة البقرة الآية: (٢١).

٢- في السابق، الشيخ أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣.

٣- سورة البقرة الآية: (٢١١)، المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٣.

٤- سورة البقرة الآية: (٢١٤)، المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٢.

٥- سورة آل عمران الآية: (٨٢)،

٦- المرجع نفسه، ج ١، ص ٧٦.

٧- سورة البقرة الآية: (١٩).

٨- المرجع نفسه، ج ١، ص ٥.

٩- سورة البقرة الآية: (٢٥).

١٠- المرجع نفسه، ج ١، ص ٦.

١١- سورة البقرة الآية: (٤٥).

الحديث "كان إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة"<sup>١</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>، وقد بين ﷺ فريضته بقوله (اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ) وقال رواه البيهقي<sup>٣</sup>، وحديث "أبدأ بما بدأ الله به" وقال رواه مسلم.<sup>٤</sup>

٢- كان الشيخ عبد الله بن فودي اهتماما بالتعامل مع النصوص في جميع جوانبه سواء كانت فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور أو التفسير بالمعقول بمعنى الرأي المحمود من نص القرآن أو الحديث أو الآثار الصحيحة أو جانب اللغة وفروعها أو القراءات وتوجيهها أو جانب البلاغة وتوضيح المفردات والكلمات والمشتقات، وكل العلوم التي يتوصل بها إلى فهم النص القرآن والتي تعين التفسير، من حيث الاستدلال بالآيات، ووجه الدلالة منها كما تقدم ذكرها.

أما تعامله بنصوص القرآن بمعنى تفسير القرآن بالقرآن، أو السنة أو الآثار الصحيحة، أو غيرها، مما يَضْحُ ما أُهْم في نص آخر ويبين، ويهتم بالمأثور عموما وتجنباً بالرأي المذموم خصوصاً، وضرربنا الأمثلة فيما تقدم في تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن بالآثار الصحيحة من الصحابة والتابعين بينا ذلك في الفصل الثالث في الصفحة (١٣٧) القرآن ويجمع الآيات ذات صلة واحدة، ويفسرهما تفسيراً موجزاً، وقد يكون هذا النظر حكاية حديثة وقعت لدى الأنبياء قبله ويذكر مثلها التي حدثت في زمنه ﷺ للعبارة وهناك أمثلة إضافة لما تقدم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾<sup>٥</sup>، وما أصاب المسلمين من جهد وشدائد في الأحزاب وغيرها خاطب الله النبي ﷺ بقوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

١- ولربما أو رد الحديث بالمعنى أما الصحيح، كَانَ ﷺ "إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى" وفي رواية أخرى "كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، الرواية الأولى عند حذيفة بن اليمان والثانية عند ابن عباس كلاهما؛ المصدر السابق، أحمد بن حنبل، مسند إمام أحمد، ج ٤، ص ٣٣.

٢- سورة البقر الآية: (١٥٨).

٣- في المصدر السابق، أحمد بن الحسين بن علي، الخراساني السنن الكبرى للبيهقي، ج ٥، ص ١٥٨.

٤- في السابق أبو بكر محمود جومي، ردا لأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣١، في السابق، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الحج، في باب حجة النبي ﷺ ج ٢، ص ٨٨.

٥- سورة الأحزاب الآية: (٢٢).



مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ<sup>١</sup>. ففي هذه الآية خاطب الله النبي ﷺ والمؤمنين ليشجعهم على الثبات في المحن والبلاء والأمراض والآلام، وأنه قد أصاب مثل هذا الأمم السابقة وسوف يشتد الأمر بإجماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم، فلما رأوهم وزلزلوا زلزالاً شديداً أيقنوا بالنصر والعاقبة وقالوا: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>٢</sup> وفيه دليل على أن الوصول إلى الله والفوز بالكرامة إنما يكون بالمحن وأن النصر يأتي بعد المصابرة والاجتهاد.<sup>٣</sup>

أ- تفسير القرآن بالقرآن من جمع الآيات ذات الصلة بموضوع واحد، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾<sup>٤</sup>، وقال الشيخ عبد الله: هي ليلة القدر أنزل فيها جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزل على الرسول ﷺ منجماً لقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾<sup>٥</sup>، وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>٦</sup>، وكون ليلة القدر في رمضان كاد يتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين والدنيا فيها، كنزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة، وقسمة النعمة وفصل الأفضية، وكفى بإنزال القرآن فيها بركة.<sup>٧</sup>

ب- تفسير القرآن بالقرآن على تقييد المطلق في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾<sup>٨</sup>، يذكر الله تعالى أن الناس إذا أصابتهم رحمة من الله وهي نعمة كالصحة وسعة الرزق فرحوا بذلك فرحاً بطراً، وإذا أصابتهم شدة بشؤم معاصيهم يئسسون من الرحمة بخلاف المؤمنين فهم شاكرون في السراء

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (٢١٤).

<sup>٢</sup> - سورة الأحزاب الآية: (٢٢).

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٨١ و ج ٣، ص ٢٣٧.

<sup>٤</sup> - سورة الدخان الآية: (٣).

<sup>٥</sup> - سورة القدر الآية: (١).

<sup>٦</sup> - سورة البقرة الآية: (١٨٥).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ٤، ص ٩٣.

<sup>٨</sup> - سورة الروم الآية: (٣٦).

والضراء؛ فقيد عموم الناس بقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾<sup>١</sup>.

ت - تفسير القرآن بالقرآن بيان الحكمة وإيضاح السبب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾<sup>٢</sup>، وقال: الشيخ عبد الله بن فودي القواعد جمع قاعدة وهي الأساس؛ فإن إبراهيم عليه السلام يبنى عليها ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، وقيل المراد رفع مكانة البيت وإظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس إلى حجة، فقد أوضح الحكمة في إرساء قاعدة البيت في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>٣</sup>.

ث - تفسير القرآن بالقرآن شرح الآية بآية أخرى في قوله تعالى ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>٤</sup>، ويقول الشيخ عبد الله ذكر هذا استيفاء لمعنى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾<sup>٥</sup>. وهذا رد من الله على الكفار عند ما قالوا إنه ما يتبع محمدا ﷺ إلا الفقراء، فكان الجواب على تقدير صحة ما قالوا هو قل لهم ليست مؤاخذا؛ بذلك فإن حسابهم لا يتعدى إليك وكذلك حسابك لا يتعدى إليهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾<sup>٦</sup>.

ج - تفسير القرآن بالقرآن إزالة الإبهام، فقد يكون تفسير القرآن بالقرآن لإزالة ما أبهم في آية ثم توضيح آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾<sup>٧</sup>. وفي آية أخرى في الأنعام يذكر الله تعالى أسماء هؤلاء الرسل الذين قصهم على رسوله وهي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا

<sup>١</sup> - سورة هود الآية: (١١). المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢١٥.

<sup>٢</sup> - سورة البقرة الآية: (١٢٧).

<sup>٣</sup> - سورة النور الآية: (٣٦).

<sup>٤</sup> - سورة الأنعام الآية: (٥٢).

<sup>٥</sup> - سورة فاطر الآية: (١٨).

<sup>٦</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، كفاية ضعفاء السودان، ج ١، ص ١٧٠.

<sup>٧</sup> - سورة النساء الآية: (١٦٤).

هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ<sup>١</sup>.

ح- تفسير القرآن بالقرآن يذكر الآية لإزالة الإشكال في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾<sup>٢</sup>، وقال الشيخ عبد الله يقبض أرواحكم وهو عزرائيل لا كما تزعمون ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾<sup>٣</sup>. ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾<sup>٤</sup>، لأنهم أعوانه ملائكة العذاب.<sup>٥</sup>

خ- تفسير القرآن بالقرآن يذكر الآية إيضاح معنى الكلمة التي ورد ذكرها في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾<sup>٦</sup>، ثم جاءت الآية الثانية في آخر السورة توضح معنى هذه الكلمة، فقال: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكُلَالَةِ إِنَّ امْرَأَتَكَ هِيَ لَأُمُّهُ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾<sup>٧</sup>، فذكرت الآية أن الكلاله هو الذي مات ولم يترك أصولاً، والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء، استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد، وتطلق على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذي القرابة.<sup>٨</sup>

د- تفسير القرآن بالقرآن يذكر الآية في تأكيد ما هو مؤكد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ

<sup>١</sup> - سورة الأنعام الآية: (٨٣-٨٤).

<sup>٢</sup> - سورة السجدة الآية: (١١).

<sup>٣</sup> - سورة الجاثية الآية: (٢٤).

<sup>٤</sup> - سورة الأنعام الآية: (٦١).

<sup>٥</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٣، ٢٢٨.

<sup>٦</sup> - سورة النساء الآية: (١٢).

<sup>٧</sup> - سورة النساء الآية: (١٧٦).

<sup>٨</sup> - انظر محمد بن محمد بن مصطفى، أبوالسعود العمادي: (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود إلى مزايا

الكتاب الكريم،: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٢، ص ١٠٧.

غَيْرِكُمْ»<sup>١</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>٢</sup>، وهذه الآيات كلها تؤكد أمرا واحدا ألا وهو العدل والإنصاف في القضاء وفي كل شيء؛ فإن المرء مطالب به.

### ٣- وجه المقارنة

يتفق الشيخان التعامل مع النصوص من جميع أطرافها سواء فيما يتعلق بتفسير بالمأثور أو التفسير بالمعقول بمعنى الرأي المحمود من القرآن أو الحديث أو الآثار الصحيحة من جمع آيات ذات الصلة بموضوع واحد وبيان إيضاح السبب وتقييد المطلق، وإزالة الإشكال، وتوضيح آية أخرى، وشرح الآية بآية أخرى، أو توضيح الحكمة أو آية فُسِّرت بالأحاديث، واللغة وفروعها، وجانب البلاغة والمجاز العقلي، والاستعارة المكنية، والاستفهام الإنكاري، حسب وأحوالها والقراءات وتوجيهها، أو وتوضيح المفردات والكلمات والمشتقات، كما تقدم هنا وهناك أن الشيخين استخدمتا وتعاملتا مع النصوص من كل النواحي.

ويختلف الشيخان في التوضيح والشرح والفوائد المستنبطة، والتوسع في التعامل مع النصوص من جميع الجوانب. الشيخ عبد الله عن الشيخ أبوبكر جومي وهو أقل استعمالا منه ما عدا تفسير القرآن بالقرآن، وكل له حظ وافر.

### ثانياً: منهجه في دراسة أصول العقائد

١- كان الشيخ جومي في تعامله مع أصول العقائد، تعرض لبعض المسائل العقدية وهو كغيره من المفسرين المتقدمين وعقيدته ينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة منهج السلف الأمة، مستمدا من الكتاب والسنة الصحيحة، ويؤخذ هذا من كتاباته وأفكاره، كما تقدم في الفصل الثالث من الصفحة (١٣٧-١٤٨)، تناول الموضوعات العقدية من الآيات والأحداث في تفسيره مع الأمثلة كما تقدم.

التنبيه لما تقدم من تفسيره تكلم عن آية الكرسي وفضله في قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>٣</sup> قال الشيخ جومي: هذه الآية قد اشتملت على أمهات المسائل

١- سورة المائدة الآية: (١٠٦).

٢- سورة النساء الآية: (١٣٥).

٣- سورة البقرة الآية: (٢٥٤).

الالهية، وفي قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، 'وقال الشيخ جومي: في صناعه فالعزة تلائم الوحدانية والحكمة تلائم القيام بالقسط، وتعرض لمسألة إثبات رؤية الله في الآخرة، وتتطرق في إلى مسألة العلو الله على خلقه في إثبات الصفة لله تعالى ونفعه، وذكر لفظ الإستواء؛ حيث قال: الشيخ جومي "أكبر خلق الله استواء يليق به".<sup>٢</sup> وأحياناً يقول بالمتشابهات في قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>٣</sup> وقول النبي ﷺ (أَلَا تَأْمَنُونَ بِنَارٍ أَمِينٍ مَنْ فِي السَّمَاءِ)،<sup>٤</sup> ثم ذكرنا أقوال الأئمة الأربعة في المسألة، من المالكية، والشافعية والحنفية،<sup>٥</sup>

وبرده ونقده على مخاليفه من المبتدعة في موضع الثلاث عن المذاهب الإسلامية من القادرية والتجانية الصوفية، الأولى في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾<sup>٦</sup>، والثانية من قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾<sup>٧</sup>، والثالثة في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>٨</sup> وفي قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا بِيَ سَامِرِيُّ﴾<sup>٩</sup>، حيث قال: وقال: "فعبدوا العجل بالطبل والرقص، وقد تأثر بعقيدة الأشاعرة، فيما يتعلق بآيات الأسماء والصفات، مع أنه من السلفيين".<sup>١٠</sup>

٢- كما تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ عبد الله بن فودي تعامله عن الدراسة أصول العقائد، تتطرق كثيراً إلى المسائل العقدية، وهو كغيره من المفسرين المتقدمين وعقيدته ينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة في المسألة العقدية، وتناول كثير من الموضوعات من الإيمان

١- سورة آل عمران الآية: (١٧).

٢- المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن ج ٢، ص ٧١٩.

٣- سورة المائدة الآية: (١٦-١٧).

٤- في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في باب بعث علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، برقم الحديث (٤٣٥١) ج ٥، ص ١٦٣.

٥- في المصدر السابق، في الفصل الثالث ص ١٦٤.

٦- سورة آل عمران الآية: (٦٣).

٧- سورة آل عمران الآية: (١٥٧-١٥٨). تقدم بيان ذلك في تفسيره عند هذه الآية من قبل تفسير الإشاري ناقدا لها.

٨- سورة آل عمران الآية: (١٥٨).

٩- سورة طه الآية: (٩٥).

١٠- في السابق، في الفصل الثالث ١٤٢.

ومتعلقاته مع الأدلة من القرآن والسنة، وبيان أن الجنة والنار مخلوقتان، وعذاب القبر ونزول عيسى عليه السلام، وكرامات الأولياء، والسحر، والعين. وبيان هذه الموضوعات مع الدليل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء عليها، ثم ردوده على الفرق الكلامية من المعتزلة؛ أما فرق الكلامية من الهدى والضلالة، والإرادة، وخلق أفعال العباد، وكسب العبد، ورؤية الله في الآخرة، وكلام الله تعالى، وردّه على المعتزلة في أصولهم الخمسة من الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والجبرية، والخوارج، والفلاسفة في إنكارهم بعث الأجساد، وعلى الملاحدة، والنصارى، وصوفية الغلاة أن مقام الولاية أفضل من مقام النبوة، وفي الأسماء والصفات كمنهج الأكثرين من المفسّرين الذين إذا رأوا آية فيها ذكر صفة الله تعالى، وإثبات تلك الصفة ما يوهم في ظاهره - كما ذهب إليه أصحاب هذا القول تشبيه الله تعالى بخلقه، أوّلوها بإرادة تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقات، والمذهب السلف رحمهم الله، وهو أنهم لا يؤوّلون الصفات؛ ولكنهم يثبتون لله الصفة كما جاءت في النصوص وعليها، ويثبتون ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه ما نفى عن نفسه، من غير تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل<sup>١</sup>.

### ٣- وجه المقارنه

اتفق الشيخان في دراسة أصول العقائد واهتمامهما بمسائل العقائد، وينتميان إلى مذهب أهل السنة عموماً، في القول بالتوفيق في أسماء الله وصفاته، ولا تشبه ولا تعطل ولا تؤول، ولا تكييف. ويفسّران، كما فسّر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، لكن تأثراً بعقيدة الأشاعرة، فيما يتعلق بآيات الأسماء والصفات، إلا صفة واحدة صفة الاستواء في تفسيريهما، وبرّدتهما على بعض مخالفيهما من الفرق الإسلامية عموماً.

ويختلف الشيخان حول مسألة العقائد؛ لأن الشيخ عبد الله، أكثر إرادتها، وتوسعاً في المسائل العقدية وردّه أنيف على بعض الفرق الكلامية من الفلاسفة، والمعتزلة، والجبرية واليهود، والنصارى، ثم الصوفية الغلات في تفسيره<sup>٢</sup>. والشيخ كانت عقيدته

<sup>١</sup> - في السابق، محمد بن علاء الدين أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج ٢، ص ٢٣٤.

<sup>٢</sup> - في السابق، في الفصل الثالث ص ١٨٤.

قادرية، ثم صوفية، أنه كان على القواعد الأساسية لمنهجه السلفي في العقيدة، وأنه إن أخطأ في بعض الجزئيات والأمور الفرعية فلا ينافي ذلك سلفيته.

### ثالثاً: منهجه في دراسة أصول العبادات

١- تقدم أن الشيخ جومي في تفسيره في دراسة أصول العبادات في الفقه فروعاً من بالطهارة فيما يتعلق بالوضوء، وذكر مسألة مسح الرأس واختلاف العلماء عليه وفرضية الصلاة وبعض أحكام الحج مسألة السعي بين الصفا والمروة وأقوال عليها، وبيان مختصر عن أحكام الصوم، تتطرق إلى شيء من المعاملات أحكام الرضاعة وغيرها واهتم بالقضايا الفقهية، في استنباط الأحكام تقدمه الأمثلة عليها؛ لكن الشيخ لم يتناول مسألة أصولية ظاهرة في تفسيره، وربما تتطرق ضمن بيانه إلى مسألة من المسائل، ويشير إلى مذاهب أخرى، ولم يسلك طريق التعصب من إخضاع الآيات حتى توافق مذهبه كما يفعل البعض، ويورد أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في الفروع؛ فخصصه لمذهب المالكية، في تفسيره لآيات الأحكام، وباكتفاء المشهور مذهبه وأحياناً يخالفه.<sup>١</sup>

٢- أما الشيخ عبد الله بن فودي في تعامله مع أصول العبادات بناء على النصوص الكتاب والسنة وبعضها على الاجتهاد، وأهم ما تناول فيه من ذكر المصطلحات الشرعية. وموضوع العبادات في تفسيره كلها تدور حول ثلاث محاور المحور الأول فيما يتعلق بالعبادات من الطهارة والصوم والحج؛ المحور الثاني فيما يتعلق بالأحكام الاجتماعية من النكاح والبيوع والأطعمة؛ المحور الثالث فيما يتعلق بأحكام السياسة، وهناك جانب آخر تتطرق فيه إلى بقضايا الأصولية من قواعدها، من مطلق الأمر للوجوب والفور، ومطلق النهي للتحريم إلا لصارف، والأصل في الأشياء الإباحة، وتقدم المصلحة الدينية على المصلحة الدنيوية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والقياس، وهل الكفار مكلفون بالفروع الفقهية، ومفهوم المخالفة، وذم التقليد، وتأخير البيان عن وقت الحاجة، وخبر واحد مع التفرق بين كل هذه المصطلحات.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، الفصل الثالث ص ١٤٨-١٥١.

<sup>٢</sup> - في السابق، تقدم بيان ذكرها في الفصل الثالث ص ١٩١-١٩٧.

- أ- أما العبادات فجانب الطهارة ومعلقاته من الوضوء، تكلم عن مسألة المسح الرأس، والصلوات بوضوح واحد، وغسل الشهيد، وخصال الفطرة، وأحكام الحيض، واختلاف علماء حول لفظ القرء، وعدم الكفارة لمن وطأ المرأة في الحيض، ووجوب سترة العورة، وحكم الأذان، والقراءة خلف الإمام من صلاة القصر وحكمها، ثم صلاة المقيم خلف المسافر، وقضية دخول المشركين المسجد، ووجوب صلاة الجماعة والجمعة، وإبطال النافلة، وعدم جواز الصلاة في أماكن المغضوب عليهم، وحكم من نسي الصلاة، ولمس المرأة ومس الذكر. وعن حكم الصيام من رؤية الهلال والاعتكاف، وتعرض إلى حكم الحج، وأنواعه الثلاثة من القران والتمتع والإفراد واختلاف العلماء في مسألة وجوب السعي وحاضر المسجد الحرام، وذكر هذه المسائل بالعبادات وبسط القول فيه، ونسب كل مذهب إلى قائله مع الترجيح بمذهب الجمهور وخصصه بمذهب المالكي، وحلول كل مسألة منها مع الدليل من الكتاب والسنة وآثار السلف مع الاجتهاد والرأي الصواب.<sup>١</sup>
- ب- أما الأحكام الاجتماعية من أحكام النكاح والصلاق والخلع والهزل، ومسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، والولاية في النكاح والخلاف في تحديد المهر، وهبة المرأة لزوجها بدون صداق، وعدم اعتبار الكفاءة في الإحساب، ومسألة جواز العزل، وجواز عرض الرجل بنته على الرجل الصالح، وآداب خروج المرأة من بيت الزوج، وحكم الإيلاء ومدة الحمل والرضاعة، والأحكام المتعلقة بالسلام، والإمارة لـ ينسب الولد إلى الأم، ونسب كل مذهب إلى قائله مع الترجيح بمذهب الجمهور وخصصه بمذهب المالكي، وحلول كل مسألة منها مع الدليل من الكتاب والسنة وآثار السلف مع الاجتهاد والرأي الصواب.<sup>٢</sup>
- ت- أحكام المعاملات من البيوع، وشراء المتاع المغصوب، والأطعمة، وأحكام الزكاة، وتحريم لحم الخيل، وأحكام السياسية الشرعية وتعرض لقضية الإمامة المرأة، ونسب أيضا كل مذهب إلى قائله مع الترجيح بمذهب الجمهور وخصصه بمذهب المالكي، وحلول كل مسألة منها مع الدليل من الكتاب والسنة وآثار السلف مع الاجتهاد والرأي الصواب.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، تقدم بيان ذكرها في الفصل الثالث ص ٢٠١-٢٠٣.

<sup>٢</sup> - في المصدر السابق، تقدم بيان ذكرها في الفصل الثالث ص ١٩٨-٢٠٠.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، تقدم بيان ذكرها في الفصل الثالث.



ث- أما أصول الفقه واستخدم مصطلحات أصولية الفقهية وبسط الكلام، تناول قضايا كالأمر للوجوب والفور إلا لصارف، ومفهوم المخالفة، والأصل في الأشياء الإباحة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهل الكفار مكلفون بفروع الفقه، وشرع من قبلنا، وتقديم المصلحة الدينية على المصلحة الدنيوية في تعامله مع النص القرآن أو الحديث في استنباط الأحكام الفقهية، وباكتفاء المشهور من مذهب المالكي وأحيانا يخالفه.<sup>١</sup>

### ٣- وجه المقارنة

لا وجه للمقارنة بين الشيخين؛ لأن الشيخ عبد الله تعرض لكثير من أحكام العبادات، والأحكام الاجتماعية، وأحكام المعاملات، والمصطلحات الفقهية والأصولية، وأيضا كالأمر للوجوب والفور إلا لصارف، ومفهوم المخالفة، والأصل في الأشياء الإباحة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهل الكفار مكلفون بفروع الفقه وشرع من قبلنا، وتقديم المصلحة الدينية على مصلحة الدنيوية، وكان اهتمامه في هذا الجانب أكثر، وبسط القول وعرف الكلمات والمفردات والمصطلحات.

### رابعا: منهجه في دراسة الآداب والأخلاق

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ جومي استخدم في تفسيره السلوك التربوي والتركيز عليه وعلى الفرد من الإيمان بالله والاستسلام لشريعته، وتربية النفس على الأعمال الصالحة، وعلى منهج الحياة على التواصي بالحق والعمل به، والتواصي على الشدائد، وعلى عبادة الله، والتزام الحق، وذكر شروط الاستجابة الدعاء والإخلاص في الدعاء، وأن يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء، وأن يكون المطلب من الدعاء لمصلحة للإنسان، وذكر مراتب الدعوة إلى الله في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان مليء بأخلاقيات وآداب الحسنة بالقول والعمل، وهو يركز دائما في الأخلاقيات من صبر عما يجري في المجتمع، وهو نشيط في الدعوة إلى الله ولا يخاف لومة لائم يدرس ويؤلف ويرشد ويوجه، طلابه يعلم العلم والآداب والأخلاق والزهد؛ لكن كما تقدم.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، في الفصل الثالث.

<sup>٢</sup> - في السابق، تقدم بيان ذكرها في الفصل الثالث ص ٢٠٤.

٢- أما الشيخ عبد الله بن فودي في تعامله في دراسة الآداب والأخلاق الحميدة الحسنة، كما تقدم من الأمور المتعلقة فيها تحمل الصبر على الأذى، والسوء، وينبغي للمصلح والمربي أن يصبر على ما يصيبه من الأذى والحرص على الشهادة في سبيل الله، والحرص على الدين مع العلم النافع وعدم الترفعه وفضل الكتابة والوفاء بالعهد، والشكر، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجالسة الفقراء، ومواساتهم، والقوادح في الإنفاق في سبيل الله، وكلها تؤدي إلى تركية النفس في جانب التربية الإصلاحية، وخاصة جانب الروحانية الصوفية، وكما هو معروف تأثر بالصوفية ونقل أقولهم في كتبهم كما تقدم.<sup>١</sup>

### ٣- وجه المقارنة

يتفق الشيخ جومي مع الشيخ عبد الله بن فودي في دراسة الآداب والأخلاق الحميدة الحسنة، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلاقي الإنسان وما يصيبه من الأذى، وشروط الدعاء ومراتبه والتركيز على جانب التربية الإصلاحية، وخاصة الشيخ عبد الله بن فودي ووسع كثيرا، والتركيز على الروحانية. وفي تفسيره لم يمر بآية فيها الإشارة إلى دروس في التربية أو الإصلاح.

### خامسا: منهجه في الاستدلال برأيه الشخصي

١- الشيخ عبد الله بن فودي عن الدراسة والاستدلال برأيه الشخصي انفراديا، وإضافة لما تقدم لقد استخرج من خلال تفسيره للقرآن جملة الفوائد، وقد ذكرت بعضها في الفروع الفقهية، بمعنى المسائل الفقهية، والذي يدل على سعة مطالعته، وتمكُّنه في التفسير، ومعرفته لفنونه، وهذه جملة مما قاله واستنبطه من الآيات القرآنية، وإضافة لما تقدم من الأمثلة وللمزيد بعضها منها في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٢</sup>، قال الشيخ عبد الله: والآية تدل على الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعث عيسى، وأنه كان مستقلا بالشرع<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، تقدم بيان ذكرها في الفصل الثالث ص ٢٠٥-٨.

<sup>٢</sup> - سورة المائدة الآية: (٤٧).

<sup>٣</sup> - ١٠ في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٢٤١.

- أ- وفي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾<sup>١</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفيه دليل على أن مكارم الأخلاق كالتواضع والإقبال على العلم والعمل به، والإعراض عن الشهوات محمودة ولو من كافر"<sup>٢</sup>. أن الكافر إذا عمل أعمالاً حسنة في الدنيا يؤجر عليها ويثاب إلا أنه ليس له خلاق في الآخرة لأنه يأكل حسناته في الدنيا كاملة بخلاف المؤمن، وهذا في قوله تعالى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾<sup>٣</sup>.
- ب- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>٤</sup>، قال الشيخ عبد الله: "فيه إشارة إلى أن الضلال ليس خاصاً بالمشركين"<sup>٥</sup>.
- ت- في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفَاقِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾<sup>٦</sup>، قال الشيخ عبد الله: "وفيه دليل على أن الرجل إذا ظهر منه منكر وخداع يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته، لأن الله منع المنافقين من الخروج مع رسول الله إلى الجهاد، ولما علم من مكرهم وخداعهم إذا خرجوا إلى الغزوات"<sup>٧</sup>.
- ث- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>٨</sup>، قال الشيخ عبد الله: "هو دليل على أن السحر من الإفساد لإغوائه الناس فهو من أكبر الكبائر أو الكفر"<sup>٩</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>١٠</sup>، وقال الشيخ عبد الله: "وفي الآية دليل على أن

١- سورة المائدة الآية: (٨٢).

٢- المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٥٠.

٣- سورة الأحقاف الآية: (٢٠).

٤- سورة الأنعام الآية: (١١٩).

٥- المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩٤.

٦- سورة التوبة الآية: (٨٣).

٧- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٩.

٨- سورة يونس الآية: (٨١).

٩- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ١٢٢.

١٠- سورة الحجر الآية: (٩٩).

التسبيح والعبادات سبب النجاة من ضيق الصدر والكرب"<sup>١</sup>. وهذه تكملة أو ملامح

جملة مما قاله واستنبطه من الآيات القرآنية، في تفسيره إضافة لما سبق في الفصل الثالث

٢- أما بالنسبة للشيخ أبوبكر جومي عن الدراسة في الاستدلال برأيه الشخصي التي انفرد بها؛ فقد تقدم وفي نفس الوقت قد يكون التفسير العلمي بالنسبة له؛ فالحديث عن التفسير العلمي قد تعدد أقوال العلماء فيه. من تعريفاته لغة واصطلاحاً والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي، هناك من عدّ التفسير العلمي منهجاً من مناهج المفسرين، وذلك بأن التفسير العلمي: هو استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها<sup>٢</sup>.

ومن الباحثين من عدّ التفسير العلمي منهجاً من مناهج المفسرين، ومنهم من جعله اتجاهًا من اتجاهات التفسير في العصر الحديث. مهما يكن الأمر أنه جزء من التفسير بالرأي المحمود أو بمعنى التفسير بالعقول. في عبارة أخرى فقد فإن الشيخ جومي من خلال تفسيره، تناول بعض القضايا المعاصرة بمعنى التقنيات الحديثة المستخدمة عصرياً، وتمكّنه في التفسير، وهذه جملة مما قاله، واستنبطه من الآيات القرآنية، فيما تقدم من آيتين، آية (٧٩) في النحل، وآية (١٣-١٤) في الزحرف؛ حيث بيّن الشيخ هنا وهناك على أن الآية تشير إلى بعض الآلات التقنية الحديثة من السيارات والسفن والقطارات، والطائرات وسائر المركبات الحديدية لجامع بينها؛ فهذه كلها من تسخير الله تعالى لعباده<sup>٣</sup>.

فقلت أدلة كثيرة في هذه القضية في قوله تعالى: ﴿وَحَمِلْ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا﴾ إلى قوله ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ وفي قوله:

١١- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢١٧.

٢- عادل بن علي بن أحمد الشنّدي، التفسير العلمي للقرآن جذوره والموقف منه، أستاذ مشارك بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية - جامعة الملك سعود ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج ١، ص ١٣.

٣- في المصدر السابق، تقدم بيان ذلك في الفصل الثالث من البحث ص ١٥٥-١٥٦، في السابق، الشيخ أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٦، في تفسيره عند تفسيره لهاتين الآيتين نقلاً عن سيد قطب في ظلال القرآن.

٤- سورة النحل الآية: (٧-٨).

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>١</sup>، من شمس وقمر ونجوم من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا مِنْهُ)، وما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضّل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه.<sup>٢</sup>

ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم (جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) يعني: تردّوها بالعشي من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تأوي إليها<sup>٣</sup>.

وهذا أيضا جانب من جوانب التفسير العلمي. خلف الشيخ أبوبكر جومي آلاف من الأشرطة المسموعة والمرئية في دروس مختلفة، وخاصة تفسيره الذي كان يلقيه في شهر رمضان ويذاع مباشرة في الراديو، والتلفاز. وله جهود أخرى منها أنه كان من الذين أسسوا رابطة العالم الإسلامي ولجنة المساجد وشارك في عديد من الاجتماعات الدينية والندوات العلمية في بلاد متلفة، وكان المبعوث الرسمي من الناحية الدينية لدولة نيجيريا، والجملة هذه نعمة من نعم التي أنعم الله على عباده لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>٤</sup>.

### ٣- وجه المقارنة

لا يتفق الشيخ جومي مع الشيخ عبدالله بن فودي في مجال التفسير العلمي، أن الشيخ عبد الله استخرج واستنبط الفوائد من الآيات التي تقدمت فيتعلق منها؛ أما الشيخ أبوبكر جومي بعد استخراجه للفوائد وإضافة إلى ذلك أشار إلى الآلات المستخدمة في عصرنا الحديث من السيارات والسفن والقطارات، والطائرات وسائر المركبات الحديدية من المركوبات، وهذا بديل عن المركوبات القديمة من الخيل والبغال والحمار والجمال، ويذاع

<sup>١</sup> - سورة الجاثية الآية: (١٣).

<sup>٢</sup> - قاله ابن جرير الطبري في السابق، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ج ٨، ص ٥٦.

<sup>٣</sup> - قاله ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ج ٥، ص ١٦٩.

<sup>٤</sup> - سورة إبراهيم الآية: (٣٤).

مباشرة في الراديو، والتلفاز من الأشرطة المسموعة في دروس مختلفة من الندوات والمعتمرات. من هذه الناحية لواجه للمقارنة بينهما.<sup>١</sup>

### المبحث: الثالث: دراسة مقارنة في مصادرهما

كما تقدم عن بيان مصادر الشيخين في التفسير عموماً وخصوصاً. وقد اتفق الشيخان في مصادرهما على وجه العموم كتفسير الطبري المعروف بجامع البيان من تفسير آي القرآن لابن جرير الطبري، وجامع الأحكام المعروف بتفسير القرطبي، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، ومعالم التنزيل للبغوي، وكذلك أمهات كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم والسنن والمسند، وهكذا كتب اللغة والفقه وأصوله والسير والزهد.<sup>٢</sup>

تقدم أن الشيخ جومي سَمَّى تفسيره د (رد الأذهان إلى معاني القرآن)، وذكر سبباً لتأليفه في مقدمة الكتاب، ويقع في مجلدين أو جزئين في مجلد واحد وتاريخ كتابته، ثم هو صغير الحجم، مختصر سهل اللفظ، وصاحبه عاش في القرن الواحد والعشرون بمعنى أنه من المعاصرين، والشيخ عبد الله سَمَّى تفسيره د (ضياء التأويل في معاني التنزيل)، وأيضا ذكر سبب تأليفه، ويقع في أربع مجلدات، أو جزئين لأصل الكتاب الذي كتبه صاحبه بيديه (المخطوطات) وأول تفسير في تلك المنطقة صاحبه عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، والفرق بينهما حوالي قرن ونصف، مائة وستون سنة تقريباً.

#### أولاً: ذكرهما للمصادر

١- كما تقدم أن الشيخ أبوبكر جومي اعتمد كثيراً على تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير الجلالين، والفتوحات الإلهية حاشية للتفسير الجمل، ويندر ذكره لمصادر كتب الفقه وأصوله، واللغة وفروعها والزهد والرقائق والسيرة في تفسيره إلا نادراً؛ مما أورده في تفسيره نقلاً عن السيوطي في التعبير أن المدة ما بين موسى وعيسى ألف وتسعمائة سنة وخمس وعشرين.

<sup>١</sup> - ولذا تجد أن الشيخ جومي في مواقع الإنترنت

<sup>٢</sup> - تقدم بيانه في الفصل الثاني ص ٥٧-٦٦.

هكذا الشيخ عبد الله بن فودي، أنه اعتمد مصادره على أمهات كتب التفسير والمصنفات، من كتب التفسير بالرواية، والدراية، إضافة إلى ما تقدم كتفسير مجاهد، والمحزر الوجيز لابن عطية، وتفسير ابن أبي حاتم، ومعالم التنزيل للفراء، وزاد المسير في علوم التفسير لابن الجوزي، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، والبحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري، ومفتاح الغيب للرازي، وأنوار التنزيل للنسفي، ولباب التأويل للخازن، وغاية الأمان في علم الروحاني لعبد الكريم، وفتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن لذكربا بن محمد. ومن أمهات كتب الحديث إضافة إلى ما تقدم المعجم الكبير لسليمان بن أحمد، والمستدرک الحاكم على الصحيحين، والمصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، وإرشاد الساري شرح صحيح البخاري، وشرح موطأ مالك لمحمد بن عبد الزرقاني، والمواهب الدنية لأحمد بن محمد القسطلاني. ومن كتب اللغة وفروعها، والقاموس المحيط لفيروز آبادي، والخلاصة الألفية في علم العربية لجمال الدين محمد بن مالك، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، والكافية لابن الحاجب. وتناول هذه الكتب الكافية والقاموس المحيط، فيما يتعلّق بالمسائل النحويّة وهناك كتب مختصرات ومثال ذلك شرح معاني المفردات، والأجرومية شرح الكفراوي، ومقامات الحريري وغير ذلك، و(حرز الأماني ووجه التهاني) المعروف بالشاطبية للقاسم بن فيرة، ومن كتب الفقه وأصوله القوانين الفقهية لابن جزي، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام لعبد العزيز بن عبد السلام. ومن كتب الرقائق والسيرة والزهد، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، والتنوير في إسقاط التدبير في التصوف، لابن عطاء، والشفاء للقاضي عياض، وسيرة ابن هشام، ومصادره في علوم القرآن الإتقان في علوم القرآن؛ حتى أنه ألف في علوم القرآن بأسلوب لم يسبق مثله من الأسلوب المستخدم في تلك المؤلفات والمادة العلمية التي احتوتها تلك المؤلفات، من المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره.

اتفق الشيخان في ذكر بعض مصادر التفسير العامة من الرواية والدراية، أنهما اعتمدا على أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري جامع البيان في تفسير آي القرآن، وتفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير، وجامع الأحكام للقرطبي، والدر المنثور للسيوطي، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. ومن أمهات كتب الحديث صحيح البخاري، وصحيح مسلم والسنن، ومسند الإمام أحمد، وصحيح ابن خزيمة، وموطأ مالك.<sup>١</sup> والشيخ عبد الله زيادة عن مصادر الشيخ جومي من أمهات كتب الحديث والفقه وأصوله واللغة وفروعها، والسيرة، والزهد والرقائق والسيرة، فضلا عن مصادر الشيخ جومي وهو أقل مصادر من الشيخ عبد الله بن فودي، وهو وينقل الفوائد ويحل مسائل الفقه وأصوله واللغة وفروعها، وقد احتوى جميع جوانب العلوم الشرعية الإسلامية، والثقافة العربية، وبينهما فرق بعيد في المصادر وتحصيل العلم والعلوم الإسلامية، ويعتبر تفسيره كموسوعة.<sup>٢</sup>

#### ثانيا: مسائل علوم القرآن

١- تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ أبوبكر جومي تناول في تفسيره موضوعات علوم القرآن كالنسخ والمنسوخ، والمكي، والمدني، والمناسبات، مختصرا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ وَصِيَّةً مَتَاعًا إِلَى الْخُلُوفِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾.<sup>٣</sup> وقال الشيخ جومي: الوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وترى حول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول.<sup>٤</sup>

٢- أما الشيخ عبد الله بن فودي فقد وسع في مباحث من علوم القرآن في تفسيره حتى ألف فيه كتب في علوم القرآن فمن الكتاب الذ ألف "سلسلة المفتاح" من كتاب الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، وفيه ألف ومائتان بيت شعر وسماه سلسلة المفتاح وقد انتهى من

١- تقدم ذكره في الفصل الأول من البحث ص ٦٦.

٢- تقدم ذكره في الفصل الأول من البحث ص ٦٨.

٣- سورة البقرة الآية: (٢٤٠).

٤- في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٤٩.

٥- في السابق، عبد الله بن فودي، نيل السؤل من التفاسير السؤل.



كتابتها في يوم الإثنين من ذي القعدة سنة (١٢١٠هـ)، كما تقدم<sup>١</sup>، ومفتاح التفسير وكتاب النقاد للسيوطي أيضا وفيه نحو ألف وخمسمائة بيت في مائتين واثنين وأربعين صفحة والشيخ وضع زيادات لما في أصل الكتاب في أبواب مباحث في علوم القرآن، وكذا كتابه الفرائد الجلية وسائط الفوائد الجميلة، نظم هذا الكتاب في ثلاث وتسعين وثلاثمائة بيت من الشعر فهي عبارة عن منظومة أيضا، نظم فيه ما أورده الإمام الحسن بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي في كتابه الفوائد الجميلة في الآيات الجلية نثرا، وقد انفرد الشيخ عبد الله بن فودي بهذا الجانب ولم يسبقه أحد من علماء أهل المنطقة سواء كانت في شمال نيجيريا أو جنوبها، بل وصل نعومته حتى غرب إفريقيا كلها.<sup>٢</sup>

### ٣- وجه المقارنة

لقد تتطرق الشيخ عبد الله إلى مباحث علوم القرآن كثيرا خاصة فيما يتعلق بعلوم القرآن نظما ونثرا، والنماذج من الأمثلة لعلوم القرآن. وأما المسألة حروف المعجم فقد جرى على نمط واحد فيما يتعلق بالحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية مثل سورة البقرة وآل عمران وغيرهما من السور التي افتتحت بها أن يقول الله أعلم بمراده بذلك، ولم يخض في تفاصيل المراد بها كما فعله بعض المفسرين في الحروف المقطعة المعجمة التي افتتح الله بها بعض سور القرآن، ووافق الشيخ جومي الشيخ عبد الله في تفسيرهما فهما طريقة واحدة وهي قولهما "والله أعلم بمراده في ذلك".<sup>٣</sup>

من الملاحظ أن الشيخ يذكر مكان نزول كل سورة مكية أو مدنية، وكذا الآيات التي نزلت بمكة أو المدينة من جميع السور القرآنية، ويهتم بذكر فضائل السور والآيات التي ذكرها ﷺ من فضلها، ولم يكن يخصص لفضائل القرآن فصولا بل يشير إلى ذلك أثناء التفسير، على خلاف بعض المفسرين في ذكرهم فضل كل سور القرآن بل راعى في هذا الجانب الصحة وقد يشير إلى بعض الآيات أنها لعلاج كذا وكذا على سبيل مثال قوله

---

<sup>١</sup> - انظر: الشيخ عبد الوهاب، التبيان في مباحث من علوم القرآن، ص ٣٢، وقد وجدت نسخة هذا الكتاب في مركز البحوث الإسلامية بجامعة بايرو في مدينة كنو عند ما خرجت لطلب المخطوطات ضياء التأويل لعبد الله.

<sup>٢</sup> - تقدم ذكرها في الفصل الثاني عند ما تحدثنا عن مصادره العامة والخاصة.

<sup>٣</sup> - في السابق، الدكتور محمد نمدي، رسالة عبد الله بن فودي: منهجه في التفسير وعلوم القرآن، ص ٣٨٣.

تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>١</sup>، يقرأ هاتين الآتين في علاج العين، وأما في كتبه الخاصة بعلوم القرآن وهي منظومات شعرية كما تقدم، فقد ذكر معنى المكي وهو ما نزل بمكة قبل الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة، وذكر الاختلاف في ذلك والضابط لمعرفة السور المكية وهي كل سورة ذكر فيها قصة آدم مع إبليس فهي مكية إلا سورة البقرة أو افتتحت بالأحرف المعجمة إلا البقرة وآل عمران أو ذكر فيها (كلا) والمدني ما ذكر فيها الأحكام أو ورد ذكر المنافقين إلا سورة العنكبوت.<sup>٢</sup>

### ثالثاً: التمييز

تميّز رد الأذهان إلى معاني القرآن عن ضياع التأويل في معاني التنزيل في حسن التنظيم والترتيب، وكان تفسيره في غاية حسن الترتيب وكتب تفسيره بخط الرسم العثماني وجعلها في حاشية المصحف يمينا وشمالا بمعنى ميحط بها مع ترقيم الآية التي فسرهما، مختصر الحجم وسهل اللفظ في تناول المعلومات موجز؛ لكن كثير الفوائد، سلامة العقيدة وفيه محاربة للبدع والخرافات، وحسن التنظيم في بداية كل سورة يذكر موضوع الرئيسي للسور، إما في آخر السور أو هما معاً؛ فأول ما يبدأ به ذكر مكان نزول السورة، مكية أو مدنية، وعدد آياتها، ثم يذكر أهم الموضوعات التي تناولتها السورة، فمثال ذلك عند ما افتتح تفسير سورة البقرة قال: " وهي مدنية وآياتها مائتان وست أوسبع وثمانون آية وموضوعها الرئيسي إخبار الناس الذين اجتمعوا في المدينة في ذلك الوقت وقد جاءوا بعبادات، وعقائد مختلفة منهم المؤمنون الثابت إسلامهم، ومنهم المشركون الذين لم يعتنقوا الإسلام البتة ولا يدعونه ولا يريدونه، ومنهم المنافقون الذين اعتنقوا الإسلام باللسان دون قلوبهم، ومنهم أهل الكتاب اليهود والنصارى ولذا بدأت السورة بذكر هؤلاء الأصناف الأربعة وبصفتهم، ثم انتقلت السورة مقطوع إلى آخر وذكر مقدمة صغيرة وتوطئة أو مدخل لهذا المقطع ثم ذكر أصناف الناس الأربعة كما تقدم بالأوصاف التي يعرف بها

<sup>١</sup> - سورة القلم الآية: (٥١).

<sup>٢</sup> - انظر: عبد الله بن فودي، مفتاح السلالة، ص ١١-١٥، كذا تعرض على كثير من المسائل فيما يتعلق بعلوم القرآن.

كل صنف.<sup>١</sup> وأما الشيخ عبد الله بن فودي، خلاف ذلك، فإنه يكتفي بذكر عدد الآيات الموجودة في السورة ومكان نزولها.

رابعاً: التمييز

تميّز ضياء التأويل في معاني التنزيل، عن رد الأذهان إلى معاني القرآن أن الشيخ عبد الله بن فودي قد اهتم بالجانب الأثري وبالأخص تفسير القرآن بالسنة والآثار من الصحابة والتابعين كأن تفسيره موسوعة في السنة ونلخص في أمثلة الآتية:

١- اهتم الشيخ عبد الله بن فودي بالجانب الأثري في تفسيره بين المجمل وقيد المطلق وخص العام وأزال الإشكال وأوضح المبهم وذلك في تفسير القرآن بالقرآن، والحديث وعلومه جمع الرويات مع نظرائها، وذكر مصادره.

٢- اهتم الشيخ عبد الله بجانب الفقهي وأصوله واستخدم المصطلحات الفقهية وبسط الكلام في مسائل الفروع، وذكر الآراء مع الحجج أحيانا في العبادات والمعاملات، والأحكام الاجتماعية، والسياسة الشرعية، واستخرج قواعد أصولية جمة من خلال تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام وتوسع فيه كأنها موسوعة في أصول الفقه.<sup>٢</sup>

٣- ركّز كثيرا على الجانب اللغوي، كالنحو والبلاغة والصرف والشعر من معاني المفردات؛ حتى لا يمرّ به مسألة من المسائل النحوية إلا وقف عندها، ويبين الأقوال والآراء وينسب القول إلى قائله عدل وأعطى كل ذي حق حقه، وذلك في تحرير مسائل النحو، واستخرج نكتا بلاغية تكشف جوانب إعجاز القرآن ودقائق معانيه، بين التشبيهات والاستعارات والمجازات، والأمثال، والبدائع. وضم إلى ذلك بيانه لمعاني المفردات مستدلا بما قاله أصحاب المعاجم، وبالشعر تارة أخرى.

٤- ودافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ورد على آراء الفرق من المعتزلة، والجبرية، والخوارج، وكذا بين بالشطحات الصوفية والفلاسفة،

٥- تفسير الشيخ عبد الله يعد من التفاسير التي يقلّ فيها ورود الروايات الإسرائيلية ولذا تجده ينبه على القصص والحكايات التي نقلت عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى والتي لا تتفق

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، رد الأذهان إلى معاني القرآن، ج ١، ص ٥.

<sup>٢</sup> - تقدم ذكره في الفصل الثالث

مع هذا الدين الحنيف وخاصة التي تطعن في عصمة الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع تحري وتعقيب بعضها. وهذه القصص والغزوات جاءت مسلسلة ومتّربة على حسب السور والآيات القرآنية.

٦- تجد الشيخ عبدالله يفصل القول في غزوات النبي ﷺ التي ورد ذكرها في القرآن أو الإشارة إليها كبدر وأحد وغيرهما من الغزوات.

٧- وقد التزم الشيخ عبدالله بذكر القراءات السبعة في تفسيره بالفوائد اللغوية والفقهية.

٨- وفي المباحث المتعلقة بعلوم القرآن تناول كثيراً من المسائل في مباحث العلوم القرآن؛ حتى ألف نظماً ونثراً وهو جدير في هذا الباب.

٩- تحاشى الشيخ عبد الله في تفسيره ما أُولع به بعض المفسرين من التطويل والاستطراد في ذكر بعض الأمور التي لا علاقة لها بالتفسير كالعلوم العقلية والطبيعية والرياضيات، ولم يكرر المسائل التي تحدث عنها في مكان، وأحياناً يحيلك إلى كتب علماء آخرين إذا كانت المسألة تحتاج إلى مزيد من التفصيل والتوضيح، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup> قال الشيخ عبد الله: "حسناته جمع موزون أو ما يوزن به جمع ميزان والأول أوجه وعلى الثاني فجمعه للتفخيم أو لكثرة الموزون فيه وهو الأصح أو متعدد تعدد الأمم أو الأشخاص كما هو معلوم في كتبنا الأصولية، ولشيخ شيوخنا طاهر بن إبراهيم في النظم الكبرى في السمعيات كلام بليغ رصين جزل فصيح ينبغي النظر فيه لمن أراد ذلك"<sup>٢</sup>.

وإذا عالج مسألة ما في تفسير آية فإنه يرجعك إلى الآية أو يقول قد سبق الكلام في آية كذا وكذا ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>٣</sup>، وقال الشيخ عبد الله: تقدم في سورة الأنعام ومريم ولقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾<sup>٤</sup>، وهكذا كما تقدم في سورة كذا وكذا.

<sup>١</sup> - سورة الأعراف الآية: (٨).

<sup>٢</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣.

<sup>٣</sup> - سورة الصف الآية: (٦).

<sup>٤</sup> - سورة ابراهيم الآية: (٤)، المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٩٦.

١٢- يعتبر تفسيره من التفاسير التي قل فيها ذكر الأحاديث الموضوعة،<sup>١</sup> وخاصة في أسباب النزول وفضائل القرآن، ومع ذلك لم يخل منها، وهذه بعض الأمثلة على ذلك في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>٢</sup>، قال الشيخ عبد الله: كان حاله ﷺ الاعتدال، وحال الصحابة لا يأكلون إلا لسد جوعتهم ولا يلبسون إلا سترا لعوراتهم وقد دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه السوق فاشتري قميصا بخمسة دراهم فرأى في كفه طولا فقال للبائع اقطع من كفه فقال: "أنت مجنون فقال له علي: بارك الله فيك" سمعت رسول الله ﷺ يقول "لا يكمل إيمان المرء حتى يقال فيه إنه مجنون"<sup>٣</sup> وذكر ذلك الحديث المرجوح المشهور "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، وهذا ليس من كلام النبي ﷺ.<sup>٤</sup>

١٣- ومن ذلك بعض الآيات على غير المعهود عند المفسرين من السلف، وهو أشبه ما يكون بقول الباطنية كتفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾<sup>٥</sup>، وقال الشيخ عبد الله: "الظلمات: الأعمال الفاسدة والبحر اللجي: قلب، والموج ضلالة والسحاب شهوته".<sup>٦</sup>

١٤- ومن ذلك ذكره بعض البدع كقوله عند ما ختم تفسير سورة آل عمران قال: رزقنا الله قرينة ومجاورته في دار رضوانه بجاه سيدنا محمد ﷺ.<sup>٧</sup>

قلت صحيح أن النبي ﷺ له مقام عند الله تعالى ولكن لم يعلمنا أن نسأله بجاه ﷺ وقد قال للغلام حين يعلمه الإسلام وفيه "وإذا سألت فاسأل الله"<sup>٨</sup> ولا يجوز التوسل بذات الشخص إنما يتوسل بأعمال الصالحة، أو بأسماء الله وصفاته، وكلامه تعالى.

<sup>١</sup> - ولم يجاوز سبعة أو ثمانية كما ذكره الزبير أبوبكر ماداكي في رسالته الدكتوراه في السابق، ص ١٦٧.

<sup>٢</sup> - سورة الفرقان الآية: (٦٧).

<sup>٣</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ١٩٦.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٨٩.

<sup>٥</sup> - والحديث قال فيه بن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن علي قاله العراقي وانظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط ١، دار الكتب العربي، ج ١٣، ٤٩٣.

<sup>٦</sup> - سورة النور الآية: (٤٠).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٣٠.

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج ١، ١٦١.

<sup>٩</sup> - في السابق، أحمد بن حنبل، مسند امام أحمد، ج ١، ص ٢٩٣.

وقد ينقل كلام عالم ويتركه ولا يعلق عليه، وانظر ما نقل عن ابن العربي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>١</sup>، وقال الشيخ عبد الله: قال ابن العربي "قصدت قبره مراراً لا أحصيها بقية جيحون في سيري من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل عليه السلام وبت به وتقربنا إلى الله بمحبته ودرسنا كثيراً من العلم عنده والله ينفعنا به" وهكذا ما نقل في غاية الأمان "وبها قبره يزار في الموصل يقطع بينهما، وقد أوردتها وسكت عن ذلك، وما إخال ذلك إلا تأثيرات التصوف من أصحاب الطرق عبدة القبور والأولياء.

#### خامساً: المؤاخذ من تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن

كما تقدم عن هذا التفسير في قيمته العلمية مع ذلك أن الشيخ جومي وقع فيما وقع غيره في تفسيره في عديد من الموضوعات، أبرز منها إلغاء بعض التعليقات والشرح التي تدل على ورود، أو ثبوت ما ذكر في الكتاب من الآيات والأحاديث، والآثار على سبيل المثال: في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾<sup>٢</sup> وقال: ما مصدرية متعلق بأتم نعمتي، أي: إتماماً كما تمها بإرسالنا محمداً ﷺ معشر العرب أو الناس ولم يكن ملكاً لثلاث تنفروا منه لعدم،<sup>٣</sup> ويقول سعدي في تفسيره: "إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتتامة ليس ذلك ببدع من إخواننا ولا بأوله، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتماها، فأبلغها لإرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكمالته ونصحه". اهـ؛

فقلت على هذا الوصف الذي وصفه الشيخ سعدي رحمه الله يكون المراد بقوله ﷺ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ هم العرب لأن نبينا محمداً ﷺ من العرب، بل من أشرف قبيلة من العرب لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>٤</sup>، وغيرها من الآيات التي تدل على فضل أو شرف النبي ﷺ.

<sup>١</sup> - سورة الصفات الآية: (١٣٩).

<sup>٢</sup> - سورة البقرة الآية: (١٥٠).

<sup>٣</sup> - انظر عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت ١٣٧٦ هـ)، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط ١، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ج ١، ص ٧٢.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٧٢.

<sup>٥</sup> - سورة الجمعة الآية: (٢).

وإلغاء بعض آراء أهل الحديث، والمذاهب الأخرى لبعض المسائل في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾،<sup>١</sup> وأما الغموس بأن يحلف على شيء يعرف خلافه، ففيه الإثم ولا كفارة، ويطلب منه التوبة والاستغفار،<sup>٢</sup>

فقلت ذهب جمهور أهل العلم إلى أن اليمين الغموس لا كفارة عليها، قالوا: هي أعظم من أن تغفر كما ثبت ذلك أحاديث كثيرة من الكبائر ومن ذلك حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ (قَالَ الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ)<sup>٣</sup> وقال: شيخ الإسلام ابن تيمية "وأما الأكثرون فقالوا هذه أعظم من أن تكفر، وهذا قول مالك، وأبي حنيفة، وأحمد في المشهور عنه؛ قالوا: والكبائر لا كفارة في السرقة والزنا وشرب الخمر"<sup>٤</sup> وهكذا تتبع في المسألة هو إلغاء بعض آراء أهل الحديث، والمذاهب الأخرى.

وعن المسائل العقدية فيما يتعلق بآيات الأسماء وصفات الله تعالى: تبعاً للأصل (تفسير الجلالين) فمثال ذلك في نفي صفة المحبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾،<sup>٥</sup> وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾،<sup>٦</sup> وفي الآية الأولى قال فيه إقامة الظاهر مقام المضمر: أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم، والآية التالية لا يحب الظالمين أي يعاقبهم وهكذا عطّل الجلالين السيوطي صفة البغض، وصرفها عن ظاهرها إلى العقاب.<sup>٧</sup>

فقلت والصواب أن من نتائج عدم محبة الله لهم أن يعاقبهم؛ فالعقاب لازم عدم المحبة، وليس هو مرادفها، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ أي: مقبوضة له، في ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي بقدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾،<sup>٨</sup>

<sup>١</sup> - سورة البقرة الآية: (٢٢٥).

<sup>٢</sup> - في السابق، أبوبكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن ج ١، ص ٤٥.

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، برقم الحديث (٦٦٧٥)، ج ٨، ص ١٣٧.

<sup>٤</sup> - في السابق، عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٩، ص ٤٤٦.

<sup>٥</sup> - سورة آل عمران الآية: (٣٢).

<sup>٦</sup> - سورة آل عمران الآية: (٥٧).

<sup>٧</sup> - في السابق، أبو بكر محمود جومي، رد الأذهان إلى معاني القرآن ج ١، ص ٤٥.

<sup>٨</sup> - سورة الزمر الآية: (٦٧).

فقلت ليست القدرة هي معنى اليمين، فهذا عدول وفرار عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والصواب ما قاله ابن جرير الطبري؛ حيث قال: "وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره والأرض كلها قبضته في يوم القيامة ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ كلها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فالخير عن الأرض منتهاه عند قوله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، والأرض مرفوعة بقوله ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة غيره: أنهم كانوا يقولون الأرض والسموات جميعا في يمينه يوم القيامة، وقال الآخرون: بل السموات في يمينه، والأرضون في شماله" إهـ.<sup>١</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، وقال: هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال كشفت الحرب عن ساق ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾<sup>٢</sup> فقلت المراد في الآية أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة ليسجد كل مؤمن ومؤمنة، لما ورد عن النبي ﷺ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يُكْشَفُ رِئْنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَتُمْنَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا)<sup>٣</sup> وهو الراجح الصحيح في المسألة.

وفي قوله تعالى: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ<sup>٤</sup>، وهذا التفسير لهذه الكلمة فرار من صفة العلو إلى شيء آخر، والصواب ما قاله ابن جرير الطبري قال: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من الماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمس مئة في النزول، وخمس مئة في الصعود لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل".<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ٢١، ص ٣٢٤.

<sup>٢</sup> - سورة القلم الآية: (٤٢).

<sup>٣</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، برقم الحديث (٤٩١٩) ج ٦، ص ١٥٩.

<sup>٤</sup> - سورة السجدة الآية: (٥).

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ١٦٩.



وقوله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَا رُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>١</sup>، والصواب أن يقال: إن الملائكة والروح هوجبريل عليه السلام يصعد إلى الله تعالى، والهاء ضمير عائد على الله في قوله ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>٢</sup>، قال الشيخ أبوبكر جومي هذه الآية كغيرها من الآيات المتشابهات مثل في صفة الاستهزاء، والسخرية، والمكر والوجه، واليد والعين والكلام والساق وكما تقدم والاستواء ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>٣</sup>، "فإننا نؤمن بها كما ورد مع اعتقادنا بأن الله تعالى منزّه عن كل ما يشكل مما يعني تجسيما أو تشبيها". ولكن ماذا قال إمام المفسرون ابن جرير الطبري، يقول تعالى ذكره، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أيها الكافرون ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء وتضطرب، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾<sup>٤</sup>،

فقلت إن هذه الآيات ليس فيها أدنى إشكال بدلاً من الشبهة لأن أهل السنة والجماعة آمنوا بأن الله تعالى في السماء على عرشه فوق عباده، كما دل عليه الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قوله ﷺ فَقَالَ: (أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ)<sup>٥</sup>،

وقال مالك بن أنس رحمه الله: "إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان" وقيل لابن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: "بأنه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وبه قال أمام أحمد بن حنبل<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - سورة المعارج الآية: (٤).

<sup>٢</sup> - سورة الملك الآية: (١٦-١٧).

<sup>٣</sup> - سورة طه الآية: (٥).

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ج ٢٣، ص ٥١٣.

<sup>٥</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في باب بعث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، برقم الحديث (٤٣٥١) ج ٥، ص ١٦٣.

<sup>٦</sup> - انظر محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، أبو الطيب، المتوفى (١٣٠٧هـ)، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط، ١،

(١٤٢١هـ)،

وقال الإمام الشافعي: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان، ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه في السماء، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء.<sup>١</sup> وقال أبو حنيفة رحمه الله: "من أنكر أن الله في السماء فقد كفر".<sup>٢</sup> وهذه أهم النقاط على بعض المآخذ التي جاءت في تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن.

#### سادساً: المآخذ في تفسير ضياء التأويل

كما تقدم عن هذا التفسير في قيمته العلمية مع ذلك أن الشيخ عبد الله وقع فيما وقع غيره في تفسيره من الموضوعات، فيما يتعلق بالعقيدة من آيات الأسماء وصفات الله تعالى: تبعاً من أصله ومصادره التي نقل منه.

والشيخ عبد الله بن فودي تجده أحياناً في بعض آيات الصفات على طريقة السلف،<sup>٣</sup> وفي أغلبها على طريقة المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، ويقول استواء يليق به على الوجه الذي عناه أحياناً وتارة يقول كناية عن إجراء الأحكام في الملك والملكوت، ومرة يقول معناه تدبير الكائنات وهاك بعض الأمثلة في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾،<sup>٤</sup> حيث قال: الشيخ عبد الله بن فودي: "استواء يليق به"<sup>٥</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>٦</sup>، قال: الشيخ عبد الله بن فودي: "استواء يليق به أو هو كناية عن إجراء الأحكام في الملك والملكوت بالتدريب والحفظ فإن الملك يجلس على سريته ثم يظهر أوامره".<sup>٧</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، شيخ الإسلام ابن تيمية عبد الحليم، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٨، ص ٤٦٤.

<sup>٢</sup> - انظر: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، إثبات صفة العلو، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، ج ١، ص ١١٦-١١٧.

<sup>٣</sup> - الصالح من الصحابة ومن تبع طريقهم في إثبات الصفات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ في الكتاب والسنة، وطريقة المتكلمين أي الذين سلكوا نهج التأويل فراراً من التشبيه كما زعموا أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

<sup>٤</sup> - سورة يونس الآية: (٣).

<sup>٥</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ١٠٥.

<sup>٦</sup> - سورة الرعد الآية: (٢).

<sup>٧</sup> - المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٨٣.

وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة في أن الله فوق العرش بائن من خلقه كما يليق بجلاله وعظمته، قال: تعالى: ﴿أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾، ومن السنة قول النبي ﷺ فمثلا حديث الجارية لما سأها فقال لها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قالت: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"، من رواية أبو مصعب الزهري.<sup>٢</sup>

أما أقوال الأئمة رحمهم الله في هذا الشأن فمثلا قول مالك بن أنس، قال: مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ النَّضْرِ النَّيْسَابُورِيُّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى، يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ رَأْسَهُ، حَتَّى عَلَاهُ الرَّحْضَاءُ ثُمَّ قَالَ: الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ بَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ قَالَ الشَّيْخُ: وَعَلَى مِثْلِ هَذَا دَرَجَ أَكْثَرُ عُلَمَائِنَا فِي مَسْأَلَةِ الْإِسْتِوَاءِ وَفِي مَسْأَلَةِ الْمَجِيءِ وَالْإِثْبَانِ وَالنُّزُولِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>٣</sup>، وَقَالَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾<sup>٤</sup>.

وفي تفسيره عن صفة المجيء الربِّ سبحانه وتعالى، أن الشيخ عبد الله بن فودي قال "أمره"<sup>٥</sup> وهذا أيضا تأويل ولا بد أن يعرف أن مجيء الرب ليس كمثلي مجيء البشر، فإنه تعالى يجيء مجيئا يليق به بلا كيف، ولا تشبيه ولا تعطيل، ثم قوله مجيء أمره فقد جاءت آيات أخر ذكرت مجيء الرب وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾<sup>٦</sup>، وفي ذكر آية

<sup>١</sup> - سورة الملك الآية: (١٦-١٧).

<sup>٢</sup> - انظر: موطأ مالك، بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني المتوفى (١٧٩هـ)، موطأ الإمام مالك، في باب ما يجوز من العتق في الرقاب، بشار عواد معروف، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤١٢هـ)، ج٢، ص ٤٠٤، وهو حديث صحيح جاء في مختلف الرويات.

<sup>٣</sup> - سورة الفجر الآية: (٢١).

<sup>٤</sup> - سورة البقرة الآية: (٢١٠)، وانظر: أبوبكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي المتوفى: (٤٥٨هـ)، الاعتقاد، المحقق: أحمد عصام الكاتب، دارالآفاق الجديدة- بيروت، ط٢، (١٤٠١هـ)، ج١،

<sup>٥</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج٤، ص ٢٧٨.

<sup>٦</sup> - سورة النحل الآية: (٣٣).

أخرى في ذكر مجيء الرب، والأمر والملائكة فقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>١</sup>، وفي آية أخرى أيضا في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>٢</sup>.

وفي صفة العلوا أيضا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾<sup>٣</sup>، قال: الشيخ عبد الله بن فودي "فإن من تفرد بالعلوم ونفاذ الأمر إليه يرجع الأمر كله في الشر والخير".<sup>٤</sup> والآيات والأحاديث في إثبات هذه كثيرة ومن قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>٥</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ".<sup>٦</sup>

وفي صفة الساق كذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾<sup>٧</sup>، قال: الشيخ عبد الله بن فودي: "يشد الأمر وكشف الساق كناية عنه للحساب والجزاء".<sup>٨</sup> وقد سبق الإشارة إليه في تفسير ردّ الأذهان إلى معاني القرآن، المراد في الآية أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة ليسجد كل مؤمن ومؤمنة، لما ورد عن النبي ﷺ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ (يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا).<sup>٩</sup>

<sup>١</sup> - سورة الأنعام الآية: (١٥٨).

<sup>٢</sup> - سورة البقرة الآية: (٢١٠).

<sup>٣</sup> - سورة الأنعام الآية: (٦١).

<sup>٤</sup> - في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٢٦٧.

<sup>٥</sup> - سورة فاطر الآية: (١٠).

<sup>٦</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، الجامع صحيح البخاري، في باب الدعاء والصلاة من آخر، ج ٢، ص ٥٣.

<sup>٧</sup> - سورة القلم الآية: (٤٢-٤٣).

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٢٢١.

<sup>٩</sup> - في السابق، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في باب من انتظر، برقم الحديث (٤٩١٩) ج ٦، ص ١٥٩.

وقال الشيخ الألباني: "نعم ليس كمثله شيء ولكن لا يلزم من إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الصفات شيء من التشبيه أصلاً كما لا يلزم من إثبات ذاته تعالى التشبيه، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات وهي حق ثابت، فكذلك صفاته تعالى لا تشبه الصفات وهي أيضاً حقائق ثابتة تتناسب مع جلال الله وعظمته وتنزيهه، فلا محذور من نسبة الساق إلى الله تعالى إذا ثبت ذلك في الشرع. وأنا وإن كنت أرى من حيث الرواية أن لفظ "ساق" أصح من لفظ "ساقه" فإنه لا فرق بينهما عندي من حيث الدراية لأن سياق الحديث يدل على أن المعنى هو ساق الله تبارك وتعالى وأصرح الروايات في ذلك رواية هشام عند الحاكم بلفظ: "هل بينكم وبين الله من آية تعرفونها؟ فيقولون: نعم الساق، فيكشف عن ساق"<sup>١</sup>

قلت والكلام في صفات الله تعالى يؤخذ من الكتاب والسنة دون غيرها فلا نثبت لله إلا ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ في سننه، والأشاعرة يثبتون لله سبع صفات، وهذا يلزمهم أن يثبتوا الباقي؛ لأن الكلام في بعض الصفات كالكلام في آخر وكذلك الذات، أن الكلام عن الساق كالكلام عن صفة اليد والإصبع والعين والمحيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>٢</sup>.

وهذه ملامح من تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبدالله بن فودي، وأهم النقاط على بعض المخالفات والمآخذ التي وقع في تفسيره، وليست هذه المسألة فقط بل مسائل كثيرة في الفقه واللغة وفروعها والقراءات وبعض القصص التي أورده فيه، لولا إطالة وخروج عن المنهج والحدود لأورده جميعاً.

#### وجه المقارنة

يتفق الشيخ جومي مع الشيخ عبدالله بن فودي في مآخذ عن تفسيريهما وبالأخص فيما يتعلق بآيات الصفات أحياناً أنهما يثبتان، وأحياناً لا يثبتان لله صفة رب سبحانه وتعالى، ويؤلان تأويلات في الصفات على مذهب الأشاعرة، أما فيما يتعلق في سائر المسائل كالمسائل الفقهية واللغوية، وغيرهما أن عبد الله يختلف عن أبي بكر جومي؛ لأن عبدالله قد حرر تفسيره في كثير

<sup>١</sup> - انظر محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، أبو عبد الرحمن: (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ج ٦، عام النشر (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، ج ٢، ص ١٢٨.

<sup>٢</sup> - سورة الشورى الآية: (١١).

من المسائل وناقش كثيراً من الموضوعات؛ فلا يوجد أي مآخذ غير آيات الصفات؛ أما جومي فقد وقع في كثير من المسائل تقدم الأمثلة حولها.

ثامنا: وجه التقويم العام

وبهذا أظهر في تفسيره غرر الفوائد وجمع الفرائد، عبد الله بن فودي في التفسير. فالأمثلة في النقاط الآتية:

١- اهتم الشيخ عبد الله بالجانب الأثري في تفسيره بين الجمل وقيد المطلق وخص العام وأزال الإشكال وأوضح المبهم وذلك في تفسير القرآن بالقرآن. وبالحديث وعلومه جمع الرويات مع نظرائها، وذكر المصادر من كتب الحديث، وأورد أقوال الصحابة في تفسيره كعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب وغيرهم رضي الله عنهم، وهكذا أورد أقوالاً لكبار تلاميذه التابعين كمجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة بن دعامة السدوسي.

٢- اهتم الشيخ عبد الله بالجانب الفقهي وأصوله واستخدم المصطلحات الفقهية وبسط الكلام في مسائل الفروع، وذكر الآراء مع الحجج أحيانا في العبادات والمعاملات، والأحكام الاجتماعية كالنكاح والطلاق، والجنايات؛ مما يتعلق بالسياسة الشرعية نحو عدم تولية المرأة الإمامة وواجبات الحكماء، ثم استخرج قواعد الفقه وأصوله من خلال تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام كالأمر للوجوب والفور إلا لصارف، ومفهوم المخالفة، والأصل في الأشياء الإباحة. وهكذا أشار إلى معنى الصوم والاعتكاف والخشوع والخضوع في الاصطلاح، في تناوله الفروع الفقهية، ويرجح مذهب الإمام مالك غالبا حسب البيئة التي عاش فيها.

٣- ركّز كثيرا على الجانب اللغوي، كالنحو والبلاغة والصرف والشعر من معاني المفردات؛ فقد اهتم بالجانب النحوي كثيرا حتى لا يميزه مسألة من المسائل النحوية من خلال التفسير إلا وقف عليها، وبين الأقوال والآراء ونسب كل قول إلى قائله عدل وأعطى كل ذي حق حقه، وذلك في تحرير مسائل النحو، واستخرج نكتا بلاغية تكشف جوانب إعجاز القرآن ودقائق معانيه، بين التشبيهات والاستعارات والمجازات، والأمثال، والبدائع، وضم إلى ذلك بيانه لمعاني المفردات مستدلا بما قاله أصحاب المعاجم، وبالشعر تارة أخرى.

- ٤- دافع عن عقيدة أهل السنة ورد على آراء الفرق من المعتزلة، والجبرية، والخوارج، وكذلك بَيَّن بالشطحات الصوفية، والفلاسفة فيه انكارهم بعث الأجساد؛ ولكن الشيخ عبد الله رحمه الله وجدته في باب الصفات أشعريا، لم يثبت إلا صفة الاستواء على طريقة السلف الصالح إثباتا كما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل كما أثبتته النبي ﷺ. أما باقي الصفات فقد أولها على طريقتهم، وعلى طريقة أهل السنة والجماعة أحيانا في باب الإيمان ومتعلقاته كالإيمان بكرمات الألياء، وأن العين حق، والسحر له تأثير، ويثبت عذاب القبر، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ إلا أنه يرى أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان وهو في هذا على نهج الماتريدية.
- ٥- تفسير الشيخ عبد الله من التفاسير التي يقل فيها ورود الروايات الإسرائيلية ولذا تجده ينبه على القصص والحكايات التي نقلت عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والتي لا تتفق مع هذا الدين الحنيف وخاصة التي تطعن في عصمة الملائكة والأنبياء عليهم السلام، لما تكنه صدور اليهود وهم أشد الناس عدواة للمؤمنين، ومن ذلك القصص الموضوعية كقصة الغرائق، ومع تحري الشيخ في ذلك فقد ذهل عن بعضها كالروايات في قصة أيوب عليه السلام لم يعقب عليها.
- ٦- وتجده الشيخ عبد الله يفصل القول في غزوات النبي ﷺ التي ورد ذكرها في القرآن أو الإشارة إليها كبدر وأحد وغيرهما، مرتبة ومسلولة.
- ٧- وقد التزم الشيخ عبد الله بذكر القراءات السبعة في تفسيره للفوائد اللغوية والفقهية، وكتبه، واقتصر على خط المغاربة، وترى صورتها في آخر البحث إن شاء الله؛ لأنها هي المشهورة والمنتشرة في المنطقة. أما قراءة القرآن فيكتفون برواية ورش عن نافع المدني رحمه الله.
- ٨- وفي المباحث المتعلقة بعلوم القرآن تناول آراء العلماء في النسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وقد ظهر موقفه وهو على منهج أهل السنة في ذلك، ويرى أن السنة تنسخ القرآن، وفي نزول القرآن ذكر أول ما نزل من الآيات والسور وآخر ما نزل منها، ويهتم أيضا بذكر المناسبات بين السور والآيات والربط بينها. وأشار إلى فضائل بعض سور القرآن أو الآيات، ولم يكثر من ذلك لأن كثيرا من الروايات فيها ضعف وبعضها من الموضوعات، وكذا المكي والمدني وعدد الآيات في كل سور القرآن. ولم يبحث في تفصيل

الحروف المقطعة في فواتح السور، واقتصر على لفظ "الله أعلم بمراد ذلك" ولأهمية علوم القرآن ألف ثلاثة كتب في ذلك الفرائد الجلية، ومفتاح التفسير، وسلالة المفاتيح. وسلك مسلكاً لم يسبقه أحد من قبل.

٩- واهتم الشيخ عبد الله بمجال التربية والإصلاح حيث استخرج من ذلك فوائد من تفسيره للآيات كالصبر، وفضل العلم والكتابة والمواساة بين المساكين والفقراء ومجالستهم، في الإنفاق، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠- وتأثر الشيخ عبد الله بالتربية الصوفية وذلك من خلال مطالعته للكتب الصوفية كالرسالة القشيرية، ولطائف الإشارات، وإحياء علوم الدين، وبهذا السبب يهتم بذكر شيء من إشاراتهم في تفسيره.

١١- تحاشى الشيخ عبد الله في تفسيره ما أولع به بعض المفسرين من التطويل والاستطراد في ذكر بعض الأمور التي لا علاقة لها بالتفسير كالعلوم العقلية والطبيعية والرياضيات، ولم يكرر المسائل التي تحدث عنها في مكان، وأحياناً يحيلك إلى كتب علماء آخرين إذا كانت المسألة تحتاج إلى مزيد من التفصيل والتوضيح. وعلى سبيل المثال قوله تعالى ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup> قال الشيخ عبد الله بن فودي: "حسناته جمع موزون أو ما يوزن به جمع ميزان والأول أوجه وعلى الثاني فجمعه للتفخيم أو لكثرة الموزون فيه وهو الأصح أو متعدد تعدد الأمم أو الأشخاص كما هو معلوم في كتبنا الأصولية ولشيخ شيوخنا طاهر بن إبراهيم في النظم الكبرى في السمعيات كلام بليغ رصين جزل فصيح ينبغي النظر فيه لمن أراد ذلك"<sup>٢</sup>.

١٢- وإذا عالج مسألة ما في تفسير آية فإنه يرجعك إلى الآية أو يقول قد سبق الكلام في آية كذا وكذا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>٣</sup>. وقال الشيخ عبد الله بن فودي: تقدم في سورة الأنعام ومريم ولقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ

١- سورة الأعراف الآية: (٨).

٢- في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص ٣.

٣- سورة الصف الآية: (٦).



إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ<sup>١</sup>، وهكذا دواليك لأن كثرة الكلام والاستطراد ينسي بعضه بعضا فخير الكلام ما قل ودل، ويعبر أحيانا بقوله لقد تقدم في سورة كذا وكذا.

١٣- يعتبر تفسيره من التفاسير التي قلّ فيها ذكر الأحاديث الموضوعة وخاصة في أسباب النزول وفصائل القرآن، ومع ذلك لم يخل منها. وهذه بعض الأمثلة على ذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>٢</sup>. قال الشيخ عبد الله: كان حاله ﷺ الاعتدال، وحال الصحابة لا يأكلون إلا لسد جوعتهم ولا يلبسون إلا سترا لعوراتهم وقد دخل علي بن أبي طالب ﷺ السوق فاشترى قميصا بخمسة دراهم فرأى في كفه طولا فقال للبائع اقطع من كفه، فقال: "أنت مجنون فقال له علي: بارك الله فيك" سمعت رسول الله ﷺ يقول "لا يكمل إيمان المرء حتى يقال فيه إنه مجنون"<sup>٣</sup> وذكر ذلك الحديث المروج المشهور "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"<sup>٤</sup>. وهذا ليس من كلام النبي ﷺ.

١٤- ومن ذلك تفسيره بعض الآيات على غير المعهود عند المفسرين من السلف، وهو أشبه ما يكون بقول الباطنية كتفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾<sup>٥</sup>، وقال الشيخ عبد الله بن فودي: "الظلمات: الأعمال الفاسدة والبحر اللجي: قلب، والموج ضلالة والسحاب شهوته"<sup>٦</sup>.

١٥- ومن ذلك ذكره بعض البدع كقوله عند ما ختم تفسير سورة آل عمران قال: رزقنا الله قربة ومجاورته في دار رضوانه بجاه سيدنا محمد ﷺ<sup>٧</sup>، قلت صحيح أن النبي ﷺ له مقام عند الله تعالى ولكن لم يعلمنا أن نسأله بجاه ﷺ وقد قال للغلام حين يعلمه الإسلام وفيه "وإذا

١- سورة ابراهيم الآية: (٤)، في السابق، عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ١٩٦.

٢- سورة الفرقان الآية: (٦٧).

٣- المرجع نفسه، ج ٤، ص ١٩٦.

٤- المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٨٩.

٥- والحديث قال فيه بن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام ابراهيم بن علي قاله العراقي وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط ١، دار الكتب العربي، ج ١٣، ٤٩٣.

٦- سورة النور الآية: (٤٠).

٧- المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٣٠.

٨- المرجع نفسه، ضياء التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ١٦١.

سألت فاسأل الله "ولا يجوز التوسل بذات الشخص إنما يتوسل بأعمال الصالحة، أو بأسماء الله وصفاته، وكلامه تعالى.

١٦- وقد ينقل كلام عالم ويتركه ولا يعلق عليه، وانظر ما نقل عن ابن العربي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>٢</sup>، وقال الشيخ عبد الله: قال ابن العربي: "قصدت قبره مرارا لا أحصيها بقربة جيحون في سيري من المسجد الأقصى إلى قبر الخليل عليه السلام وبت به وتقربنا إلى الله بمحبته ودرسنا كثيرا من العلم عنده والله ينفعنا به" وهكذا ما نقل في غاية الأماني "وبها قبره يزار في الموصل يقطع بينهما، وقد أوردها وسكت عن ذلك، وما إخال ذلك إلا تأثيرات التصوف من أصحاب الطرق عبدة القبور والأولياء. وهذه ملامح أو أهم النقاط التي استخرجناها عموما من ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن فودي. هذا فيما يتعلق بتفسيره.

### المطلب الأول: دراسة مقارنة في أفكارهما

والحديث عن أفكار الشيخين تقدمت الإشارة إليهما على أن أفكارهما في إصلاح الديني من تصحيح العقيدة والنهضة التجديد الإسلامي، والتعاشيش السلمي مع غير المسلمين، الإصلاح والعدالة الاجتماعية، والتعليم والتدريس والوعظ والإرشاد والتصنيف والتأليف، والتربية من تهذيب النفوس والتركيز عليها، وأتناولها في النقاط الأربعة الآتية:

#### أ- أفكارهما في الإصلاح الديني:

يتفق الشيخ أبوبكر محمود جومي مع الشيخ عبد الله بن فودي في أفكار الإصلاحية الدينية ووجوب التمسك بالكتاب والسنة وأحكام الشريعة عموما وبها توحيد صفوف الأمة وعن طريقها تصحيح العقيدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو تجمع قلوب المسلمين على روح المحبة والألفة للمسلمين عامة وللمسلمي نيجيريا خاصة، وكذا التركيز على مقاومة الخرافات والبدع التي شوهت عقيدة المسلمين وكل مظاهر الشرك سواء كان

<sup>١</sup> - في السابق، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ١، ص ٢٩٣.

<sup>٢</sup> - سورة الصفات الآية: (١٣٩).

خفيا أو ظاهرا ويعتبر مجدد الدعوة الإصلاحية في المنطقة عموما. من هذه الناحية، وفي الأخرى يختلفان في أسلوب الدعوة في كيفية إيصالها لكن الهدف واحد.<sup>١</sup>

#### ب- أفكارهما في التعليم والتدريس:

يتفق الشيخ أبوبكر محمود جومي مع الشيخ عبد الله بن فودي في أفكاره عن التدريس والتعليم والوعظ والإرشاد والتصنيف والتأليف منذ أن أسس الدولة الفوديون مع أخيه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي خلافة الصكتوية الإسلامية من عام (١٨٠٤)، وقد أسس الشيخ عثمان بن فودي الجامع نشر العلوم العربية والثقافة الإسلامية، إلى وقنا الحاضر، وأفكارهما منصبة في مجال التدريس والتعليم والتصنيف والتأليف من تفسير القرآن والحديث والفقه، وسائر العلوم وقد كرس نفسهما في الجامع لتدريس وتوعية المسلمين فيه، وخلفا كثيراً من المؤلفات والمصنفات مئات من الكتب.<sup>٢</sup>

ويختلف الشيخ جومي عن الشيخ عبد الله بن فودي، في العقيدة؛ لأن الشيخ عبد الله كان قادرياً، وصار صوفياً وإن كان من المعتدلين، ولكن تأثر بأقوال الصوفية وذلك من خلال مطالعته لهذه الكتب كإحياء علوم الدين، ولطائف الإشارات والفتوحات المكية. تجده ينقل من مشائخ الصوفية، وبعض شطحاتهم مثل عبد الوهاب الشعراني والحلمي وغيرهم، وعموماً كما ظهر ذلك من خلال تفسيره يدل ذلك على أن الرجل صوفي العقيدة؛ أما الشيخ جومي فلسفي العقيدة ينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة وكان محارباً للبدعة والخرافات، ولم يعرف عنه أي بدعة أو انحراف عن سواء السبيل، وعند تذكر مصادره تجد أنها التقت بكتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب<sup>٣</sup> وإرشادات

<sup>١</sup> - في المصدر السابق، تقدم في الفصل الثالث ص ١٥٦ للشيخ جومي ص ٢٠٩ للشيخ عبد الله بن فودي.

<sup>٢</sup> - في المصدر السابق، تقدم في الفصل الثالث ص ٢١٤.

<sup>٣</sup> - هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي زعيم النهضة الدينية الإصلاحية ولد عام (١١١٥هـ) الموافق (١٧٠٣م)، وكانت وفاته في الدرعية سنة (١٢٠٦هـ) الموافق (١٧٩٢م) وله مصنفات كثيرة مثل كتاب التوحيد، وكيف

الشبهات، وأصول الإيمان وغير ذلك في المصدر السابق، شرح العقيدة الطحاوية ج ١، ص ٨٩.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، كان زميله لأتهما مؤسسان لرابطة العالم الإسلامي التي مقرها في مكة المكرمة.<sup>١</sup>

#### ت- أفكارهما في تعايش السلمي:

يختلف الشيخ جومي عن الشيخ عبد الله في تعايش مع غير المسلمين وما يسمى بالعدالة الاجتماعية ويعطي كل واحد حقه في التعايش السلمي في المجتمع، فأفراد المجتمع هم نسيج واحد داخل المجتمع تجمع بينهم علاقات مشتركة، ونتاج موروث طويل من الحياة، والترابط الرحيم بين الطرفين. يقصد بالتعايش أن يعيش الرجل مع الخلق، فيسلم منهم وينصفهم عن نفسه، فيلقى الله عز وجل، وقد أدى إليهم حقوقهم، وسلم بدينه بين ظهرانيهم، يقول الدكتور التركي: "إن المسلمين يملكون رصيда ضخما في مجال الثقافة والقيم والعلاقات الإنسانية، والتعاون بين الأمم والشعوب، فينبغي أن يكون للإسلام نصيبه في بناء أي نظام عالمي جديد، وأن يكون له مكانة في الدعوة إلى التعايش السلمي بين البشر".<sup>٢</sup>

وكان له يد وسمعة، ولم يتاح مجالا للقادة والزعماء السياسيين في أن يتلاعبون بشعب النيجيري، كما حلّ للمشاكل الدينية، والقبلية، والإقليمية التي تحيط بها الآن، وكان محرماً احترام خاص من غير المسلمين؛ لأنه أول قاضي قضاة، ومستشاراً لرئيس وزراء نيجيريا بعد الاستقلال من الاستعمار الإنجليزي. وهو من أكابر الدعوة إلى تحقيق ذلك؛ لذا يرى الشيخ أن الدولة ذاتها لا تدوم إذا لم يكن فيها تطبيق العدالة الاجتماعية، وزعيم الحركة الإصلاحية المناهضة في القرن الحادي والعشرين. وقد أسهمت اجتهاداته الدينية والفكرية في إلهام الكثير من الحركة الإصلاحية الإسلامية ليس فقط في نيجيريا، بل في غرب إفريقيا عموماً، بل كان عميد الدعوة السلفية في نيجيريا. هدفه الدعوة إلى الله عن الطريق

---

<sup>٢</sup>- موسوعة المصطلحات الإسلامية ص ٣٩٤، وينظر مفهوم التعايش في الإسلام د، عباس الجزائري من مطبوعات الإيسيسكو ١٩٩٦م، والإسلام في القرن العشرين، عباس محمود العقاد، سلسلة المواجهة، طبعة الهيئة العامة للكتاب القاهرة التعايش لغة مشتق من العيش، والعيش الحياة، وفي الاصطلاح يقصد به العيش المتبادل مع المخالفين القائم على المسالمة والمهادنة، كيف أن النبي ﷺ حينما استقر في المدينة وأسس نظاما عاما أساسه التعايش السلمي، وبالمصطلح

السلمي بالحكمة والموعظة الحسنة، كونه يجيد اللغة الإنجليزية وترجم من الكتب التي لا بأس بها ترجمة تفسيره والعقيدة الصحيحة وغيرهما، وقد أسلم على يده كثير من المسيحيين سنويا وخاصة عند إلقاء دروسه الرمضانية.<sup>١</sup>

### ث- أفكارهما في العدالة الاجتماعية:

يتفق الشيخ الشيخ أبوبكر محمود جومي مع الشيخ عبد الله بن فودي في التحقيق العدالة الاجتماعية، لأنه أسس كل شيء في الحياة حتى الكون بكامله يقوم على أسس العدل؛ لذا يرى الشيخ أن الدولة ذاتها لا تدوم إذا لم يكن فيها تطبيق العدالة الاجتماعية، لأنه من أسرع الخصال هدا للملك إثارة قبيلة دون الأخرى والمحابة لقوم دون قوم، وتقريب من ينبغي أن يبين فكرته سياسيا، وشخصيته خاصة أنه لا يتدخل في سياسة الدولة بل هو معين لأخيه الأكبر، أنه منشغل بالجهد والتدريس والتأليف والتصنيف. أما أخوه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي كان مهتما وماسكا لسياسة الدولة.<sup>٢</sup> وفي شأن تعليم المرأة خاصة فإنها ركزت على قضية المرأة وضرورة تحريرها من مظاهر الظلم والتهميش الاجتماعي الذي تعاني منه. وقد ساهمت المرأة المسلمة في حركة الإصلاح التي قادها ابن فودي، ولا شك في أن هذا النموذج الإسلامي للمرأة قد مثل تحديا كبيرا للأفكار السائدة في المجتمع الإفريقي آنذاك من ناحية التعليم الديني للمرأة مثل الرجل في تقديمه للدروس من الوعظ والإرشاد والتصنيف، كان يفسر القرآن، ويعلمهم الحديث والفقه، والتصوف وسائر العلوم الأخرى، حتى في آخر لحظة حياته وهو في مدينة كَنُو عند ما قصد الحج<sup>٣</sup>، وأسس المدارس والمعاهد.<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> - في السابق، في الفصل الثاني عند تعريف شخصيته وكتاباته.

<sup>٢</sup> - بمعنى خلافة الصكوتية تقدم في الفصل الأول الإصلاحات في الدولة نيجيريا.

<sup>٣</sup> - هو خرج إلى الحج فقصد نحو الشرق عند ما وصل إلى مدينة كَنُو أخذوه فبدأ التعليم وبالأخص تفسير القرآن في بيان كلام الله تعالى، ثم رجع إلى مدينته غوندو وتوفي فيها، وقد رأيت القبر بأم عيني هو مع اثنين من أبنائه واثنين من أحفاده، وهم خمس في غرفتين واحد منها لعبد الله والثاني لأبنائه وأحفاده.

<sup>٤</sup> - انظر: الموقع الإلكتروني منارات إفريقيا.

يختلف الشيخ جومي عن الشيخ عبد الله في فكرة تعليم البنات عن دراسة النظامية. والمرأة تتوظف وتشارك الرجال في الأعمال الحكومية؛ لأن دولة نيجيريا يعيش فيها المسلم وغير المسلم؛ لذا يرى الشيخ أن هذه الفكرة تتناسب مع المجتمع<sup>١</sup>.

### ج- أفكارهما في مجال التربية وتهذيب النفس

يتفق الشيخ أبوبكر محمود جومي مع الشيخ عبد الله بن فودي في التربية، وتهذيب النفس لدى أفراد المجتمع الإسلامي. والرجل عاش في القرن الواحد والعشرين ويتمتع بمعاصرتة كونه يُجيد العربية، والإنجليزية إضافة إلى لغته الأصلية الفلاحة والهوسا. هم الدعوة إلى الله، عن الطريق السلمي، بالحكمة والموعظة الحسنة بدون حمل السلاح أيا كان. والرجل تعجبك معاملته الشخصية وله أخلاق بكل معنى الكلمة؛ لذا يقبلون الناس عليه ويقصدون. فتاواه عمت الناس حتى قادة الزعماء والسياسين، وشارك في المناصب الحكومية كان قاضي القصاة لشمال نيجيريا، والمستشار الخاص لرئيس وزراء الدولة. والطالع في كتاباته يرى كتبه مليئة بالتربية وتهذيب النفوس في الفرد والمجتمع جميعا<sup>٢</sup>.

أما الشيخ عبد الله بن فودي، قد استخرج جملة من الفوائد في تفسيره وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأثيره بالتربية الصوفية من الروحانية، وذلك من خلال مطالعته للكتب الصوفية كالرسالة القشيرية ولطائف الإرشاد وإحياء علوم الدين. وبهذا السبب يهتم بذكر شيء من إشاراتهم فيه، والتركيز على تهذيب الأخلاق والتربية النفوس، والملاحظة أن موقفه من الصوفية قد تُحدث اللبس، نظرًا لكونه هو نفسه الصوفي، لكنه لم يطرح الصوفية إطلاقًا باعتبارها جزءًا من مشروعه الفكري. وعند ما كان يشير إلى الصوفية كان ذلك في سياق الحديث عن السلوك الإسلامي القويم للفرد ولا علاقة له إطلاقًا بالمكوّن الفكري. ولا بن فودي كتابات كثيرة عن الصوفية، لكنه لم يوجه نقدا إليها مثلما هو الحال مثلا مع محمد بن عبد الوهاب. خلاصة الكلام أن الشيخ عبد الله بن فودي أفكاره في التفسير لا تخرج عن النقاط التي تقدمت في السابق، عن التركيز على

<sup>١</sup> - في السابق، نيجيريا دولة مشتركة بين المسلمين وغيره كما تقدم في الفصل الأول.

<sup>٢</sup> - في السابق، في الفص الثاني، والفصل الثالث في أفكار الشيخ جومي.

تهذيب النفوس، والوعظ والإرشاد في تربية الأمة، وإصلاح الفرد والمجتمع انطلاقاً من منهجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعلاء كلمة الله هي العليا، وبالأخص أن الشيخ عاش في القرن التاسع عشر، ولم تكن لديه أية إمكانية حديثة معاصرة.<sup>١</sup>

وهذه أهم الموضوعات التي تناولها الباحث في هذا الفصل من دراسة مقارنة بين منهج الشيخين (الشيخ أبوبكر محمود جومي، والشيخ عبد الله بن فودي) أن الشيخ جومي وافق الشيخ عبد الله في بعض الجزئيات من الموضوعات، واختلافاً في بعضها، وفي المنهجين تشابه على وجه العموم، والترادف والتمييز؛ لذا اعتبر الدعاة والمصلحون هذه التفسيرين مرجعاً ذا أهمية فائقة في المعرفة والوسائل والضوابط الإصلاحية والحكم المتلوية وذلك في الدعوة والإرشاد وتقويم سلوك المجتمع لوجود ملامح من ثنايا شروح بعض الآيات وبيانها. فإن التفسيرين خطوطهما منظمة لما قام به الفودويون من الجهاد الإصلاحي وتطبيق الشريعة الإسلامية بلاد شمال نيجيريا خاصة وبدولة نيجيريا عامة، والتي أدت إلى إقامة دولة إسلامية تحكم بكتاب ربها؛ ولذا هو مرجع أولي لها.

#### المبحث الرابع: الآثار الإيجابية لتفسير ضياء التأويل ورد الأذهان

قبل الحديث عن الآثار الإيجابية عن التفسيرين؛ حيث تقدم الحديث عن سير هذا البحث من تعريف المفسرين وبيان عن دراسة مقارنة في منهج التفسيرين، وعن كشف أوجه الاتفاق، والاختلاف، والانفراد، والأفكار، والتميز، والتقويم، والمآخذ في كل منه وهذا يكون تكملة لما تبقى من الآثار بين التفسيرين وتأثير للمجتمع النيجيري.

أما هذا المبحث فيكون الحديث فيه عن الآثار الإيجابية بين تفسيري المفسرين، في بيان تأثير المفسرين المحليين في المنطقة والتركيز عليها وفيه مطلبان. أما المطلب الأول فأتناول فيه أثر تفسير ضياء التأويل في تفسير رد الأذهان؛ أما المطلب الثاني فتأثير المفسرين في المجتمع النيجيري، وكما تقدم، في دراسة مقارنة في منهج المفسرين

---

<sup>١</sup> - كالألات الحديثة التقنية المعاصرة من الورق والكمبيوتر وآلة الطباعة وغيرها ومع ذلك فإن الشيخ صنف أكثر من مائة كتاب ما بين مخطوطات ومطبوعات، يجاهد ويؤلف أو يصنف. انظر: إلى تفسيره في المصدر السابق، في الفصل الثاني عند ترجمته.

## المطلب الأول: أثر ضياء التأويل في رد الأذهان

إن مفهوم الأثر له ثلاثة معانٍ؛ الأول بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء؛ والثاني بمعنى العلامة؛ والثالث بمعنى الجزء. ١ ومن المعاني العلامة في قوله: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ ٢ من كثرة الصلاة والتعبد بالليل والنهار، وقول النبي ﷺ (لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنْنَا أَحَدٌ)، وقد يكون الطريق الواضح، كما جاء في أثر السلف الصالح بالاعتصام بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، بمعنى آثار سلفنا الصالح، واستعمل في متابعة السير على طريق البحث والتحقيق، والمقصود المعنى الآثار هنا بمعنى النتيجة الحاصلة من الشيء بين المفسرين في تفسيريهما في أوجه من جوه التفسير، سواء كانت من التفسير بالمأثور والرأي المحمود عن إثر كثير من مناهج المفسرين، وتنوعت وتفاوتت طرائقهم في محاولة تيسير وتقريب فهم معاني القرآن الكريم قديماً وحديثاً.

إن هذا الأثر أو الآثار قد يكون سلبياً أو إيجابياً، سواء كانت الآثار التي تتعلق بالشخصية من سلوكيات وأخلاقيات وغيرها، أو تتعلق بالمصادر كالكُتب العلمية من المؤلفات، والتصانيف وغيرها؛ لذلك كان دائماً أن الطالب يتأثر بشيخه في علمه وأخلاقه وسلوكياته، وعلى أي حالٍ بحثنا في الآثار الإيجابية للتفسير.

إن تأثير رد الأذهان على ضياء التأويل على الشقين قد يكون التأثير المباشر وغير المباشر. أما المباشر من حيث الأخذ من تفاسيره بمعنى التفاسير التي ألفها الشيخ عبد الله (ضياء التأويل، وكفاية ضعفاء، ونيل السؤل)، في أوجه من الوجوه سواء كانت في المنهج أو المصادر أو النقل منه من تعليقات أو مادة علمية أو شرح كلمات، أو قصص والإسرائيليات، أو غزوات، أو أحكام فقهية ومسائلها، أو أحكام عقدية، أو أسلوب من الأساليب والأخذ والرد، أو تبادل المعلومات فهذا لا يوجد في تفسير رد الأذهان من أوله إلى آخره، من حيث التتبع والفحص والتنقيح فيه.

أما عن تأثيره غير المباشر بمعنى فيما يتعلق بالشخص من سلوكيات وأفكار دعوية واجتماعية، والتركيز على تصحيح المفاهيم والعقيدة الصحيحة، والتربية والسلوك، وإصلاح القلب والمجتمع؛

١ - في السابق، علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، التعريفات، ج ١، ص ٩.

٢ - سورة الفتح الآية: (٢٩).



فهذا تأثير ظاهر واضح بين المفسرين. ولأن الشيخ أبوبكر محمود جومي والشيخ عبد الله بن فودي خرجا من صميم واحد وفي منطقة واحدة؛ وقبيلة واحدة لأحدهما من آل فوديو وكانت تسمى بدولة الصكوتية أو العثمانية نسبة إلى عثمان بن فودي، والآن تسمى بولاية صكوتو إحدى ولايات نيجيريا على حسب تقسيمات السياسية الحديثة، والمدة ما بين الشيخين من الزمن ليقارب (١٦٠) سنة، حوالي قرن ونصف من الزمن.

ومن تأثيره غير المباشر أيضا توافقه في التركيز على تزكية النفس والتربية وإصلاح المجتمع، مع أنهما مختلفان في العقيدة. أن الشيخ جومي من السلفيين هو زعيم العلماء السلفيين في المنطقة بل حتى خارجها، لأنه تتلمذ على أيدي علماء المحليين مثل الشيخ جنيد بن محمد البخاري، والشيخ ناصر كبر وغيرهما؛ أما الشيخ عبد الله بن فودي، هو صوفي ونقل عنهم وتأثر بالروحانية الصوفية من التزكية النفس والتربية والأخلاقيات والسلوكيات؛ لكن الشيخ عبد الله من المعتدلين صوفيته لا تخرج عن الحق، والمتبع من تفسيره ومؤلفاته لا يرى أي خلل من التأويلات الباطلة والبعد عن الحق؛ اللهم إلا بالإشارات الصوفية التي نقلها من كتبهم كالطائف والإرشادات إذاً أن كلا الطرفين يتفقان في التركيز على تزكية النفس والتربية وإصلاح المجتمع النيجيري، وإن لم يتفقا في العقيدة.

ومن تأثيره المباشر توافقه مع المصادر العلمية من المؤلفات والمنصفات بمعنى أخذه من المصادر الأصلية التي أخذ ونقل منها كتفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي، وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي، ولباب التأويل لعلي الحازن، وأحكام القرآن لابن بكر بن العربي. في ذكره للفوائد وتعليقاته عليها، وفي بعض الاستدلال، والاستنباط والإرشادات، وبحلول مسائل فقهية وأصولية.

هناك جانب من الجوانب له تأثيراته في الأدوات والتقنية الحديثة من التلفاز والإذاعات والجرائد والمجلات، وخلف آلاف الأشرطة، إضافة إلى فيس بوك وتويتر والإنترنت، لأنه يتمتع بلغة المعاصرة اللغة الإنجليزية إضافة إلى اللغة الأم، ثم قضى في هذا المجال حوالي ربع قرن من الزمن وهذا ما جعله أكثر تأثيراً من غيره.

وهو من التفاسير المفيدة الجيدة وسهل اللفظ مختصر العبارة وصفاه من القصص والإسرائيليات، وحذف الأسانيد، وهو زبدة من تفسير الجلالين وألف بعد تفسير ضياء التأويل، وجعل لكل

سورة موضوع الرئيسي، مصادره مختصرة كما تقدم، وتأثر به طلاب العلم والمبتدئين لسهولة تناول المعلومات؛ لأنه بديل لتفسير الجلالين الذي أثر في المجتمع النيجيري. كتبه صاحبه في مدة سبع سنوات وجمعه من بحثه لتفسيره الذي يقدم في رمضان المبارك سنويا في مسجد الجامع السلطان بللو في ولاية كدونا.

ونستخلص من الآثار الإيجابية منها الآتي:

أولاً: تأثيره من حيث السلوك والتربية في حسن المعاملات والأنشطة الدعوية والتعليمية، في إصلاح الفرد والمجتمع النيجيري.

ثانياً: تأثيره من حيث أخذه للمعلومات من المصدر لدى أخذ كل منهما كتفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي، وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي، ولباب التأويل لعلي الحازن، وأحكام القرآن لابن بكر بن العربي، قد يكون نقلاً منه أو مباشرة عن المصادر.<sup>١</sup>

ثالثاً: تأثيره من حيث الفكر الجهادي بمحاربة البدع والخرافات والشركيات على أوضاع المجتمع النيجيري؛ لكن باللسان والتعليم والوعظ والإرشاد، وبالقلم من التصانيف والمؤلفات والجرائد والمجلات وغيرها من الوسائل المختلفة.

رابعاً: فكرة من حيث اعتماده على العدالة الاجتماعية، بمفهوم إعطاء كل ذي حق حقه سواء كان مسلماً أو غير مسلم. وما يسمى بـ (التعايش السلمي) الذي جعله أكثر تأثيراً في غيره وفي المجتمع النيجيري.

خامساً: انفراده بحسن التنظيم والترتيب واختصاره غير محل ولا تطوّل. وضع الفوائد أو الموضوع الرئيسي للسور بإيراد الأحاديث النبوية الشريفة بالمعنى غالباً؛ لكن يقلّ فيه الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

أما السلبيات نستخلص منها الآتي:

أولاً: وقوع فيما وقع غيره من المفسرين من أخطاء فيما يتعلق بالعقيدة من الأسماء والصفات، ما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، وما يليق به من إثبات بعض الصفات أونفيه، وذكر بعض الأسماء والأماكن لم تكن موافقة للتفسير كما تقدم في المآخذ.

<sup>١</sup> - وعند ما تابعت جميع ما نقله جومي في تفسيره من الفوائد وبعض المسائل الفقهية المذهبية لا يخرج عن هذه المصادر إضافة إلى مصادر للتفسير كتفسير ابن كثير وفي ظلال القرآن للسيد قطب، وحاشية الجمل على تفسير الجلالين.

ثانياً: عدم نسب أسانيد أحاديث الرسول ﷺ إلى المخرج من غير الصحيحين. أحياناً يذكر المخرج، وأحياناً لا يحكم عليه، وهذا يصعب على طالب العلم والمبتدئ أن يأخذ المعلومات الصحيحة في التفسير.

ثالثاً: عدم الترتيب والتنظيم المنطقيين فيما يتعلق بأسباب نزول الآية، أحياناً فيه فراغ بين الآية وأسباب نزولها حوالي عشر صفحات أو خمس صفحات.

أما تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل

هو من التفاسير المفيدة الجيدة التوسط ولا هو طويل مغل ولا هو مختصر مقصر مضيع بالأحكام، وصفاه من القصص والإسرائيليات، قلّ فيه الأحاديث الضعيفة والموضوعات، واتخذ من صحيح الأحاديث والآثار، واعتمد على ذكر الفوائد التفسيرية نقلاً من مصدره التي نقل منه، كما تقدم ولا يستغني عنه العالم ولا طالب العلم. تجديفها الفوائد التربوية والإصلاحية، وتجنب الآراء الفاسدة والفكرة السيئة والبدع والخرافات والشركيات. واستخرج الكتب للمفسرين من أهل المنطقة كمفتاح التفسير وفيه ألف وخمس مئة من بيت الشعر، ومفتاح السلالة، والفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة، والبحر المحيط جمع الجوامع للسيوطي، ونظمه فيه أربع آلاف بيت، قد استخدم المنظومة الشعرية العلمية في كل فن من الفنون، وتناول أنواع وألوان التفاسير-الموضوعي والتحليلي النظري والتطبيقي- وناقش كثير من القضايا التفسيرية الفقهية والأصولية والعقدية واللغوية، وكتبه خلال ثلاث سنوات.

ونستخلص من الآثار الإيجابية منها الآتي:

أولاً: وهو أول من قتح هذا الباب وكل من جاء بعده أخذ منه كما قيل عن صاحب تفسير الكشف للزمخشري. وكموسوعة من الموسوعات في اللغة وفرعها، وفي الفقه وأصوله، والعقيدة وفرعها، والبلاغة، وفرعها، والغزوات ومواقعها. مفسّر أديب شاعر فقيه، ولا ينازعه أحد في هذا الباب.

ثانياً: وهو من التفاسير التي يقل فيها القصص والإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة ومتوسط في أربع مجلدات أو أجزاء.

ثالثاً: تفوق عليه من المواد العلمية المدخرة فيه.

رابعاً: أكثر تأثيراً من مصادره التي أخذ منها المعلومات كتفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي، وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي، ولباب التأويل لعلّي الحازن، وأحكام القرآن لابن بكر بن العربي، نقلاً مباشرة عن هذه المصادر.

خامساً: وجامع بين أنواع وألوان التفاسير من التفسير بالمأثور والرأي المحمود، والتحليلي والموضوعي والنظري والتطبيقي، وإبداعاته نثراً ونظماً، ويقلّ فيه الأحاديث الضعيفة والموضوعة. أما سلبياته نستخلص منها الآتي:

أولاً: وقع فيما وقع غيره من المفسرين من أخطاء فيما يتعلق بالعقيدة من الأسماء والصفات، ما لا يليق بالله سبحانه وتعالى وما يليق به من إثبات بعض الصفات أونفيه، وذكره لبعض الأسماء الأماكن والتي لم تكن موافقة لمقام التفسير؛ لكن ولا غرابة فيه لأنه صاحب صوفي أشعري، كما تقدم في المآخذ.

ثانياً: يحتاج إلى عمل جماعي من التحقيق العلمي وتخراج الأحاديث، وتحليل المسائل الفقهية، وترجيحه واستخراجه للعلوم المدفونة فيه.

### المطلب الثاني: أثر ضياء التأويل ورد الأذهان في المجتمع النيجيري

حديثنا في هذا المطلب منذ أن قامت الدولة العثمانية الفوديوية لأخيه الأكبر لعبد الله بن فودي المفسّر، كان مبلغ عظيم من العلم؛ فكان فقيها عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير لغويا نحويًا بلاغيا وأديبا شاعرا حتى سمي بنادر الزمان.<sup>١</sup>

لقد تأثر الشيخ عبد الله بأخيه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي الذي أسس الدولة الإسلامية الصكوتية تأثيراً بليغاً في التربية والتعليم والدعوة والإرشاد وأعانه على تأسيس الدولة، ونشر الإسلام وكان قائداً من قواته، ووال من ولاية أمره من الناحية الغربية للبلاد، وكان أميراً في غوندوا كما تقدم.

ونجح الشيخ عبد الله منهج من سبقوه من المفسرين المتقدمين، كالثعالبي والحازن وغيرهما ومن حذفوا الذين حذفوا الأسانيد وقللوا القصص واختصروا الأقوال الماثورة وذكرها بدون

<sup>١</sup> - انظر: جامع البحوث والرسائل العلمية ص ٣٢.

أسانيدها ومالوا كثيرا إلى التفسير بالرأي المحمود، واهتموا بالرد أحيانا على التفسير بالرأي المذموم والتأويلات الباطلة للآيات المتشابهة والإيراد والنقل والتوسع.

واقبس الشيخ عبد الله بن فودي قسطا كثيرا من أنوار تربية أعمامه وإخوانه الذين درس على أيديهم وبالأخص أخوه الأكبر الشيخ عثمان، واعتنوا به أشد العناية في تحصيله، وقد أثرت أيضا هذه النشأة في الشيخ عبد الله بن فودي، وتأثيرها إنما تأثر كما ظهر واضحا في قائمة مؤلفاته وقيامه بأعباء الدعوة والجهاد وحمل ثقل الوزارة، والخلافة والإصلاح، والقرآن وعلومه (ضيء التأويل في معاني التنزيل، وكفاية ضعفاء السودان، ونيل السؤل من التفاسير الرسول، وسلامة المفتاح، والفرائد الجليلة، ووسائل الفوائد الجليلة في الآيات الجليلة كما تقدم<sup>١</sup> إن الشيخ عبد الله بن فودي بالتزكية النفس وإصلاح القلوب والتربية وإصلاح المجتمع؛ حتى ظهر هذا الأثر في مؤلفاته ومصنفاته، واقبس أيضا من مصادره التي نقل منه كتفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي، وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي، ولباب التأويل لعللي الخازن، وأحكام القرآن لابن بكر بن العربي التي اعتمد عليها أكثر من غيرهم، ولا يمر بآية من الآيات أو تفسير أو بيان إلا نقل أو شرح أو أشار إلى هذا التفسير. ولا يمكن أن نقول إنما نقل منه بعض الأشياء بل نقل منه جميع الأشياء المحتاجة في فقه العبادات والحديث النبوي الشريف، واللغة والإشارة كما تقدم عند مصادر التفسير<sup>٢</sup>.

لقد تأثر بالكتب التي ذكرتها فيما تقدم اتسم بالعناية العناية جانب اللغة من لنحو وإعراب لفهم معاني كلام العرب؛ لأن معنى الكلام بتفسير ويختلف باختلاف عوامل الإعراب. وذلك العلم يقود المفسر إلى حسن فهم معاني كتاب الله تعالى من حيث الموقع كالتصريف والاستتقاق؛ فتظهر كثرة ذلك في أغلب الكلمات؛ ولكن بإعجاز وبلاغة القرآن، والأساليب المستعملة فيها للكشف عن الكلمات والبيان، وإعجاز القرآن وفصاحته، وما استعملت عليه من دقائق البلاغة، والقراءات القرآنية وتوجيهها. وفصل القول عن العقيدة والرد على مخالفها

<sup>١</sup> - وللمزيد راجع رسالتي الدكتوراه، رسالة بعنوان: الشيخ عبد الله بن فودي منهجه في تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، نمدي قدم في الجامعة الإسلامية بكسان إسلام آباد. ورسالة بعنوان: الشيخ عبد الله بن فودي ومنهجه في التعامل مع الأحاديث النبوية في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل سورة البقرة نموذجاً؛ قدم في الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا للطالب لزيير أبوبكر ماداوكي.

<sup>٢</sup> - ذكرنا ذلك في أهم مصادر تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن فودي.

من الفرق الضالة، وفقه العبادات وردّه لأقوال المذاهب الأربعة ويرجّح ما يراه راجحاً وينسب الأقوال إلى قائلها، مع القائدة الأصولية منها. ومن هنا نستطيع القول بأن تفسير ضياء التأويل أهلاً لتطبيق عملي، وسهّل كل الوسائل التي تعينه على كتابة التفسير وغيره، فجمع المعلومات من التفاسير المدونة وغيرها.

أما تأثير هذين التفسيرين في المجتمع النيجيري، أمر ظاهر بين العلماء، وطلاب العلم من المفسرين في المنطقة، لاشك في أن الشيخ عبد الله قد عاش في القرن التاسع عشر الميلادي والشيخ أبوبكر جومي في القرن الحادي والعشرين الميلادي، والفرق بينهما فرق شاسع من الزمن في التفاوت وتفوق البيئة. ومع ذلك فإن النتيجة واحدة، في التأثيرات التي وقعت لهما من جميع الجوانب سواء كانت سياسية، أو اجتماعية، أو دينية أو اتجاهية، فضياء التأويل لعبد الله أقدم تفسير على الإطلاق، سواء كان للنيجيريين، أو للإفريقيين، وقد برع منذ نعومته حتى حاط بجميع المناطق.

هذه تأثيرات كلٍّ له اتجاه خاص يخصه، مع أن المضمون واحد في الانشغال بعمل الدعوة إلى الله؛ فكلٌّ قد أدّ واجبه بغض النظر عن تأثيرات البيئة التي عاشوا فيها، وإذا نظرنا إلى الشيخين فقد كان قصدهما وغرضهما تعليم أبناء أمة الإسلامية وشعبها واتحادها لمواجهة أعدائهم؛ ولذلك هذا لا يكون إلا بعد عقيدة صحيحة بموافقة الشريعة، وهذا هو غرضه ومنهجه وفكرته، وقد نال قبولا على هذه الجهود الجبار، ورفع مرتبته وشأنه عند الأمة، وقد أثنى عليه كثير من العلماء والمشايخ من الدول الإسلامية على هذا العمل<sup>١</sup>.

إن المجتمع النيجيري مجتمع ديني قبل إقامة الدولة الفوديون سنوات عديدة من الزمن؛ إلا أن عثمان جاء كمجدد للدين الإسلامي، وحركة الشيخ عثمان بن فودي من النهضة التي شهدتها مجال القضاء الشرعي في نيجيريا امتداء لدعوته لنشر الإسلام وحضارته في البلاد وتأثيرها بكل معطياتها البيئية العلمية والثقافية والدينية مركزا على مجال الإصلاح الديني والتجديد الفكري من خلال المفاهيم والعقائد، ومعرفة البيئة التي أثرت في الشيخين، والحالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كل منهما.

<sup>١</sup> - في السابق، في كتابه **Manufaata** (قصدي)، ج ١، ص ٤٣.

أما الشيخ عبد الله بن فودي فقد نال القبول في المجتمع النيجيري فقد أثنى عليه كثير من علماء المنطقة، وتخرج على يده خلق كثير من العلماء وطلاب العلم على حسب المنطقة، وليس في نيجيريا فقط بل في غرب إفريقيا كلها؛ حتى وصل إلى جامعة الأزهر في مصر، ووضع كمنهج التفسير في فترة من الفترات، ومخطوطه موزع بين الجامعات النيجيرية وعند أحفاده وحصلت عليها كما تقدم.<sup>١</sup>

وتفسيره خاص بالعلماء وطلاب العلم، أما بالنسبة للمبتدئين فليرجع إلى تفسيره كفاية ضعفاء السودان. وقد استفاد كثير من المفسرين القدماء في المنطقة. ما من عالم برع نعومته من العلم إلا استعمله؛ وقد تأثر به وأيقظ همم العلماء في مجال التأليف والتصنيف وإسهامات علمية فعالة للمفسرين قديما وحديثا، وهو بمثابة موسوعة لأهل المنطقة.

أما الشيخ أبوبكر محمود جومي فقد جاء بعده وهو أيضا قد نال القبول في المجتمع النيجيري، وقد أثنى عليه كثير من علماء المنطقة وخارجها، وتخرج على يده كثير من طلاب العلم، وتأثيره في المجتمع وبالأخص في الدعاة وطلاب العلم، وكونه هو مساعد أكبر هيئة دينية تسمى (جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة)، وهي دعوة سلفية وانتشرت في جميع أنحاء نيجيريا في القرى والبادي. وأسس المدارس الدينية، والمراكز، والمساجد؛ فإن هذا التفسير مستخدم عند علمائها إضافة إلى عامة الناس، ثم هناك موسم من مواسم التفسير في رمضان، يقيمونه في جميع مدن نيجيريا.

ومن هنا برع تأثيره أكثر فالأكثر تفاعلا. ما من مفسر إلا وهو يستخدمه عنده وأكثر تأثيرا من تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن فودي؛ لأنه تفسير مختصر وسهل التناول. ومصادره التي نقل منه كتفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الشعالي، وأنوار التنزيل للقاضي البيضاوي، ولباب التأويل لعلي الخازن، وأحكام القرآن لابن بكر بن العربي، إضافة إلى تفسير الجلالين والفتوحات الإلهية حاشية الجمل، وفي ظلال القرآن لسيد قطب التي اعتمد أكثر من غيرهم، ويذكر الموضوع الرئيسي لكل سور منها، وذكره للفوائد وتعليقاته عليها، وفي بعض الاستنباطات وحلول المسائل الفقهية بنسب الأقوال إلى قائلها. تفسير مختصر جدا وكتبه

<sup>١</sup> - تقدم ترجمته أن مخطوطاته حوالي (٧٧٦) ورقة وأضع بعضا منه في ملحقات البحث

صاحبه للمبتدئين من طلاب العلم؛ أما تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن فودي هذا للفحول.

أما كونه في تأثيره وتفوقه على ضياء التأويل من الناحية التقنية الحديثة من الأشرطة والفيديو والتلفاز والإذاعات والصحف والجرائد والمجلات، وفيس بوك وتويتر والشبكة العنكبوتية (إنترنت)، وغيرها من وسائل العصر الحديث. وقدم كثيراً من المبرامج الدينية وأن الرجل يجد اللغتين الإنجليزية والعربية معاً؛ إضافة إلى اللغة الأم، وهو معروف في المجتمع النيجيري داخلاً وخارجاً، ويظهر أنه أثر وأكثر تأثيراً من عبد الله أو تفسيره.

وأخيراً يمكن القول بأن جميع التفاسير التي وجدت في نيجيريا بعد دولة الفودوين قد استفاد أهلها كثيراً من تفاسير عبد الله بن فودي، وهو أول من فتح هذا الباب. وهو الوحيد الذي بلغ عدد ما صنفه في القرآن وعلومه، أكثر مما صنفه غيره في غرب إفريقيا بلاد السودان. وإلى اليوم لم يوجد من ألف كتاباً مثله في نيجيريا؛ فعلى هذا فكل من جاء بعده أخذ منه فهم عيال عليه في كل العلوم الإسلامية، جمعاً وتفسيراً وتبياناً وتفصيلاً وتحريراً.<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> - في السابق زبير أبوبكر، رسالة الدكتوراه ص ٩٦.



## الفصل الخامس: الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات والاقتراحات، والفهارس

أولاً: النتائج العامة

ثانياً: التوصيات والاقتراحات

ثالثاً: فهرس المراجع والمصادر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأزواجه وأصحابه، ومن اهتدى بهديه وقفى أثره إلى يوم الدين، وبعد: فقد كمل هذا البحث المتواضع بفضل الله ومنه وهذا جهد المقل، وأملّي أن أكون قد أضفت عملاً نافعا، أجده في صحيفة عملي يوم حشري، وأن في هذه الخاتمة الموجزة أن أدلى بذلو العاجز المقصر بما توصلت إليه من نتائج، وأوصي وصية من تبوأ غير مقعده بما أنّ لي من توصيات.

ما تناوله الباحث عن مناهج المفسرين النيجيريين دراسة نموذجية مقارنة بين تفسيري (رد الأذهان إلى معاني القرآن، وضياء التأويل في معاني التنزيل)، حيث بدأ الباحث بالكلام عن تاريخ موجز للمنطقة موقعها تعريفها وحدودها وسكانها ودخول الإسلام والإصلاح فيها، وبذكر المفسرين وبمجهوداتهم. واختص الباحث هذين التفسيرين بالعناية والدراسة في منهجهما عن التفسير وفي التفسير بعد معرفة تامة عن حياة المفسرين العلمية والعملية مفصلة، وما توصل إليه الباحث أيضاً من النتائج التي لا بد من إبرازها بالذكر مسجلة، ثم يردف الباحث بعدها الاقتراحات التي تسير بسفينة بحثه وما يتعلق به إلى الأمام.

إن حركة الإصلاحية بقيادة الشيخ عثمان بن فودي أنه أسهم مع أخيه الشيخ عبد الله بن فودي هي التي أعطت المسلمين في تلك المنطقة روح الإخاء والتي أيقظهم من سباتهم بعد فترة ربطت المسلمين بعضهم بعضاً وعادت بهم دينهم على النهج السليم القويم بعد أن كانوا ومفرقين. والشيخ عبد الله كانت له شخصية، نادرة لذلك سمي بنارد الزمان، كان فقيهاً ومفكراً وداعياً في نفس الوقت وقائداً ومجاهداً، وأفكاره الإصلاحية والثقافية على كثير من المصلحين واجتمعت في خصلتان الإصلاح عن طريق اللسان والقلم، والإصلاح باليد. أن دراسة مثل

هذه الشخصية من الناحية الثقافية يعطي لطلاب العلم والحركات الإسلامية روح الاندفاع والاقدام إلى الإمام في حقل العلم والإقتداء بأمثاله؛ حيث لم يحجزه انشغاله عن توطيد الدولة الجديدة في مجال التأليف، وكذا إرشاده وتنبيهه للحركات المعاصرة ألا تصرف جل همها إلى الجانب السياسي وتحمل الجانب الثقافي والتربوي، بل لابد من الجمع بينهما. وتتلخص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في الآتي:

- ١- تقع المنطقة في غرب إفريقيا شرق بلادكمرون وغرب الداهومي، وشمال النيجر، وجنوب المحيط الأطلسي (٣٣٩، ١٦٩) ميلا مربعا. ودخل الإسلام فيها وقت مبكر في غرب إفريقيا حتى وصل إلى نيجيريا فيما بين القرن، الحادي عشر، والرابع عشر، عبر الطرق والمعابر التجارية القديمة التي تربط بين شمال إفريقيا وغربها، تم الإصلاحية الدولة
- ٢- وتأسسها عام (١٢٢١هـ-١٨٠٦م). بدأ في سنة (١٢٣٣هـ-١٨١٧م)، أنشر علوم الإسلامية والثقافة العربية.
- ٣- رُزق المنطقة بكثرة المفسرين منهم الشيخ عبدالله بن فودي، وأبوبكر محمود جومي، والسلطان محمد بللوبن عثمان بن فودي إضافة إلى بعض المفسرين المعاصرين، منهم: الشيخ محمد أبه أجي، والشيخ جعفر محمود آدم، والدكتور محمد ثاني عمر، والشيخ آدم الإلوري، والشيخ حبيب الله، والشيخ أبوبكر غريه نايبا، والشيخ ناصر كبر، والشيخ الطاهر عثمان بوشي محمد البخاري بن عثمان بن فودي. من القدماء والمعاصرين، وتعرف على مجهوداتهم قديما وحديثا من الذين ألفوا في تفسير القرآن والذين لم يؤلفوا مع ذلك قد أدوا واجبهم في هذا المجال.
- ٤- أهم كتب التفسير لأهل المنطقة ضياء التأويل في معاني التنزيل، وكفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ونيل السؤل عن تفاسير الرسول، ورد الأذهان إلى معاني القرآن، ونزعة الإسير في إنالة اليسر، وهبة الله الرفيق في بيان قصة يوسف الصديق، وقصة أصحاب الكهف والمفتاح التفسير، والفوائد الجلييلة وسائط الفوائد، الحملة في علوم وتفسير سورة القدر، واستفادة المناهج مختلفة مدروسة من تفسير القرآن وعلومه وأنواعه ومصادره وإبداعاته.

٥- النهضة التطويرية التي شهدتها مجال القضاء الشرعي في نيجيريا. امتداء للدعوة الشيخ عثمان بن فودي إلى قامت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لنشر الإسلام وحضارته في البلاد وتأثيرها بكل معطياتها البيئية العلمية والثقافية والدينية مركزا على مجال الإصلاح الديني والتجديد الفكري من خلال المفاهيم والعقائد، ومعرفة البيئة التي أثرت في الشيخين والحالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كل من العصر عن شخصيتهما البارزة في التفسير.

٦- أفكار ومفاهيم وتصورات قادة الجهاد الإسلامي في بلاد الهوسا بالأخص الشيخين عثمان بن فودي وأخيه عبدالله (١٨٢٩م) والتي قامت في غرب إفريقيا في القرن الثالث عشر وأدت دوراً مهماً في الشريعة الإسلامية وساهمت في نشر تعاليم الدين الصحيحة منذ بدايتها إلى أن تم لها النصر بالفتوحات التي أدت إلى حالات مختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية الدينية.

٧- منهجها في الآراء والنقل والتوسيع شبه متوسط ليس بمسهب كالقرطبي، ولا يقتصر كتفسير الجلالين، وبالأخص ضياء التأويل هو وسط بين بين مع الاعتماد فيه أرجح الأقوال إعراب ما يحتاج إلى الإعراب منه، والتنبيه على القراءات السبع وبيان أحكام الشرعية مع مراعاة مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وهو أول كتاب للتفسير من أهل المنطقة، كتاب لم ينسج على منواله، ولم يسبق صاحبه أحد إلى وضع مثله، ولم يلحقه في شاويه ولم يسبقه أحد مع وجود بعض العلماء الذين سبقوه في هذا الميدان، وكل من جاء بعد أخذ منه.

٨- أفكارهما الإصلاح الديني من تصحيح المفاهيم والعقائد. كانت مدرسة التجديد الإسلامي قديما وحديثا، التي تحمل لواء، العدالة الاجتماعية بأن يعطى كل فرد حقه من التعايش السلمي مع غير المسلمين، في التعليم والتدريس والتأليف.

٩- دراسة مقارنة المنهج المؤلفين (رد الأذهان إلى معاني القرآن، وضياء التأويل في معاني التنزيل) في التأليف، وفي التفسير وجه الاتفاق في مصادر، العامة والعناية بالمأثور والاختلاف، وجزئيات مسائل العقيدة والفقه، والقراءات، واللغة، والناسخ والمنسوخ، والقصص، والإسرائيليات، والتمييز بينهما.

- ١٠ - تميز تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن عن تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل في حسن التنظيم والترتيب وذكر الموضوع الرئيسي لسور القرآن، وتفسيره العلمي، وتصنيفه القصص والإسرائيليات، وفكرة التعايش السلمي مع غير المسلمين وتعليم البنات ومشاكرتهن للرجال لتنافس مع غير المسلمين في المجتمع النيجيري.
- ١١ - تميز تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل عن تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن تفسيره الإشاري، والمناسبات ربط بين الآيات والسور، وعلوم القرآن ومسائله، اللغة وفروعها، والفقه وأصوله مع التوسيع، والعبادات المسائل الفقهية. بآراء المذاهب مع ترجيح مذهب الجمهور، ورد على الفرق الكلامية من المعتزلة والجبرية والفلاسفة وغلاة صوفية في كثير من المسائل العقدية.
- ١٢ - مقارنة عن رد الأذهان إلى معاني القرآن مع ضياء التأويل في معاني التنزيل وجه الاتفاق في دراسة التعامل بالنصوص من جميع جوانبه، من الآداب والأخلاق الحسنة، وجزئيات عن أصول العقائد؛ ولكن لا وجه للمقارنة في بعض الجزئيات عن أصول العقائد، وتعامله في العبادات واستدلالها الرأي الشخصي. قدحرا وناقشا المسائل العقدية والفقه وأصوله، مع ذكر أدلة المذاهب دون تعصب للمذهب المالكي.
- ١٣ - يتفق الشيخ أبوبكر جومي مع الشيخ عبدالله بن فودي في فكرة إصلاح الديني بالتمسك؛ العقيدة الصحيحة ومحاربة الخرافات والشركيات والبدع، ومجال التعليم والتدريس والتأليف والتصنيف عموما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدالة الاجتماعية ولن تقوم الدولة إلا مع إقامة العدالة ويعطى كل فرد من المجتمع حقه، والتربية وتهذيب النفوس وبالأخص الشيخ عبد الله قد تناول الروحانية الصوفية في تهذيب النفس.
- ١٤ - يختلف الشيخ جومي عن الشيخ عبد الله في فكرة التعايش السلمي، وفي العقدة، أن الشيخ جومي عقيدته السلفي ينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة مذهب السلف، وأن الشيخ عبد الله كان قادريا وسار صوفيا.
- ١٥ - كان تركاها عبد الله بن فودي مع أبي بكر جومي إسهامات فكرية وثقافية بارزة تمثلت في مؤلفاتهما التي في مجالات مختلفة.

- ١٦- إن الشيخ أبوبكر جومي والشيخ عبد الله قد لتزامهما في تفسيريهما بالكتاب والسنة، واعتمد على الأحاديث الصحيحة على وجه الخصوص، كالصحيحين البخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد.
- ١٧- كان عبد الله بن فودي من الأمرين بالعرف والناهين عن المنكر، وأسهم في قيام الإمارة الإسلامية في نيجيريا، وقد دامت قرنا من الزمن ربطت المسلمين تحت راية واحدة فصاروا أصبحت قوة ومنعة بعد أن كانوا أشتاتا، وانتهى دور الكفر والشرك بالله، وقيامها كان على الأسس والمبادئ الإسلامية.
- ١٨- ناقش الشيخ عبد الله بن فودي كثيرا من الحكايات والقصص الإسرائيلية على ضوء الكتاب والسنة والمعقول ورد الباطل منها، مع الدفاع عن العقيدة الصحيحة ورد على كثير من بدع الفرق الكلامية والفلاسفة وشطحات الصوفية والنصارى كما دافع عن عصمة الأنبياء والملائكة.
- ١٩- إهتم الشيخ عبد الله بن فودي بالقراءات السبعية وبيّن ما ترتب عليها من دلالات لغوية وأحكام فقهية.
- ٢٠- أيقظ الشيخ عبد الله بن فودي هم العلماء في مجال التصنيف والتأليف وخاصة في التفسير وعلومه؛ حيث توالى الجهود في ذلك بعده في نيجيريا، حيث وجد بعده إسهامات علمية كتفسير مبهمات القرآن وتفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن.
- ٢١- أشار الشيخ عبد الله بن فودي إلى كثير من المصادر في تفسيره إلى جانب اللغة وفروعها والزهد والتي لا تتوفر الآن، وقد تعد من المصادر المفقودة، وذلك بعد الحملة الاستعمارية على البلاد الإسلامية وبعضها ما زالت مخطوطة.
- ٢٢- اهتم الشيخ عبد الله بن فودي بذكر الإشارات الصوفية وقد استفاد من ذلك من خلال قراءته بعض كتب التفسير الإشاري وانعكس ذلك على تفسيره.
- ٢٣- ومن الأمور المهمة في تفسير الشيخ عبد الله التركيز على الإصلاح والتربية، وهذه الظاهرة لا تجدها في تفاسير أخرى؛ فإنه لم يقتصر فقط على تفسير الآيات على الطريقة المألوفة، بل تجده يستلخص منها فوائد تربوية وإصلاحية، وهذه مهمة القرآن الكريم؛ التركيز على إصلاح القلوب وبناء على ذلك يصلح العباد والمجتمع وتصلح الأعمال الظاهرة. والمجتمع

الإسلامي اليوم في أشد الحاجة إلى ذلك لما دخل فيه من شوائب غير إسلامية حتى كادت تذهب بملاحه.

٢٤ - وقد توصلت إلى معرفة بعض العلماء وآثارهم العلمية والثقافية لمنطقة شمال نيجيريا خاصة ونيجيرية عامة.

#### ثانياً التوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله الحمد والشكر على ما تفضل وأنعم عليّ من إتمام هذا العمل، وأسأله تعالى أن يتقبله مني، ويجعله في ميزان حساني يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن يحسن خاتمتي، وقارئ هذه السطور، وأن يجعل مآلنا إلى خير إنه رحيم ودود.

أولاً: إن تفسير الشيخين عبد الله بن فودي وأبوبكر جومي من التفاسير الجيدة المختصرة وفيه فوائد، ينبغي أن يذل فيه جهود كما بذلت في تفاسير أخرى في التنقيح والتجريد والشرح، وأن يتعرف عليهما العلماء وطلاب العلم كما تعرفوا على تفاسير أهل المشرق والمغرب ويستفيدوا منهما، وهذا يجعلهم أن يعرفوا البيئة المحيطة بتلك المنطقة والدوافع من الكتابة، وكيف عاجلنا قضايا العقيدة والاجتماعية والسياسية في ذلك من خلال تفسير القرآن.

ثانياً: ينبغي الحرص على طباعة هذا التفسير (ضياء التأويل) ونشره وجعله في المقررات على المستوى الجامعي حتى يستفيد منه طلاب العلم من علوم المتقدمين ويسيروا على خطاهم ويقتبسوا من نورهم العلمي والثقافي في كيفية استنباطاتهم وطريقتهم في استخراج الفوائد في استخراج الفوائد في التربية والإصلاح.

ثالثاً: ضرورة توجيه الباحثين إلى دراسة مناهج هؤلاء المفسرين الذين لا يعرفون شيئاً عن مناهجهم، وإبراز جوانب التميز سلبي وإيجاباً في تلك المناهج.

رابعاً: تنبيه طلاب العلم والباحثين من خلال تبادل الأبحاث والكتب المطبوعة والمخطوطات، وهذا الكم الهائل من المخطوطات لتحقيقها وإخراجها للناس؛ فكم بذل فيها من جهد؟ وكم حوت من علوم، وهي رهن المكتبات العلمية؟ لا يطلع عليها إلا النزر اليسير.

وأوصي إخواني الدارسين والباحثين بالعناية جهدي، فما كان من حق وصواب فمن الله وحده، فهو المتفضل به عليّ، وما كان من خطأ وسقط فمن نفسي والشيطان، وشرع الله ودينه بريثان

منه. وأسأل الله العليّ القدير العلم النافع والعمل الصالح إنه رحيم ودود، والحمد لله رب العالمين.

University of Malaya

## فهرس الأعلام المترجم

- ١- ابن الجوزي هو عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج، ولد سنة: (٥٠٩هـ)، و(٥٩٧هـ)،
- ٢- ابن العربي القاضي أبوبكر بن عبد الله بن محمد الأندلسي، ولد سنة: (٤٦٨هـ) و(٥٤٣هـ).
- ٣- ابن عطية عبد الحق بن عبد الملك، أبو محمد الغرناطي، ولد سنة: (٤٨٠هـ—)، (ت ٥٤١هـ).
- ٤- أبوبكر الداعية المفسر وقارئ، ولد سنة: (٢٠١٤م)، وتوفي سنة: (٢٠١٤م).
- ٥- أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، مولا هم الكوفي، فقيه العراق (ت ١٥٠هـ).
- ٦- أبوحيان أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، أبو عبد الله، ولد سنة: (٦٥٤هـ)، وتوفي بمصر سنة: (٧٤٥هـ).
- ٧- أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي: (ت ٨٠٦هـ).
- ٨- أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد، ولد سنة: (٥٣٨هـ)، و(ت ٥٩٠هـ).
- ٩- أبوزيد عبد الرحمن (ت ٦٢٧هـ).
- ١٠- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الخراساني، أبوبكر البيهقي: (ت ٤٥٨هـ).
- ١١- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الخراساني، البيهقي: (ت ٤٥٨هـ).
- ١٢- أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، أبو عبد الرحمن، وُلد سنة: (٢١٥هـ) وقيل (٢٢٥هـ) وتوفي (٢٤٠هـ) وقيل (٢٣٨هـ).
- ١٣- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، أبو عبد الله، و(ت ٢٤١هـ).
- ١٤- أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عطاء الله، (ت ٧٠٩هـ).
- ١٥- آدم عبد الله آدم الآلوري الكاتب المشهور الأديب المؤرخ، وتوفي الشيخ (١٩٩٣م).
- ١٦- إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبو الفدا، الشافعي، ولد سنة: (٧٠١هـ) و(ت ٧٧٤هـ).
- ١٧- أمير محمد بللو، ولد سنة: (١١٩٥هـ، ت ١٢٥٣هـ).
- ١٨- البغوي الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، محي السنة، أبو محمد (ت ٤١٠هـ).
- ١٩- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: (ت ٧٧١هـ).



- ٢٠- الثعالبي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجزائري، ولد سنة: (٧٨٦) و(ت ٨٧٥).
- ٢١- جعفر بن محمود بن آدم القاري أبوسالم، ولد سنة: (١٩٦٠م)، و(ت ٢٠٠٧م).
- ٢٢- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ٢٣- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي (ت ٨٦٤هـ).
- ٢٤- جمال الدين عثمان بن عمر فقيه مالكي، نحوي بارع، (ت ٦٤٦هـ).
- ٢٥- جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، أبو عبد الله: (ت ٦٧٢هـ).
- ٢٦- حسن بن علي بن طلحة الرجاسي الشوشاوي (ت ٨٩٩هـ).
- ٢٧- زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، ولد سنة: (٨٢٦هـ)، و (ت ١٢٥٠هـ).
- ٢٨- الزمخشري محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم (ت ٥٣٨هـ).
- ٢٩- سليمان بن الأشعث، أبوداود السجستاني الإمام الحافظ (ت ٢٠٢-٢٧٥هـ).
- ٣٠- سليمان بن عمر العجيلي المعروف بالجميل: (ت ١٢٠٤هـ).
- ٣١- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: (ت ١٣٨٥هـ).
- ٣٢- الشاعر الكبير أبو بكر بن عبد الكريم الشافعي، (٨٥٨هـ).
- ٣٣- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: (ت ٩٢٣هـ).
- ٣٤- شيخ الإسلام، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، (ت ٥٤٤هـ).
- ٣٥- طاهر بن عثمان بوشي زعيم قرية التجانية الصوفية وداعيتها وناهز من العمر (٨٣).
- ٣٦- طلحة بن مطرف بن كعب الهمداني الكوفي (ت ١١٢هـ).
- ٣٧- عبد الباري العشماوي، (ت ١٠٨٦هـ).
- ٣٨- عبد الرحمن بن محمد الأخضر، (ت ٩٥٣هـ).
- ٣٩- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، أبو محمد، الرازي ابن أبي حاتم: (ت ٣٢٧هـ)،
- ٤٠- عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (ت ٨٠٦هـ).
- ٤١- عبد العزيز عبد السلام أبو القاسم، ولد سنة: (٥٧٧هـ) وقيل (٥٧٨هـ—)، و(ت ٦٦٠هـ).
- ٤٢- عبد الكريم بن علي بن عبد الكريم الحسيني المغربي، ثم المصري (ت ١١٣٨هـ).
- ٤٣- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الصاوي، أبو العباس (ت ١٢٠١هـ-١٨٢٥م).

- ٤٤ - عبد الكريم بن هوازن، أبو القاسم، ولد في سنة: (٣٧٥هـ) و(٤٦٥هـ).
- ٤٥ - عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، أبو البركات، (ت ٧٠١هـ).
- ٤٦ - عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة البيضاوي، (ت ٦٩١هـ).
- ٤٧ - عبد الله بن محمد بن عثمان صال بن هارون بن محمد فودي، أبو محمد.
- ٤٨ - عبد الملك بن هشام أبو محمد المعارفي (ت ٢١٨هـ).
- ٤٩ - عبد الملك بن هشام الحميري، أبو محمد، الذي انتهت إليه سيرة (ت ٢١٨هـ).
- ٥٠ - عثمان بن فودي بن عثمان بن طالح بن هارون ابن محمد بن موسى جكل.
- ٥١ - علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد ابن إبراهيم، الشافعى، وُلد سنة: (٦٧٨هـ)، و(٧٤١هـ).
- ٥٢ - العلامة الشيخ ناصر كبرا زعيم فرقة القادرية.
- ٥٣ - الفتح بن عبد الغنى بن محمد القاضي (١٤٠٣هـ).
- ٥٤ - القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (ت ٥٤٤هـ).
- ٥٥ - مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث (ت ١٧٩هـ).
- ٥٦ - مجاهد بن جبر المكي، المفسر، أبو الحجاج، ولد سنة: (٢١هـ) وفاته بمكة سنة: (١٠٤هـ) وعمره (٨٣).
- ٥٧ - محمد الناصر بن محمد المختار، ولد سنة (١٣٣٣هـ) الموافق (١٩١٢م)، وتوفي (١٤١٦هـ)، الموافق (١٩٩٦م)، عن عمر (٨٢).
- ٥٨ - محمد أول بن أبه أجي بن إدريس البرناوي ولد: (١٩٤٠م)، وتوفي مكة (٢٠٠٩م).
- ٥٩ - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي: (ت ٦٧١هـ).
- ٦٠ - محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، أبو القاسم، فقيه أصولي، لغوي، سنة: (٧٤١هـ).
- ٦١ - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: (ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م).
- ٦٢ - محمد بن أحمد بن علي الإدريسي، أبو عبد الله العلوي: (ت ٧٧١هـ).

- ٦٣- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبو جعفر ولد سنة: (٢٢٤)،  
و(ت ٣١٠هـ).
- ٦٤- محمد بن عبد الله بن محمد بن نعيم النيسابوري، أبو عبد الله: (ت ٤٠٥هـ).
- ٦٥- محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، أبو عبد الله، الملقب بفخر الدين، الشافعي،  
ولد سنة: (٥٤٤هـ)، و(ت ٦٠٦هـ).
- ٦٦- محمد بن عيسى الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى (ت ٢٧٩هـ).
- ٦٧- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد، الشافعي الغزالي (ت ٥٠٥هـ).
- ٦٨- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، أبو عبد الله، (ت ٢٧٣هـ).
- ٦٩- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيازي الفيروز آبادي، (ت ٨١٧هـ).
- ٧٠- محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ولد سنة: (٢٥٠هـ)، و(ت ٢٠٤)  
أو (٢٥٤).
- ٧١- صالح بن حسين الكواشي قاضي تونس، ولد سنة (١١٣٧هـ) — ومات سنة  
(١٢١٨).
- ٧٢- مجاهد بن جبر المكي المقرئ أبو الحجاج المخزومي وتوفي بمكة (ت ١٠٤هـ).

## فهرس غريب الألفاظ

### الكلمات وأسماء الأماكن ومعناها

- ❖ صكتو = سَكْتُ، سوكوتو، وصكوتو، تكتب بكيفية الثلاثة إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ نيجيريا = اسم دولة أخذ من نهر نيجيريا.
- ❖ لاغوس = إحدى ولايات نيجيريا وعاصمة قديمة لها.
- ❖ لُوكُوجَا = إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ أبوجا = عاصمة جديدة لنيجيريا.
- ❖ كَنُو = كانو تكتب بكيفيتين إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ بَنُوي = إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ كدونا = إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ تُبُكُتُو = بلد في دولة مالي.
- ❖ إفريقيا = اسم قارة.
- ❖ آسيا = اسم قارة.
- ❖ هوسا = اسم قبيلة
- ❖ ايبو = اسم قبيلة
- ❖ يوربا = اسم قبيلة
- ❖ فلانة = اسم قبيلة
- ❖ برنو = اسم قبيلة
- ❖ نوفي = اسم قبيلة
- ❖ فوتا = اسم قرية
- ❖ فوتا = اسم بلد
- ❖ بفزان = اسم بلد

- ❖ كَوَار = اسم بلد
- ❖ بِسِحْلَمَاسَة = اسم بلد في دولة مالي.
- ❖ أُودُغَسْت = اسم بلد في دولة مالي.
- ❖ تَغَازَة = اسم بلد في دولة مالي.
- ❖ الآلوري = إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ أَدَمَاوَى = إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ بنين = اسم دولة مجاورة نيجيريا.
- ❖ كمورن = دولة مجاورة نيجيريا.
- ❖ بَرْقَة = اسم بلد في ليبيا.
- ❖ طرابلس = عاصمة دولة ليبيا.
- ❖ كانم = اسم لمملكة الإنبراطورية برنو.
- ❖ مُرْزَق = اسم بلد في ليبيا.
- ❖ كُوكَاو = عاصمة لمملكة برنو قديم.
- ❖ النيجر = اسم دولة النيجر.
- ❖ دارفور = اسم بلد في دولة السودان.
- ❖ وَنْغَارَاوَى = اسم قبيلة.
- ❖ غَانَة = دولة في إفريقيا.
- ❖ غوبر = اسم قرية.
- ❖ فودي = معناها بلغة الفلانية فقيه.
- ❖ طَلَل = اسم قرية.
- ❖ أَدْر = اسم قرية.
- ❖ السودان = يطلق على غرب افريقيا.

- ❖ التَّكْرَار = يطلق على بلاد الهوسا.
- ❖ السنغال = إحدى دول إفريقيا.
- ❖ زَنْفَرَا = إحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ بَاو = اسم قرية.
- ❖ غرة = اسم قرية، ولد فيها الأخ الأكبر لعبد الله بن فودي، الشيخ عثمان.
- ❖ عُذُو = اسم قرية وقع فيها القتال.
- ❖ كَتُو = اسم قرية وقع فيها القتال.
- ❖ قُدُو = اسم قرية.
- ❖ كُوتُو = اسم قرية.
- ❖ كِبَّ = اسم لإحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ غَنْدُو = عُونْدُو = اسم قرية ولد فيها عبد الله بن فودي المفسر.
- ❖ أَلُوسَا = اسم قرية تابعة لولاية كِبَّ.
- ❖ كَتْسَنَا = اسم لإحدى ولايات نيجيريا.
- ❖ بالرواق = اسم مكان خُصص لدراسة البرناوين في مصر.
- ❖ الأغدس = ولاية في دولة النيجر.
- ❖ وزاريا = بَلَدِيَّةُ تابع لولاية كدونا.
- ❖ مُلَامَعَا = اسم قرية.
- ❖ دَوْرَا = اسم قرية أو بلدية تابعة لولاية كَتْسَنَا.
- ❖ أغِي أغِي = اسم حيّ في ولاية لاغوس.
- ❖ ريجيا ليومو = ريجيا زاكي = اسم حيّ في ولاية كنو.
- ❖ دُوَعَنْ دَاَجِي = اسم قرية، التي ولد فيها والد جومي.
- ❖ مَارُو = اسم قرية.

❖ غَدَنَسْكَوْ = اسم قرية في دولة مالي.

❖ جومي = غومي = اسم بلدية تابعة لولاية زنغرا.

University of Malaya

## فهرس المصادر والمراجع

### - القرآن الكريم

- إبراهيم طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة أمدر مان، العدد الثاني عام ١٩٦٨ م.
- إبراهيم محمد، الإسلام والحركة العلمية في إمبراطورية برنو، رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة-بايرو-كنو نيجيريا.
- ابن الجوزي أبو الفرج، الموضوعات، ت، يحيى بن محمد، القاهرة دار ابن رجب، ط ١، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، تفسير الراغب الأصفهاني، ت د. محمد عبد العزى، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط ١، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
- أبوبكر محمود جومي رئيس قضاة نيجيريا، تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن، طبع على نفقة الحاج محمد بللو ميتما يوسف وزير التجارة في حكومة جمهورية نيجيريا الفيدرالية، دار العربية للطباعة والنشر والترزيع بيروت، (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- أبوبكر محمود جومي، في كتابه قصدي، والكتاب مكتوب باللغة الإنجليزية وترجم إلى الهوسا، وهذه المعلومات عثرت عليها عند ما زرت بيته في ولاية كدونا وقابلت ابنه شخصياً الدكتور أحمد أبوبكر جومي.
- أبوشهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، القاهرة، مكتبة السنة، ط ٤، د. ت.
- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الخراساني، أبوبكر البيهقي: (ت ٤٥٨هـ) الإمام المحدث الحافظ، السنن الكبرى للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، (١٤٢٤ هـ) و (٢٠٠٣ م).
- أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد الباقي مطبوع، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، شرحه ووضع فهارسه أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط ١، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م).



- أحمد بن شعيب، سنن النسائي، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي (ت ٢١٠-٣٠٣) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، ط ١.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، مجموع الفتاوى، ت، أنور الباز- عامر الجزار، ط ٣، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م).
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبها وأبوها وآحاديها محمد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٤ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م).
- أحمد بن محمد السلفي، معجم السفرت: عبد الله عمر البارودي المكتبة التجارية، مكة المكرمة، عدد الأجزاء، الموقع الإلكتروني.
- أحمد سعيد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، من (١٨٠٤ - ١٩٦٦م)، رئيس جامعة صكتو نيجيريا، وسفير بالمملكة العربية السعودية سابقاً، ط ٢، (١٤١٤هـ) (١٩٩٣م).
- أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن ٣٩٥٠٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أحمد محمد إواء الدين، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ بن فودي في نيجيريا.
- أحمد محمد حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي، ورقة قدمها.
- أحمد محمد، الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة احتفاء بذكرى الشيخ عثمان بن فودي بقاعة الصداقة بالخرطوم، عام (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- أحمد محمد كاني (١٩٨٧)، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ٣٥.
- أدب المفرد مخرجاً، في باب من سأل الله العافية، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣، (١٤٠٩ - ١٩٨٩).

- آدم عبدالله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، عثمان بن فودي الفلاني، ط ٢، ( ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م).
- آدم عبدالله الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا: قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه، عميد المركز العربي الإسلامي باغيغي نيجيريا.
- آدم عبدالله الإلوري، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ط ١، ( ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، مكتبة وهبة ١٤، شارع الجمهورية عابدين.
- آدم عبدالله الإلوري، الإسلام في نيجيريا عثمان بن فودي الفلاني، ط ٢، ( ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م).
- آدم عبدالله الإلوري، كتاب نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، مدير مركز التعليم العربي الإسلامي، الدار العربية، بيروت، ط ( ١٤٢٠ - ١٩٨١ م).
- إسماعيل بن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية لابن كثير، دار إحياء التراث العربي بيروت، طبعة جديدة محققة، ط ١، ( ١٤٠٨ هـ) الموافق ( ١٩٨٨ م).
- إسماعيل بن إدريس، التفسير في كنو، أطروحة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة بايرو- كنو ( ١٩٨٦ م).
- أصول الإيمان، ت، باسم فيصل الجوابرة، ط ٥، ( ١٤٢٠ هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.
- أمير محمد بللو، الإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرار؛ للشيخ عثمان بن فودي.
- برهان الإسلام الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩ م.
- عثمان بن فودي، تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان، مخطوط في مكتبة مركز الدراسات الإسلامية، في دولة صكوتو.
- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ت، عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الرياض، دار ابن خزيمة، ط ١، ( ١٤١٤ هـ).

- جمال الدين محمد بن أكرم بن منظور، لسان العرب، طبعة ملونة جيدة مصححة وملونة، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط، ٣.
- حسن عابد ينو العراقي، معالم التاريخ الإفريقي، السرسيد أحمد، ومؤسسة التربية للطباعة والنشر، ط ١٠، جمهورية السودان (١٤٩٣ - ١٩٩١ م).
- خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (ت ١٧٠هـ)، مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م).
- خيرالدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، دار العلم للملايين بيروت، (١٩٨٠ م).
- خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (ت ١٧٠هـ)، مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ٢٠٠٣ م ١٤٢٤هـ.
- دراسة منهجية لسنن النسائي وابن ماجه، تثبيت الموقع الإلكتروني، المكتبة الشاملة.
- الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، مطبوع في مجلدين، دار ابن الجوزي.
- سلسلة محاضرات أكتوبر للكاتب، نشرته وزارة الثقافة والإرشاد النيجيرية: (١٩٩٢ م).
- سليمان بن الأشعث، أبوداود، سنن أبوداود، باب في شكر المعروف، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- سيد قطب إبراهيم حسين الشاري، في ظلال القرآن، ط ١٧، (١٤٢١ هـ -)، دار الشروق - بيروت - القاهرة.
- شفيع محمد أحمد، في ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية العلاقات على جانبي الصحراء العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها"التواصل الحضاري بين المناطق الإفريقية الواقعة شمال الصحراء الكبرى كجنوبها، كلية الدعوة الإسلامية، (١٩٩٩ م).

- شلي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط، النهضة المصرية، القاهرة، ط ٤، (١٩٨٢م).
- الشوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الدوحة، (١٩٨٦م).
- عبد الحليم بن تيمية شيخ الإسلام، المقدمة في أصول التفسير، ط منشورات دار الحياة، بيروت.
- عبد الحميد محمد بشر، البينات في تفسير أحكام العبادات، (٩- ١٣٣)، ط ٢، يناير (٢٠١٠م) الموافق محرم (١٤٣١هـ).
- عبد الحميد محمد بشر، البرهان في تفسير جزء عم، المدرس بمركز التعليم العربي الإسلامي أغيني، مدير مركز السلام للعلوم الإسلامية إيبوتي إيرو، لاغوس، نيجيريا، ط ٥، شعبان (١٤٣١هـ).
- عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط ١٥، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات المفسرين للسيوطي، ط ١، (١٣٩٦). عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، محاضرة بعنوان، مناهج المفسرين.
- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن أبي حاتم، التفسير العظيم لابن أبي حاتم، ط ٢، ١٤١٩هـ، مكتبة مصطفى الباز بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، إثبات صفة العلو، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- عبدالله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات، ط، المشهد الحسيني بالقاهرة.
- عبدالله بن فودي، كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، محمد ثاني موسى أياغي، رسالة ماجستير قَدّم له: الجامعة الإفريقية العالمية في السودان، وهناك طبعة بمجلد واحد يتداول في الأسواق، إن تفسير كفاية ضعفاء السودان هو خلاصة من ضياء التأويل في معاني التنزيل، لما صعب على الطلبة العلم ثم أُلّف هذا التفسير وسماه بكفاية ضعفاء السودان.

- عبدالفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادى للتوزيع، ط ٤، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المقدسى الحنبلى، المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م).
- عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، اعتقاد أهل السنة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- عبدالله بن فودي للإمارات الإسلامية وما لا قوة على يد ملوك هوسا، مكتوب بخط كوفي وفيه قصيدة النصائح ختمه سنة: (١٢١٨ هـ).
- عبدالله بن فودي، إيداع النسخ من أخذت عنه من الشيخ، ط، مكتبة نولا زاريا: (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م).
- عبدالله بن فودي، تفسير القرآن المسمى، ضياء التأويل في معاني التنزيل، أحمد أحمد السعود وعثمان الطيب كنو نيجيريا، (١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م)، مكتبة الاستقامة بالقاهرة.
- عبدالله عبد الرازق إبراهيم في مجلة المناهل، العدد السابع، الرباط، يونيو، (١٩٧٦ م).
- عثمان بن فودي، بحوث الندوة العالمية التي عقدتها جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع منظمة الإيسسكو، بتاريخ (١٤١٧ هـ)، عبد القيوم عبد الحليم الحسن، مقالة، بعوان، مخطوات الفوديين.
- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا من (١٧٥-١٩٦) عام الاستقلال، ط ١، (١٩٧٢ م).
- علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، كتاب التعريفات، ت، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- عمر أحمد سعيد، رسالة ماجستير، التفكير الصوفي عند الشيخ عبدالله بن فودي.
- عمر يوسف حمزة، دراسات في أصول التفسير ومناهجه، شركة سعيد رأفت للطباعة، قطر بدون تاريخ.

- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها وحقق بعد وفاتهم وفيات ( ١٣١٠-١٤٢٤هـ )، و ( ١٨٩٧-٢٠٠٣م )، مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤٢٥هـ).
- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، أستاذ الدراسات القرآنية، كلية المعلمين، بالرياض، الطبعة الرابعة عشرة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، المملكة العربية السعودية.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت،: ( ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م ).
- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، (٢٠٠١م).
- محمد حجي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرج جماعه من الفقهاء، وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية بأمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، عام ( ١٤٠١هـ-١٩٨١م ).
- محمد رضوان الداية، التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، (١٤١٠هـ)، عدد الأجزاء ١.
- محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري، قطف الثمرفي بيان عقيدة أهل الأثر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، ط ١، (١٤٢١هـ).
- محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الفكر بيروت، مصدر الكتاب موقع مكتبة مشكاة.
- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط ١، المكتب الإسلامي بيروت.
- محمد الكبير، جميلة إسماعيل التكتيك الجماهيرية العربية الليبية، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الإسكيا ١٩٩٨، ١٥٢٨، ليبيا، ط ١.

- محمد الميري، الإسلام في مالي مجلة تراث الشعب طرابلس اللجنة الإدارية للإعلام  
الثورين يناير - فبراير، مارس، ١٩٨٣م، ع، ٩.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، طبعة جديدة محققة  
ومشكولة، المكتبة العصرية بيروت، ط ١، (١٣١هـ-١٩٩٦م).
- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. ابن جزى، أبو القاسم، القوانين الفقهية.
- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين، مؤسسة الرسالة،  
بيروت.
- محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح للإمام الحافظ المحدث أبي عبد الله البخاري (ت  
٢٥٦هـ)، رتب ورقم وبوب محمد فواد عبد الباقي، مكتبة السلفية.
- محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك الطبري، طبع، دار الكتب العلمية، ط، (١٤٠٧ هـ).
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، مصطلح الحديث، مكتبة العلم،  
القاهرة، ط ١، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).
- محمد بن عبد الرحمن الطاسان، الكتب والمقالات التي تكلمت عن منهاج، الإصدار  
الأول (١٤٢٨هـ).
- محمد بن عبد الله بن محمد بن حمد النيسابوري، أبو عبد الله: (ت ٤٠٥هـ)، الإمام  
المحدث الحافظ، المستدرك على الصحيحين، ط ١، (١٤١١ - ١٩٩٠)، دار الكتب  
العلمية-بيروت.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري،  
المستدرك على الصحيحين للحاكم، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -  
بيروت، ط ١، (١٤١١ - ١٩٩٠ م).
- محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية،  
شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، (١٤١٧ هـ-  
١٩٩٧ م).

- محمد بن علي بن أحمد، الداوودي، طبقات المفسرين للداودي، دار الكتب العلمية- بيروت.
- محمد بن علي بن فارس، الزركلي، (ت ١٣٩٦هـ) الإعلام للزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط ٥، (٢٠٠٢م).
- محمد بن علي بن محمد السكاكر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي: دراسة تاريخية مقارنة، ط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض (١٤٣١ هـ ٢٠٠٠م).
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دارالمعرفة - بيروت.
- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، الإمام الحافظ أبي عيسى (ت ٢٧٩)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، الإمام المحدث الحافظ، سنن بن ماجة، ت، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- محمد بن يوسف أبوحيان، تفسير البحر المحيط، ت، محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ط ١، (١٤٢٠هـ).
- محمد ثاني عمر موسى، التبصير لمجالس التفسير، دارالحكمة للكتاب الإسلامي، ط ١، (٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، الناشر مركز الإمام البخاري للأبحاث والترجمة - كنو- نيجيريا، سلسلة أبحاث تلك المركز.
- محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا (السودان)، ط ١، المكتب الإسلامي بيروت: ط ٢، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م).
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، للإمام الحافظ المحدث أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، رتب ورقم وبوب محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.
- مقالة بعنوان: ملامح من حياة الشيخ أبيه أجي الدعوة، كتبه بعض طلاب العلم بإشراف الشيخ إبراهيم مصطفى المالك، جده في موقع الإلكتروني.



- منصور عيسى بللو جهود الشيخ جعفر محمود آدم في العناية بالقرآن الكريم: تلاوة تجويداً وتفسيراً وتعليماً ودعوة، مقالة لطالب في مرحلة الماجستير في القانون المقارن، كلية أحمد إبراهيم للقانون الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

#### المواقع الإلكترونية.

- الموقع الإلكتروني الموسينية.
- الموقع الإلكتروني القراء في إفريقية.
- موقع الخضر عبد الباقي، الإسلام أون لاين.

ملحق بالمخطوطات والإثباتات العلمية.

University of Malaya

## ملحق

(أ)

نتائج البحث بالتفصيل  
تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل  
تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن

رقم	وجه الاتفاق	وجه الاختلاف	وجه الانفراد	تميز	مأخذ
١	وجه الاتفاق في المصادر العامة والعناية بالمأثور والجزئيات من المسائل العقدية والفقه والقراءات واللغة والناسخ والمنسوخ والقصص والإسرائيليات.	يختلف الشيخ جومي عن الشيخ عبد الله في أفكاره حول التعايش السلمي. وفي العقيدة بينهما أن الشيخ جومي عقيدته سلفية ينتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة مذهب السلف، وأن الشيخ عبد الله كان قادريا وصار صوفيا.	وجه الانفراد عند تفسيره الإشاري، والمناسبات ربط بين الآيات والسور، وعلوم القرآن ومسائله.	تميز رد الأذهان بمعاني القرآن في حسن التنظيم والترتيب وذكر الموضوع الرئيسي لسور القرآن، وتفسيره العلمي.	
٢	وجه الاتفاق في تعامل بالنصوص من جميع أطرافها، عن الآداب	لا وجه للمقارنة في بعض الجزئيات عن أصول العقدد،			

			والأخلاق الحسنة، وجزئيات عن أصول العقائد.	وتعامله في العبادات والاستدلال الرأي الشخصي.		
٣			يتفق الشيخان في الإصلاح الديني بالتمسك بالعقيدة الصحيحة ومحاربة الخرافات والشركيات والبدع.			
٤			يتفق الشيخان في مجال التعليم والتدريس والتأليف والتصنيف عموما. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.			
٥			يتفق الشيخان في العدالة الاجتماعية ولن تقوم الدولة إلا مع إقامة العدالة ويُعطى كل فرد من المجتمع حقه.			
٦			يتفق الشيخان في مجال التربية وتهذيب النفوس. وبالأخص الشيخ عبد			

				<p>الله تناول الروحانية</p> <p>الصوفية في تهذيب</p> <p>النفس.</p>	
--	--	--	--	---	--

University of Malaya

للعلاج قول الله لا نور وذهب الله جوابا لما وقال نور الله (يعني انما هو الله  
 المراد هو انما هو الله) واستثنى انما هو الله (يعني انما هو الله) واستثنى انما هو الله  
 تشبهت ذلك الذي كان مستوفرا لثباته وانه لا يغير في نفسه بل هو  
 محذوف لا يغير في نفسه واستثنى انما هو الله (يعني انما هو الله) واستثنى انما هو الله  
 في اوامر سماوي كمنع او ملأ وعذر العقل بالياء دور الدنيا في الدنيا  
 لعاج البلاء من معنى الاستصحاب والاستصحاب وما يمسك بلامه لئلا يفسد  
 عذر العوض الى النور او لئلا يذهب الله بوضوحه لا يقتل في النور والعرض  
 ان الله بالكيفية عنده ولذا اكد في قوله **وقوله** في قوله لا يفسد في ما  
 حوله متغير من غير الله بل هو ثابت في نفسه وكذا المنافع من انوار العقل والاول  
 بالكلية كلمة الايمان واذا ما تواجها مع النور والقاب والكلية المنع  
 لانها تمنع الرؤية وبالغ في جعلها وتغييرها وترك في الاصل من غير ان يفسد  
 واحد قط من معنى هذين تجري مجرى جعل الغلو وفي قوله كلمة الكبر وكلمة  
 النجاة وكلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يرفعن نورهن  
 وبما يهاجهم ثم اوضح مع هذا انهم يقولون هم هم عن الحق ولا يسمونه سماع  
 قبول بل هم من غير النور بل لا يكونون **عمر** عن طهره والعدو ولا يرون وهو  
 تشبيه بلطف **عمر** لا الاستعارة لان المشبه به مذكور ومع المنافع **عمر**  
 عن الضلالة التي انشروا الى العدو الذي باعوه لا يظلمون الاذلة والافعال للذلة على  
 ان تصاحبهم بالاحكام السابعة بسبب التحريم واحتسابهم ولم يشبه الله  
 المنافع بغيره في التمثيل الاول بالمستوفرا وانه لا يغير في نفسه ولا يفسد  
 بالكلية النار يشبه الغنى ان جميع بالحب لا الغلو في شيء به اريد الارض المحل ولا يظلمون  
 الكجاني من التثنية بالذات وما فيه من الوعد والوعيد بالعدو والبر وما يسمونه  
 الا جزاء من جهة المؤمنين بالذات في حال اعلم على ذلك كمثل الذي او كسبب او  
 مثل الذي ان جميع كسبيا وتحتمل ان يقال او مثل المنافع فيكون هيبا احباب لم امله  
 فيكون بل هو اب يوصى بغيره **السحاب** السحاب فيه له السحاب ظلمة متتابعة  
 كلمة الفهم وكلمة البيل وكلمة تتابع المحل وعذر هو الملك الوكيل وفي قوله  
 وهو مصور في الاصل في الجمع وبري السحاب صوره الذي يجر به وانه في الاصل صورا  
 وعدو وبري ولذا في الجمع وتغيير هيبا لانه ان يبره نوع من المحل يشوبه تغريب السماء  
 للذلة على ان الغمام منطوق بها والسماء كذا او في المبدأ بالسماء السحاب كما في  
 واللائق في الماهية **يجعل** احباب الصبي **اصابع** جمع اصبع مثله الائمة  
 البلاء لانا ملين في **اذ** اذ **اصابع** اجل **الصواع** جمع صاع مثله صوت الرعد  
 في النار والصاعفة يملأ على كل هذا من سموع او مشاهد لئلا يسمونه سماع  
 في النار وجملة يحفلون مستأنفة استنباطا لينا كما قاله في طالعهم في  
 جعل في اخره والمطلوب الا ابع مودة الانا ماله قال البيهقي



معصية لا اجال باقبلها في اجية الاستواء ولا حمل لها الاوطال موكرة او براعنة  
او حتى ان واجلمة قبلها اعترى اخرها موعلة الخج و جادة هذا الانزال حصول  
الثواب المتبلغ مع الزام الحجة للمبلغ اليهم ولذا قال عليهم السلام في هذا القول  
على قلوبهم طبع عيسى واستوثق ولا يدخلها خير وهو يعجل الحكم السابق  
وبين انما يقسمه والمعنى حكم على قلوبهم بالكفر فيسبى لائق خيرا ولا تقصمه  
وعلى سمعهم مواضع فلا ينفقون بما يسمعون من الحق وحسن السمع  
لانه محذور وكرر على انزال الشدة الختم باستغلال كل واحد منهم بما كان عليه من  
عشوائية غفلة جلا بصره والحو والفتشاة فعالة بنى لما يستعمل على  
النش كالعصابة والعمامة فالالبيضاوي لا يفتح ولا تفتش على الحقيقة والنما  
المراد بهما احداث هيكلة في نفوسهم تغيرهم على استجاب الجهر والظاهر  
واستفياح الالهام والطلاعات الى اخره فقال وقال عموما من النعمان هذا  
الختم حقيقة لا يجاز ففجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كتب ذنبا  
نكثت نكته سوداء في قلبه الى اخره فقال ولهم عذاب عظيم في ذنوبهم والارث  
والعذاب كل ما يشي على الانفس ويهتد مراده اظهر النعم فقال البيضاوي فيه وعيد  
وبين انما يستحقونه والعذاب كالنكال الشاء ومعنى يقول عذاب عن الشاء ونكثته  
اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يغيب العفتش ثم انفسه والخلق على كل الم واج  
وانهم يكرهون الا عذابا يورثهم الجاني عن المقاومة وهو اعم منهما وفيه اشتقا  
فه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالشفقة والتمريض والعطية نقيض  
الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دور الصغير والعظيم هو الكبير ومعنى  
التوفيق به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه فصر عنه وحقر بلاضافة اليه  
ومعنى التنكير في الآية ان على الصالحين عيشة ليس ما يتقاربه الناس وهو  
الغنى عن الايات ولهم من اللامع العدل ثم نوع عفي لا يعلم كنهه الا الله انتهى  
ولما افتتح الله سبحانه هذه السورة بشرح حال الكتاب وسائر ما كان من  
امرهم ومن كبره كما انما وباللهنا ثلث بالقسم الثالثة المذبذبة بين التعمير ونعم  
المنافقون الذين امنوا باجوا هلع ولم تؤمن وكونهم ونعم اخذ الكفرة ولوا حول  
وبين انهم وجعلهم واستثنى منهم وتكلمهم باعداهم ونجى على قلوبهم  
في انهم وضربهم الامثال وقال ومن الناس اظلم الناس حزنهم ثم تخرجهم  
في ايمانهم وعوض عنهم في التعريف واشتقاقه من الانفس والمنصور كما في البحر من الاجتماع  
من اول القصد الذي كبره او موع محار مع جن مبشركه من يقو امانا بالله  
والتيامة لانه اخر الايات ومنه قوله في الاية من انهم

فليعلم الراقون على هذه النسخة  
 حارثية من قصر بن الطاهر خضعة  
 من يد أمير غنابطة

هو "القوانين التي تشارك في جميع القوانين العامة"



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا  
التي كنا لن ندر ان هذا الهدى من الله تعالى  
تلاويها وكشف معانيها ايات محكمات هدى الكتاب واخر متشابه  
فيها من خطاباتنا وطلاوت تفسيرها على الله عليه وعلى اله والكلية  
ويصلح عليه وعليهم تسليها كثيرا وبعد؟ هذا ما اشترفت اليه حاجة  
الراغبين والحاج العاجين اراكتب له تفسيره في تفسيره كتاب الله  
مع الاعتماد فيه على ارجح الاقوال باعترافنا بما يحتاج الى الاجتهاد منه والتبني  
على القراءات المشهورة بتبني قراءات نافع رواية ورش عن اذهق قراة  
وهذه البلاغة وبيان الاضلاع الشرعية يخرج عن هذه ملك فيها اذهق من هذا  
في الملوك الشرعية العينية كما جرت العادة الى ذلك راجع من الله تفسيره وثوابه  
وسميته ضياء التاويل ومعاني التنزيل واعلم ان علم التفسير على  
يعرف به جميع كتاب الله تعالى المتزل وبيان معانيه واستخراج احكامه  
وحكمه واستمداد ذلك من علم النحو واللغة والتصريف وعلم القواعد والبلاغة  
واصول البغية والقراءات وعلم اسباب النزول والناسخ والمنسوخ قال  
البيهقي في التفسير هو راس العلوم الدينية ومنه فواعل الشرح  
لا يليق المتعاطية والتقدم للتكليف فيه الامور من العلوم الدينية  
كلها اصولها وفروعها وفاق في الصلوات القرآنية والبغية والادبية  
بانواعها وقال ابو عبيد التيجاني والتاويل بمعنى واحد وقال ابو العباس  
الاذري النخعي القراءات من وجهين الاول من حيث هو مفضل ومن حيث  
التجسيي ومن جهة الرواية والنقل والشأن من حيث هو مفضل ومن حيث  
جملة التاويل وكل جملة الرواية والعقل قال الله تعالى انا جعلناه قراة  
عزيماء لعلمك تعلمون فلما لم يعرفوا لسان العزيماء جميع القراءات العزيماء  
في عرف القالب الكلمة ونشرهما واعترافهما في يتنقل الى حجة المطالب  
كلامه ورواياته في وجه لكل منهما في التفسير في كماله في التفسير هو القراءات  
على الله بانه تعالى هذا اللفظ هذا المعنى ولا يجوز ان يانقل عن الله  
والتاويل وتزجج احد المحتملات بل هو العلم في الله اعلم  
واعلم ان البسمة غاية من ايات القرآن

هو التفسير في التاويل

هذا هو التفسير في التاويل

او موصولة على القصد الذي يقول مراد الله ابراهيم واسماعيل ونحو ذلك وما  
 به من غير روي فيه معنى من وضعه يقول العظماء ابراهيم واسماعيل واسماء  
 ومبالغة في التذكير لاراد اخرج ذواتهم من عدد المؤمنين ابلغ من ان يكونوا  
 جميعهم في الزمان ولذا اخرج النبي بالباء **يخضعون لله والذين آمنوا**  
 بالآخرة خلاق ما بالهتونه من الكبر ليدفعوا عنه احكامه الدينية  
 والخدع التي تولى غيرهم خلافا لما تنفعه من الكبر والتزلف عما هو بصوره واصله  
 السن والاشياء ومنه المذبح للخرافة والبطانة هنالك من احوالها في اللزوم والذكر  
 تحسب لان تكاد عور يبار ليحوي او استيناف يذكروا له من غير منه الا ان اخرج  
 في زينة واعل للمبالغة اذ هو ابلغ من جعله بلا مقابلة معارضه وما يتجدد في  
 لتابع وابركي وابعمر وقدر الباقون وما يتجدد في الانفس لان في هذا عوام  
 راجع اليهم في مقتضون في الدنيا بالخلع الذي يلبسه على ما يمشونه ويقاؤون  
 في الآخرة **والمؤمنون** ارجوا على انفسهم لتعاد غلبتهم والشعور بالاحسان كل  
 رجوع من الخراج اليهم في ذلك كالمجسوس لا يفي الا على من عدم الكوا من مشاعر  
 الانسان حواسه ومنه الشعار في قلوبهم من مرض شك ونفاق وهو غير ضروري  
 ايضا وفيها تالفا على ما يعرض من الدنيا والسمعة وحسوا على ما يروى من ثبات امر الله  
 الرسول في نفسه يوم اقبلوا في ذلك **الذين آمنوا بالله** انزل من القرآن الكريم به وما  
 يرون من اعلان امر النبي صلى الله عليه وسلم والاشادة ذكره وتحتل ان يراد بالمرضا  
 يد اخل قلوبهم من الكبر جبر شاهدها وشوكة السليبي وامداد الله لهم بالمسكة  
 وقوى الرعب في قلوب الكفار ثم يري الله ذلك بهما يري من نصرته المؤمنين على الكفر  
 والتبسم في البلاد وخيل قوله جزاء الله من فداء عيسى ونحو عذاب الله يوم  
**ما كانوا يكفرون** بالتشديد لتابع وابركي وابعمر وقدر الباقون ما يفي الله  
 وبما يتخفف لعامة حجة والكسبي في قوله امنوا واذا قيل له لا تقبلوا على  
 يكذبون او يقولوا يا اهل الله او الرسول ان بعض المؤمنين لا يتعصبوا ولا يرضوا بالكفر  
 والتعوي عن الايمان بحمد على الله في تهذيب المروءة والعقن بخادعة المسلمين  
 وموالاة الكفار باجتناء الاسرار اليهم وبانها انما هي والاهانة بالرياس  
 جاز الا خلال الشرايع والاعمال عشتها ما يوجبها الهرج وتخل شغل العالم  
**قالوا انما نحن صاغون** بين الناس بالمداواة وليس من انفسهم بفساد هذا  
 للناس على سبيل المبالغة لاراد انما المحرم وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الجسد  
 البصيرة بصورة الصلاح لما يوقلوه من الممنون كما قال تعالى اجبر انفسهم  
 عليه فراه حسنا قال تعالى داعيهم الى التنبية انهم هم الجسور والكلام  
 انهم مجسرون وهذا من ابلغ الرد الاستيناف في تصوره





عذابا كما سمي به النار السبيطة بسيطة او افعالها مع فاعلة المستحق اما  
مع الدنيا من اجبر او اكلح المسلمين عليهم واستولوا جمع بالاسم الى ان يفتقروا  
مع العذاب واملح الاثر في روى انه يفتقروا له في النار الى ان يفتقروا  
نحوه واذا وصلوا اليه يفتقروا عليه الباب وردوا الى النار وذلك قوله في اليوم  
الذي امنوا من الكفار يفتقرون ويعدون يفتقرون لا يفتقرون بمعنى انهم لا يفتقرون  
بعدمه بل لا يفتقرون له قلة من كثير ويعدون من اعداء وعدوا من اعداء وعدوا  
الكل اكثر استجرا المعدي في الفس والامداد والحين وفيها يفتقرون لغيره المجد  
مع الكفر يعني الله وكسبها يفتقرون في كثير من الامور والفتنة  
مع البهيرة وبعو الخبير في الاسم كالمعنى في البصر اولئك الذين استحقوا العذاب  
**بالهوى** اختار وندا عليهم واستبوا لوهابهم استبوا لوكبره بالاعمال التي كسبوا  
لهم لا لاله تعالى ولا او استبوا لاوليائه العظماء والفقهاء اختار وندا  
واصل النشأ بهنر التمس لتخصيص ما يفتقرون للاعيان واستحق في معنى انهم عاينوا  
مجاهدين من المعاني والاعمال ولذا شئت الاستقار بقوله في النار  
**تجار** له ما ربحوا فيها بل خسرنا وراستهم ما ربحوا في النار البهيرة  
عليهم **وما كانوا مستوفين** لهم في التجارة جاز المقصود منها سلامة السر المال  
والربح ومذلا ليس لهم ربح والارسلان ولما حقق الله ما ربح في العاقلة  
والتجربة والخسار عفيها ايضا في البطلان زيادة في التوفيق لان المشرك وثق  
مع الغلب ما لا يوشى وصف الشئ في نفسه اذ يجعل الكفر كالجحيم الغائب كالنشا  
وهو جازم شله في جنتهم في عاقبتهم والمثل في الامور التي يفتقرون فيها في العوالم  
السامية مع عرف الناس عرفا به معنى الشئ مع غرابته في الاستشهاد لكل حال او  
صحة او فحة لها شارب فيها غرابته والكفر في العلم الغريبة الشان  
كمثل الوجع الذي **استوفوا** او فتر نار في طاعة والنار جودهم لطيف  
معي ومرتكز ينشور قرا ونهر لان النار حارة وتذكير ما مودن في كفتها  
**ولما اضاء** النار ما حوله المستوفى بابصر واستوفى وامر بالخارج  
ذهب الله بنورهم **المجاهد** وجه الضمير مراعاة لمعنى الذي لانه بمعنى الذي  
كما خذرتاه اولاء اضاء يكون متعديا ولا زما وعمل اللزوم جازما وان  
استمر الرما والتناهي لان ما حوله اشبه بالماكن والى ضمير النار وما حوله  
يحمل على محنة نصب على المحرقة او مريضة وحوله كثر واصل الحول الرواد  
الدور ولذا افقا

هو المستوفى  
في النار



٦٠٧  
 اءسلع عما جرى بيني وبينك وعور اذ جاءني اوعى اليك ليكن الشكر  
 صدقاً فقال له فرعون انك لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 على عقلك حيث تتكلم بل لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 الموكب مع انك لم تلبث ان تلبث كما انك لم تلبث ان تلبث كما انك لم تلبث  
 قال لقد علمت بعينك انك لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 الا بئس ان لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 انتصاب بصلواتك على الحال ان لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 عن الخبير منكم على الشكر من قولك انك لم تلبث ان تلبث كما انك لم تلبث  
 ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 راد فرعون ان لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 كاثراً من فرعون ان لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 الصعود الى السماء وقيل ان من يراه في السماء في السماء في السماء  
 اراد فرعون ان لا تفكر في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 اقيام الساعة جنباً في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 والاعين اجساد من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 فتح في بينك وبينك من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 بالحواس مقتضى لاشراكه بالحواس المشتغل عليه من في ما بيني وبينك  
 ولما ذكره بعد ذلك في قوله تعالى وتطروا القبور على اليه بقوله تعالى وتطروا  
 اليه وما ارسلناك الا مبشراً ومن اسرنا الجنة وتذير من في ما بيني وبينك  
 جلا عليه بعد ما وقرا ناصوب به على بعضه في قوله تعالى وتطروا  
 مع عشرين سنة او وثلاث او بيننا وبينك في قوله تعالى وتطروا  
 لتفكر في ما بيني وبينك من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 واعور على اجمعين وتطروا القبور على اليه بقوله تعالى وتطروا  
 قلوا مشوا بالقرآن اولاً ثم مشوا تهديهم الى الارض التي لا يربون فيها  
 وعوم لا يورثون فيها ان الذين اولوا النعم من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 بعثهم الى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى وتطروا  
 القرآن ان في ما بيني وبينك من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 الرسل ما بيني وبينك لتعلموا في الرجل من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 جازفة دينك في ما بيني وبينك من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك  
 واما التفسير في قوله تعالى وتطروا القبور على اليه بقوله تعالى وتطروا  
 معناه في ما بيني وبينك من في ما بيني وبينك ولا في ما بيني وبينك



بسم الله الرحمن الرحيم  
هذا القراء والكتاب في الاصل مضمون كتاب جمع سمي به الجليل في الفقه وال  
فيه الاستغفار او العبادات في الكلام وفيه فحاشا بعد اشارة الى ان لا يجب شك  
في ان من عند الله في الوضوء وسلموه برهانه وجملة الشيء من مبراه  
ذلك والاشارة به للتقوى هدي من تارة هاد للتقوى الصابرين الى  
التقوى بالمشي الى الامس واجتناب النواهي لا تقاوم بذلك النار واعلى  
ان ما تفرع اربع قبل تقرير اللاحقة منها السابعة والاربع من العاطفة بينها  
على ما على باب الوصل والعقل والسم جملة على تقدير تقدير اللاحقة على التقوى  
بله هو المولى من جنس ما يبرهن من كلامه مع وذلك الكتاب جملة ثانية  
على جمل ذلك مبتدأ والكتاب خبره وسيقرر له جملة التحجب بانه الكتاب المتقوى  
بغاية الكمال وقوله لا يبرهن جملة ثالثة تشتمل على كماله في التقوى  
واثبات الحق واليقين له وسواء على الكمال وقوله هو المتقوى رابعة موكدة لكونه  
حقا لا يجوز الشك حوله وان شئت قلت في الجمل تستتبع السابعة منها  
اللاحقة استتباع الدليل للمطلوب ويبرهن انه لما ثبت اولاً على انما التحجب  
من حيث انه من جنس كلامه وقد عجزوا عن معارضة الاستتبع منه انه الكتاب  
البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يشك في الرب بالحق له وما كان كذلك  
ولا محالة انه مدرك للمتيقن وفي كل واحدة من الجمل نكتة ذات جزالة  
في الاولي الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فحاشا التقوى  
وفي الثالثة تناهي الكفر حذر امر بها واثباتها وفي الرابعة الحذف  
والتوبيخ بالمصدر المبالغة وايراد مستحق التعليل وتخصيص الهدى المتقوى  
باعتبار الغاية وتسمية المشار للتقوى متقيا الجار او تعجبا قائم اليها  
ثم يبرهن المتقوى قوله الذي يرضون به فقول بالحق بما عليه عنق من اليقين  
والجنة والنار او بالقلوب بالبدن للتعددية اولالة او المصاحبة وعوى بالبدن  
لتضمنه معنى الاعتراض والايان ثم عايد من على ضرورة انه من غير عمد في الله عليه  
المنافعة في سبل التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ويقوم الاصل في ان يهدوا وكانها من  
بيار حيث اطلع العود اذا اقومه يعني يا تورا بما يحقها الفاضلة من العباد والسنن وال  
التي اطلع ما هتفت من المنشوع والاقبال بقلبه الى الله والملافة بقلبه من كل اذاعا كماله  
فيها وعوض كرامة من كل راسي العقل المضمون بها لا شغفاله على الدعاء والارادة  
من اوله انما ينادي والروا في اسم لكل ما يستتبع به واصله الحق والنسب



من العاجلة بقطر وسوق الشاذلي اولى نزل اية اول السورة بل كعبا او السور  
للجمل بها وسوق اولها والملك ليس متعلقة بحجوزي تغدير والفرأ أو نفرا  
ولم يخل الله للبشر بذكر اسمه ولم تكتب الا لكثرة الاستعمال طوالت الجمل  
عنهما والله على كل شيء قدير والرحمن صفة مبالغة معناها انه لا شيء على غاية  
الرحمة وهي صفة تختص بالله وهي اللفظ من الرحيم والرحيم اللفظ والرحم الارحام  
يقال لرحم ولعين واحدة والرحيم امر منه ذاك والرحم التحلية والرحمة  
قاله عبد الرحمن بن صالح بسورة **الرحمن** كتاب مكتبة سبع ايات **بسم الله الرحمن الرحيم**  
والعاجلة في الاصل مصدر كالفانية سمي به اول ما يفتح به الله من بيان الملائكة  
على المحصول انما يبدأ بكتاب الله في الرحمة وتقر له فيها بالصلاة ويقدر في الامانة  
فولوا الحمد لله **وجعله** خبرية فخر بها التثنية على الله بمعنى انها من الله على  
مالك جميع الحمد من خلقه ومستحق الحمد هو التثنية والحمد هو التثنية على الجليل الاحتمال  
من شدة اوجعها والمرح هو التثنية على الجليل مطلقا بقول الله تعالى على علمه والفقير  
حمدته على صفة بل مدحته والشكر مقابلة التثنية قولها بالتثنية لا واعتمادا  
فصولها من مخرج واحد **وبالعلم** ماله جميع الخلق وتبديعهم  
بالعلم والنور اول العلم على غيره ومومن القامته لانه علامة على موصيه  
والربيع الاصل بمعنى التثنية وهو تليق الشئ الى كماله تثنيا وتثنية  
به للمبالغة كالقول وقيل هو ثقت سر له بربه بسورة ولا يطلع على غير الله  
الامتنان الرحمن لجميع خلقه الرحيم للمؤمنين ثقت يعرفون لا تذكروا **ملك يوم**  
الجزاء ومومن القيامة وخص بالذكر لانه الامله الاصرافه لانه الله  
تعالى وقد الكسائي وعاصم ماله يوم الدين معناه ماله الاصل كله ويوم القيامة  
ان هو موصوف بزاله دائما كقاف الزنب فيهم وقوعه صفة لهم بعد وكثير يوم  
بالاضافة لتعظيمه وتبديع الله تعالى به بنحو ذالهم واجزل هذه الاوصاف  
على الله تعالى من كونه من جلاله ليس **والله اعلم** مني عليم بالخلق كلها ما هو  
ما هو ما عجلها واجلها ما لا اله الا الله يوم الثواب والعقاب الدالة على  
ان الحق بالمحمد لا يستحقه على اية سورة فارتدت الحق على الوعد بشر  
عليقته له ولا اشعار من يوم العبد يكون دليل على ما بعده وموايا كقيد والوصف الغول  
من ان محمد فضلا اربيد ليكور دليل على ما بعده وموايا كقيد والوصف الغول  
ما هو الموجه الحمد وهو الايجاد والتميز والتبليغ والثالث الدلالة على انه مستعمل  
الذي مختار فيه السوابح الاعمال والاربع تعقيب الله على ما لا يقبل الشكر  
الوجه ما وضمن الوعد للماورين وكويعد المعجز وما ذكر الحقين بانه



وهذه بعضه الصفات التي يتميز بها عن غيره فتعلق العلم به معلوم معين  
خو لطلب بقوله **ايضا بعد وايضا** نفسه ايام هذا الشك  
تخص بالعبادة من تزويد وغيره ونطلب منك الموقونة على العبادة  
وغيرها والعبادة افضى غاية الخضوع والتذلل ومنه لم يوجع عبدا منزلا  
ولذلك لا تستعمل الا بالخضوع والتذلل لله تعالى والمراد بالاستقامة هنا  
كطلب الموقونة في العبادات كلها واداء العبادات والصبر المستقيم والعقل  
للموصدين وقدر المجهود للتعبين والاهتمام به والامانة على الحق وكره الضيق  
للتشبه على انه المستقام لا على وفدت العبادة على الاستقامة لتوافق روي  
الاي وليعلم ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة او لما نسب  
المتكلم العبادة التي تفسر او يسمونه بعبادته بعبادته بعبادته وايضا لتفسير ليدل على  
ان العبادة لا تكون الا بعبادة منه وقيل هو الحال في عبادة مستقيمين **ايضا**  
**الصراط المستقيم** بيان للصحة المطلوبة والهداية دلالة بلفظ اشرنا  
اليه ويبد منه بدل الصراط **الذي يرضى عليه** بالهداية والاستقامة  
من النسيير والصديقين والشهداء والصالحين وحدهم هو الذي هو حكمة الاسلام  
وقرأ قبل عن ابن كثير الصراط هو الذي يرضى عليه والباقيون بالصاد وهو لغة من يش  
والثابت في الامام غير المقصود **عليه** وهم اليهود والنصارى ومع النصارى  
وغيره بدل من الذين على معنى السج عليهم هم الذين سلموا من الغضب والظلال او  
صحة له مبيغة او مقبرة واعتبر من البدلية بان اصل غير الوصية والابن الوص  
ضعيف واجيب بان غير ايستعمل استعمال اسماء نحو غيري ويجعل كذا في موضع  
بدلا واعتبر من الوصية بان غير الا تفرق فاذا قلت رايت غيري فكذلك سمع  
المحاذي لم يسمع غيره واجيب بانه قد يتصور كما هنا لانه اضيف الى ماله فلو كان  
ويعو السج عليه فيبين ان غيري الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الكلام  
من الضمير العجور والعامل في قوله البيضاوي وعليه مع محل الرفع لانه ثابت  
مناب الجاعل والمرتبة كذا كيد ما غير من معنى النبي فكانه قال الغضب عليه  
ولا الضالهم والظلال الهدى عن الله يوق السوي عموما والخاصا وانما اكثر بلاد  
للعقوب بين الكفرين لتجنب كل منهما جارح في اهل الايمان مشتملة على  
العلم بالحق والعلم به واليهود فقط والعمل والنصارى العلم ولزك كل الغضب اليه  
اليهود والظلال النصارى لان من علم وترك العمل استحو الغضب بخلاف من لم يعلم والحداد  
صل ان كلا من اليهود والنصارى حال مقصود عليه لكن احمر اودى اليهود والغضب  
والظلال اخص وصاى النصارى والظلال وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم المقصود عليه البه  
الذين النصارى والله اعلم بسورة البقرة مدنيته من ان

بالاضافة

3



هو التفسير على ما يتصل بالظاهر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزل القرآن على عبد  
الغفير تزييناً ثمير للناس ما نزل اليهم ليدبروا آياته ويتذكروا  
تزييناً وكشف معاني آياته محكمات هرام الطيبات واخر متناه  
بهايات هرام من الخطاب تاويلها وتفسيرها على الله عليه وعلى اله واصحابه  
وسلم عليهم وعليهم تسليها كثيره وبعد هذا ما اشترت اليه حاجة  
الراغبين والخاص المحققين ان يكتب لهم تفسيراً يحسن به كتاب الله  
مع الاعتماد عليه على ارجح الاقوال باعتراف ما يحتاج الى الاعتراف منه والتنبية  
على القراءات المشهورة بتبديده قراءة تابع رواية ورش عنه اذ هو قائل  
في هذه البلاد وبما راجع الاحكام الشرعية مع رعونته بملكه فيها اذ هو من هذا  
في الاحكام الشرعية الشرعية واجتهد في ذلك راجعاً من الله تيسيره وثوابه  
وسميته ضياء التاويل ومعاني التنزيل واعلم ان علم التفسير على  
يعرف به فهم كتاب الله تعالى المعقول وبما يتصل به واستخراج احكامه  
وحكمه واستمداد ذلك من علم النحو واللغة والتصريح وعلم المعاني والبيان  
واصول البقعة والقراءات وعلى اسباب النزول والتأنيخ والمنسوخ ذلك  
البيضاوي وعلم التبعيض هو راسل العلوم الدينية ومبنى قواعد الشرع  
لا يليق لتعاليمه والتمهيد للتكليف فيه الامر بعلم العلوم الدينية  
كلها اصولها وفروعها وقافي في الصلوات القرآنية والعلوم الادبية  
بانواعها وقال ابو عبيد التبعيض والتاويل بمعنى واحد وقال ابو العباس  
الاذني المنظر في القرآن من وجهين الاول من حيث هو مفعول وبني جملة  
التبعيض والمعرفة الرواية والنقل والتأنيخ من حيث هو مفعول وهي  
جملة التاويل وهي بقية الرواية والعقل قال الله تعالى انا جعلناه قرآناً  
عربياً لعلمك تتخلون فلما بد من معرفته للسان العربي في فهم القرآن العربي  
فيعرف الطالب الكلمة ونشأها واعترافها في يتنقل الى معرفة الطالب  
كلامه واولها في يوجب لكل منها حقيقة انتهى بذلك بالتفسير هو القائل  
على الله بانه عني بهذا اللفظ هذا المعنى في كل باب بالنقل عن الله  
والتاويل وتزجيج احد المحتملات بدون القطع فيه والله اعلم  
واعلم ان الباسطة غاية من ابان القرآن



للعلاج قول الله لا نور وذهب الله جوابا لما وقال بنو النصارى في قولهم ان الله  
 المراد هو ان ينادى هذا او استنشقنا في حبيب به اعترافا من الله تعالى باننا لان  
 نشبهه بشيء من خلقه تعالى المستوفى لصفات ذاته والاضيق المشاويق والجواب  
 معذرة له في ذلك واستنادا لذلك الى الله تعالى باننا لان ينادى به  
 ضحى او امر سماء كبرياء او ملهى وعبد البعل بالباء دور الدنيا من العلة  
 لما في الباء من معنى الاستصحاب والاستصحاب وما لم يمسس في الامم لئلا  
 عذر عن الضم الى النور اذ لو قال ذهب الله بضمه لاحتل في النور والعرض  
 ان الله بالكلية عنده ولذا اكد في قوله **وقوله** في قوله لا يمسس في  
 قوله متغير عن الله بوزن الجوز وكذا المنافع من امر الغنى والى النور  
 بالضمارة كلمة الايمان اذ امانوا جاءت الخوف والفرار والى كلمة المنع  
 لانها تمنع الروية وبالغ في جعلها وتكثيرها وتترك في الاصل معنى يخرج واستعمل  
 واحد فظهر معنى صير مجرى مجرى افعال العلوب وفي قوله كلمة الجبر وكلمة  
 النجاة وكلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يمسس في قوله بضم  
 وباءهما ثم اوضح عدم هذا اليتيم بقوله هم صمد عن الحق فلا يمسس في سماع  
 فيكون بضمهم من غير الجبر فلا يمسس في **عمر** عن طهره والى قوله وهو  
 تشبيهه بلفظ مع الاعم للاستعارة لار المشبه به من كونه مع المنافع **في قوله**  
 عن الضلالة التي انشروا الى الهدى الذي باعوه لا يطلبون الاخرة والى قوله على  
 ان تصاحبهم بالاحكام السابعة بسبب تجميعهم واحتسابهم ولم يشبه الله  
 المنافع بغيره في التمثيل الاول المستوفى نارا والى قوله بالظاهرة والى قوله الانتفاع  
 بالنعمة النار تشبه الغنى ان يجمع بالضم لان الغنى يجمع به اليه الارض والمال وتبقى  
 الكفاية من التبعة بالظلمات وما يجمع من الوعد والى قوله وما يجمع من  
 الاجزاء من جملة المؤمنين بالذوالى في قوله على ذلك كمثل الذي او كسبه او  
 مثل الغنى ان يجمع كسبه وتحتل ان يقال او مثل المنافع في قوله هيبه اصحابه  
 في قوله ما يجمع ما يجمع في قوله **السحاب** السحاب فيه له السحاب ظلمات متتابعة  
 في كلمة الفلاح وكلمة البيل وكلمة تتابع الملوك وعده هو الملك وقيل صوته  
 وهو مصدع الاصل في قوله **وغيره** السحاب الذي يجره وتمازى الاصل صورا  
 وعذروا في قوله ان يجمع هيبه لانه ان يجمع من الملوك يشبهون وتعرف السماء  
 للذلة على ان الغمام منطبوع في السماء كذا وفيه المراد بالسماء السحاب كما تخرج  
 والى قوله في الماهية **يجعلون** اصحاب الصيب **اصحاب** جمع اصبع مثله الائمة  
 الجاء لانا ملهى في اذ اشبع من اجل **الصواع** جمع صاعقة شدة صوت الرعد  
 في قوله الصاعقة يملؤ على كل حال سموع او مشاهد لئلا يسمعون احد الملوك في سماع  
 في قوله وجملة يجعلون مستأنفة استينافا لبيانها كذا في الامم في قوله  
 في قوله يجعلون في قوله واملوا الا ابع منه الا ما لفة قال ابي حنيفة



لكن المبدأ لهذا الكلام العريضة المدح يتحقق بخبرونه عن ابيهم في طاعة  
الله من سبيل الخير من العبر في البطل وتغذيهم المبعوث لاهلها به والحق  
وكلية علو ريس الى وادخل من التبعية عليه لكي عن الامس ان الشئ  
عنه والذين يوضون ما انزل اليك من القراء ما انزل من التوراة  
والانجيل وغيرهما وفيل يمدونه الماية في مومته اهل الكتاب وما تقدم في موضع  
التي وكلهم من جملة التقيين والافراد في يوقون يعلون والافغان  
فصول العلم بلا شك ولا شبهة بعد ان لم يكن بالاستقلال ولذا لا يوصف  
به علم البار، تعالى ولا العلوم الضوئية والاشعة ثانياً في الاخر صفة الدار  
بدليل تلك الدار الاخرية في علمت كالدنيا وما جمع في ذوقه من العلم في علمه  
على الدار اولها الموضوعون بها ذكر على هدي رشت وبعينه  
لا يبلغ كنهه غيره **واولها هم المخلصون** العاجزون بالجملة الناجون  
من النار واهل العلم القطع في جميع المقطوع لهم في الدنيا والاخرة وكرامته  
البع الاشارة تنبيهها على ان انصافهم بتلك الامكان يقتضي كل واحدة  
من الاثرين واركانها كما في تمييزهم بها عن غيرهم وسواهم في العلم  
لاقتلاص مجموع الحملتين ومع في العلم بكونه النسبة وبعيداً عن  
المستوى بالمستوى في الالبصار في شامل كلف فيه سبحانه على انصاف المتقين  
بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى في تلك العلم على العلم الاشارة للتفصيل  
مع الايجاز وتكريره وتوزيع الخبر وتوسيع العمل في العلم في العلم في العلم  
في اربعة ايات من اول البقرة في المومنين والاشقياء في الكافرين وثلاث  
عشر في المنافقين ثم بعد ذلك في الكل الى التوحيد واشتد لهيب في اثبت  
الرسالة بدليلها كما ياتي ان الذين كفروا الذين علم الله انهم يموتون  
كفار اكلان في كل واحد من وجوهها والكفر انكار ما على بالضرورة مع الرسالة  
وانما عدوا شراً لئلا كفرا لانه يدور على تكذيبه لانه يتوهم كفراً سواء عليه  
انذارهم ام لم تنذرهم وسواء يعني الاستواء نعت به كما نعت بالمداد  
روم وروم خبر ان وما بعده مرتفع به على الجاهلية كانه قيل ان الذين كفروا  
مستحقون انذارى وعمره او خبر ما بعده بمعنى انذار وعمره يعني  
تسليم والاداء لا علاج مع التوبيخ في التوبيخ والتحقيق وابدال الثانية  
لورثه في تعليمها وادخال الى يبر المسئلة والاخر في ذلك

University of Malaya